بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[الأحزاب:٧٠][(١)].

أما بعد:

«فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور

---

(١) هذه الخطبة معروفة بخطبة الحاجة؛ أخرجها أحمد في مسنده (١٨٨/٧) ح (٤١١٥)، وابن ماجه؛ كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح (٦٠٩/١) ح (١٨٩٢)، وأبو داود؛ كتاب: النكاح، باب: في خطبة النكاح (٢٣٨/٢) ح (٢١١٨)، والترمذي؛ كتاب: النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح (٤١٣/٣) ح (١١٠٥)، والنسائي في الصغرى؛ كتاب: النكاح، باب: ما يُستحب من الكلام عند النكاح (٨٩/٦) ح (٣٢٧٨)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن، كما صححها الألباني؛ حيث له رسالة مفردة في جمع طرقها وتخريجها؛ بعنوان: خطبة الحاجة.

محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[1].

فإن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ على فترة من الرسل بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فدعا إلى صراطه المستقيم ونهجه القويم، وأرسى دعائم عقائد التوحيد، وحذر من الشرك ومظاهره.

واستمر في الدعوة إلى الله ﷻ حتى أتم الله عليه النعمة وأسبغ المنة بإكمال هذا الدِّين .

وقام بهذا الأمر من بعده أصحابه الكرام الذين رباهم وكان لهم في شخصه القدوة الحسنة، فحملوا اللواء ونشروا دين الله ﷻ في أصقاع الأرض، وبينوه للناس عقيدة وشريعة، ثم تلاهم من بعدهم التابعون لهم بإحسان ... وهكذا ما زال علماء الإسلام يبينون للناس أحكام الدِّين في العقائد والعبادات والمعاملات ... الخ.

ومن هؤلاء العلماء علماء اليمن من أهل السنة الذين كان لهم اليد الطولى في نشر هذا الدِّين، وترسيخ عقيدة التوحيد والتحذير من الشرك.

ولهذا أحببت أن يكون موضوع دراستي في تخصص العقيدة؛ لنيل درجة العالمية "الدكتوراه":

تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك عند علماء اليمن والرد على المخالفين في ذلك

من القرن الحادي عشر الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري

- **أهمية الموضوع:**

١- أن توحيد العبادة هو الذي بعث الله تعالى من أجله الرسل، وأنزل

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٢/٥٩٢) ح (٨٦٧)، إلا قوله: «وكل محدثة بدعة»، وقوله: «وكل ضلالة في النار»، وهذه الزيادة أخرجها النسائي في الصغرى؛ كتاب: صلاة العيدين، باب: كيف الخطبة (٣/١٨٨) ح (١٥٧٨)، وصححها الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/٧٣).

الكتب، وشُرعت الشرائع؛ قال الله تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]، بل ومن أجله خلق الله الخلق ؛ قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦].

٢- كما أن الشرك بالله تعالى من أعظم الذنوب التي عُصي الله بها؛ لذلك رتب الله تعالى عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه؛ من إباحة دماء أهله وأموالهم، وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم قبول أعمال أهله، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة؛ قال الله تعالى :﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[الزمر:٦٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٤٨].

وإن ((المتأمل في سيرته ﷺ بعد البعثة؛ ليجدها سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد الدائب لإعلاء كلمة التوحيد، وتقويض دعائم الشرك، ومحاربة الوثنية في كل صورها ومظاهرها، فقد قضى ثلاثة عشر عاماً في مكة من سني بعثته لا شغل له إلا إقرار العقائد الصحيحة، والدعوة إلى التوحيد؛ حتى طهَّر جزيرة العرب من عبادة الأوثان، وجرى أصحابه -رضي الله عنهم- على هذه الطريقة في كل موطن نُسجت منه عناكب الشرك، فأبادوا الأصنام وما يشبه الأصنام ...، وتفقهوا في الدِّين، فأخذوا في إبعاد الناس عن عقيدة الشرك بطريق الجزم، وسدوا الذرائع التي قد تُفضي إليه ...))[1] .

من أجل ذلك رغبتُ أن يكون موضوع الدكتوراه مرتبطاً ببيان هذا الباب العظيم من أبواب التوحيد الذي هو توحيد العبادة، والتحذير مما يناقضه من الشركيات -لا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه البدع والخرافات والشركيات في بلدان المسلمين، وصرفت فيه بعض العبادات لغير الله تعالى-؛ وذلك بإبراز جهود وتقريرات علماء اليمن في ذلك.

---

(١) مصرع الشرك والخرافة؛ لخالد محمد الحاج (ص٢٨).

٣- تصور كثير من الناس أن توحيد العبادة مقصور على فئة من العلماء دون غيرهم، أو على علماء مذهب الحنابلة دون غيره من المذاهب، فيُحجِمون وينأون عن توحيد العبادة، ويقعون في الانحراف فيه، ويَلِجون في غياهب الشرك والخرافة.

كما أن في مثل هذا التصور هضمًا لجهود كثير من العلماء الذين بذلوا في بيانه الكثير، ومعلوم أنه ((ليست الدعوة إلى التوحيد بمذهب خاص، ولكنه دين الله العام))[(١)].

● أسباب اختيار الموضوع:

١- إبراز الجهد الكبير لعلماء اليمن ومن تُرجم لهم أنهم من علماء اليمن -من علماء المخلاف السليماني- من أهل السنة -في القرون موضع الدراسة- كغيرهم من علماء الأمة في عنايتهم بتوحيد العبادة والتحذير من الشرك؛ حيث إن اليمن تزخر بعلماء مبرزين عُرِفوا بحرصهم على السنة وغيرتهم على العقيدة السليمة، ولهم من الجهود العلمية والعملية ما يُثلج الصدر ويبهج النفس في تقرير هذا الباب العظيم من أبواب التوحيد، ومحاربة الشرك والخرافات والرد على شبه أهله.

٢- من أسباب اختياري للموضوع -أيضاً- غزارة المادة العلمية وكثرتها، فعند تتبعي لبعض كتب علماء اليمن من أهل السنة؛ وجدت لهم كلاماً كثيراً في تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك، وذكرهم لكثير من الشبه والرد عليها، فأحببت أن يكون لي جهد المقل في إبراز هذه التقريرات في رسالة مستقلة لكي يسهل الرجوع إليها، وتكون عوناً للباحثين وطلاب العلم، وعامة المسلمين.

٣- الرغبة في الاطلاع والاستفادة مما ورثه لنا علماؤنا من أهل اليمن من العلم النافع المبني على نصوص الوحيين.

٤- أن هذه الدراسة تكميل لدراسات سابقة في إبراز جهود علماء اليمن.

---

(١) رسالة الشرك؛ للميلي (ص٥٧).

• الدراسات السابقة:

لم أقف بعد البحث على رسالة جامعة لتقريرات علماء اليمن في توحيد العبادة وتحذيرهم من الشرك، إلا أنه توجد رسائل أُلِّفت فيما يتعلق بعلماء اليمن، وهي كالآتي:

• **منهج الإمام الشوكاني في العقيدة**؛ وهي رسالة دكتوراه؛ للباحث: عبد الله نومسوك، الجامعة الإسلامية.

• **الإمام الشوكاني وآراؤه الاعتقادية بين السلف والزيدية**؛ وهي رسالة ماجستير؛ للباحث: سعد إبراهيم، جامعة أم القرى .

• **منهج المعلمي وجهوده في تقرير عقيدة السلف**؛ وهي رسالة ماجستير؛ للباحث: أحمد بن علي بن يحي بيه، الجامعة الإسلامية.

• **ابن الأمير الصنعاني ومنهجه في الاعتقاد**؛ وهي رسالة ماجستير؛ للباحث: نعمان شريان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

• **جهود الشيخ مقبل الوادعي في تقرير العقيدة**؛ وهي رسالة ماجستير؛ للباحث: جلال مقبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

ويلاحظ في هذه الدراسات اقتصارها على العالم المعين دون من سواه، كما أنها عبارة عن دراسة لآرائهم في مسائل العقيدة عموماً وفي بيان مناهجهم.

وبالجملة فإن مما يميز هذا البحث عما سواه من البحوث التي اطلعتُ عليها؛ تناوله -إضافة إلى جهود هؤلاء العلماء- لجهود وتقريرات لعلماء من مختلف مناطق اليمن، لم يسبق أن بُحثت وأُبرزت جهودهم وتقريراتهم؛ حيث إن لهم جهوداً مشكورة، وأقوالاً مفيدة؛ في تقرير توحيد العبادة، ومحاربة الشرك والخرافات والرد على شبه أهله.

• كما أن هناك رسالة ماجستير؛ بعنوان: "**القبورية: نشأتها ،آثارها، موقف العلماء منها "اليمن أنموذجاً"**"؛ للباحث: أحمد بن حسن المعلم، من

الجامعة الوطنية، اليمن.

وهذه الرسالة قد اشتملت على ثلاثة أبواب:

فأما الباب الأول: فهو عبارة عن دراسة تاريخية؛ حيث تحدث فيها الباحث عن نشأة القبورية في العالم عامة، ثم عند اليهود والنصارى، ثم عند اليونان، ثم تحدث عن القبورية عند العرب قبل الإسلام، وكيف نشأت في الأمة المحمدية مع التعريف بأهم الفرق القبورية التي كان لها دور في نشرها؛ مثل: الشيعة، والصوفية.

ثم خصَّ الفصل الأخير من هذا الباب في بيان نشأة القبورية في اليمن؛ وذلك ببيان حال اليمن قبل نشوء القبورية، ثم تحدث عن دور بعض الفرق؛ ببيان دورها في نشر القبورية في اليمن.

وأما الباب الثاني: فهو عبارة عن دراسة لبعض آثار القبورية ؛ حيث وضح فيها الباحث بعض عقائد القبورية الضالة؛ مثل: عقيدة القطبية والتصرف في الكون، وعقيدة الرجعة وإمكانية الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة، والاعتقاد بحياة الخضر والالتقاء به، وتعظيم القبور.

كما بيَّن الباحث أثر القبورية في نشر بعض الانحرافات الاجتماعية؛ مثل: نشر الخرافة في الأمة، والتمايز الطبقي، وانتشار الجهل والأمية .

وأما الباب الثالث: فقد بيَّن فيه الباحث أساليب القبورية في محاربة مخالفيها؛ مثل: الاحتواء والاختراق، والإرهاب الفكري، والقوة، ثم بين بعد ذلك موقف علماء اليمن من القبورية؛ حيث بين موقفهم من القبورية الإسماعلية، والقبورية عامة.

هذا هو ملخص رسالة القبورية في اليمن، فهي في بيان نشأة القبورية، وبيان آثارها، وموقف العلماء منها، على النحو المذكور سابقاً.

وعند تصفحي لها وجدت ما يلي:

١- أن الباحث لم يُشر -في ثنايا رسالته- إلى مفردات توحيد العبادة أو التحذير من الشرك، كما هو موضَّح في رسالتي التي هي:

"تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك عند علماء اليمن والرد على

المخالفين في ذلك".

ولم يقم بدراستها إطلاقاً؛ ذلك لأنها ليست هي موضوع دراسته، وإنما موضوع دراسته ما ذُكر سابقاً.

وإنما وقفت في رسالته على ثلاثة مسائل فقط مما لها تعلق برسالتي؛ وهي: الغلو في الصالحين، وخطورة الشرك، وتعظيم القبور.

فأما مسألة الغلو في الصالحين، وخطورة الشرك؛ فلم يقم الباحث بدراستها بناءً على أقوال علماء اليمن -كما هو شأنه في غالب رسالته- ولم يذكر من أقوالهم فيها شيئاً.

وأما مسألة تعظيم القبور؛ فقد اكتفى الباحث بذكر خمسة أقوال لعلماء اليمن فيها فقط.

٢- أن الباحث اكتفى عند بيانه للجهود العلمية لعلماء اليمن في مواجهة القبورية بذكر بعض أسماء العلماء؛ حيث يقوم بالترجمة للعالم المذكور، مع ذكر بعض مؤلفاته في ذلك، والتعريف بها في أسطر، دون الخوض في تفاصيلها.

وأما رسالتي فإنها تبحث في إبراز أقوال علماء اليمن -في القرون موضع الدراسة -في تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك وشبهه- على نحو مُفصَّل؛ كما يظهر من خلال الخطة التي وضعتها في المقدمة؛ حيث يتضح جلياً أن هناك فرق شاسع بين رسالتي ورسالة "القبورية: نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها "اليمن أنموذجاً"؛ والله أعلم.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث: من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة.

المقدمة: وتتألف من الآتي:

١- أهمية الموضوع .

٢- أسباب اختيار الموضوع .

٣- الدراسات السابقة .

٤- خطة البحث .

٥- منهج البحث .

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف باليمن في القرون موضع الدراسة.

المبحث الثاني: التعريف بعلماء اليمن المذكورين في البحث.

الباب الأول: تقرير توحيد العبادة عند علماء اليمن، وبيان العلاقة بينه وبين أنواع التوحيد والرد على المخالفين في ذلك .

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول: بيان علماء اليمن لمعنى التوحيد والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: معنى التوحيد في اللغة والشرع.

المبحث الثاني: بيان أهمية التوحيد.

المبحث الثالث: معنى لا إله إلا الله.

المبحث الرابع: شروط لا إله إلا الله.

الفصل الثاني: توضيح علماء اليمن لمعنى العبادة في اللغة والشرع، وبيان شروطها والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى العبادة في اللغة والشرع.

المبحث الثاني: بيان شروط العبادة والرد على المخالفين في ذلك.

الفصل الثالث: بيان علماء اليمن للعلاقة بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان أقسام التوحيد.

المبحث الثاني: بيان إقرار الكفار بتوحيد الربوبية.

المبحث الثالث: بيان العلاقة بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات والرد على المخالفين في ذلك.

الفصل الرابع: بيان علماء اليمن لأنواع العبادة والرد على الشبهات التي يستدل بها المخالفون على مشروعية عبادة غير الله.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيان أنواع العبادة.

المبحث الثاني: أعمال العبادة الباطنة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المحبة.

المطلب الثاني: الخوف والرجاء.

المطلب الثالث: التوكل.

المبحث الثاني: أعمال العبادة الظاهرة.

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الذكر.

المطلب الثاني: الدعاء.

المطلب الثالث: الذبح.

المطلب الرابع: النذر.

المطلب الخامس: الطواف.

المطلب السادس: الاستغاثة.

المطلب السابع: الاستعانة.

المطلب الثامن: التوسل.

وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: معنى التوسل.

المسألة الثانية: أنواع التوسل.

المسألة الثالثة: الرد على المخالفين في التوسل ببيان شبههم وإبطالها.

المبحث الرابع: الرد على الشبهات التي يستدل بها المخالفون على مشروعية عبادة غير الله ﷻ.

الباب الثاني: التحذير من الشرك عند علماء اليمن والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: إيضاح علماء اليمن لحقيقة الشرك وبيان خطورته والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: حقيقة الشرك .

المبحث الثاني: بيان خطورة الشرك.

المبحث الثالث: المقارنة بين شرك أهل الجاهلية وشرك عباد القبور.

المبحث الرابع: الرد على عباد المقابر ببيان شبههم وإبطالها.

الفصل الثاني: بيان علماء اليمن لسبب الشرك والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الغلو في الصالحين.

المبحث الثاني: البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: بيان كيفية القبر المشروعة.

المطلب الثاني: حكم البناء على المقابر .

المطلب الثالث: ذكر النصوص الواردة في النهي عن البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد.

المطلب الرابع: ذكر الآثار الواردة عن أئمة السلف في النهي عن البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد.

المطلب الخامس: ذكر المفاسد المترتبة على البناء على المقابر.

المطلب السادس: الرد على المخالفين في البناء على المقابر ببيان شبههم وإبطالها.

المبحث الثالث: توضيح مسألة زيارة القبور والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم زيارة القبور ببيان أنواعها.

المطلب الثاني: حكم شد الرحال إلى القبور.

المبحث الرابع: توضيح مسألة الشفاعة والرد على المخالفين فيها.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى الشفاعة.

المطلب الثاني: شروط الشفاعة.

المطلب الثالث: أنواع الشفاعة.

المطلب الرابع: الرد على المخالفين في الشفاعة ببيان شبههم وإبطالها.

الفصل الثالث: بيان علماء اليمن لأنواع الشرك والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان أنواع الشرك.

المبحث الثاني: الأعمال الشركية المنافية للتوحيد والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: شرك الدعاء.

المطلب الثاني: شرك الطواف.

المطلب الثالث: شرك الذبح.

المطلب الرابع: شرك النذر.

المطلب الخامس: شرك السحر.

المطلب السادس: شرك الرقى.

المطلب السابع: شرك التمائم.

المطلب الثامن: شرك الاستغاثة بغير الله ﷻ.

المطلب التاسع: شرك الكهانة والعرافة.

المطلب العاشر: شرك التنجيم.

المبحث الثالث: الأعمال الشركية المنافية لكمال التوحيد والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الحلف بغير الله ﷻ.

المطلب الثاني: التعبيد لغير الله ﷻ.

المطلب الثالث: الطيرة.

المطلب الرابع: الرياء.

المطلب الخامس: التسوية في المشيئة.

المطلب السادس: الاستسقاء بالأنواء.

الخاتمة: وفيها عرض أهم النتائج.

الفهارس:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث ولآثار.

٣- فهرس الأعلام.

٤- فهرس الفرق.

٥- فهرس المصادر والمراجع .

٦- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

١- استخرجتُ المسائل الخاصة بتوحيد العبادة والتحذير من الشرك من كتب علماء اليمن ورتبتها حسب خطة البحث.

٢- قمتُ باستيفاء النقل عن عموم علماء اليمن من أهل السنة، ومن تُرجم لهم أنهم من علماء اليمن من علماء المخلاف السليماني في المسألة حسب المرحلة الزمنية المذكورة.

٣- أوردتُ المسائل من غير توسع في تقريرها إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك؛ لأن المراد بالبحث هو جمع تقريرات علماء اليمن دون من سواهم، ولا يُراد به التأليف العام في توحيد العبادة.

٤- نبهتُ على الأقوال التي رأيتُ فيها ملحظاً أو مخالفةً؛ وراعيتُ الآداب الشرعية في ذلك.

٥- عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها؛ بذكر رقم الآية، واسم السورة، مع كتابتها بالرسم العثماني.

٦- خرَّجتُ الأحاديث والآثار التي ذكرتها في البحث؛ فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك؛ لكونهما أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، ولتلقي الأمة لهما بالقبول، وإن كانت في غيرهما فإني أخرجها من مظانها من كتب السنة؛ مبتدئاً بالكتب الخمسة-مسند الإمام أحمد والسنن الأربعة- ثم بغيرها من أمهات كتب الحديث، ثم أذكر الحكم عليها من كلام أهل العلم.

٧- عرَّفتُ بالفرق والطوائف.

٨- عرَّفتُ بإيجاز للأعلام غير المشهورين.

٩- شرحتُ الألفاظ الغريبة والمصطلحات.

١٠- التزمتُ بعلامات الترقيم، وضبطتُ ما يحتاج إلى ضبط.

١١- وضعتُ الفهارس العلمية اللازمة للبحث.

وفي الختام:

امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾ [إبراهيم:٧]، ولقول النبي ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» (١).

فإني أشكر الله ﷻ على ما أنعم به علي أن وفقني لسلوك طريق العلم الشرعي، وهيأ لي أسبابه، وأشكره تعالى على ما وفقني من إكمال هذا العمل الذي لا حول لي ولا قوة على إتمامه إلا بتوفيقه وتيسيره سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٢/١٣) ح (٧٩٣٩)، وأبو داود؛ كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف (٢٥٥/٤) ح (٤٨١١)، والترمذي؛ كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٣٣٩/٤) ح (١٩٥٤)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (٧٧٦/١).

ثم أتوجه بالشكر لوالدي الكريمين اللذين ربياني على حب الدِّين، والعلم والتعلم، فجزاهما الله عني خير الجزاء، وبارك فيهما.

ثم أتوجه بالشكر لولاة الأمر في هذه البلاد المباركة على ما بذلوه لي ولغيري من أبناء المسلمين في سبيل تحصيلنا للعلم الشرعي، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

ثم أتوجه بالشكر للقائمين على هذه الجامعة المباركة العريقة التي أمضيتُ فيها هذه السنوات أنْهل من صافي معينها، وأتزود من علومها.

كما أخص بالشكر القائمين على كلية الدعوة وأصول الدِّين عموماً، وعلى قسم العقيدة خصوصاً.

كما أتوجه بالشكر وخالص التقدير إلى شيخي وأستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور: سعيد بن محمد بن حسين معلوي -حفظه الله وسلمه-؛ الذي أحسن الظنَّ فيَّ، وقبل الإشراف عليَّ؛ فبذل كل ما يستطيع من أجل إتمام هذا البحث، فجزاه الله عني خيراً.

كما أشكر الأستاذين الفاضلين: الأستاذ الدكتور: عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي، والدكتور: صالح بن سعد السحيمي -وفقهما الله- على تفضلهما وقبولهما مناقشة هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من ساعدني على إتمام هذا البحث، أو أمدني بفائدة، أو معلومة.

والله أسأل أن يهدينا إلى سبيل الحق والتوحيد والسنة، إنه هو الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف باليمن في القرون موضع الدراسة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

المطلب الثاني: الحالة الدينية والاجتماعية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية.

المبحث الثاني: التعريف بعلماء اليمن المذكورين في البحث.

المبحث الأول: التعريف باليمن في القرون موضع الدراسة.

المطلب الأول: الحالة السياسية.

عاشت اليمن اضطرابات سياسية أدت إلى تعاقب دول كثيرة على حكمه، كما استطاعت بعض الشخصيات التي كان لها طموح سياسي الاستيلاء على بعض المناطق وحكمها ذاتياً؛ وهذا ما سنلاحظه خلال هذا العرض للحالة السياسية في اليمن من القرن الحادي عشر الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري.

فقد مرت اليمن بفترات من الصراعات والمنازعات على فترات مختلفة؛ حتى وصل العثمانيون إلى اليمن سنة ٩٤٥هـ؛ وهي حملتهم الأولى إلى اليمن بعد أن وضحت لهم أهمية موقع اليمن الإستراتيجي المطل على البحر الأحمر وبحر العرب، في إطار صراعهم كقوة دولية مع القوة البرتغالية البحرية المتنامية في المحيط الهندي وبحر العرب، والتي أخذت تحوِّل الطريق التجاري من البحر الأحمر عبر رأس الرجاء الصالح، مع ما يتبع ذلك من خسائر في عائدات الموانئ الخاضعة لسيطرة العثمانيين(١).

وفي هذه الفترة تمكنت فقط أسرتان من الأسر الهاشمية من تحقيق السيادة والنفوذ، وإن كان ذلك بشكل متقطع، وبين وهْنٍ وقوة؛ هما: أسرة آلشرف الدِّين، وأسرة آل القاسم(٢).

وفي فترة الوجود العثماني الأول في اليمن؛ خاضت أسرة شرف الدِّين حرباً

---

(١) ينظر: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان؛ للموزعي (ص٣٨-٤١)، والفتح العثماني الأول لليمن؛ لسيد مصطفى سالم (ص١٢٢-١٢٥).

(٢) أسرة شرف الدِّين: يُنسبون إلى الإمام المتوكل شرف الدِّين يحيى بن شمس الدين، وأسرة آل القاسم، يُنسبون إلى الإمام القاسم؛ وهو: القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن الرشيد القاسمي الهدوي. ينظر: طبقات الزيدية الكبرى؛ لإبراهيم الشهاري (ص٨٦٠)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع؛ للشوكاني (٣٨٥/١).

ضروساً ضد العثمانيين، كان يمكن لها النجاح سريعاً لولا التنافس على النفوذ داخل الأسرة نفسها الذي أسهم في طول هذه الحرب وبقاء الأتراك في اليمن[1].

ثم أخذت القوى القبليّة تحاول الحصول على مساحة نفوذ تتحكم فيها إلى جانب منافسات أئمة آخرين لآل شرف الدِّين، وقد أدت هذه المنافسات والحروب إلى الاستعانة بالعثمانيين لترجيح الكفة ضد المنافسين، ومع ذلك فقد كان الأئمة الزيديون في هذه الفترة إجمالاً هم القوة المهيمنة والمتصدرة لمقاومة الأتراك العثمانيين[2]، وكان آل كثير[3] في حضرموت قد استغلوا الفراغ السياسي في جهاتهم؛ فأخذوا في تقوية الدولة الكثيرية بزعامة السلطان أبو طُويرق[4].

وهكذا كانت اليمن في هذه الفترة موزعة بين ثلاث قوى: الأتراك في الجهات الغربية، والأئمة من بيت شرف الدِّين في الجهات الشمالية، وآل كثير في حضرموت.

واستمر الأئمة الزيديون في صراع ومقاومة مع الأتراك حتى تمكنوا من إيجاد صلح مع الوالي العثماني محمد باشا؛ يحق للإمام بمقتضاه من حكم المناطق الشماليّة

---

(١) ينظر: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح؛ لعيسى بن لطف الله (ص٦١)، واللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية؛ للكبسي (ص٢٢٩)، وبلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام؛ للعرشي (ص٦٩)، والفتح العثماني الأول لليمن (ص١٩٥).

(٢) ينظر: روح الروح (ص٢٨-٣١)، والتاريخ العام لليمن؛ للحداد (٣/٥٥-٥٨).

(٣) يعود نسب آل كثير إلى قبيلة سبأ القحطانية، فجدهم الأكبر هو ضِنَّةُ الرأس ابن عبد الله الحرام، وينقسمون إلى عدة أفخاذ، ويُعدُّون من أكبر قبائل حضرموت وأقواها شكيمة. ينظر: طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب؛ لابن رسول (ص١٣٧).

(٤) هو: بدر بن عبد الله بن جعفر بن عمر الكثيري، خُطب له بالولاية رسميّاً سنة ٩٢٧هـ/١٥٢١م، تُعد فترة حكمه من أطول فترات سلاطين آل كثير، توفي سنة ٩٧٧هـ/١٥٧٠م. ينظر ترجمته: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر؛ لبافقيه (ص٣٩٥)، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر؛ للعيدروس (ص٤٣٥).

لصنعاء على المذهب الزيدي المخالف لمذهب العثمانيين السني الحنفي[١]، وفي عهد الإمام محمد الملقب بالمؤيد[٢] تم انتقاض الصلح بين الطرفين؛ وعودة المقاومة للأتراك ليتم إخراجهم من اليمن سنة ١٠٤٥هـ[٣]، ولتكون بذلك اليمن أول ولاية عربية تخرج عن فلك الدولة العثمانية، والتي ستعود إلى اليمن ثانية سنة ١٢٦٦هـ[٤]؛ أي بعد أكثر من قرنين من الزمان.

وبخروج الأتراك تمهد الطريق لتوحيد اليمن من الصراعات والنزاعات، وكان الموحد لليمن هو المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم[٥] أخو المؤيد السالف الذكر؛ إذ قام بتجهيز الحملات على المناطق الشرقية من اليمن والتي خرجت قبل ذلك مستغلة حالة الضعف والاقتتال بين الأئمة، فقام سلطان حضرموت بمراسلة الإمام معلناً الدخول في طاعته، كما دخلت في طاعته جهات أخرى[٦].

وقد شهد حكم المتوكل على الله إسماعيل الممتد لثلاثين عاماً في معظمه قدراً من الاستقرار السياسي؛ مكَّن من ازدهار الزراعة والتجارة والفكر والثقافة؛ ليستحق

---

(١) ينظر: بلوغ المرام (ص٧٢)، والفتح العثماني الأول لليمن (ص٣٨٩ وما بعدها).

(٢) هو: محمد الملقب بالمؤيد بن الإمام القاسم بن محمد، تولى الإمامة بعد أبيه سنة ١٠٢٧هـ، وتوفي سنة ١٠٥٤هـ. ينظر ترجمته: طبقات الزيدية الكبرى (ص١٠٤٩)، والبدر الطالع (١٢١/٢).

(٣) ينظر: بهجة الزمن في تاريخ اليمن؛ لتاج الدِّين عبد الباقي اليماني (٣٠١/١).

(٤) ينظر: الفتح العثماني الأول لليمن (ص٤٤٥).

(٥) إسماعيل بن القاسم المشهورين، ولد سنة ١٠١٩هـ؛ بمنطقة شهارة ونشأ بها، تولى الإمامة بعد أخيه محمد بن القاسم سنة ١٠٥٤هـ، واستمر فيها إلى سنة وفاته سنة ١٠٨٧هـ. ينظر ترجمته: طبقات الزيدية الكبرى (ص٢٥٣)، والبدر الطالع (٩٨/١).

(٦) ينظر: اللطائف السنية (ص٣٦٢-٣٦٨).

بعدئذٍ وصف المؤرخين له بأنه أزهى عصور الإمامة في اليمن على الإطلاق(١).

ثم خلف المتوكل إسماعيل عدد من الأئمة من أسرة آل قاسم؛ شهدت اليمن في فترة حكمهم حالات متتابعة من الحروب والانقسامات داخل بيت القاسم لأكثر من ثلاثين عاماً؛ سببها الطموح إلى السلطة والنفوذ.

وقد شكل مبدأ الخروج على الظلم كما يرى المذهب الزيدي غطاءً شرعياً لتحقيق تلك الطموحات في النفوذ والسلطة، وقد أراقت تلك الحروب كثيراً من الدماء، وأهلكت كثيراً من الزرع والضرع، بالإضافة إلى تمردات القبائل(٢)، ثم اعتلى عرش السلطة المهدي عباس بن المنصور(٣)، وقد تميز المهدي بكفاءات وقدرات أهلته لإعادة مركزية الدولة وحكم معظم مناطق اليمن من صنعاء، ولا يعني هذا أن أحداً لم يخرج عليه، ففي تاريخ الأئمة كان هناك على الدوام من لا يعترف بحكم الإمام المبايَع؛ فيدعو لنفسه، وإلى جانب طموحات الأئمة، شهد حكمه غارات القبائل على أنحاء من تهامة واليمن الأسفل بقصد السلب والنهب، فعاثت فساداً في الديار الآمنة، لكن الإمام المهدي تمكن بالسياسة حيناً، وبالقوة أخرى، وبمعاونة أهل العلم(٤)، والمهدي هذا وصفه المؤرخون أنه كان من أنبل أئمة بيت القاسم الهدوي؛ حيث نشر العدل في عصره وشجّع العلم والعلماء وانتشرت الخيرات(٥).

وتكاد الفترة الباقية من تاريخ اليمن؛ أي من وفاة المهدي حتى قدوم الأتراك

---

(١) ينظر: البدر الطالع (١/١٠٠)، واللطائف السنية (ص٣٧٦-٣٧٧).

(٢) ينظر: اللطائف السنية (ص٣٩٥-٣٩٨)، وبلوغ المرام (ص٧٨-٧٩).

(٣) هو: الإمام المهدي العباس بن الإمام المنصور بالله الحسين بن الإمام المتوكل، قرأ العلم على مشائخ عصره قبل خلافته وبعدها، أجمع الناس على توليه الإمامة بعد موت أبيه؛ فبايعوه، فاستمر فيها إلى أن وافته المنية سنة ١١٨٩هـ. ينظر ترجمته: البدر الطالع (١/٢١٧)، ونشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف؛ لزبارة (٢/٩٠٩).

(٤) ينظر: اللطائف السنية (ص٣٩٩-٤٠١)، ونشر العرف (٢/٩١٧).

(٥) ينظر: البدر الطالع (١/٢١٨)، واللطائف السنية (ص٤٠٠).

للمرة الثانية سنة ١٢٤٩هـ؛ لا تختلف عن سابقتها لا في طبيعة الحكم فيها ولا في طبيعة الأحداث، فبينما استمر الانقسام والاقتتال بين الطامحين في السلطة من الأئمة، استمرت القبائل كذلك في نصرة من تأنس فيه السيادة لتفوز معه بخيرات السلطة والحكم، وفي حالات كثيرة كانت القبائل تستقل بتمرداتها لنفسها متى ما آنست ضعفاً في السلطة المركزية إلى حد محاصرتها للعاصمة صنعاء.

وفي سنة ١٢٢٢هـ؛ أراد محمد علي باشا توسعة أطماعه في توحيد الجزيرة وضمها تحت حكمه فوصلت قواته إلى تهامة في اليمن، وقد دفع طموحه هذا بريطانيا إلى احتلال عدن لصد طموحات محمد علي، ولتأمين الطرق البحرية إلى الهند، لكن ما لبث أن ترك مشروعه التوسعي، وذلك بعد تكالب الأوروبيين عليه وهزيمته، وانسحب سنة ١٢٥٦هـ؛ مخلفاً ما كان تحت يده لحلفائه أشراف المخلاف السليماني(١).

---

(١) المخلاف: جاء في تاج العروس من جواهر القاموس؛ للزبيدي (٧٧/١٤): ((المخلاف؛ وهي القرية من قُرى اليمن))، وهو مصطلح قديم، وجمعه: مخاليف، استخدم لتسمية الناحية من البلاد بالمخلاف، مضافاً إليه اسم القبيلة التي أطلق اسمها على المكان، أو مضافاً إلى زعيم مشهور، أو بلدة معروفة. ينظر: معجم البلدان؛ لياقوت الحموي (٣٦/١).

قال ياقوت الحموي –رحمه الله– في معجم البلدان (٣٧/١): ((وأما المخلاف: فأكثر ما يقع في كلام أهل اليمن، وقد يقع في كلام غيرهم على جهة التّبع لهم والانتقال لهم، وهو واحد مخاليف اليمن، وهي كورها.

ولكل مخلاف منها اسم يُعرف به، وهو قبيلة من قبائل اليمن أقامت به وعمّرته فغلب عليه اسمها...، ولم أسمع في اشتقاقه شيئاً، وعندي فيه ما أذكره، وهو أن ولد قحطان لما اتخذوا أرض اليمن مسكناً وكثروا فيها لم يسعهم المقام في موضع واحد، فجمعوا رأيهم على أن يسيروا في نواحي اليمن ليختار كل بني أب موضعاً يعمرونه ويسكنونه، وكانوا إذا ساروا إلى ناحية واختارها بعضهم تخلّف بها عن سائر القبائل، وسمّاها باسم أبي تلك القبيلة المتخلّفة فيها، فسمّوها "مخلافاً" لتخلّف بعضهم عن بعض فيها، ألا تراهم سمّوها مخلاف زبيد، ومخلاف سنحان، ومخلاف همدان، لا بدّ من إضافته إلى قبيلة)).

ولم يكن للمخلاف السليماني أي حدود ثابتة بارزة المعالم، بل كانت تتغير وفقاً لضعف أو قوة السلطة القائمة فيه، بل قد تتداخل المخاليف بعضها البعض. ينظر: مخاليف اليمن؛

وقد عاصرتْ هذه الأوضاع طموحُ آخر الأئمة الذي سيفقد اليمن في عهده استقلاله لصالح بريطانيا والأتراك العثمانيين؛ وهو محمد بن يحيى المتوكل(١)، فقد أقام علاقات طيبة أول الأمر مع القوات المصرية في تهامة، وبعد رحيلها ذهب إلى مصر باحثاً عن عون عسكري يدخل به صنعاء، ولما كانت الأمور قد تغيرت في غير صالح محمد علي باشا؛ عاد محمد بن يحيى خائباً، لكنه يمم وجْهَهُ شطر أشراف المخلاف السليماني.

وقد قام الشريف حسين بن علي(٢) بدعم طموحات محمد بن يحيى المتوكل؛

للقاضي إسماعيل الأكوع (ص١٠).

والسليماني: نسبة إلى الأمير سليمان بن طرف الحكمي، من أهل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وهو مؤسس دولة بني الحكم، واستمرت إمارته..........=

= ما يقارب عشرين عاماً. ينظر: تاريخ المخلاف السليماني؛ للعقيلي (١/٧١-٧٢).

قال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- في خلاصة السلاف في أخبار صبيا والمخلاف (ص٢١): ((ونسبة هذا المخلاف إليه -أي: إلى سليمان بن طرف الحكمي- قبل سكون الأشراف)).

وقد كان المخلاف السليماني طاغياً بمسماه على كامل منطقة "جازان"؛ حتى دخلت المنطقة تحت الحكم السعودي، فضمت من مناطق المملكة العربية السعودية، وسميت بـ"جازان" سنة ١٣٤٩هـ.

(١) هو: محمد بن يحيى بن المنصور بن علي بن المهدي العباس بن المنصور الحسني الصنعاني، نشأ بمدينة صنعاء، وسكن تهامة، وأقام دعوته سنة ١٢٦٠هـ، وتلقب بالمتوكل على الله، واستمر على ذلك إلى أن أمر علي بن المهدي عبد الله بضرب عنقه سنة ١٢٦٦هـ؛ وذلك بسبب مساعدته للقوى التركية في دخول اليمن. ينظر ترجمته: نيل الوطر من تراجم رجال اليمن قي القرن الثالث عشر؛ لزبارة (٢/٣٩٣-٣٩٤).

(٢) هو: الشريف الحسين بن علي بن حيدر الخيراتي الحسني، تولى حكم المخلاف سنة ١٢٥٤هـ، وقد عرف عنه حبه للعلم وتشجيع أهله، وقد اعتزل الحكم، واتخذ من مكة المكرمة مقاماً له حتى توفي سنة ١٢٧٢هـ. ينظر ترجمته: الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني؛ للحسن عاكش (ص٣٥٣-٣٥٥)، ونيل الوطر (١/٥٣١-٥٣٢).

بالأموال والعتاد مما مكن المتوكل فعلاً من هزيمة الإمام المهدي ودخول صنعاء إماماً جديداً[(١)]، لكن هذا الحلف مع أشراف المخلاف السليماني لم يلبث أن انهار لتصادم مصالح الطرفين خاصة، وخزانة الإمام المتوكل خاوية بفعل سيطرة الشريف حسين على الموانئ المدرة للمال، فقامت لذلك حرب بين الطرفين اشتركت فيها القبائل اليمنية مدفوعة في الغالب برغبات في الحصول على الأموال، وبعضها ليحمي استقلاله ومنطقته من أطماع القبائل الأخرى، وقد كانت وعود الحصول على الأموال وتوزيع الموجود منها على القبائل في الطرفين عاملاً حاسماً في مواقف القبائل من الفريقين.

وقد دارت الدائرة أول الأمر على الشريف حسين وأُسر، لكن فُك أسره بعد ذلك، فيما كان الإمام المتوكل يحاول الخروج من تطورات الوضع العسكري في تهامة والذي أدى إلى حصره هناك، لكنه تمكن بالحيلة والوعود الكاذبة من الوصول إلى صنعاء تاركاً تهامة لأهلها[(٢)]، ثم واجهته صعوبات القضاء على طامحين جدد من أدعياء الإمامة في شمال اليمن مسنودين من قبائل غاضبة على الإمام المتوكل[(٣)]، وهكذا يبدأ فصل جديد من فصول التنافس الدموي بين الأئمة على السيادة والنفوذ والأحقيّة، كل هذا يحدث والأتراك العثمانيون في الحجاز على مقربة منه يسمعون ويتابعون، وقد دفعت المصالح المتضاربة والمواجهات الأولى بين الإمام المتوكل والشريف حسين من جهة، وبين الأخير وجاره أمير عسير ابن عائض[(٤)] المتحالف مع المتوكل، دفعت الشريف حسين إلى دعوة السلطات العثمانية لتدخل تهامة، فصدرت الأوامر لوالي الحجاز بقيادة الجيش لدخول تهامة، فدخل الجيش الحديدة سنة ١٢٦٥هـ بالتعاون مع الشريف حسين، وقد رأى الإمام المتوكل أن من الحكمة أن لا يترك خصمه يستأثر وحده بعلاقات ودية مع الأتراك، فقرر هو الآخر أن

---

(١) ينظر: الديباج الخسرواني (ص٣٩٣-٣٩٤)، واللطائف السنية (ص٤١٣-٤١٤).

(٢) ينظر: الديباج الخسرواني (ص٤٠٩-٤١١)، واللطائف السنية (ص٤١٥-٤١٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٤١٦-٤١٧).

(٤) هو: محمد بن عائض بن مرعي المغيري، أحد أمراء عسير، توفي سنة ١٢٨٩هـ. ينظر ترجمته: تاريخ عسير؛ للنعمي (ص٢٥٩-٢٨٤).

يظهر حسن نواياه تجاههم، وقد ذهب في ذلك إلى حد أنه دعاهم لدخول صنعاء ثانية، وقنع بمرتب شهري يؤدونه له، وأعلن في الناس أن أمرهم قد صار إلى الأتراك العثمانيين(١).

وأمام هذا الوضع الجديد والغريب وقفت القبائل اليمنية مع سكان صنعاء للتصدي للأتراك؛ فضيقوا عليهم الخناق وقتلوهم في الأسواق حتى أنهم لم يتمكنوا من الخروج لشراء حاجياتهم وظلوا محصورين في ثُكنَاتهم ينتظرون المخرج، ومن جانب آخر كان الناس يطاردون الإمام المتوكل؛ لقتله وينعتوه بالخيانة، وقد خلعوه وبرئوا منه، وعينوا مكانه إماماً آخر، فقام بالقبض على المتوكل وقطع رأسه، ثم فاوض الأتراك في كيفية الخروج من صنعاء إلى الحديدة بأمان ليستقروا هناك، فخرجوا يوم عيد الفطر الأول من شهر شوال سنة ١٢٦٥هـ(٢).

ثم دخلت صنعاء وما حولها في فترة فوضى واضطراب؛ يتنازع السلطة فيها أئمة صغار، ولتعم فوضى القبائل؛ وهو ما مهد الطريق لعودة الأتراك العثمانيين ثانية إلى صنعاء سنة ١٢٦٦هـ(٣).

وهكذا تَفْقِدُ اليمن رسميّاً استقلالها بوجود قوتين أجنبيتين؛ هما بريطانيا في عدن، والعثمانيين في صنعاء، وبحكم العداء بين هاتين القوتين؛ فقد رسمت العلاقات بينهما خريطة اليمن السياسية شمالاً وجنوباً، وهكذا ينشطر اليمن لأول مرة في التاريخ، وتنشأ تسمية الجنوب العربي التي ابتدعها الإنجليز لإعطاء الجزء الذي يسيطرون عليه شخصية اعتبارية مستقلة وتابعة لهم، وأخذ الإنجليز يشجعون في الجهات الجنوبية والغربية من اليمن الاتجاهات القبلية والعشائرية، وينشئون السلطنات، ويسمحون لها بقدر من الاستقلال الذاتي تحت مظلتهم(٤).

أما الأتراك فلم يستفيدوا لا من تجربتهم السابقة ولا من تجارب الإنجليز في

---

(١) ينظر: الديباج الخسرواني (ص٤٦٩-٤٧٥)، وبلوغ المرام (ص٨٥).

(٢) ينظر: التاريخ العام لليمن (٣/٢٠٦).

(٣) ينظر: اللطائف السنية (ص٤١٨-٤٢٢)، والتاريخ العام لليمن (ص٢٠٨-٢١٢).

(٤) ينظر: الموسوعة اليمنية؛ لأحمد جابر وآخرون (١/٢٩٧-٣٠٠)، (٣/١٦١٢-١٦١٧).

كيفية التعامل مع الجزء الشمالي الذي يخضع لسيطرتهم؛ فطفقوا ثانية يحاولون إرساء حكم مركزي[1]؛ مما سبب لهم المتاعب وأثار في وجوههم الثورات في مختلف مناطق البلاد؛ تارة بقيادة القبائل، وأخرى بقيادة جيل جديد من الأئمة الزيديين؛ الذين برز منهم في العصر الحديث المتوكل يحي[2]؛ الذي تزعم اليمنيين لمحاربة الأتراك، بل وتمكن من حصار صنعاء وأجبر الأتراك -أخيراً- في الصلح المشهور بصلح دعّان[3] سنة ١٣٢٩هـ؛ ضمن بنود كثيرة على الاعتراف به حاكماً وحيداً للطائفة الزيدية في اليمن مقابل اعتراف الإمام بالسيادة العثمانية على اليمن[4]؛ وهو ما جعل حرب الإمام للأتراك تبدو وكأنها فقط لنيل الاعتراف بسلطته الدينية والسياسية على المناطق التي ينتشر فيها المذهب الزيدي، وقد نفرت إثر ذلك قبائل يمنية عن الإمام متهمة إياه بأنه صار حليفا للأتراك،

واتجهت إلى منافسه محمد الإدريسي[5] في "صَبْيَا" بجازان، حيث كان محمد

---

(١) عن سياسية العثمانين في اليمن؛ ينظر: الحكم العثماني في اليمن (ص١٨٣ ومابعدها).

(٢) هو: الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد، نشأ في صنعاء، وجد في طلب العلم، وتولى الإمامة بعد أبيه سنة ١٣٣٢هـ، واستمر فيها إلى أن قُتل سنة ١٣٦٧هـ. ينظر ترجمته: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر؛ لزبارة (ص٦٨٤).

(٣) دَعَّان: قرية من جبل عيال يزيد في الشمال الغربي من مدينة عمران اليمنية. ينظر: مجموع بلدان اليمن وقبائلها؛ لمحمد الحجري (١/٣٣٠).

(٤) ينظر: التاريخ العام لليمن (١٩/٣)، وتاريخ اليمن الحديث؛ لعبد الله العزب (ص٧٠-٧٩).

(٥) هو: السيد الشهير محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي الحسني الإدريسي المغربي التهامي، أخذ العلم عن مجموعة من علماء عصره، وبعد إكمال دراسته انخرط في سلك

الإدريسي قد استثمر مكانة أسرته الدينية ليؤسس دولة الأدارسة في أعالي الشمال الغربي لليمن، وليبدأ بلعب دور في أحداث التاريخ اليمني، ملفتاً بطموحه السياسي الوثاب نظر كل من الإمام يحيى والأتراك(١).

كان موقف الإمام يحيى بن حميد الدِّين في أحداث الحرب العالمية الأولى؛ الحياد وعدم الانحياز مع أيّ القوى العالمية المتحاربة لا قولاً ولا فعلاً، فلا هو حارب الأتراك في جهاته مستغلاً الظرف، ولا شاركهم مع باقي قبائل اليمن الأسفل في حربهم القصيرة ضد المحميات في الجنوب، وقد ضمنت له هذه السياسة الحفاظ على قواته التي سيستخدمها بعدئذ ضد جبهات متعددة.

وقد قام الإنجليز رغم انتهاء الحرب واستعداد الأتراك للخروج من اليمن بالاستيلاء على تهامة حتى الحديدة؛ لكي تكون مناطق مقايضة مع الإمام يحيى الذي أدرك الإنجليز -وبحكم طبيعة الأمور في اليمن- أن الإمام سيتطلع إلى تحرير الجزء المحتل من قبلهم وبسط سيطرته عليه، وقد أخذ الإمام يحيى فعلاً وبعد خروج الأتراك من اليمن يتطلع إلى السيطرة على المناطق التي أخلاها الأتراك، بل ويتطلع إلى بسط سيطرته على المحميات في جنوب اليمن، لكن الإنجليز -وجرياً على سياستهم المشهورة "فرق تسد"- قاموا سنة ١٣٣٩هـ، بتسليم ما احتلوه من المناطق التهامية إلى حليفهم الإدريسي، والذي وقف إلى جانبهم في الحرب بموجب معاهدة صداقة عقدت بينه وبين الإنجليز سنة ١٣٣٣هـ(٢).

وهكذا وجد الإمام يحيى نفسه محاطاً بمشاكل عِدّة في الشمال والجنوب والغرب، ومحروماً من الموانئ المدرة للمال جراء نشاطها التجاري، بالإضافة إلى

السياسية، واستمر على ذلك إلى وفاته سنة ١٣٤١هـ. ينظر ترجمته: نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر؛ لزبارة (ص٦١١-٦١٢).

(١) ينظر: المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة؛ لأميرة علي (ص٩٣-٩٤).

(٢) ينظر: بلوغ المرام (ص١٠٢-١٠٣)، والمخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة (ص٢٣٦-٢٨٨).

تمردات القبائل الرافضة للفردية المطلقة ولسياسة أخذ الرهائن والتعسف في جباية الأموال[(١)].

وقد واجه أحمد بن يحيى حميد الدِّين[(٢)] كقائد عسكري لقوات أبيه يحيى تمردات القبائل في "حاشد"، و"تهامة"، و"البيضاء"، كما تمكنت قوات أخرى للإمام من دخول الحديدة بعدئذٍ دون قتال، وذلك بعد موت الأمير محمد الإدريسي المؤسس للإمارة الإدريسية[(٣)]؛ لتحلَّ مشاكل خلافة السلطة في الأعقاب والذي لم يكن بنفس حماس وحنكة المؤسس، مما مكن قوات الإمام من التقدم شمالاً لتحاصر مدينتي "صبيا"، و"جيزان"، أهم مدينتين ضمن الإمارة الإدريسية، كما رفض الإمام الاعتراف بالإمارة الإدريسية، وقد دفع هذا الموقف من الإمام الإدريسي الالتجاء إلى الدولة السعودية، فعقد معاهدة حماية بين آل سعود والأدارسة سنة ١٣٤٥هـ، وهي المعاهدة التي لم يعترف بها الإمام، مما أدى إلى مواجهات واشتعال حرب بين الطرفين سنة ١٣٥٣هـ؛ انتهت بتوقيع الاتفاقية بين الطرفين -اليمن والسعودية- وعُرفت واشتهرت بمعاهدة الطائف[(٤)].

وفي مواجهة الإنجليز في جنوب اليمن كان الإمام يحاول -ضمن بسط سيطرته على البلاد اليمنية- أن يبسط سيطرته على المحميات الجنوبية فدخلت قواته

---

(١) ينظر: التاريخ العام لليمن (١٠٨/٣).

(٢) هو: الإمام الناصر أحمد بن الإمام المتوكل يحيى بن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين، آخر أئمة الزيدية في اليمن، تولى إمامة اليمن بعد مقتل أبيه، واستمر فيها إلى أن ثار عليه اليمانيّون سنة ١٣٨٢هـ؛ انتهت بمقتله في العام المذكور. ينظر ترجمته: نزهة النظر؛ لزبارة (ص١٧٧).

(٣) ينظر: التاريخ العام لليمن (٨٧/٣-٩٧).

(٤) ينظر: بلوغ المرام (ص١٢٤)، والتاريخ العام لليمن (٩٩/٣-١٠٦)، وتكوين اليمن الحديث (ص٢٨١، ٣٤٢،٤٢١-٤٢٨)، وتاريخ المملكة العربية السعودية؛ للعثيمين (٢٠٦/١، ٢٧٤-٢٨٨).

"الضالع"؛ وهي بلدة في ضواحي مدينة "عدن"؛ للضغط على بريطانيا؛ كي تسلمه "الحديدة"، وليعلن عدم اعترافه بخط الحدود الذي رسمته بريطانيا وتركيا، وقد رأى الإمام أن يستعين بإيطاليا التي تحتفظ بمستعمرات في الساحل الأفريقي المقابل، فعقد اتفاقية صداقة معها سنة ١٣٤٤هـ، كما عقد معاهدة صداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتي سنة ١٣٤٧هـ(١).

فكان رد فعل الإنجليز على تحركات الإمام هذه الحرب التي اشتعلت بين الطرفين سنة ١٣٤٧هـ؛ استخدم فيها الإنجليز الطائرات الحربية التي ألقت على الناس منشورات تهديد وقنابل دمار ألحقت الضرر في جيش الإمام وفي المدن الآمنة التي ألقيت عليها، وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة الإمام وإجباره الدخول في مفاوضات انتهت هي الأخرى بمعاهدة الصداقة والتعاون المتبادل بين الطرفين سنة ١٣٥٣هـ(٢).

وقد انسحب الإمام فيما بعد من مناطق المحميات التي دخلها، ومع أن الإمام رفض الاعتراف بخط الحدود الذي رسمته اتفاقية بريطانيا وتركيا، إلا أنه اضطر للتسليم بالوجود البريطاني في عدن لمدة أربعين عاماً قادمة، وهي مدة الاتفاقية، على أن يتم بحث موضوع الحدود قبل انتهاء مدة هذه الاتفاقية(٣).

سلك الإمام يحيى بن حميد الدِّين مسلك أسلافه من الأئمة في عهودهم الأولى والطويلة؛ حيث كانت طبيعة الحكم ملكياً قائماً على المذهب الزيدي الهادوي وهذا الحكم القائم على الفردية المطلقة التي أفضت به إلى الاستبداد؛ إذ لا حكومة ولا مؤسسات حكم؛ وهذه الطريقة جعلت الأئمة يُمضون معظم سِني حكمهم في الحفاظ على الحكم وخوض الحرب ضد الطامحين من أئمة آخرين، وضد القبائل المتمردة والشخصيات الطامحة للاستقلال بمناطقها، وهو ما يتطلب

---

(١) ينظر: فرجة الهموم؛ للواسعي (٣٨٣، ٣٨٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٤٠٥-٤٠٦).

(٣) ينظر: التاريخ العام لليمن (٨٥/٣)، وتكوين اليمن الحديث (ص٣٨٧-٣٩٣).

الحصول على الأموال الكثيرة للإنفاق على القبائل المقاتلة ضد الخصوم، وللحصول على زينة الحياة الدنيا ورغدها، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى التعسف في فرض الضرائب على المواطنين، وإطلاق أيدي الجباة في رقاب الناس وأرزاقهم، أما ما يحتاجه الناس وما يطمحون إليه؛ من تعليم وكيف يجب النهوض بمستوى معيشتهم، فقد كانت من سقط المتاع الذهني، ولم يكن ليشغل الأئمة أنفسهم في جل أحوالهم إلا بواجبات المواطنين تجاههم، أما ما يتعلق بمفردات التحديث والتطوير الشامل للبلاد والعباد، والارتفاع بمستوى حياة الناس المعيشية؛ فقد كانت مفردات غريبة على طبيعة الحكم المذهبي الزيدي؛ نتج عن هذا فيما بعد عند الطامحين من أهل اليمن بإحداث تغييرات في حياة المجتمع والسلطة السياسية، وقد كانت المقارنات بين حال اليمن وحال البلاد الأخرى تقذف باليمن بعيداً في أزمنة التاريخ الأولى، ولا تمكن من إقامة أي صلة مع عالم القرن العشرين المائج بمختلف التطورات التقنية والعلمية والمذهلة في سرعتها.

لقد أغلق الأئمة أعينَهم وصمّوا آذانهم عن كل هذه المتغيرات، وأقاموا حاجز عزلة منيع خشية على البلاد من الغرباء حسب زعمهم، بينما هي خشية على السلطة من الضياع، لقد تضافرت ويلات البؤس والفقر والعزلة لتجعل من اليمن واحدة من أكثر البلاد تخلفاً، ومع ذلك فقد كانت المدارس القليلة المتواجدة ومدارس الكتاب والمدارس التي وُجدت في جنوب اليمن المحتل، وتأثيراتها في مناطق جنوب الشمال، بالإضافة إلى البعثات العسكرية المحدودة؛ نواة مقاومة تضافرت مع بعضها البعض لتنتج جيلاً من المطالبين بالتغيير والإصلاح، فأنشئت تجمعات سياسية رافعة شعار الإصلاح، ومعارضة للإمام[1]، والتي كانت لها محاولات عديدة للإطاحة بحكم الإمام؛ وكان آخرها في سنة ١٣٨٢هـ؛ حيث انفجرت الثورة اليمنية،

(١) ينظر: اليمن الإنسان والحضارة؛ للشماحي (ص١٩٣-١٩٧)، والتاريخ العام لليمن (١١٠/٣-١١٤).

وأطاحت بالإمامة، ومع الثورة سقط العهد الإمامي، ليحل محله العهد الجمهوري[1]؛ والذي ما زال مستمراً إلى اليوم.

وكذلك في الجنوب اليمني نشأت بعض الأصوات المنادية بالتحرر ضد الاستعمار البريطاني، ونشأت بعض القوى السياسية المعارضة، لكنها كانت كيانات ضعيفة وهزيلة، وظلت هذه الكيانات في اختلاف وتناحر وشقاق؛ وكان سبب ذلك أن الاستعمار دعم وجود كيانات سياسية هزيلة مرتبطة به؛ مثل: المحميات الشرقية، واتحاد الجنوب العربي، وفي سنة ١٣٨٣هـ اندلعت الحرب الفعلية بين الشعب والمستعمر، وكانت تلك الانتفاضة هي نواة الثورة فيما بعد وإجلاء المستعمر عن الأرض سنة ١٣٨٩هـ[2].

وكانت بريطانيا قد عملت في "عدن" على تشجيع التعددية السياسية، وتأسيس الأحزاب وإدخال نوع من التناحر فيما بينها حتى لا تقوى على الضغط على السلطة الاستعمارية؛ ولذلك سمحت بإقامة مالا يقل عن ثلاثين حزباً[3].

وفي سنة ١٣٨٦هـ، والعام الذي يليه احتدم الصراع بين الكيانات الموجودة في الجنوب اليمني، والتي كانت أغلبها تمثل أفكاراً لا تمت إلى الإسلام بأية صلة، وكانت النتيجة عندها هو الاختلاف المؤكد والصراع الدموي الذي راح ضحيته الكثير من أبناء الجنوب اليمني، وفي نهاية المطاف استطاع أصحاب الجبهة القومية أن يسيطروا على الوضع في هذا البلد بعد معارك عدة واغتيالات وسفك للدماء، والقائمون على هذه المنظمة هم من الماركسيين اللينيين[4]؛ الذين حاربوا الدِّين بكل صوره، ولم يمكنوا لأحد من التعليم أو التعلم، وأسرعوا في إطلاق الأحكام على

---

(١) ينظر: اليمن الإنسان والحضارة (ص٣٣٣-٣٤٠)، والتاريخ العام لليمن (١٧٧/٣وما بعدها).

(٢) ينظر: عدن في التاريخ (ص١٢-١٣، ١٠١).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٩٥-٩٦، ١٠٠-١٠١).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص١٣-١٤).

مخالفيهم وعاقبوهم بالتشريد والسجن والتصفية الجسدية[1]، واستمر الحال على ذلك حتى قيام الوحدة اليمنية سنة ١٤١٠هـ.

ومن المهم ذكره هنا هو أن الاحتلال البريطاني كان يهتم بالصوفية ويقربهم بل ويمكن لهم من المناصب الدينية؛ لعلمهم أنهم لا يشكلون أي خطر عليهم، ولم يمكنوا دعاة الحق من أي منصب ديني أو دنيوي، بل يقفون منهم موقف العداء الشديد[2].

المطلب الثاني: الحالة الدينية والاجتماعية.

عاصر علماء اليمن في القرون موضع الدراسة الفرق والطوائف المختلفة؛ وفيما

(١) ينظر: عدن في التاريخ (ص ١٠٧-١٠٨، ١١٠-١١١).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص١٢٣-١٢٩).

يلي أذكرها بإيجاز:

١- الزيدية:

وهي إحدى فرق الشيعة، وتنتسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-، وكان زيد يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ، ويتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر؛ فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه؛ فقال لهم: رفضتموني، فيُقال: إنهم سُموا الرافضة لقول زيد لهم: رفضتموني، وبقي في شرذمة، فقاتل حتى قُتل[(١)].

وتُعتبر الزيدية أقرب فرق الشيعة اعتدالاً وأقربهم إلى أهل السنة والجماعة في باب الإمامة وفي جملة الفروع؛ فمع تفضيلهم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ إلا أنهم يرون صحة خلافة أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-[(٢)].

وتنقسم الزيدية إلى ثلاثة فرق؛ وهما: البترية، والسليمانية؛ وهاتان الفرقتان بينهما تقارب في المذهب.

والثالثة: الجارودية؛ وهي تختلف اختلافاً جذرياً عن المذهب الزيدي؛ حيث يزعمون أن النبي ﷺ نصَّ على إمامة علي بالوصف دون الاسم، وزعموا أن الصحابة -رضي الله عنهم- كفروا بتركهم بيعة علي رضي الله عنه[(٣)].

وانتشر المذهب الزيدي في اليمن على يد الإمام الهادي يحي بن الحسين، مؤسس دولة الشرفاء العلويين في اليمن سنة ٢٨٤هـ، وواضع أساس المذهب الهدوي

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين؛ لأبي الحسن الأشعري (ص٦٥).

(٢) ينظر: الملل والنحل؛ للشهرستاني (١/١٥٤).

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية؛ لعبد القاهر البغدادي (١/١٦، ٢٢)، والملل والنحل (١/١٥٧-١٥٨)، ومقالات الإسلاميين (ص٦٧).

في اليمن[1]، وما زال المذهب الزيدي منتشراً في مناطق مختلفة من شمال اليمن.

وكان المذهب السائد في اليمن قبل المذهب الزيدي هو المذهب المالكي، وكذلك المذهب الحنفي، ثم حل محلهما المذهب الشافعي وانتشر في بعض المناطق الساحلية والجنوبية من اليمن[2].

وقد كان تميز المذهب الزيدي -عن باقي مذاهب الشيعة- بالحرية الفكرية، والحض على الاجتهاد[3]؛ سبباً في ظهور ونبوغ عدد من علماء اليمن المجتهدين الذين خالفوا المذهب الزيدي، واتجهوا نحو مذهب أهل السنة؛ من أمثال: العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني، والعلامة محمد بن علي الشوكاني، والشيخ مقبل بن هادي الوادعي، وغيرهم.

٢- الرافضة:

هم غلاة الشيعة؛ وسموا بالشيعة لأنهم شايعوا علياً ﷺ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، وأنها ركن من أركان الدِّين، ويتبرأون من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة -رضي الله عنهم- وقالوا: إن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي ﷺ، وهم فرق متعددة لا يتسع المقام هنا لذكرها[4].

وقد عايش علماء اليمن الفتن والاضطرابات التي أحدثتها الرافضة في

---

(١) ينظر: اليمن عبر التاريخ؛ لأحمد حسين شرف الدِّين (ص٢٤٥).

(٢) ينظر: طبقات فقهاء اليمن؛ لعمر بن علي الجعدي (ص٧٩)، وتاريخ اليمن الثقافي؛ لأحمد حسين شرف الدِّين (ص٣٦-٣٧).

(٣) ينظر: البدر الطالع (١٣٥/٢).

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق (١/١٥-١٦)، والملل والنحل (١/١٤٦-١٩٠)، ومقالات الإسلاميين (ص١٦-٨٥).

عصرهم، وخاصة في شمال اليمن؛ فكان موقفهم منهم موقفاً شديداً؛ فبينوا خطرهم، وفضحوا أمرهم، وحذروا منهم(١).

٣- المعتزلة:

وهي فرقة من الفرق العقائدية المنحرفة؛ رأسها واصل بن عطاء(٢)، وعمرو بن عبيد(٣)، وسموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري(٤) بعد مخالفته له في مرتكب الكبيرة، وأنه في منزلة بين المنزلتين، وقيل غير ذلك، وهم فرق عديدة يجمعها القول بالأصول الخمسة؛ وهي: التوحيد، والوعد والوعيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أرادوا بكل واحد منها معنى باطل غير المتبادر منه(٥).

وقد اتفقت الزيدية مع المعتزلة في هذه الأصول الخمسة؛ حيث جعلوا الأصول

---

(١) مثل: محمد بن الأمير الصنعاني، ومحمد بن علي الشوكاني، وعبد الرحمن بن يحي المعلمي، ومقبل بن هادي الوادعي وغيرهم من علماء اليمن.

(٢) هو: أبو حذيفة واصل بن عطاء البصري؛ رأس المعتزلة ، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وإليه تُنسب طائفة الواصلية، توفي سنة ١٣١هـ. ينظر ترجمته: ميزان الاعتدال في نقد الرجال؛ للذهبي (٣/٦)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ لابن العماد (١٨٢/١).

(٣) هو: أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري المعتزلي القدري، جالس الحسن البصري، وحفظ عنه، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة، توفي سنة ١٤٤هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي (١٦٢/١٢)، وميزان الاعتدال (١٩٣/٤).

(٤) هو: أَبو سعيد الحسن بن أَبي الحسن يسار البصري، الإمام، الفقيه، الزاهد، العابد، روى عن جمع من الصحابة، وكبار التابعين، توفي سنة ١١٠هـ. ينظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (١١٤/٧-١٣٢)، ومشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار؛ للدارمي (١٤٢-١٤٣).

(٥) ينظر: الفرق بين الفرق (ص١٨-٩٣-١٨٩)، والملل والنحل (٤٣/١-٨٤)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين؛ للرازي (ص٣٨-٤٥).

خمسة؛ كالمعتزلة، مع استبدال أصل: المنزلة بين المنزلتين بأصل آخر؛ وهو: بإثبات الإمامة في آل البيت، وبذلك تصبح هذه الأصول الخمسة أصولاً للزيدية؛ والعمل بها ظاهر ومتميز تحت حكومات الأئمة الزيدية[1].

ولا شك أن علماء اليمن -رحمهم الله- خالفوا المعتزلة؛ كما خالفوا الزيدية في عقائدهم المنحرفة، وهذا واضح في مؤلفاتهم؛ حيث وصفوهم بأنهم ضلوا الطريق المستقيم، وأضلوا من رام سلوكها.

٤- الأشاعرة.

هم طائفة من طوائف أهل الكلام، ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، وعامتهم يُثبتون سبع صفات فقط، وينفون عن الله تعالى علو الذات، ويقولون إن الإيمان هو التصديق[2].

وينتشر مذهب الأشاعرة في المناطق الساحلية باليمن، وفي مناطق الجنوب؛ حيث إن الأشاعرة غالباً ما يكونون شافعية المذهب[3].

٥- الصوفية.

وهم طائفة من أهل البدع؛ ينتحلون الزهد والتعبد، ويُنسبون إلى الصوف -على الصحيح-؛ لكثرة لبسهم له، وهم طوائف شتى، يجمعهم: الزهد البدعي، والتعبد لله تعالى بما لم يشرع؛ من الاحتفالات والرقص والسماع والأذكار البدعية، وغير ذلك[4]، ولازالت آثار هذه البدع التي ابتدعوها تفسد الأمة الإسلامية في كثير

---

(١) ينظر: قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة؛ لعبد العزيز المقالح (ص١٩-٢٠)، ومعتزلة اليمن؛ دولة الهادي وفكره؛ لعلي محمد زيد (ص٢٢٢).

(٢) ينظر: الملل والنحل (١/٩٤-١٠٣).

(٣) ينظر: تاريخ اليمن الثقافي؛ لأحمد حسين شرف الدِّين (ص٩٤).

(٤) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف؛ للكلاباذي، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٧٢)، ومجموع الفتاوى؛ لابن تيمية (٣٦٩/١٠).

من بلدان المسلمين.

وقد انتشرت الصوفية في اليمن بشكل محدود في المناطق التي تقطنها الشافعية(١).

ولعلماء اليمن جولة مع الصوفية والقبوريين؛ حيث انتقدوا سلوكهم وعقائهم المنحرفة، وبينوا المفاسد التي تترتب عليها(٢).

وخلاصة الأمر: فإن هذه الفرق المختلفة التي عاصرها علماء اليمن -رحمهم الله-، وما وقع فيها من الشرور والفساد والبدع والشركيات؛ كان لها الأثر الكبير في ظهور علماء اليمن وقيامهم بالدعوة والإصلاح.

كما كان لها الأثر المباشر في تردي الأوضاع الاجتماعية في عموم البلاد اليمنية؛ من تسليط الأعداء، وسفك الدماء، ومن ضيق المعاش، وتقطع كثير من أسباب الرزق، وعقر المكاسب؛ حتى ضعفت أموال الناس وتجاراتهم ومكاسبهم.

المطلب الثالث: الحالة العلمية.

كانت الحالة العلمية في اليمن مختلفة باختلاف الحالة السياسية فيها؛ ففي المناطق الشمالية منها؛ صنعاء وما حولها، انتعشت حركة الكتابة والتأليف؛ حيث كان المسجد هو المدرسة الأولى الذي يجتمع فيه العلماء والقضاة والأدباء، ومن ثم فقد نبغ علماء وأدباء كبار في اليمن في حقبة تدنى فيها الفكر العربي الإسلامي، ولم يكن علماء اليمن المذكورين في هذا البحث إلا نماذج من العلماء الذين نبغوا وأبدعوا في هذه الفترة.

ولعل من العوامل التي ساعدت في نشاط حركة الكتابة والتأليف في هذه الفترة

---

(١) ينظر: تاريخ اليمن الثقافي (ص١٢٠).

(٢) مثل: العلامة حسين بن مهدي النعمي، والعلامة محمد بن علي الشوكاني، والعلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي؛ والشيخ محمد بن سالم البيحاني؛ وغيرهم.

وجود الخلافات والخصومات بين أصحاب المذاهب المختلفة.

كما أن طبيعة المذهب الزيدي الذي يشترط توافر الاجتهاد في الأئمة والحكام كان عاملاً مهماً في استمرارية الإنتاج الفكري والأدبي في مختلف الفنون.

وعلى الرغم من الازدهار الفكري والأدبي في هذه الفترة فإن البيئة العلمية في صنعاء وما حولها-في فترة من الفترات- قد غلب عليها التعصب والتقليد، وكان أهلها يعارضون العلماء المؤثرين لنصوص الأدلة على أقوال الرجال، فكان العالم المنصف في غربة يكابد الشدائد في ذلك؛ كما كان أهل العلم ((يخافون على أنفسهم، ويحمون أعراضهم، فيسكتون عن العامة، وكثيراً منهم كان يُصوبهم مداراة لهم، وهذه الدسيسة هي الموجبة لاضطهاد علماء اليمن، وتسلط العامة عليهم، وخمول ذكرهم، وسقوط مراتبهم؛ لأنهم يكتمون الحق، فإذا تكلم به واحد منهم وثارت عليه العامة؛ صانعوهم وداهنوهم وأوهموهم أنهم على الصواب، فيتجرأون بهذه الذريعة على وضع مقادير العلماء وهضم شأنهم))[1].

قال الشوكاني -رحمه الله- في بيان حال الزيدية: ((إن الزيدية مَعَ كَثْرَة فضلائهم ووجود أعيان منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار؛ لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم، وطمس آثار مفاخرهم، فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم، أو نثر، أو تصنيف رأساً، وهذا مع توفر رغباتهم إلى الاطلاع على ما يصدر من غيرهم، والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف، والإكباب على كتبهم التاريخية وغيرها، وإني لأكثر التعجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التي كانت سبباً لدفن سابقهم ولاحقهم، وغمط رفيع قدر عالمهم، وفاضلهم، وشاعرهم، وسائر أكابرهم؛ ولهذا أهملهم المصنفون في التاريخ على العموم))[2].

---

(١) البدر الطالع (١/٢٣٤).

(٢) البدر الطالع (١/٥٩-٦٠).

أما في المناطق الجنوبية من اليمن والتي كانت تحت الاحتلال البريطاني؛ فإن الحالة العلمية فيها يمكن تقسيمها إلى فترتين(١):

الأولى: ما قبل الاستقلال وخروج المحتل البريطاني.

والثانية: بعد خروج المستعمر وتولي الشيوعيين الحكم في هذا البلد.

أما الفترة الأولى: فقد وجد فيها عدد من النوادي الأدبية والمعاهد العلمية، والدروس الدينية في المساجد، إلا أن الجو العام كان يسمح لكل ناعق أن يبدي ما لديه من أفكار؛ سواء كانت نافعة أم ضارة.

فظهر في هذه الفترة علماء كان لهم جهد في التدريس والتأليف والدعوة، إلا أنهم -على قلتهم- لم يسلموا من الإيذاء والتشريد والاعتداء.

وقد نشط في هذه الفترة أصحاب الأفكار المستوردة الدخيلة على المجتمع اليمني المسلم؛ كالاشتراكية والرأسمالية وغيرها، بسبب انفتاح المجال للجميع، وعدم وجود من يرد الناس إلى الدِّين الحق، وإذا وُجد فهو محارَب، مشوه السمعة، لا يَقْبَلُ منه إلا القليل.

وأما الفترة الثانية: فقد سبق بيان جزء منها في الحالة السياسية التي كان يمر بها الجنوب اليمني، وبطبيعة الحال فإن الحالة العلمية ستكون تابعة للحالة السياسية، فإن أصحاب السياسات لا يسمحون إلا بتعليم ما يوافق أهواءهم، وما ينصر مبادئهم وما يناضلون من أجله.

وقد سبق بيان أن الاحتلال البريطاني قرب الصوفية لعلمه بحقيقة حالهم، ونتاج ذلك هو إقصاء أهل الحق والتحذير منهم ومنعهم من التدريس والتعليم والتأليف والخطابة وغير ذلك.

قال الشيخ محمد بن سالم البيحاني -رحمه الله- في بيان واقع هذه الفترة:

---

(١) ينظر: عدن في التاريخ بين الازدهار والانهيار؛ لعلوي طاهر (ص١٦٣)، وعدن من الريادة الزمنية إلى الريادة الإبداعية؛ لأحمد الهمداني ص (ص١٣ وما بعدها)، وحلقات القرآن الكريم ومجالس العلم في مساجد عدن؛ لباوزير (ص١٧).

((وهذا هو الواقع اليوم من أكثر الناس، فإنهم لا يعرفون ما هو التوحيد وما هو الشرك، وأصبح أكثر إيمانهم بل عامتها بغير الله؛ من نبي، أو ولي، أو غيرهما))[1].

وانتشار مثل هذه الأمور من الشركيات وغيرها يدل على مدى الجهل الذي وصل إليه الناس في هذا البلد.

ومما يدل على الضعف العلمي رواج كثير من الأفكار العلمانية والشيوعية، فبمجرد وصولها تلقفها الناس، واقتنعوا بها، وناضلوا من أجل تحقيقها، بل وصل بهم الحد أن فاقوا الذين أسسوا هذه الأفكار.

كل ما سبق يدل دلالة واضحة على الخواء الفكري والعقدي الحاصل في هذا البلد إبَّان هذه الفترة الحرجة.

وقد وجد هنا وهناك بعض المنتسبين إلى العلم، وكانوا في الغالب من أهل التصوف الممقوت، الذين اتخذوا الشرك شعاراً ودثاراً، فلم يرفعوا للدِّين رأساً، ولم يكن لهم جهد في تعليم الناس الدِّين الصحيح، ولا في مقاومة المحتل.

وقد تقلب أبناء هذا البلد بين محتلٍ نصراني ليس له علاقة بجهل أبناء هذه المنطقة، أو تخلفهم، وإنما همه الأكبر هو تأمين مصالحه الشخصية، وتأمين طرق تجارته، وبين رجلٍ شيوعي ماركسي ينظر إلى الدِّين وتعاليمه أنه رجعية يجب القضاء عليها، وأن استمرار الدِّين يشكل لهم عقبات كثيرة.

فكانت النتيجة أن تفشى الجهل بالدِّين، وترك التوحيد والسنن، وفشت الخرافات والشركيات، وكانت هذه هي السمة العامة للحالة العلمية في هذا البلد.

---

(١) هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد؛ للعبادي مع تعليق البيحاني (ص٥٤).

المبحث الثاني: التعريف بعلماء اليمن المذكورين في البحث.

١- العلامة الحسين بن محمد المغربي[١].

اسمه ونسبه:

هو القاضي العلامة الحافظ الحسين بن محمد بن سعيد بن عيسى اللاعي،

(١) ينظر ترجمته: البدر الطالع (١/٢٣٠-٢٣١)، ونشر العرف (٢/٦٢٢-٦٢٥).

الصنعاني، الشهير بالمغربي نسبة إلى مغارب "صنعاء".

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد بـ"صنعاء" سنه ١٠٤٨هـ، ونشأ بها، وطلب العلم على مشاهير عصره، فأخذ عنهم في الأصول والحديث.

وقد اشتهر -رحمه الله- بالاهتمام بالسنة والحديث، والعمل بالدليل، والاجتهاد وترك التقليد.

كما أُوكل إليه القضاء فترة من الزمن، وعمل بالتدريس معظم حياته.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

من أبرز شيوخ العلامة الحسين المغربي -رحمه الله- والذين كان لهم أثر بارز في حياته:

١- العلامة عبد الرحمن بن محمد بن نهشل الحيمي.

٢- العلامة عبد الواسع بن عبد الرحمن بن محمد القرشي الأموي.

٣- العلامة محمد بن إبراهيم السحولي.

ثانياً: تلاميذه:

كان العلامة الحسين المغربي -رحمه الله- مدرسة تخرَّج على يديه عدد كبير من طلاب العلم؛ ومنهم:

١- العلامة إبراهيم بن القاسم بن المؤيد.

٢- العلامة الحافظ الحسن بن أحمد زبارة الصنعاني.

٣- العلامة عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بالوزير.

٤- العلامة محمد بن الهادي بن محمد الخالدي.

٥- المحدث هاشم بن يحي الشامي.

مؤلفاته:

من مؤلفات العلامة الحسين المغربي -رحمه الله-:

١- البدر التمام شرح بلوغ المرام؛ "مطبوع".

٢- رسالة في إخراج اليهود من جزيرة العرب؛ "مطبوعة".

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله-: ((قاضي صنعاء وعالمها ومحدثها، مصنف "البدر التمام شرح بلوغ المرام"، وهو شرح حافل))[١].

وقال عنه صاحب "نفحات العبر": ((إمام العلوم والنظر، قدوة من بدا ومن حضر، له مشايخ تقدموا في الشيوخ وسبقوا في الإتقان والرسوخ، وله رسائل كثيرة، وأنظار ثاقبة، وأبحاث نفيسة، وفتاويه لا تُحصى))[٢].

وفاته:

توفي العلامة الحسين بن محمد المغربي -رحمه الله- سنة ١١١٩هـ؛ بمدينة "صنعاء".

٢- العلامة محمد بن الأمير الصنعاني[٣].

اسمه ونسبه:

هو العلامة الإمام المجتهد محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدِّين بن شرف الدِّين بن صلاح بن الحسن بن المهدي، الكحلاني ثم

---

(١) البدر الطالع (١/٢٣٠).

(٢) نشر العرف (٢/٦٢٢).

(٣) ينظر ترجمته: البدر الطالع (٢/١٣٣-١٣٩)، ونشر العرف (٣/٢٩-٣١).

الصنعاني، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-.

ولقِّب -رحمه الله- بالأمير؛ نسبة إلى الأمير يحي بن حمزة بن سليمان، المتوفى سنة ٦٣٦هـ.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد بمدينة "كحلان"، وكان ذلك ليلة الجمعة منتصف جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩هـ، ثم انتقل مع والده إلى مدينة "صنعاء"، حيث نشأ بها، ودرس على علمائها، ثم رحل إلى بلاد الحجاز؛ حيث قرأ الحديث على أكابر علماء "مكة"، وكذلك علماء "المدينة"؛ حتى برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، ثم عاد إلى "صنعاء" فتفرد برئاسة العلم فيها، وتظهر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة ونفر عن التقليد.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

ذكر العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله- أربعة من شيوخ العلامة الصنعاني -رحمه الله- في صنعاء؛ ولعله اقتصر على أشهرهم؛ وهم:

١- العلامة زيد بن محمد بن الحسن.

٢- العلامة صلاح بن الحسين الأخفش.

٣- العلامة عبد الله بن علي الوزير.

٤- القاضي العلامة علي بن محمد العنسي.

ثانياً: تلاميذه:

كثر أتباع العلامة محمد بن الأمير الصنعاني -رحمه الله- من الخاصة والعامة، وعملوا باجتهاده، وقرأوا عليه كتب الحديث وغيره؛ ومنهم:

١- ابنه إبراهيم بن محمد بن إسماعيل.

٢- العلامة عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر.

٣- ابنه عبد الله بن محمد بن إسماعيل.

٤- ابنه القاسم بن محمد بن إسماعيل.

٥- العلامة محمد بن إسحاق بن أحمد بن الحسن.

مؤلفاته:

للعلامة محمد بن الأمير الصنعاني -رحمه الله- جملة من المؤلفات؛ حيث ذكر بعضهم أن ((له نحو مائة مؤلف))[1]، وقال محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله-: ((له مصنفات جليلة حافلة))[2]؛ ثم ذكر جملة منها؛ ثم قال: ((وله مصنفات غير هذه، وقد أفرد كثيراً من المسائل بالتصنيف بما يكون جميعه في مجلدات...))[3]؛ ومن مؤلفاته المطبوعة:

١- الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف.

٢- إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة.

٣- الأولياء وكراماتهم.

٤- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد.

٥- التنوير شرح الجامع الصغير.

٦- رسالة في الذبح على القبور.

٧- سبل السلام شرح بلوغ المرام.

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله-: ((الإمام الكبير المجتهد المطلق صاحب التصانيف...، برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرد برئاسة العلم

---

(١) الأعلام؛ للزركلي (٦/٢٦٣).

(٢) البدر الطالع (٢/١٣٧).

(٣) المصدر السابق (٢/١٣٨).

في صنعاء، وتظهر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة ونفر عن التقليد، وزيف مالا دليل عليه من الآراء الفقهية، وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن))[1].

وقال عنه صاحب "نشر العرف": ((مجدد الدِّين، محيي درس سنة خير المرسلين، إمام العلم والعمل...، السيد الإمام المجتهد المطلق الأشهر المجدد للقرن الثاني عشر))[2].

وفاته:

توفي العلامة محمد بن الأمير الصنعاني -رحمه الله- يوم الثلاثاء، في الثالث من شعبان سنة ١١٨٢هـ؛ بمدينة "صنعاء".

٣- العلامة حسين بن مهدي النعمي[3].

اسمه ونسبه:

هو العلامة أبو محمد الحسين بن مهدي بن عز الدِّين بن علي بن الحسن النعمي التهامي ثم الصنعاني.

وتنتسب أسرته إلى الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد بمدينة "صبيا" بالمخلاف السليماني سنة ١١٣٩هـ؛ ونشأ في كنف والده؛ الذي كان حاكماً لمدينة "صبيا"، فتعلم منه مبادئ العلوم؛ ومنها: علمي النحو واللغة، كما تتلمذ على غيره من العلماء.

---

(١) البدر الطالع (١٣٣/٢).

(٢) نشر العرف (٢٩/٣).

(٣) ينظر ترجمته: خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد؛ لعبد الرحمن البهكلي (ص٢٨٣-٢٨٤)، ونشر العرف (٦١٧/١-٦١٨)، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن؛ لعبد الله الحبيشي (ص١٥٢)، وهجر العلم ومعاقله باليمن؛ لإسماعيل الأكوع (٦٣٩/٢-٦٤٠).

ولما قارب سن التكليف ارتحل في طلب العلم؛ حيث رحل إلى "صنعاء" فاستوطنها وتزوج بها، وتتلمذ على علمائها؛ فدرس علوم الآلات والأصول، ثم أتبع ذلك بدراسة علم الحديث حتى برع فيه.

ثم أقبل -رحمه الله- على تعليم الناس كتب السنة، كما أُوكل إليه إمامة مسجد القبة جنوب "صنعاء"، وولاية الحسبة؛ فكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر والعدوان.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

تتلمذ العلامة حسين بن مهدي النعمي -كما تقدم بيانه- على والده؛ فتعلم منه مبادئ العلوم؛ والتي منها: علمي النحو واللغة.

ولم تذكر المصادر التي ترجمت له من شيوخه سوى العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني -رحمه الله-؛ الذي تتلمذ عليه في "صنعاء".

ثانياً: تلاميذه:

لم تذكر المصادر المترجمة له سوى تلميذين فقط؛ وهما:

١- الإمام المهدي العباس.

٢- العلامة يحي بن حسين الكبسي.

مؤلفاته:

للعلامة حسين بن مهدي النعمي -رحمه الله- العديد من المؤلفات؛ ومنها:

١- الجواب على الطليعة في فضل الشيعة؛ وهو رد على كتاب الطليعة لأحد علماء الشيعة على ما ذكره فيه من تفضيل هذا الاسم؛ "مفقود".

٢- مدارج العبور على مفاسد القبور؛ ذكره -رحمه الله- في كتابه التالي؛ "مفقود".

٣- معارج الألباب في مناهج الحق والصواب؛ "مطبوع".

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه العلامة محمد بن الأمير الصنعاني -رحمه الله-[1]:

ومن سفح صنعاء من إمام ... ومن باذل نصح العباد

أتاكم بتأليف له طاب نشره ... وبين وجه الحق في كل مقصد

فهل من فتى لله بالحق قائل ... بقول صحيح بالأدلة مسند

وقال العلامة عبد الرحمن بن الحسن البهكلي -رحمه الله-: ((السيد العلامة في العلوم النقلية والعقلية، شرف الإسلام وعمة العلماء الأعلام، أبي محمد الحسين بن مهدي بن عز الدِّين النعمي...، فهو إمام الفضل بلا نكير، والخضم الزاخر الغزير))[2].

وقال القاضي إسماعيل بن علي الأكوع -رحمه الله-: ((عالم محقق في الفقه، عامل بالسنة))[3].

وفاته:

توفي العلامة حسين بن مهدي النعمي -رحمه الله- سنة ١١٨٧هـ.

٤- العلامة أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الضمدي[4].

اسمه ونسبه:

هو أبو محمد أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن الحسن بن الحسين بن محمد بن يحي بن محمد بن علي بن عمر بن محمد بن يوسف الضمدي؛ وينتهي نسبه إلى

---

(١) ديوان الصنعاني (ص١٥٢).

(٢) خلاصة العسجد (ص٢٨٣).

(٣) هجر العلم ومعاقله باليمن (٢/٦٣٩).

(٤) ينظر ترجمته: البدر الطالع (١/٧٦-٧٧)، وحدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر؛ للحسن عاكش (ص٩-٣٠)، ونيل الوطر (١/١٣٥-١٤٢).

"الحكم بن سعد العشيرة" بن مذحج، من بطن كهلان أكرم بطون قحطان، وتُعرف أسرته بـ"العمريين"، أو "آل ابن عامر"، نسبة إلى جدهم: عمر بن يوسف.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد ببلدة "هجرة ضمد" بالمخلاف السليماني؛ سنة ١١٧٤هـ، ونشأ بها؛ حيث قرأ على والده القرآن، وحفظ بعض المتون المختصرة في فنون العلم.

ثم رحل إلى مدينة "زبيد"، ولازم علماءها؛ حيث أخذ عنهم النحو والصرف ونحوها من علوم الآلة، كذلك أخذ عنهم في علمي القراءات والحديث.

ثم ارتحل إلى مدينة "صنعاء"، فأخذ عن أكابر علمائها؛ ثم عاد إلى موطنه وقد برع في الفقه والحديث والعربية؛ فعكف عليه طلبة العلم، وأخذوا عنه فنوناً من العلم، وعظم شأنه؛ حتى صار المرجع في التدريس والإفتاء.

كذلك رحل -رحمه الله- إلى الحرمين لقضاء الحج، واستفاد من علمائها، وعاد بعد ذلك إلى موطنه، ثم ارتحل مرة أخرى إلى "صنعاء"، وبعدها رحل إلى مدينة "صعدة"، ثم رجع إلى "أبو عريش"؛ فأقام فيها؛ حيث تفرغ للتعليم والفتوى.

مشايخه وتلاميذه:

أولاً: مشايخه:

من خلال تعدد رحلاته إلى مدن البلاد اليمنية، وكذلك بلاد الحرمين؛ كان له مشايخ أجلاء، نهل منهم جملة من العلوم؛ ومنهم:

١- القاضي أحمد بن عبد القادر العجيلي.

٢- العلامة أحمد بن محمد قاطن.

٣- القاضي الحسن بن إسماعيل المغربي.

٤- العلامة عبد الخالق بن علي المزجاجي.

٥- القاضي عبد الرحمن بن الحسن البهكلي.

٦- العلامة قاسم بن يحي الخولاني.

٧- العلامة محمد بن علي الشوكاني.

ثانياً: تلاميذه:

تتلمذ على يديه جملة من طلبة العلم؛ ومنهم:

١- العلامة أحمد بن علي الضمدي.

٢- العلامة أحمد بن محمد الحازمي.

٣- العلامة بشير بن شبير بن مبارك بن خيرات.

٤- العلامة الحسن بن خالد الحازمي.

٥- العلامة علي بن محمد عقيلي الحازمي.

٦- القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي.

مؤلفاته:

من مؤلفاته -رحمه الله-:

١- رسالة في حكم التنباك؛ "مفقودة".

٢- رسالة في صوم يوم الشك؛ "مفقودة".

٣- رسالة في المناسك؛ "مفقودة".

٤- شرح على ملحة الإعراب؛ "مفقود".

٥- مشارق الأنوار في دلائل الأزهار للإمام المهدي؛ "مخطوط".

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال تلميذه القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله-: ((شيخ الإسلام، وإمام الأئمة الأعلام، شيخ السنة، وإمام الحديث، والطيب الطاهر، الذي أذهب الله عنه من البدع كل خبيث...، كان متفنناً في المعقول والمنقول))[1].

---

(١) نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود؛ لعبد الرحمن البهكلي (ص٢٣٠).

وفاته:

توفي -رحمه الله- بمدينة "أبي عريش"، في جمادى الآخرة؛ سنة ١٢٢٢هـ.

٥- العلامة عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد البهكلي(١).

اسمه ونسبه:

هو أبو أحمد القاضي عبد الرحمن بن الحسن بن علي بن حسن بن أحمد البهكلي، نسبة إلى أسرة البهاكلة؛ من أهالي المخلاف السليماني(٢).

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد في بلدة "هجرة ضمد" بالمخلاف السليماني سنة ١١٤٨هـ، ونشأ فيها، وقرأ على علمائها؛ حتى برع في علمي النحو والصرف.

ثم ارتحل إلى بلدة "زبيد"؛ ونهل من علوم علمائها، ثم ارتحل إلى "مكة" لأداء فريضة الحج، ثم عاد إلى موطنه وتولى قضاء مدينة "أبي عريش" في عهد الشريف محمد بن أحمد آل خيرات، من تحت نظر إمام صنعاء المهدي عباس؛ لأن المخلاف السليماني في تلك الفترة كان تحت أئمة صنعاء.

كما برع في علوم التفسير والحديث والأدب، ودارت بينه وبين علماء عصره مراجعات في مسائل متنوعة تدل على سعة إطلاعه وعلمه، واشتغل في آخر حياته بعلمي التفسير والحديث.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

من شيوخه -رحمه الله-:

---

(١) ينظر ترجمته: البدر الطالع (١/٣٢٢-٣٢٣)، وحدائق الزهر (ص٨٠-٩٣)، ونيل الوطر (٢/٢٦-٢٧).

(٢) ينظر: معجم المدن والقبائل اليمنية؛ للمقحفي (١/٢٠٠).

١- العلامة عبد الخالق بن علي المزجاجي.

٢- العلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني.

٣- العلامة محمد بن أحمد الحازمي.

٤- العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني.

ثانياً: تلاميذه:

تتلمذ على يدي العلامة عبد الرحمن بن الحسن البهكلي-رحمه الله- مجموعة من العلماء؛ ومنهم:

١- العلامة أحمد بن عبد العزيز الضمدي.

٢- الشريف بشير بن شبير بن مبارك الخيراتي.

٣- العلامة عمر بن إبراهيم السندي.

٤-العلامة محمد بن مهدي الحماطي.

مؤلفاته:

للعلامة عبد الرحمن بن الحسن البهكلي -رحمه الله- العديد من المؤلفات؛ ومنها:

١- خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد؛ "محقق".

٢- رسالة غادة الهيف في بيان معنى إنَّ؛ "مفقودة".

٢- نزهة الظريف فيما جرى بين أولاد الشريف؛ "مخطوط".

وفاته:

توفي العلامة عبد الرحمن بن الحسن البهكلي -رحمه الله- في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٢٤هـ.

٦- العلامة الحسن بن خالد الحازمي[(١)].

اسمه ونسبه:

هو العلامة الوزير الحسن بن خالد بن عز الدِّين الصغير بن محسن بن عز الدِّين الكبير الحازمي، ينتسب إلى الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد سنة ١١٨٨هـ؛ ببلدة "هجرة ضمد"، ونشأ بها؛ حيث اشتغل بطلب العلم على علمائها، فأقبل على قراءة القرآن الكريم، وتوغل في قراءاته وأحكامه.

كما اشتغل بعلم الحديث؛ فحفظ متونه، واطلع على شروحه ومصطلحاته، ومعرفة رجاله وعلله وإسناده، كذلك تبحر في علم النحو، والصرف، والأصول، وبرع في علم الفقه.

ولمكانته العلمية، ولما اشتهر أمره من القيام بأمر الله ﷻ، اختصه لمجالسته أمير زمانه الشريف حمود أبو مسمار الحسني، حيث اتخذه كاتباً له، فكان لا يصدر ولا يورد في أوامره ونواهيه إلا به، وجعل نفسه تابعاً له، ثم صار وزيراً للشريف حمود أبو مسمار.

كما تولى بعض الأعمال القيادية في جهة "عسير" نحواً من عشرين شهراً، وقيل دامت إمارته ثمانية أشهر.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

(١) ينظر ترجمته: حدائق الزهر (ص٦١-٦٥)، ونيل الوطر (٣٢٣/١-٣٢٧).

لازم العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- العلامة القاضي أحمد بن عبد الله الضمدي مدة طويلة وعلى يده تخرج، وأخذ يسيراً عن غيره، ولم تذكر المصادر أسماءهم.

ثانياً: تلاميذه:

كان للعلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- جهوداً مثمرة على الدارسين وطلبة العلم؛ فمن تلاميذه:

١- الشيخ إبراهيم بن محمد النعمي.

٢- الشيخ أحمد بن علي النعمي.

٣- الشيخ أحمد بن محمد النعمي.

٤- العلامة الحسن بن عاكش الضمدي.

٥- الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب التميمي.

٦- الشيخ عبد الله بن محمد الحازمي.

٧- الشيخ موسى بن حسن الحازمي.

مؤلفاته:

للعلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- جملة من المؤلفات؛ ومنها:

١- شرح على منظومة عمدة الأحكام للإمام عبد الله بن محمد الأمير؛ ولم يكملها؛ "مفقودة".

٢- قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب؛ "مطبوع".

٣- له رسائل عديدة؛ جمعها الدكتور: عبد الله أبو داهش في كتابه "من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي".

٤- كما له جملة من القصائد في مدح أمراء وأدباء عصره.

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه تلميذه الحسن عاكش -رحمه الله-: ((الإمام السابق، الذي هو بالحق ناطق، ناصر الإسلام، والمجاهد بنفسه ونفيسيه؛ أعداء الله الطغاة... .

كان في الذكاء آية باهرة، ومعجزة لكل حسود قاهرة، فنال في أيام يسيرة من العلوم ما عز على غيره، وأربى في تحقيقه على الأقران، وسارت بذكره الركبان، وتبحر في علم النحو، والصرف، والأصول، وصار المرجع في دقائقها التي حيرت العقول، وأقبل على قراءة القرآن دراية ورواية..))[(١)].

وقال عنه العقيلي -رحمه الله-: ((ظل الحسن بن خالد في إمارة حمود المخلص الذي لا يُضارعه في منزلته أحد، فكان وزيره المقيم، وسفيره الخاص، ونائبه إذا غاب، وقائده إن عصت قبيلته، ورئيس ديوانه إذا حضر...))[(٢)].

وفاته:

توفي العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- بمدينة "عسير" سنة ١٢٣٤هـ.

٧- العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي[(٣)].

اسمه ونسبه:

هو القاضي العلامة المحدث الحافظ الأديب المؤرخ عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن علي البهكلي، الضمدي، الصبياني، التهامي.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد بمدينة "صبيا"؛ سنة ١١٨٢هـ، وقيل: سنة ١١٨٠هـ، ونشأ في بيت "البهاكلة" الذي عُرف بالعلم والأدب؛ حيث قرأ على والده العلامة أحمد بن الحسن

---

(١) حدائق الزهر (ص٦١).

(٢) التاريخ الأدبي لمنطقة جازان (٤٦٢/١).

(٣) ينظر ترجمته: البدر الطالع (٣١٨/١-٣٢٢)، وحدائق الزهر (ص٨٠-٨١)، ونيل الوطر (٢٣/٢)، وهجر العلم ومعاقله في اليمن (٢٣٢/١).

البهكلي؛ قاضي مدينة "صبيا"؛ وغيره من علماء "صبيا".

وبعد أن نهل العلوم عن علماء بلده؛ رحل لطلب العلم، وكان من أبرز رحلاته؛ هي رحلته إلى مدينة "صنعاء"؛ حيث رحل إليها ثلاث رحلات: في سنة ١٢٠٢هـ، وسنة ١٢٠٩هـ، وسنة ١٢١١هـ، وكان يحضر مجالس التدريس فيها، ويُكاتب العلماء ويراسلهم.

كما ولي قضاء بيت الفقيه في عهد إمام صنعاء: المنصور علي بن مهدي.

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني- رحمه الله-: ((قد باشره مباشرة حسنة؛ بعفة ونزاهة وحرمة كاملة، وصدع بالحق بحسب الحال ومقدار ما يبلغ إليه الطاقة))[1].

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

تتلمذ العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله- على جملة من العلماء في بلدته، وخلال رحلاته إلى مدينة "صنعاء"، ومن أبرزهم:

١- والده العلامة أحمد بن الحسن البهكلي.

٢- العلامة أحمد بن علي الضمدي.

٣- العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي.

٤- العلامة عبد الله بن محمد بن الأمير الصنعاني.

٥- العلامة علي بن عبد الله الجلال.

٦- العلامة محمد بن علي الشوكاني.

ثانياً: تلاميذه:

كان العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله- كغيره من العلماء

---

(١) البدر الطالع (١/٣٢٠).

يجلس للتدريس والتأليف؛ حيث سكن بـ"بيت الفقيه"، وتولى القضاء فيه -كما تقدم-، فورد إليه طلبة العلم ينهلون من علمه؛ ومن أبرزهم:

١- أخوه القاضي الحسن بن أحمد بن الحسن البهكلي.

٢- أخوه علي بن أحمد بن الحسن البهكلي.

٣- العلامة علي بن محمد بن إسماعيل البهكلي.

٤- القاضي يحي بن علي الشوكاني.

٥- القاضي العلامة يحي بن محمد الضمدي.

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله-: ((له قدرة على النظم والنثر، وملكة كاملة في جميع العلوم؛ عقلاً ونقلاً، ولا يقلد أحداً؛ بل يجتهد برأيه وهو حقيق بذلك))[1].

وقال -أيضاً-: ((عاد إلى وطنه وقد برع في النحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والأصول، والتفسير، والحديث؛ في أقرب مدة؛ لحسن فهمه، وجودة تصوره، وكمال إدراكه، وقوة ذهنه))[2].

وقال عنه تلميذه العلامة الحسن بن أحمد عاكش -رحمه الله-: ((ماذا أقول في إمام حافظ قدوة، قد انعقد الإجماع على غزارة علمه، وانفراده بالفضل والتحقيق على كل مبرز بألمعيته وفهمه، فلم يُنكر فضله الجم إلا مكابر، ولا غضّ من شأنه قرين ولا معاصر))[3].

مؤلفاته:

---

(١) البدر الطالع (٣٢٠/١).

(٢) المصدر السابق (٣١٩/١).

(٣) حدائق الزهر (ص٨٠).

من مؤلفات العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله-:

٣- الأجوبة على المسائل التي الاختلاف فيها من الاختلاف المباح؛ "مطبوع".

١- تيسير اليسرى شرح المجتبى من السنن الكبرى؛ "محقق".

٢- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود؛ "مطبوع".

كما أن له جملة من المؤلفات التي ذكرها من ترجم له، وهي مفقودة؛ ومنها:

١- الأفاويق الهامة بتراجم البخاري والتعاليق.

٢- مرقات الثقات بمعرفة طبقات رجال الأمهات.

١- مؤلف في المعاني والبيان.

وفاته:

توفي العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله- بمدينة "بيت الفقيه" سنة ١٢٤٨هـ.

٨- العلامة محمد بن علي الشوكاني[1]:

اسمه ونسبه:

هو العلامة أبو علي بدر الدِّين محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن إبراهيم بن محمد العفيف بن محمد بن رزق الشوكاني ثم الصنعاني.

وذكر -رحمه الله- عند ترجمته لوالده نسبه إلى آدم -عليه السلام-.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣هـ بـ"هجرة

(١) ينظر ترجمته: البدر الطالع (٤٧٨/١-٤٧٩)، (٢١٤/٢-٢٢٥)، وحدائق الزهر (ص٣١-٦٠)، ونيل الوطر (٢٩٧/٢-٣٠٢).

شوكان"[(١)]؛ وهي قرية صغيرة تبعد عن صنعاء شرقاً نحو عشرين كيلو متر تقريباً.

ونشأ -رحمه الله- في "صنعاء"، وتربى في بيت علم وفضل؛ فنشأ نشأة دينية؛ حيث كان أبوه من العلماء الكبار، وكان يشغل منصب قاضي صنعاء؛ فتتلمذ وقرأ عليه، وكان له أكبر الأثر في تكوين شخصيته العلمية، كذلك كان لأهل قريته التي كان فيها من أهل العلم والفضل والصلاح والدِّين ما ساعده في ذلك.

ابتدأ -رحمه الله- بالقرآن الكريم فحفظه وجوده على مجموعة من مشايخ صنعاء، ثم اتجه لحفظ المتون العلمية والمختصرات، وقرأ العديد من الكتب في التاريخ والأدب، ثم شرع بالسماع والطلب على علماء اليمن البارزين؛ حتى استوفى ما عندهم من علوم دينية وعقلية، وما زال يتنقل بين العلماء؛ يتلقى عليهم، ويستفيد منهم؛ حتى صار علماً وإماماً يُرحل إليه؛ فذاع صيته في جميع البلاد، وانتفع بعلمه كثير من الناس.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه.

تتلمذ العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله- على جملة من العلماء في مختلف الفنون؛ مثل: القراءات، والتفسير، والفقه، والأصول والحديث، والتاريخ، والأدب، وغيرها من الفنون؛ ومن هؤلاء العلماء:

١- العلامة أحمد بن محمد الحرازي.

٢- العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي.

٣- العلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني.

٤- والده علي بن محمد الشوكاني؛ فحفظه القرآن وجوده عليه، كما حفظه عدداً من المتون ومبادىء الفنون المختلفة، قبل أن يبدأ في طلبه للعلم على غيره من

---

(١) قال عنها في البدر الطالع (١/ ٤٨١) : «وهذه الهجرة معمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الأزمان..».

العلماء.

وهؤلاء الأربعة كان لهم أكبر الأثر في حياة الشوكاني العلمية؛ كما ذكر ذلك -رحمه الله- في ثنايا ترجمته لهم(١).

ثانياً: تلاميذه:

تتلمذ على العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله- مجموعة من العلماء؛ ومنهم:

١- العلامة أحمد بن عبد الله الضمدي.

٢- العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي.

٣- العلامة عبد الرحمن بن أحمد الضمدي.

٤- العلامة عبد الله بن عيسى الكوكباني.

٥- ابنه علي بن محمد بن علي الشوكاني.

٦- العلامة محمد بن أحمد السودي.

٧- العلامة محمد بن علي العمراني.

٨- العلامة محمد بن محمد زبارة.

مؤلفاته:

خلف العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله- ثروة عظيمة من المؤلفات؛ ذكر منها في البدر الطالع ستة وتسعين كتاباً ورسالة(٢)، وأضاف تلميذه العلامة محمد زبارة؛ سبعة كتب أخرى، وقد ذكر صاحب رسالة "الإمام الشوكاني حياته

---

(١) ينظر: البدر الطالع (١/١٩٦،٩٧-١٩٧، ٣٦٥، ٤٧٨-٢٨٤).

(٢) قال -رحمه الله- في نهاية عرضه لمؤلفاته في البدر الطالع (٢/٢١٩-٢٢٣): ((هذا ما أمكن خطوره بالبال حال تحرير هذه الترجمة، ولعل ما لم يُذكر أكثر مما ذُكر)).

وفكره"[1] أنه قام باستقصاء مؤلفات الشوكاني؛ وقد بلغت (٢٧٨ مؤلفاً)؛ ومن مؤلفاته المطبوعة:

١- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات.

٢- أدب الطلب ومنتهى الإرب.

٣- بحث في وجوب محبة الله ﷻ.

٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.

٥- التحف في مذاهب السلف.

٦- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين.

٧- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد.

٨- رسالة في وجوب توحيد الله ﷻ.

٩- شرح الصدور في تحريم رفع القبور.

١٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير.

١١- قطر الولي على حديث الولي أو ولاية الله والطريق إليها.

١٢- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار.

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه العلامة الحسن عاكش -رحمه الله-: ((قاضي الجماعة، شيخنا شيخ الإسلام، المحقق، المدقق، الإمام سلطان العلماء، إمام الدنيا، خاتمة الحفاظ بلا مراء، الحجة النقَّاد، علي الإسناد، السابق في ميدان الاجتهاد...))[2].

---

(١) وهو: عبد الغني الشرجبي (ص١٩٤-٢٢٩).

(٢) حدائق الزهر (ص٣١).

وقال عنه صاحب "نيل الوطر": ((القاضي الحافظ الناقد الشهير محمد بن علي...))(١).

وقال تلميذه الفقيه لطف الله بن أحمد الصنعاني -رحمه الله-: ((شيخنا المحقق في المعقول والمنقول، الجهبذ المجتهد...))(٢).

وقال العلامة صديق حسن خان -رحمه الله-: ((أحرز جميع المعارف، واتفق على تحقيقه المخالف والمؤالف، وصار المشار إليه في علوم الاجتهاد بالبنان، والمجلى في معرفة غوامض الشريعة عند الرهان، له المؤلفات الجليلة الممتعة المفيدة النافعة...))(٣).

وفاته:

توفي العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله- في جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠هـ، ودفن بـ"صنعاء".

٩- العلامة محمد بن ناصر الحازمي(٤).

اسمه ونسبه:

هو العلامة المحدث محمد بن ناصر بن حسين الحازمي التهامي الضمدي.

---

(١) نيل الوطر (٢/٢٩٧).

(٢) المصدر السابق (٢/٢٩٨).

(٣) أبجد العلوم؛ لصديق حسن خان (٣/٢٠١).

(٤) ينظر ترجمته: عقود الدرر (٢/٧٢٣)، ونيل الوطر (٢/٣٢٢)، ونشر الثناء الحسن (٢/١٢١).

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد ببلدته "ضمد" في آخر العقد العاشر من القرن الثاني عشر الهجري، ونشأ بها؛ حيث تلقى تعليمه على علماء بلدته، فحفظ أكثر المختصرات العلمية في الفقه وغيره.

ثم ارتحل إلى مدينة "صنعاء"؛ لكونها محط أنظار الدارسين، فقرأ على مشايخها؛ حتى برز في سائر العلوم؛ نحواً، وصرفاً، وبياناً، وفقهاً.

ثم عاد إلى بلدته ومنها رحل إلى بلاد الحرمين طالباً لعلم الحديث؛ حيث أولاه كل اهتمامه، فحفظ متونه، واطلع على غالب شروحه، وكان شغله الشاغل تدريس الحديث وعلومه، فانتفع به جمع غفير من طلبة العلم بالمخلاف السليماني.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه.

تلقى العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله- العلم على عدد من العلماء؛ ومنهم:

١- العلامة أحمد بن عبد الرحمن المجاهد.

٢- العلامة الحسن بن أحمد عاكش الضمدي.

٣- العلامة عبد الرحمن بن سليمان الأهدل.

٤- العلامة علي بن أحمد الظفيري.

٥- العلامة محمد بن عابد السندي.

٦- العلامة محمد بن علي الشوكاني.

ثانياً: تلاميذه:

كان للعلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله- حلقات علمية؛ في بلدته "ضمد"، ومدينة "زبيد"، و"مكة المكرمة" حين يقدم للحج والعمرة، حيث كان شغله الدرس والتدريس في الحديث وعلومه، وكذلك في النحو والصرف، وقد تتلمذ

عليه كثير من طلبة علم الحديث وغيره من العلوم؛ ومنهم:

١- العلامة حسن بن محمد الحازمي.

٣- العلامة عبد الرحمن بن عبد الله القديمي.

٤- السيد محمد بن سالم السري التريمي.

٥- العلامة يحي بن محمد الضمدي.

مؤلفاته:

لم يُذكر له -رحمه الله- من مؤلفاته إلا كتابين:

١- "إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان"؛ "مطبوع".

٢- "مسلسلات الحازمي"؛ قال عنها المحدث عبد الحي الكتاني: ((مسلسلات الشمس محمد بن ناصر الحازمي اليمني الأثري المشهور، ذكرها له شيخنا القاضي حسين السبعي الأنصاري في إجازته للأمير صديق حسن خان الهندي))[1].

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه صاحب "نشر الثناء الحسن": ((الشريف العلامة الإمام المحدث...، كان متفنناً محققاً في جميع العلوم، جائلاً في ميدان المنطوق منها والمفهوم، تُضرب إليه أكباد الإبل من البلاد القريبة والشاسعة في بيانها، إذ كان مجلياً، صلى خلفه أئمة العلم في حلبة ميدانها؛ لا سيما في علم الحديث، فقد كان له فيه اليد الطولى))[2].

وقال -أيضاً-: ((قرأ عليه في جماعة من أول صحيح البخاري؛ فتكلم على

---

(١) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشايخ والمسلسلات؛ للكتاني (٢/٦٦٥).

(٢) نشر الثناء الحسن (٢/١٢١).

متن الحديث؛ معنى، وإعراباً، وغيرها، وعلى رجال السند؛ مولداً، ومنشأً، ونسباً، وبلداً، وتعديلاً، وجرحاً، وما لكل راو في الصحيح وغيره من رواية، ثم إنهم أعادوا عليه القراءة في آخر الصحيح فتكلم على المتن والسند كذلك من غير فرق، فُعلم من ذلك أنه لا يُجارى في هذا الميدان...، وبالجملة فقد كان عديم النظير في وقته))[1].

وفاته:

توفي -رحمه الله- في شهر شعبان سنة ١٢٨٢هـ، وقيل: ١٢٨٣هـ؛ وذلك في إحدى قرى وادي "صبيا" بالمخلاف السليماني.

١٠- العلامة الحسن بن أحمد عاكش[2].

اسمه ونسبه:

هو القاضي العلامة الحافظ الناقد المؤرخ أبو محمد الحسن بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن الحسن بن الحسين بن محمد بن يحي بن محمد بن علي بن عمر الضمدي؛ ويُلقب بـ "عاكش"؛ كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه "عقود الدرر"؛ حيث قال: ((أما بعد فيقول الفقير إلى الله تعالى حسن بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز الشهير: "بعاكش" العمري الضمدي))[3].

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد بمدينة "أبي عريش" سنة ١٢٢٠هـ، وقيل: سنة ١٢٢١هـ؛ حيث نشأ بها يتيماً، فقد توفي والده ولم يُجاوز الثالثة من عمره، فتربى في حجر عمه القاضي الحسن بن عبد الله الضمدي؛ الذي أولاه عناية خاصة وحثه على طلب العلم، فبدأ بحفظ القرآن الكريم، ثم بحضور الدروس في الحلقات العلمية؛ فبدأ بتلقي علوم الآلة وغيرها

---

(١) نشر الثناء الحسن (١٢١/٢).

(٢) ينظر ترجمته: نيل الوطر (٣١٤/١-٣١٨).

(٣) عقود الدرر (٦/١).

من العلوم.

وبعد أن استقى من علماء بلده؛ بدأت رحلاته العلمية؛ حيث رحل إلى "بيت الفقيه"، و"صنعاء"، و"صبيا"، و"مكة المكرمة"، و"زبيد"، وغيرها من المدن، وكان في كل مدينة ينهل من علمائها ومشايخها، فـ((حقق فنون العلم، ومهر في المنثور والمنظوم، وألف مؤلفات عديدة مفيدة في عدة فنون))[1].

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه.

للعلامة الحسن بن أحمد عاكش -رحمه الله- جملة من المشايخ؛ ترجم لهم في كتابيه: "حدائق الزهر" و"عقود الدرر"؛ ومن أبرزهم:

١- العلامة عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن البهكلي.

٢- العلامة محمد بن علي الشوكاني.

٣- العلامة محمد بن علي العمراني الصنعاني.

٤- العلامة محمد بن مهدي بن أحمد الحماطي الصنعاني.

ثانياً: تلاميذه.

كان لتصديه للتدريس في وقت مبكر، وعنايته به؛ أن تخرج على يديه مجموعة من طلبة العلم؛ ومن أبرزهم:

١- العلامة علي بن يحي بن عمار الذروي.

١- العلامة محمد بن حسين بن علي النعمي.

٢- العلامة محمد بن عبد الله بن عبد القادر العواجي.

٤- العلامة محمد بن ناصر بن حسين الحازمي.

مؤلفاته:

---

(١) نيل الوطر (٣١٤/١-٣١٧).

من مؤلفاته -رحمه الله-:

١- إتحاف السادة الأشراف سكان قرى وهجر المخلاف؛ "مخطوط".

٢- إنسكاب السحاب على رياض الأحباب نظم قواعد الإعراب؛ "مطبوع".

٣- الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني؛ "محقق".

٤- حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر؛ "مطبوع".

٥- حكم تكفير المعين؛ "مطبوع".

٦- عقود الدرر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر؛ "مطبوع".

٧- فتح المنان بتفسير القرآن؛ "محقق".

٨- وجوب قراءة الفاتحة على المأموم؛ "مطبوع".

منزلته وثناء العلماء عليه:

كان للعلامة الحسن بن أحمد عاكش -رحمه الله- مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة بين علماء عصره ومن أتى بعدهم؛ ومن أقوالهم في بيان منزلته والثناء عليه:

قال العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله- في إجازته له: ((فإن الولد العلامة المتفنن، المتقد؛ الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي...، سمع عليَّ في مجالس الدروس))[1].

وقال العلامة علي بن محمد البهكلي -رحمه الله-: ((إمام الفحول، وعلامة المنقول والمعقول، العالم المفرد، أخي وسيدي الحسن بن أحمد))[2].

وقال العلامة محمد بن علي العمراني -رحمه الله-: ((فقد نبع في عصرنا هذا، ونبل على كثرة المفترات بالمعالي بما صد وآذى، بل شتت شمل المنتسب إليها

(١) حدائق الزهر (ص٤٠).

(٢) المصدر السابق (ص١٨٩).

فجعلهم أقذاذا، ومزق أديم الكمال على اختلاف أجناسه بما صيَّر أبعاده جذاذاً، ذاك الولد العلامة، والإمام المعتمد الفهامة، حامل راية الفخر، الجامع من أشتات الفضائل العلمية ما بلغه مرامه، واحتوى بأنواعها بثابت جنابه على ما لم يُزلزل أقدامه؛ أخي وسيدي الحسن بن أحمد بن عبد الله الضمدي))(١).

وقال العلامة محمد بن محمد زبارة –رحمه الله–: ((حقق فنون العلوم، ومهر في المنثور والمنظوم، وألف مؤلفات عديدة مفيدة في عدة فنون))(٢).

وقال المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي –رحمه الله–: ((عالم المخلاف السليماني، وأديبه في القرن الثالث عشر الهجري، حياة حافلة بالعلم والأدب، عاش للتدريس والتأليف؛ كالسحاب الماطر يلطف الجو، ويخصب الأرض))(٣).

وفاته:

توفي العلامة الحسن عاكش –رحمه الله– في مدينة "أبي عريش"؛ سنة ١٢٩٠هـ، وقيل: سنة ١٢٨٩هـ، وقيل: سنة ١٢٩٢هـ.

١١– الشيخ علي بن أحمد باصبرين(٤).

اسمه ونسبه:

هو علي بن أحمد بن سعيد بن محمد باصبرين السيباني؛ وينتهي نسبه إلى أسرة باحميش؛ التي تسكن في وادي "دوعن" بحضرموت.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

---

(١) حدائق الزهر (ص١١٠).

(٢) نيل الوطر (١/٣١٤–٣١٧).

(٣) أضواء على الأدب والأدباء؛ للعقيلي (١/٨٤).

(٤) ينظر ترجمته: الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها؛ للحداد (ص١٣٥)، وإدام القوت في ذكر بلدان حضرموت؛ لابن عبيد الله السقاف (ص١٤٢)، وتراجم علماء جدة من الحضارم؛ للعميري (ص٣٦).

ولد في وادي "دوعن" بحضرموت سنة ١٢٢٥هـ، ، ونشأ بها؛ حيث تلقى فيها علوم القرآن، واللغة، واشتغل بمتون الفقه الشافعي، ثم رحل إلى "مكة المكرمة" لأداء فريضة الحج، والتقى بعلمائها وأخذ عنهم، ثم رحل إلى مصر والتقى بأفاضل علماء الأزهر وأخذ عنهم، واهتم فيها بعلم الحساب، وبعد أن قضى وطره بمصر عاد أدراجه إلى الحجاز؛ واطلع على بعض الفنون التي لم تكن بأرض قومه؛ كعلم الحديث؛ حيث أولاه عنايته حتى برع فيه.

ومع سعة فقهه -رحمه الله- فقد كان يعتقد ما عليه صوفية زمانه ويرى صحة مذهبهم؛ لأنه نشأ في بيئة غارقة في الفكر الصوفي؛ القائم على تقديس الشيوخ، واستمر به الحال حتى التقى ببعض طلبة الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- الذين أهدوه بعضاً من كتبه؛ وبعد أن اطلع عليها ورأى ما فيها من الحق؛ عدل عما كان عليه من اعتقاده صحة ما عليه أهل التصوف، وصار داعية من دعاة التوحيد؛ حيث بعد عودته من الحجاز إلى حضرموت؛ سارع إلى بيان فساد ما عليه أهل التصوف؛ فناظرهم وجادلهم، وظل متنقلاً بين مدن حضرموت يدعو إلى التوحيد؛ حتى كثُر طلابه، وذاع صيته.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه.

صرَّح الشيخ علي بن أحمد باصبرين -رحمه الله- بأخذه العلم عن العلامة سعيد بن محمد باعشن، ولم أقف على غيره في المصادر التي ترجمت له -رحمه الله-، غير أنه بإجالة النظر والتدقيق في حياة الشيخ مكاناً وزماناً؛ لا يُستبعد أن يكون له مشايخ كثُر أغفلت المصادر ذكرهم.

ثانياً: تلاميذه:

كان الشيخ علي بن أحمد باصبرين -رحمه الله- حريصاً على تربية طلبة العلم، مشفقاً عليهم، مرغباً المبتدئين؛ باذلاً جهده في تعليمهم، ومواظباً في أوقات دروسه؛ ومن أسماء تلاميذه الذين وقفت عليهم:

١- ولده أحمد بن علي أحمد باصبرين.

٢- الشيخ حسن بن عمر الحداد.

٣- الشيخ علي بن سالم العميري.

مؤلفاته:

ترك -رحمه الله- جملة من المؤلفات؛ ومنها:

١- إرشاد صالحي العبيد لتحقيق إخلاص التوحيد (مفقود).

٢- إفصاح المقال عن حقيقة العهدة ومطيرة المال؛ "مطبوع".

٣- حاشية على متن الزبد؛ "مطبوع".

٤- رسالة في مسألة رمي الجمرات؛ "مطبوع".

٥- المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية؛ "مطبوع".

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه عبيد الله السقاف -رحمه الله-: ((جلس للتدريس في شرح المقدمة الأجرومية، وكان يكتب عليه حاشية، فسمعنا أحسن تدريس، وأتقن تحقيق، وأجمل إلقاء، وأوضح تفهيم))[١].

وقال -أيضاً-: ((ما كاد يخرج عن المسجد وعلى كتفه بندقية وأشعل النار في فتيلها؛ فقلنا له ما شأنك؟ فقال: بيننا وبين قوم قتل ولم نأخذ صلحاً، فتمثلت لنا رسوم الصحابة والسلف الصالح الطيب؛ حيث اجتمعت مع العبادة الشجاعة والعلم في ذلك الهيكل الشريف؛ وهو شخص الشيخ علي بن أحمد باصبرين))[٢].

وقال حسن بن عمر الحداد -رحمه الله-: ((قرأت على الشيخ علي باصبرين؛

---

(١) إدام القوت (ص١٤٢).

(٢) المصدر السابق (ص١٤٢).

وهو إمام في كل العلوم))[١].

وفاته:

توفي الشيخ علي بن أحمد باصبرين -رحمه الله- سنة ١٣٠٤هـ.

١٢- العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي[٢].

اسمه ونسبه:

هو العلامة عبد الرحمن بن يحي بن علي بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن حسن المعلمي العُتمي اليماني.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد سنة ١٣١٢هـ بقرية المحاقرة بمدينة "صنعاء".

ونشأ في بيت صلاح وعلم، وبيئة صالحة، فقرأ القرآن، وتعلم علوم الآلة؛ حيث جعلها محل اهتمامه وعنايته؛ حتى برع فيها وأصبح ذا ملكة قوية وهو لم يزل في سن مبكرة، مع تفننه في العلوم الأخرى ؛كالفقه، والفرائض، والحساب وغيرها.

وقد كان للعلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي -رحمه الله- رحلات؛ ومن أشهرها: رحلته إلى محمد بن علي الإدريسي؛ مؤسس دولة الأدارسة في "صبيا" و"عسير"، والثانية إلى "الهند"، والثالثة إلى "مكة المكرمة" واستقراره فيها؛ وقد تخلل ذلك انتقاله إلى "عدن" و"إندونيسيا"؛ وكانت رحلاته حافلة بالعلم والعمل والأحداث.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه.

---

(١) المصدر السابق (ص١٤٢).

(٢) ينظر ترجمته: نشر الثناء الحسن (٣/٢١٩-٢٢٢)، وهجر العلم ومعاقله ((٢/١٢٦٦-١٢٦٩).

من المشايخ الذين تلقى العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي –رحمه الله– عنهم العلم؛ ما يلي:

٣– الفقيه العلامة أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي.

٥– الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي.

٦– الشيخ محمد بن عبد القدير الصديقي القادري.

٤– السيد محمد بن علي الإدريسي.

٢– أخوه العلامة محمد بن يحي بن علي المعلمي.

١– والده الفقيه العلامة يحي بن علي المعلمي.

ثانياً: تلاميذه:

تصدر العلامة المعلمي –رحمه الله– لتدريس الطلاب ولإقراء العلم مبكراً؛ فكان له في كل بلد يرحل إليه تلاميذ ينهلون من علومه؛ ومنهم:

١– العلامة أحمد بن محمد المعلمي.

٢– الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المعلمي.

٣– الشيخ عبد الله بن محمد الحكمي.

٤– الشيخ محمد بن عثمان الكنوي.

٥– الشيخ محمد بن علي بن حسن الروافي.

مؤلفاته:

يُعد العلامة المعلمي –رحمه الله– من المكثرين من التأليف؛ ومن جملة مؤلفاته المطبوعة:

١– تحقيق الكلام في المسائل الثلاث.

٢– حقيقة البدعة.

٣– حقيقة التأويل.

٤- رسالة في أحكام الجرح والتعديل.

٥- رسالة في الشفاعة.

٦- رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله والفرق بين التوحيد والشرك بالله.

٧- طليعة التنكيل.

٨- عِمارة القبور في الإسلام.

٩- ما وقع لبعض المسلمين من الرياضة الصوفية والغلو فيها.

١٠- يُسر العقيدة الإسلامية.

منزله وثناء العلماء عليه:

الثناء على العلامة المعلمي -رحمه الله- كثير من العلماء الفضلاء؛ ومما قيل عنه:

قال عنه المؤرخ إسماعيل بن محمد الوشلي -رحمه الله-: ((الفقيه العلامة الأديب عبد الرحمن بن يحي المعلمي...، رأيته فقيهاً نحوياً أديباً لطيفاً شاعراً فصيحاً))(١).

وقال العلامة إسماعيل بن علي الأكوع -رحمه الله-: ((عالم محقق في الفقه والنحو، مبرز في علوم الحديث، شاعر أديب))(٢).

وقال العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد -رحمه الله-: ((العلامة المعلمي...، له جهود في خدمة السنة وعلومها؛ كما في "التنكيل" و "طليعته"، وفي تحقيقاته الحافلة في كتب الرجال والأنساب والموضوعات؛ أبدى يراعُه فيها براعة ودرراً في أصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل، في جهود انتشرت الاستفادة منها في كتب

(١) نشر الثناء الحسن (٣/٢١٩).

(٢) هجر العلم ومعاقله (٢/١٢٦٦).

المعاصرين))[1].

وفاته:

توفي العلامة المعلمي -رحمه الله- يوم الخميس السادس عشر من صفر سنة ١٣٨٦هـ؛ بمدينة "مكة المكرمة".

١٣- العلامة أحمد بن محمد عوض العبادي[2].

اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلامة السلفي أحمد بن محمد بن عوض العبّادي الكُلاعي الحميري العدني اليمني.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد -رحمه الله- في قرية من قرى شرق مدينة "إب" من بلاد اليمن؛ تسمى

(١) براءة أهل السنة؛ لبكر أبو زيد (ص٤٢).

(٢) ينظر ترجمته: بقلم تلميذه البيحاني في مقدمة منظومة هداية المريد (ص٣-٥)، وحياة عالم وأمير؛ لمحمد بن علي الأكوع (١٠/٢)، والموسوعة اليمنية (٢٠١١/٣)، ومقال بعنوان: دور العبادي في مناهضة الاستعمار؛ لتلميذه الأديب: محمد سعيد جرادة؛ في مجلة الحكمة (العدد "٣٧"، ١٥/إبريل/١٩٧١م).

"اللَّحج"؛ سنة ١٣٠١هـ، وقيل: سنة ١٢٨٥هـ.

ونشأ في حجر والده، وقرأ عليه القرآن الكريم، وقيل: والد الشيخ توفي وهو صغير فكفلته أمه، وأدخلته الكُتّاب؛ فحفظ القرآن الكريم، وتعلم الخط، وكان له صوت رقيق للغاية؛ فاحترف النشيد بالدف، وحفظ بعض القصائد لذلك، فكان يذهب إلى الأسواق الأسبوعية، ليحضر المآتم، والأعراس، والموالد النبوية وغيرها؛ فاشتهر لحسن صوته، وبراعة إبداعه؛ فأخذ يطلب المزيد، فرحل إلى مدينة "عدن" لنفس الغرض.

وفي مدينة "عدن" حدث له اتجاه لطلب العلم؛ فكان يدخل مساجدها فيتلقى الدروس باهتمام وعناية، وعرف أشياء كان قلبه خالياً منها؛ فطمعت نفسه بالمزيد من العلم، واشتاقت نفسه للرحلة في طلبه؛ والتفقه في الدِّين، فأخذ يجوب الأقطار وينتقل من بلاد إلى بلاد؛ حيث رحل إلى الهند وتعلم فيها علم الحديث، وكان له مجالس هناك للوعظ والإرشاد وتلاوة القرآن بصوته الجميل الجذاب، ثم رحل إلى بلاد الأفغان؛ حيث أقام فيها تسع سنين، قرأ القرآن مجوداً على مشايخها، وتفقه على المذهب الشافعي، وأخذ بحظ وافر من أصول الفقه والدِّين ،والمنطق، والنحو، والصرف، والبلاغة.

ثم عاد إلى "الهند" ومنها إلى "عمان"، وتخلل ذلك سفره إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ومن ثم عاد إلى اليمن، وظل متنقلاً بين مناطقها؛ حيث تفرغ فيها للوعظ والتدريس.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

لم أقف في الكتب التي ترجمت للعلامة أحمد بن محمد العبادي -رحمه الله- على ذكر أي شيخ له سوى اثنين:

١- محمد تقي الدِّين الأفغاني؛ الذي قرأ عليه القرآن الكريم مجوداً، وتفقه عليه في مذهب الإمام الشافعي.

٢- والده الشيخ محمد بن عوض العبادي؛ الذي قرأ عليه القرآن الكريم.

ومن المؤكد أن له شيوخاً آخرين في البلدان التي رحل إليها ؛كالهند، وبلاد الأفغان، وغيرها.

ثانياً: تلاميذه:

كان للعلامة أحمد بن محمد العبادي -رحمه الله- تلاميذ كثر في البلدان التي درّس فيها؛ سواء في اليمن أو في غيرها؛ ومنهم:

١- الشيخ أحمد بن عبد الله الشيباني.

٢- الشيخ عبد المجيد بن قائد الشيباني.

٣- الشيخ عبد الله بن محيرز.

٤- الشيخ محمد بن سالم البيحاني.

٥- الأديب الشاعر محمد بن سعيد جرادة.

مؤلفاته:

للعلامة أحمد بن محمد العبادي -رحمه الله- عدة مؤلفات؛ فمن المطبوع منها:

١- حوار بين مشرك وموحد.

٢- رد على الإباضية.

٣- سبب تأخر المسلمين.

٤- منظومة هداية الوصول في علم الأصول.

٥- هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد.

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه الشيخ محمد بن سالم البيحاني -رحمه الله-: ((وكان أساس دعوته والمحور الذي تدور عليه: توحيد الله ﷻ، وإخلاص العبادة له تعالى، فقام عليه أصحاب البدع والخرافات وأنصارها؛ شأن كل مصلح، وأرادوا به كيداً فجعلهم الله

من الأسفلين، وسعوا به إلى الحكام، وشوهوا سمعته في العامة، وحاولوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون))[1].

وقال تلميذه الأديب محمد سعيد جرادة -رحمه الله-: ((في مسائل التوحيد يصدر عن آراء أحمد تقي الدين ابن تيمية))[2].

وقال الشيخ المؤرخ محمد الأكوع -رحمه الله-: ((وكان العبادي رجلاً مصلِحاً بما في الكلمة من معنى، يتمشى مع الدليل الصريح في الكتاب والسنة، ويرفض التقليد، ويندد على ذلك بصراحة ومواجهة، ولديه مؤلفات))[3].

وفاته:

توفي العلامة سنة ١٣٨٩هـ بمدينة "عدن"؛ وذلك بعد حياة حافلة بالتعليم والتدريس والدعوة والجهاد بالعلم والحجة والبرهان.

١٤- الشيخ محمد بن سالم البيحاني[4]:

اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلَّامة الأديب، الخطيب البارع، الداعي إلى الله بحق، محمد بن سالم بن حسين بن خميس بن أحمد بن عبيد بن خميس بن أحمد بن عبيد بن أحمد الخير الكَدَادِي، الكِنْدي، البيحاني.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد في شهر رجب سنة ١٣٢٦هـ، بإمارة بيحان، مدينة "القصاب".

---

(١) ترجمة البيحاني للعبادي في مقدمة هداية المريد (ص٥).

(٢) مقال تلميذه: محمد سعيد جرادة (صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ٢١/يونيو/١٩٩٠م).

(٣) حياة عالم وأمير (١٥/٢).

(٤) ينظر ترجمته: زوبعة في قارورة؛ للبيحاني (ص٥-٦)، لا تعبثوا بعقول الناس؛ للبيحاني (ص ١٢)، وأوراق من حياة فضيلة الشيخ محمد بن سالم البيحاني؛ لباوزير (ص١٦-٢٠)، وقبسات من حياة الشيخ البيحاني؛ لخليل سلام، ومعجم المؤلفين المعاصرين؛ لمحمد خير يوسف (٦٠٣/٢).

وقد نشأ الشيخ -رحمه الله- في بيت علم ودين، فأبوه كان شيخاً فقيهاً مهتماً بالعلم والتعليم، وقد بدأ الشيخ دراساته الأولى على يديه؛ فتعلم منه القرآن الكريم، وبعض مبادئ التجويد والفقه.

وللشيخ البيحاني عدة رحلات في طلب العلم؛ حيث رحل إلى "حضرموت"، و"عدن"، و"مصر"؛ حيث تتلمذ على علمائها، وأخذ عنهم.

كما أقام معهداً للعلوم الشرعية في "عدن"، تخرج منه المئات من طلاب العلم، ثم استقر في نهاية الأمر في مدينة "تعز"، حيث تفرغ فيها للوعظ والتدريس.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

نظراً لتعدد رحلات الشيخ -رحمه الله- واختلاف البلدان التي رحل إليها، فقد تعدد مشايخه وكثروا، وقد نصَّ -رحمه الله- في بعض مؤلفاته على جمعٍ منهم، وكذا من ترجم له نصُّوا على مشايخه من غير استيعاب لهم، ومنهم:

١- العلامة أحمد بن محمد بن عوض العبادي.

٢- سالم بن أحمد حشوان.

٣- والده الشيخ العلامة سالم بن حسين الكُدادي البيحاني.

٤- عبد الله بن علي العبادي.

٥- السيد عبد الله بن عمر بن أحمد بن عمر الشاطري باعلوي

٦- عوض بن عبد الله الحداد.

وللشيخ -رحمه الله- مشايخ غير هؤلاء، وقد كان السبب في كثرة مشايخه هو طول فترة طلبه للعلم فقد ذكر الشيخ عن نفسه أنه قضى في طلب العلم مدة تناهز خمسة وخمسين عاماً.

ثانياً: تلاميذه:

استفاد من الشيخ -رحمه الله- طلاب كثُر؛ ومنهم:

١- الشيخ أمين سعيد باوزير.

٢- الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

٣- الشيخ المقرئ محمد حسين عامر.

٤- الشيخ محمد عبد الرب جابر.

٥- الشيخ محمد عز الدين السروري.

٦- الشيخ ناصر بن محمد الشيباني.

مؤلفاته:

أخرج المؤلف -رحمه الله- عدداً طيباً من المؤلفات النافعة التي اشتهرت وانتشرت وأقبل الناس على اقتنائها، فمن المطبوع منها:

١- أستاذ المرأة.

٢- أطيب الكلام عن سيد الأنام.

٣- إصلاح المجتمع.

٤- تعليقات على هداية المريد.

٥- رسالة في تعدد الزوجات والطلاق في الإسلام.

٦- زوبعة في قارورة.

٧- الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني.

٨- لا تعبثوا بعقول الناس.

وقد ذكر بعض الباحثين أن كتب الشيخ تصل إلى ستين مؤلفاً[(١)]، وغالب كتب الشيخ غير مخدومة، وقد نفدت طبعاتها من المكتبات من زمن بعيد، والحصول على نسخ منها من الصعوبة بمكان.

---

(١) ينظر: الشيخ العلامة البيحاني حياته وفكره التربوي؛ للدكتور شرف الشهاري (ص١٤).

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال عنه العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي -رحمه الله-: ((كتبتُ إلى علامة الجنوب، فضيلة الشيخ محمد بن سالم البيحاني رئيس الجامعة الإسلامية للتربية والتعليم بعدن فأجاب مشكوراً...))[1].

وقال عنه الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري -مدير الشؤون الدينية في دولة قطر-: ((فقد سمعنا وقرأنا عن فضيلة الشيخ محمد سالم البيحاني -رحمه الله تعالى- أشياء كثيرة، وفهمنا عنه حسن وجهته، وتأثير علمه، وقوة إرادته، ونبوغ أدبه، وسبك شعره ونثره، وإن أنسى لا أنسى زيارته لنا في قطر، واجتماعنا به في بعض الجلسات العلمية، والتحدث معه في مجال العلم والأدب، وكان ذلك عام ١٣٧٨هـ.

ولقد وجدته نعم الحامل للعلم، ذا ذاكرة قوية، قلَّ أن تجد له مثيلاً...، كما أنني أرى من واجب القول التصريح بأنه كان من أهل الجرأة في الحق في غالب أوقاته، ومن عظيم منن الله عليه أنه أدرك هذا العلم وبلغ هذا المقام وهو أعمى غير بصير...، وقد شاء الله بعد ذلك والتقيت به مرات عديدة في "مكة المكرمة"، فهو من جلساء أهل العلم والفضل، قلَّ أن تجد جمعاً من العلماء في وقت حضوره بمكة المكرمة إلا وكان كالعلم بينهم تغمده الله بواسع رحمته))[2].

وقد نقل عنه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- مفتي المملكة في وقته بعض فتاويه، في مواضع من رسائله[3].

وفاته:

توفي العلامة البيحاني -رحمه الله- في الرابع والعشرين، وقيل: السادس والعشرين سنة ١٣٩١هـ في مدينة "تعز".

---

(١) إكمال الكمال (٣٢٨/٦).

(٢) مقدمة كتاب "العطر اليماني من أشعار البيحاني" (ص١-٢).

(٣) ينظر: فتوى في حكم أكل القات؛ للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص١٠).

١٥- الشيخ عبد الله عوض بكير[(١)].

اسمه ونسبه:

هو الشيخ عبد الله بن عوض بن مبارك بكير، ويرجع نسب آل بكير إلى أسرة آل بامعلم التي تنتمي إلى قبيلة كِندة.

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد سنة ١٣١٤هـ؛ في مدينة "غيل باوزير" في الجهة الحضرمية، ثم انتقل منها في سن مبكرة إلى قرى مختلفة؛ ينهل من كتاتيبها العلوم الشرعية، فحفظ القرآن الكريم، ودرس مبادئ علم القراءة والكتابة.

ثم رحل إلى قرية "الصداع" من قرى حضرموت، ومكث فيها ثلاثة عشر عاماً؛ حيث قرأ فيها كثيراً من العلوم والمعارف؛ فقرأ في الفقه والتفسير والحديث واللغة وغيرها من العلوم النافعة.

كما عُيِّن -رحمه الله- قاضياً لمدينة "المكلا" الحضرمية، ثم عُيِّن رئيساً للمجلس العالي للقضاء؛ حتى تقاعد عن العمل سنة ١٣٨٥هـ.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

تتلمذ الشيخ على عدد من علماء البلاد الحضرمية في ثنايا رحلاته المختلفة؛

---

(١) ينظر ترجمته: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي؛ لسعيد عوض باوزير (ص٢١٢-٢١٤)، والدر والياقوت في بيوتات عرب المهجر وحضرموت؛ لسالم أحمد العلوي (ص١٤-١٧).

ومنهم:

١- العلامة عمر بن سالم بن عبد الرحمن با وزير.

٢- العلامة علي بن محمد بن حسين الحبشي.

٣- العلامة عمر بن مبارك بن عوض باذباه.

ثانياً: تلاميذه:

لم تذكر المصادر التي وقفت عليها أحداً من تلاميذه.

مؤلفاته:

للشيخ عبد الله عوض بكير -رحمه الله- العديد من المؤلفات؛ فمن المطبوع منها:

١- إشارات إلى قواعد الإسلام الخمس.

٢- الجواهر المبثوثة في تعلق الدين بالحقوق والمنافع الموروثة.

٣- الحياة الإنسانية في القرآن.

٤- رفع الخمار عن مثالب المزار.

وفاته:

توفي -رحمه الله- سنة ١٣٩٩هـ.

١٦- الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-[١] :

اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلامة المحدث أبو عبد الرحمن مقْبل بن هادي بن مقْبل بن قائدة، الهمداني الوادعي، من قبيلة آل راشد -رحمه الله-.

---

(١) ينظر ترجمته: نبذة مختصرة من نصائح والدي العلامة مقبل بن هادي الوادعي وسيرته العطرة؛ لأم عبد الله بنت الشيخ مقبل (ص١٨ فما بعدها)، وتذكير النابهين بسير أسلافهم حفاظ الحديث السابقين واللاحقين؛ للشيخ ربيع المدخلي (ص٣١٩-٣٢٤).

مولده ونشأته وحياته العلمية:

ولد -رحمه الله- في قرية دمَّاج التابعة لمحافظة "صعدة" باليمن، ولم يؤرخ ميلاده على وجه التحديد، ولكن يُعتقد أنه في حدود عام ١٣٥١هـ.

نشأ الشيخ الوادعي -رحمه الله- يتيماً؛ حيث مات أبوه وهو صغير، فبقي في حضانة والدته لفترة، كما نشأ في بيئة ساد فيها الجهل، والشرك، والخرافات، والغلو في أهل البيت، وقد كانت بداية طلبه للعلم في اليمن، فكانت مقتصرة على إجادة القراءة، والكتابة، وشيء من تلاوة القرآن، وكان يدرس بصعدة المذهب الزيدي الهادوي، لكنه حُبب إليه العقيدة الصحيحة من أول أمره، ثم لما قامت الثورة في اليمن رحل إلى بلاد الحرمين؛ حيث درس هناك بمعهد الحرم المكي حتى أتم المرحلة الثانوية، ثم بالجامعة الإسلامية، فدرس بكلية أصول الدين انتظاماً، وبكلية الشريعة انتساباً، ثم واصل دراسته فيها حتى حصل على الماجستير في تخصص علم الحديث.

ثم عاد إلى قريته ومكث بها يُعلم الأولاد القرآن، ولم يكن أحد يعينه على الخير، وعلى طلب العلم والاستقامة، فما شعر إلا بتكالب الناس عليه مُنكرين، وكأنه جاء لخراب البلاد والدِّين، فحاربوه وآذوه وأثاروا عشيرته والعوام أيما إثارة عليه، وهمُّوا بقتله.

أسس دار الحديث بدماج، وأقبل عليه طلاب العلم من داخل اليمن وخارجه، فانتفع الناس به غاية الانتفاع؛ وذلك لأنه يدعو إلى التمسك بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح، وترك البدع والشركيات.

شيوخه وتلاميذه:

أولاً: شيوخه:

تتلمذ الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- على مشايخ عدة، ومن أبرزهم:

١- الشيخ حماد بن محمد الأنصاري.

٢- العلامة الفقيه عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٣- الشيخ عبد المحسن العباد البدر.

٤- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

٥- الشيخ محمد تقي الدِّين الهلالي.

٦- العلامة المحدث محمد ناصر الدِّين الألباني.

ثانياً: تلاميذه:

تلاميذ الشيخ الوادعي -رحمه الله- يُعدون بالآلاف؛ ذلك لأنه كان متفرغاً للتدريس بدار الحديث التي أسسها بدماج؛ ومن أبرزهم:

١- الشيخ عبد الرحمن بن مرعي العدني.

٢- الشيخ عبد العزيز بن يحي البرعي.

٣- الشيخ عبد الله بن محمد الذماري.

٤- الشيخ محمد بن عبد الله الإمام.

٥- الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي.

٦- الشيخ يحي بن علي الحجوري.

مؤلفاته:

للشيخ مقبل -رحمه الله- العديد من المؤلفات المطبوعة؛ ومنها:

١- إجابة السائل على أهم المسائل.

٢- الإلحاد الخميني في أرض الحرمين.

٣- إيضاح المقال في أسباب الزلزال والرد على الملاحدة الضلال.

٤- الباعث على إنكار الحوادث.

٥- تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب.

٦- الجامع الصحيح في القدر.

٧- الجمع بين الصلاتين في السفر.

٨- ذم المسالة .

٩- ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر.

١٠- الشفاعة.

١١- الصحيح المسند من أسباب النزول.

١٢- صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال.

منزلته وثناء العلماء عليه:

قال العلامة محمد ناصر الدِّين الألباني -رحمه الله-: ((أنصحكم جميعاً بطلب العلم الشرعي؛ فقالوا له: أين يا شيخ؟

فقال: هناك في اليمن، لأخينا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي يُدرس فيه بنفسه، فأنصحكم بالذهاب إليه، ولا تُسوفوا؛ فإن التسويف من الشيطان))[(١)].

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-: ((قولوا له [أي: الشيخ مقبل] أنا أعتبره مجدداً))[(٢)].

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله-: ((فقد اطلعت على محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ: مقبل بن هادي الوادعي، ألقاها في آخر حياته -رحمه الله- فيها بيان للحق، ورد الباطل، واعتراف بالجميل للدولة السعودية فيما تقوم به من خدمة للإسلام والمسلمين، وهي شهادة حق من عالم جليل فجزاه الله خير الجزاء على ما قام به في اليمن وغيره في الدعوة إلى الله ونشر العلم النافع وتصحيح العقيدة والحث بالسنة، نفع الله بجهوده، وكتب له عظيم الأجر والثواب))[(٣)].

وفاته:

---

(١) الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدماج؛ لمعمر بن عبد الجليل القدسي (ص٨٠).

(٢) نبذة مختصرة من نصائح والدي العلامة مقبل بن هادي الوادعي وسيرته العطرة (ص٤٦).

(٣) الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ودار الحديث بدماج (ص٨١).

كانت وفاته -رحمه الله- في الثلاثين من ربيع الآخر سنة ١٤٢٢هـ في مدينة "جدة".

١٧- الشيخ محمد بن أحمد باشميل[1].

اسمه ومولده ونشأته:

هو الشيخ الكاتب المؤرخ محمد بن أحمد باشميل، ولد سنة ١٣٣٦هـ؛ في وادي دوعن بحضرموت، حيث نشأ بها يتيماً في حجر والدته، وقد شبَّ -رحمه الله- على طلب العلم؛ حيث قرأ القرآن الكريم وحفظ معظم أجزائه، كما حفظ جملة من متون العلم في الفقه والحديث، كما اهتم باللغة العربية، وكان كثير الإطلاع على كتب التاريخ.

هاجر -رحمه الله- من حضرموت إلى دولة "اريتريا"، وظل فيها فترة من الزمن، ثم عاد إلى "حضرموت"، ومنها هاجر إلى بلاد الحرمين، وظل متنقلاً بين "جدة"، و"مكة المكرمة"؛ مقر عمله في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث كان مثالاً للجد والنشاط والحسبة.

مؤلفاته:

للشيخ محمد أحمد باشميل -رحمه الله- جملة من المؤلفات المطبوعة؛ ومنها:

١- الإسلام ونظرية داروين.

٢- صراع مع الباطل.

٣- صلح الحديبية.

٤- العرب في الشام قبل الإسلام.

٥- كيف نحارب الإلحاد؟

٦- كيف نفهم التوحيد؟

---

(١) ينظر ترجمته: مقال من مجلة الداعي؛ مجلة عربية إسلامية شهرية تصدر عن الجامعة الإسلامية، دار العلوم، ديوبند/يوبي، الهند.

وفاته:

تعرض الشيخ محمد أحمد با شميل -رحمه الله- لحادث سير سنة ١٤١٠هـ؛ توقف بعده نشاطه العلمي؛ حتى توفي سنة ١٤٢٦هـ بمدينة "جدة".

البـــــــــــاب الأول

تقرير توحيد العبادة عند علماء اليمن، وبيان العلاقة بينه وبين أنواع التوحيد والرد على المخالفين في ذلك .

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: بيان علماء اليمن لمعنى التوحيد والرد على المخالفين في ذلك.

الفصل الثاني: توضيح علماء اليمن لمعنى العبادة في اللغة والشرع، وبيان شروطها والرد على المخالفين في ذلك .

الفصل الثالث: بيان علماء اليمن للعلاقة بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات والرد على المخالفين في ذلك.

الفصل الرابع: بيان علماء اليمن لأنواع العبادة والرد على الشبهات التي يستدل بها المخالفون على مشروعية عبادة غير الله.

تمهيد:

توحيد الألوهية، أو توحيد العبادة، أو توحيد القصد والطلب؛ كلها أسماء لمسمى واحد، وهذا التوحيد مبني على إخلاص العبادة؛ من المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والدعاء، وجميع العبادات؛ ظاهرها، وباطنها؛ لله وحده لا شريك له، لا يُجعل فيه شيء لغيره سبحانه؛ لا لمَلَك مُقرب، ولا لنبي مُرسل، فضلاً عن غيرهما.

وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥]، وقوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، ونحوها من الآيات.

وهذا التوحيد هو أول الدِّين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرُّسل وآخرها، وهو معنى قول: "لا إله إلا الله"؛ فإن الإله: هو المألوه المعبود؛ بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خُلقت الخليقة، وأُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار[(١)].

ولأهميته؛ ألف فيه المؤلِّفون، وصنَّف فيه المصنِّفون، واعتنى به علماء السلف قديماً وحديثاً أكبر عناية، فبينوا مقاصده، وأهميته، وأقسامه، وكل ما يتعلق به من مسائل، متابعين في ذلك كتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد ﷺ.

ولقد سار على نهجهم علماء اليمن -رحمهم الله- في عنايتهم بتوحيد الأُلوهيَّة؛ حيث اعتنوا به عناية فائقة، وأَطالوا النَّفَس في الحديث عنه، وأَصَّلوه بتأصيل الكتاب والسنة؛ فبيَّنوا معناه، وأهميته، وأقسامه، وكل ما يتعلق به من مسائل، كما بيَّنوا ما يناقضه من الشِّركيَّات، وخاصَّة شِركيَّات القبوريين، وأَلَّفوا في ذلك مؤلَّفات مستقلَّة، والسبب في توسُّعهم في هذا النوع من التوحيد، هو

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد؛ لسليمان بن عبد الله (ص١٩-٢٠).

ماله من أَهميَّة بالغة، ومنزلة عظيمة؛ كما سيأتي بيان ذلك من خلال الفصول التالية:

الفصل الأول: بيان علماء اليمن لمعنى التوحيد والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: معنى التوحيد في اللغة والشرع .

المبحث الثاني: بيان أهمية التوحيد .

المبحث الثالث: معنى لا إله إلا الله.

المبحث الرابع: شروط لا إله إلا الله.

المبحث الأول: معنى التوحيد في اللغة والشرع.

المطلب الأول: معنى التوحيد في اللغة.

التوحيد: مصدر وحَّد يُوحِّد توحيداً، فهو مصدر من المثال[1] الواوي، وأصل مادته: وَحُدَ، وتدور هذه المادة على الانفراد، والتَّفرد، وانقطاع المثل والنَّظير[2].

ففي الصحاح[3]: ((فلانٌ واحِدُ دهْرِهِ؛ أي: لا نظير له، وفلان لا واحِدَ له ... وفلانٌ أوْحَدُ أهلِ زمَانه)).

وقال ابن فارس[4]-رحمه الله-:((" وَحُد" الواو، والحاء، والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوَحْدَة، وهو واحِدُ قبيلته؛ إذا لم يكن فيهم مِثلُه))[5].

وقال الجرجاني[6]-رحمه الله-: ((التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد،

---

(١) المثال: هو ما اعتل فاؤه، كوعد ويسر. ينظر: التعريفات؛ للجرجاني (ص٢٠١).

(٢) ينظر: العين؛ للخليل الفراهيدي (٣/٢٨٠)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٥/١٢٤-١٢٨)، ولسان العرب؛ لابن منظور (٣/٤٤٦-٤٤٧)، والقاموس المحيط؛ للفيروز آبادي (ص٣٢٤)، والمعجم الوسيط (٢/١٠١٦).

(٣) الصحاح؛ للجوهري (٢/٥٤٨).

(٤) هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، الإمام اللغوي، له مصنفات؛ منها: معجم مقاييس اللغة، وكتاب المجمل، توفي سنة ٣٩٥هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي (١٢/٥٣٨-٥٤٩)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ للسيوطي (١/٣٥٢-٣٥٣).

(٥) معجم مقاييس اللغة؛ لابن فارس(٦/٩٠).

(٦) هو: علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، عالم بلاد الشرق، له مصنفات؛ منها: التعريفات، وحاشية المطول، توفي سنة ٨١٦ هـ. ينظر ترجمته: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (٢/١٩٧-١٩٨)، والبدر الطالع (١/٤٨٨-٤٩٠).

والعلم بأنه واحد))[1].

والتوحيد يطلق على ثلاثة معان[2]:

الأول: جعل الشيء واحداً، كما يقال: وحَّدَ فلانٌ صفوف المجاهدين تَوْحيداً؛ أي: جعلهم صفاً واحداً.

الثاني: العلم والاعتقاد والحكم بأن هذا الشيء واحِد.

الثالث: نسبة الشيء إلى الانفراد، ونفي الشركاء عنه؛ كقولك: وحَّدتُ الله ﷻ؛ أي: نَسبْتُ إليه الوحدانية والانفراد؛ في جميع ما يستحق فيه الانفراد .

وقال السفاريني[3]-رحمه الله-: ((التوحيد تفعيل للنِّسبة؛ كالتَّصديق، والتَّكذيب، لا للجعل، فمعنى وحَّدتُ الله: نسبتُ إليه الوحدانية، لا جَعلتُه واحداً، فإنَّ وحدانية الله تعالى ذاتية له؛ ليست بجعل جاعل))[4].

وقد أشار العلامة المعلمي -رحمه الله- إلى معنى التوحيد في اللغة، وذلك من خلال بيانه لمعنى اسم الله تعالى "الواحد"؛ حيث قال: ((وأما اسم الله تعالى "الواحد"، فلفظ "واحد" يراد به في اللغة: ما يقابل المتعدد، ومن تتبع مواقعه في القرآن، وغيره من الكلام العربي الفصيح، وجده يأتي وصفاً لموصوف، ويكون هناك شيء محكوم عليه بالموصوف مع وصفه، فعدم التعدد يكون للمحكوم

---

(١) التعريفات (ص٩٦).

(٢) ينظر: لسان العرب (٣/٤٤٦-٤٥٣)، وتاج العروس من جواهر القاموس؛ للزبيدي (٩/٢٦٦-٢٦٩).

(٣) هو: أبو العون محمد بن أحمد بن سليمان السفاريني، النابلسي الحنبلي، الشيخ الإمام، شمس الدين، له مصنفات؛ منها: الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، وشرحها لوامع الأنوار البهية وسواطع الأثرية، توفي سنة ١١٨٨هـ. ينظر ترجمته: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر؛ للمرادي (٤/٣١-٣٢).

(٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأثرية؛ للسفاريني (١/٥٧-٥٨).

عليه باعتبار الموصوف.

قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[البقرة:٢١٣]، حكم على الناس فيما كانوا عليه بقوله: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، فعدم التعدد ثابت للناس باعتبار ﴿أُمَّةً ﴾؛ أي: لم يكونوا أُمَّتين، أو أكثر، وقد يُصرَّح في الكلام بالمحكوم عليه وبالموصوف كما رأيت، وقد يُطْوَى ذِكرُ أحدهما فيُعرَف بالتَّدبر، و لا أُطيل بأمثلة ذلك.

وعلى كل حال، فإنه يأتي على أحد معنيين:

المعنى الأول: نفي التعدد في المحكوم عليه نفسه؛ كالمثال السابق: نفي أن يكون الناس كانوا أُمَّتين، أو أكثر.

المعنى الثاني: نفي أن يكون مع المحكوم عليه مثله، أو مثلاه، أو أمثاله باعتبار الموصوف، فيكون المجموع متعدداً؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[البقرة: ١٦٣]؛ أي: ليس معه آله آخر، أو أكثر؛ فيكون المجموع متعدداً، ومن هذا الثاني قولهم: فلانٌ واحِدٌ في فَنِّه، أو واحِدُ زمانه؛ أي: لا نظير له في ذلك... .

فالكلام جارٍ على المعنى الثاني، و هو نفي التعدد الحاصل بوجود مثله معه في الربوبية، وما يقتضي استحقاق العبادة، و سياق الآيات واضح جداً في ذلك ...))[1]؛ **ثم أطال -رحمه الله- في ذكر أقوال أهل اللغة في تقرير ذلك؛ كما تقدم بيانها**.

وخلاصة الأمر: أن التوحيد في اللغة: الجزم بالشيء أنه واحد؛ تقول العرب: واحِدٌ وأَحَدٌ ووحيدٌ؛ أي: مُنفرِد، فالله تعالى واحد؛ أي: مُنفرِد عن الأنداد في جميع الأحوال.

(١) القائد إلى تصحيح العقائد؛ للمعلمي (ص١٢٤-١٣٧).

المطلب الثاني: معنى التوحيد في الشرع.

لا يخفى أن معرفة معنى التوحيد الذي يتضمنه قول: "لا إله إلا الله" أمر له أهميته البالغة؛ ذلك لأنَّه أعلى أصول الإيمان وأفضلها، حيث أمر الله ﷻ به جميع خلقه، وأرسل به رُسله، وشرعه، وارتضاه للخلق، ونهى عن ضده وحذر منه[1].

كما أن الخلط الكبير الذي وقع في تعريفه وبيان معناه؛ أدى إلى ظهور أنواع من الانحرافات والشركيات التي تناقض هذا التوحيد وتضاده، أو تنقصه؛ من الأقوال، والأعمال، والاعتقادات، فكان لزاماً بيان ومعرفة معناه وفق ما جاءت به الرسل، وأُنزِلت به الكتب.

ومعنى التوحيد الذي دلَّت عليه النصوص الشرعية: هو إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادة، وإخلاص الدِّين له وحده؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[البينة:٥].

وهذا هو تحقيق معنى: "لا إله إلا الله"، المتركبة من النفي والإثبات؛ نفي عبادة ما سوى الله، وإثبات العبادة لله تعالى وحده، وهو الذي دعت إليه جميع الرسل[2]؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥].

وهذا المعنى المراد من لفظة التوحيد؛ هو ما يجب على كل عبد أن يؤمن به، ويعتقده، ويعمل به، فهو الذي أمر الله ﷻ به، وخلق الخلق لأجله، وأمرهم باعتقاده، والعمل به.

لأجل ذلك أهتم علماء اليمن –رحمهم الله– بهذا التوحيد؛ فعرَّفوه،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٦٤)، ومنهاج السنة النبوية؛ لابن تيمية (٥/٣٤٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٩٧)، (٤/١٥٠-١٥١)، (١١/٥٠)، (١٣/٢٠٠)، ومدارج السالكين؛ لابن القيم (٣/٤٥٢)، وتيسير العزيز الحميد (ص٣٢، ٩٧)، وفتح المجيد؛ لعبد الرحمن بن حسن (ص١٧،١١)، والقول السديد شرح كتاب التوحيد؛ للسعدي (ص ١٩).

وبيَّنوا معناه الشرعي؛ كما نُقِل عن السلف، ولم يُخالِفوا في ذلك.

فأما العلامة محمد بن الأمير الصنعاني –رحمه الله– فقد أطلق على توحيد الألوهية مصطلح "توحيد العبادة"[(١)]، **وأن معناه هو**: ((إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات ...))[(٢)].

وقال في موضع آخر مقرراً ومبيناً ذلك: ((إفراد الله بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستعانة بالله وحده، والجأ إلى الله، والنذر، والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات؛ من الخضوع، والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع، والسجود، والطواف، والتجرد عن الثياب، والحلق والتقصير؛ كله لا يكون إلا لله ﷻ))[(٣)].

وقال –أيضاً–: ((اعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– من أولهم إلى آخرهم؛ يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم، ونحوه، إذ هُمْ مُقِرُّون بذلك ... .

ولذا قالوا: ﴿ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف:٧٠]؛ أي: لنفرده بالعبادة، ويَختَصُ بها من دون الأوثان، فلم يُنكِروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله، فلم يُنكروا الله تعالى، ولا قالوا: إنه لا يُعبد، بل أقروا بأنه يُعبد، وأنكروا كونه يُفرد بالعبادة، فعبدوا مع الله غيره، وأشركوا معه سواه، واتخذوا له أنداداً ... .

فأرسل الله الرسل تأمرهم بترك عبادة كل ما سواه، وتُبيِّن أن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل، وأن التقرب إليهم باطل، وأن ذلك لا يكون إلا لله

---

(١) ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد؛ للصنعاني (ص٥٠).

(٢) المصدر السابق والموضع نفسه.

(٣) المصدر السابق (ص٥٧).

وحده، وهذا هو توحيد العبادة))[1].

كما ذكر –رحمه الله– أنَّ توحيد الألوهية: هو ((الذي تضمَّنه قول: "لا إله إلا الله"، فإنما دعَت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان، ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يُعبد من دونه، والبراءة منه، وهذا الأصل لا مرية فيما تضمَّنه، ولا شكَّ فيه، وفي أنَّه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه))[2].

كما بيَّن –رحمه الله– أن هذا النوع من التوحيد قد فرضه الله على عباده، وهو مبني على إخلاص العبادة لله وحده، بحيث لا يكون منها شيء لغيره سبحانه، فمن صرف منها شيئاً لغير الله تعالى؛ فقد وقع في الشرك؛ حيث قال: ((إن الله تعالى فرض على عباده إفراده بالعبادة: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[هود:٢]، وإخلاصها له: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة:٥]، ومن نادى الله تعالى ليلاً، ونهاراً ، وسراً، وجهاراً ، وخوفاً، وطمعاً، ثم نادى معه غيره؛ فقد أشرك في العبادة))[3].

وقال–أيضاً–: ((من فعل شيئاً من ذلك لمخلوق؛ حي، أو ميت، أو جماد، أو غيره؛ فقد أشرك في العبادة، وصار من تُفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه؛ سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجراً، أو قبراً، أو جنيًّاً، أو حيًّاً، أو ميِّتاً، وصار العابد بهذه العبادة، أو بأي نوع منها؛ عابداً لذلك المخلوق، مشركاً بالله، وإن أقر بالله وعبده، فإنَّ إقرار المشركين بالله، وتقربهم إليه؛ لم يُخرِجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم غنيمة، فالله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، لا يقبل عملاً شورك فيه غيره، ولا يؤمن به من عبد معه

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٤-٥٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٤٩).

(٣) المصدر السابق (ص ٦٦).

غيره))[1].

وأما العلامة الحسين بن مهدي النعمي -رحمه الله- فقد قرر: ((أن التوحيد الذي أتت به الرسل، وأُنزِلت به الكتب، وقامت عليه الأديان: هو أن يُعبَد الله وحده لا يُشرَك به شيء))[2]، وهذا هو معنى التوحيد الشرعي.

كما قرر -رحمه الله- أن هذا التوحيد هو حقُّ الله على عباده؛ حيث قال: ((حقُّ الله على العباد: هو أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً))[3].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر مبيِّناً حقيقة أهل التوحيد: ((أهل التوحيد إنما يدعُون الله وحده، لا يُشركون به شيئاً...، ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[الأعراف:٢٩]، ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[غافر:٦٥]، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة:٥]، ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[الزمر:٢-٣]؛ فهذا ما أمر الله به سبحانه وتعالى، وأرسل به رسله، ودعا إليه عباده ...))[4].

كما بيَّن -رحمه الله- أنَّ الجهل بحقيقة التوحيد الذي بُعِثَت به الرسل من الأسباب التي أوقعت عُبَّاد القبور في الافتتان بالقبور؛ حيث قال : ((فإن قيل: فما الذي أوقع عُبَّاد القبور في الافتتان بالقبور، مع العلم بأن أهلها أموات لا يملكون لهم ولا لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً ؟.

قيل: الموقع أمور كثيرة؛ منها: الجهل بحقيقة ما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ، بل جميع رسله -صلوات الله عليهم-: من تحقيق التوحيد، وقطع أسباب الشرك،

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٧-٥٨) .

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب؛ للنعمي (ص ١٨٧) .

(٣) المصدر السابق (ص٢٠٥-٢٠٦)، ولعله يشير إلى حديث معاذ -رضي الله عنه- كما سيأتي بيانه (ص١١٩).

(٤) المصدر السابق (ص٢٤١-٢٤٢).

وحرمانهم من العلم الصحيح؛ من كتاب الله، وسنة رسوله الذي يُبطل دعوة الشيطان إلى الفتنة))[1].

كذلك قرر العلامة الحسن بن خالد الحازمي-رحمه الله- أن توحيد الألوهية هو توحيد العبادة[2]**، وأن معناه هو:** ((إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات؛ من غاية الخضوع، والتذلل، والدعاء، والتقرب بالذبائح، والسجود ...))[3].

وقال في موضع آخر: ((توحيد الله بالعبودية: أن يقصده العبيد وحده بأفعالهم من العبادات التي أمرهم الله بها؛ كالصلاة، والدعاء، والذبح، ونحوها))[4].

كما بيَّن -رحمه الله- أنَّ : ((جميع أنواع العبادة حق لله لا ينبغي لغيره منه شيء، ولا يصلُح إلا له، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وقول الرسل للأمم : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف:٥٩]، مع قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣]، لا تعبدون إلا الله؛ معناه: اقصدوه بأنواع العبادة؛ وذلك كالخضوع، والدعاء، والذبح، والسجود، والتوكل، والصلاة، وغيرها من أنواع العبادة مما أمر بها تعالى، فإنَّ العبادة الشرعية منشأها من الأمر، لا من هوى النفوس، فتلك عبادة الشيطان، وكل بدعة ضلالة، ومعنى اجتنبوا الطَّاغوت؛ أي: ما يدعوا إليه الشيطان من عبادة كل ما يُعبد من دون الله؛ من الأوثان، والأنداد، فإنَّ الطَّاغوت: الشيطان؛ كما فسَّره عمر بذلك[5]، وهو شامل لكل شر عليه أهل الجاهلية، وهذا

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (ص١٢٦).

(٢) ينظر: قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب؛ للحازمي (ص٤٠).

(٣) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٤) المصدر السابق (ص٤٣).

(٥) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٦).

معنى الحصر في الآية الأخرى، فأمر بعبادته وحده، ونهى عن عبادة غيره))[1].

وقال العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي –رحمه الله– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢]: ((معناه: المقصود إليه في الحوائج، وهذا معنى توحيد الألوهية؛ إذ هو المقصود بالعبادة، وإخلاصها له))[2].

وعند شرحه لحديث: «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت»[3]؛ قال –رحمه الله–: ((قال بعض أهل العلم: في هذا الدعاء الدلالة على توحيد الرب، ونفي الشريك، حيث علَّم النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– الداعي أن يطلب الهداية من الله؛ لأن ذلك لا يكون من غيره، وأعلم أنه قد هدى غيره كثيراً، فقال: «فيمن هديت»، ثم بعد الهداية طلب البركة فيما أعطاه، وهو عام للعطاء الحسي، والمعنوي، فيشمل البركة في الأعمال، والأفعال، والأقوال؛ لأن كلها من عطاء الله، وطلب بعد ذلك أن يكون وليه الله، لا سواه، وهذا محض توحيد الألوهية، فلا يتخذ العبد ولياً دون الله، فيكون التجاؤه، ورجاؤه، وخوفه، واستجلابه الخير، واستدفاعه الشر، وحال قلبه

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص ٤٨-٤٩).

(٢) تيسير اليسرى شرح المجتبى من السنن الكبرى؛ للبهكلي، تحقيق: عبد الحميد العزابي (ص٣٢٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٥/٣) ح (١٧١٨)، وابن ماجه؛ كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في القنوت في الوتر (٣٧٢/١) ح (١١٧٨)، وأبو داود؛ كتاب: الصلاة، باب: القنوت في الوتر (٦٣/٢) ح (١٤٢٥)، والترمذي؛ كتاب: الوتر، باب: ما جاء في القنوت في الوتر (٥٨٧/١) ح (٤٦٤)، وقال: حديث حسن، والنسائي في الصغرى؛ كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: الدعاء في الوتر (٢٤٨/٣) ح (١٧٤٥)؛ من حديث الحسن ﷺ. وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح؛ للتبريزي (٣٩٨/١).

في كل حال إنما هو إلى وليه، ثم طلب الوقاية من شر المقضي))[1].

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[البينة:٥]: ((أي: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام))[2]، **وهذا هو التوحيد المبني على إخلاص العبادة لله وحده دون غيره.**

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل:٣٦]: ((أي: اتركوا كل معبود دون الله؛ كالشيطان، والكاهن، والصَّنم، وكل من دعا إلى الضلال...، وفي هذه الآية التصريح بأن الله أمر جميع عباده بعبادته، واجتناب الشيطان، وكل ما يدعو إلى الضلال))[3]؛ **وهذا الذي ذكره الشوكاني في معنى الآية هو معنى التوحيد الشرعي.**

كما بيَّن -رحمه الله-: أنَّ ((إخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء، والاستغاثة، والرجاء، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر، له ومنه، لا لغيره ولا من غيره، ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾[الجن:١٨]، ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ ﴾[الرعد:١٤]، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[آل عمران:١٢]،﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[المائدة:٢٣]))[4]؛ وهذا هو معنى التوحيد الشرعي.

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله-: ((ومعناه: إفراد الله وحده بجميع العبادات على أنواعها؛ من غاية التذلل، والخضوع، والركوع، والسجود، والتوكل، والإنابة، والخشية، والتوبة، والنذر، والحلف، والتسبيح والتكبير والتهليل والاستغفار، وحلق الرأس خضوعاً وتعبداً، والطواف بالبيت، والدعاء، والذبح، كل ذلك حق لله

---

(١) تيسير اليسرى، تحقيق: معاذ خوجه (ص٥١٢).

(٢) فتح القدير؛ للشوكاني (٥/٥٨١).

(٣) المصدر السابق (٣/١٩٤).

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد؛ للشوكاني (ص٦٧).

وحده، لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلاً عن سائر العباد))[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[التوبة:٣١]: ((أي: والحال أن أولئك الكفرة ما أُمروا في كتابهم ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ عظيم الشأن؛ هو الله سبحانه، وتطيعوا أمره، ولا تطيعوا أمر غيره بخلافه، فإن ذلك مخل بعبادته تعالى، فإن جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة، لا إله إلا هو صفة لإلهاً، أو استئناف مقرر للتوحيد، ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾؛ تنزيه له عن الإشراك به في العبادة والطاعة واستعباداً له))[2].

فهذا بيان منهم أن التوحيد هو إفراد الله ﷻ بالعبادة دون غيره.

وأما العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي -رحمه الله- فقد قرر أن معنى التوحيد الشرعي هو معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" بجميع شروطها؛ حيث قال بعد سياقه لشروط "لا إله إلا الله" ، وذِكْرِ الأدلة عليها[3]: ((قلتُ الأدلة التي قدَّمناها صريحة في أن المطلوب الاعتراف، والتصديق، والتسليم، والرضا، والالتزام، والعمل بالموجب على وجه التحقيق في كل واحد منها، وذلك لا يكون إلا مع العلم بالمعنى...، فأمَّا حصول هذه الأشياء بمجرد خبر المعصوم مع جهل المعنى فلا يكون على وجه التحقيق كما هو ظاهر، وقد يجمَع الجاهل بالمعنى مع الاعتراف بلا إله إلا الله على الوجه المذكور الاعتراف بما يناقض معناها؛ أعني: الشرك، وإنكار حقيقة معناها؛ أعني: التوحيد، وهكذا يُقال في التصديق وغيره، وحينئذٍ فلم يحصل له شيء من المقصود، وهو توحيد الله ﷻ، وتنزيهه، والخضوع له وتعظيمه))[4].

---

(١) فتح المنان بتفسير القرآن؛ للعاكش، تحقيق: السحيباني (١/٣٢٠).

(٢) المصدر السابق (٢/٦٤٨-٦٤٩).

(٣) سيأتي بيان ذلك (ص١٦٠).

(٤) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله؛ للمعلمي (١/٢٣-٢٤).

كما بيَّن –رحمه الله– أن الله وحده هو المستحق للعبادة دون غيره، ويتضح ذلك من خلال سياقه لبيان دلالة سورة الفاتحة، وآية الكرسي على توحيد العبادة، فأما دلالة الفاتحة على توحيد العبادة؛ فقد قال في بيان ذلك: ((وبيان كون الفاتحة مبنية على توحيد العبادة؛ أن صدر السورة تمهيدًا لقوله تعالى فيها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]؛ فقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:١]؛ معناه...: لا نبتدي بشيء مستعينين به أو متبركين إلا باسم الله الرحمن الرحيم، وتضمن هذا للتوحيد ظاهر، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[الفاتحة:٢]؛ معناه...: كل حمد فهو مستحق لله وحده؛ أي: ليس معه تعالى أحد يستحق شيئاً من الحمد...، وإذا كان لا يستحق شيئاً من الحمد إلا الله ﷻ؛ فقد بان من ذلك أنه لا يستحق غيره تعالى شيئاً من العبادة))[1].

–إلى أن قال–: ((... فمن تدبر الآيات المتقدمة من الفاتحة واستحضر ما تضمنته من دلائل التوحيد؛ لم يبق عنده ريب في أن الله ﷻ هو وحده المستحق للعبادة، فإذا كان مع ذلك مستحضراً أنه قائم بين يدي رب العالمين؛ يُثني عليه، ويتضرع إليه؛ لم يتمالك نفسه أن يقول بلسانه وقلبه وعقله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، ومعنى ذلك...: نخصك اللهم بعبادتنا، ونخصك باستعانتنا؛ أي: لا نعبد غيرك، ولا نستعين أحداً سواك...))[2].

وأطال –أيضاً– في بيان دلالة آية الكرسي على توحيد العبادة[3]؛ وقرر أن الصفات الواردة في الآية ((يعترف بها المشركون لله ﷻ، ويعترفون باختصاصه بها؛ فثبت بها أنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له...))[4].

وأما العلامة أحمد بن محمد العبادي –رحمه الله– فقد بيَّن أن معنى التوحيد: هو أن يعتقد العبد اعتقاداً جازماً لا شك فيه بأنه لا معبود بحق إلا

---

(١) المصدر السابق (٣٩/١).

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٣٩/١-٤١).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٤٩/١-٥٤).

(٤) المصدر السابق (٥١/١).

الله، وأن كل معبود سواه فهو معبود باطل، وزائل، حيث قال في بيان معناه[1]:

هو اعتقاد العبد أن لا يوجدا   بالجـزم معبـود بحق أبـدا
غـير الإلـه[2] الواجـب   الخالق الباري عظيم الجود
فكـل معبـود سـواه باطـل   وكـل موجـود سـواه

ووجه استحقاقه سبحانه وتعالى للعبادة دون سواه -كما أشار إلى ذلك العبادي- هو كونه ﷻ مُوجِد الأشياء من العدم، القائم بنفسه المقيم لغيره، الخالق الباري، الذي عمَّ جميع الخلق بإحسانه وكرمه وجوده العظيم، كما أن غيره من

---

(١) هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (ص ٨).

(٢) سيأتي الكلام عن معنى الإله في المبحث التالي.

(٣) هذا المصطلح من وضع أهل المنطق؛ والمراد به: ((هو الذي يكون وجوده من ذاته، ولا يحتاج إلى شيء أصلاً)). التعريفات (ص٢٤٩)، ويقابله: ممكن الوجود، والمراد به: ((ما يقتضي لذاته أن لا يقتضي شيئاً من الوجود والعدم؛ كالعلم)). المصدر السابق (ص٢٣٠).

ومن أطلقه من أهل العلم على الله ﷻ؛ فهو من باب الخبر، لا من باب التسمية؛ فإن أسماء الله توقيفية، أو يذكرونه في مقابل إطلاق المتكلمين له. ينظر مثلاً: الاعتقاد؛ للبيهقي (ص٨٢)، وبيان تلبيس الجهمية؛ لابن تيمية (٢٩٩/١، ٣٠١، ٣٩٨، ٤٥٠)، وشرح العقيدة الطحاوية؛ لابن أبي العز (ص٦٦، ٧٧، ٨٩).

(٤) أي: غائب، وذاهب، وزائل. ينظر: المفردات في غريب القرآن؛ للراغب الأصفهاني (٨٠/١)، ولسان العرب (١٨/١١)، وجامع البيان في تأويل القرآن؛ للطبري (٤٨٥/١١)، وتفسير القرآن العظيم؛ لابن كثير(٢٩١/٣)، وقد استدل إبراهيم -عليه السلام- في مناظرته لقومه عبدةِ الكواكب بأنَّ الأفول والغيوب والزوال يدل على عدم صحة معبوداتهم من دون الله تعالى، وأن عبادتها باطلة، وأن الذي يستحق أن يعبد وحده هو الله ﷻ الحي القيوم، الذي لا يموت، ولا تأخذه سِنة ولا نوم؛ فإنَّ المعبود لابد أن يكون قائماً بمصالح من عبده، ومدبراً له في جميع شؤونه، وأما من يغيب ويزول؛ فمن أين يستحق العبادة ؟! بل إن عبادته من أسفه السفه وأبطل الباطل. ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ للسعدي (ص٢٦٢).

المعبودات الباطلة ممكنة الوجود، مفتقرة إلى غيرها، كما أن مآلها إلى الاضمحلال والزوال.

ومعلوم أنه لا يكفي النطق بكلمة التوحيد دون اعتقاد القلب لمعناها(١)، أو دون القيام بمدلولها ومقتضاها؛ إذ أنه يلزم من اعتقاد القلب قيام العبد بما فرضه عليه من العبادات التي أثبتها الموحِّد لله ﷻ وحده، ونفاها عن كل أحد سواه(٢).

كما بيَّن -رحمه الله- خطر الجهل بالتوحيد وأنه يُورِثُ عمى القلب؛ فقال(٣):

والجهل بالتوحيد مِنْ أضرِّ ... يورثُ قلب المرء في الدِّين

فالجهل بالتوحيد داء عظيم يسبب فساد العلم والاعتقاد، ويمنع من معرفة الحق واتباعه، ويكون سبباً في الوقوع في المعصية والكفر.

وكثير ممن ضل في التوحيد، إنما أوتي من جهله بهذا الأمر العظيم الذي خُلق الخلق لأجله.

وخلاصة القول: فإن توحيد الألوهية: هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة وإخلاص الدِّين له وحده.

ومعنى ذلك: أن يتوجه العبد بأعماله التعبدية كلها، باطنها وظاهرها لله تعالى وحده؛ بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه.

وهذا التوحيد هو أول الدِّين وآخره، وباطنه وظاهره، وأول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول: "لا إله إلا الله".

---

(١) سيأتي بيان ذلك (ص١٥٣).

(٢) ينظر: تجريد التوحيد المفيد؛ للمقريزي (ص٣٨).

(٣) هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (ص ٨) .

المبحث الثاني: بيان أهمية التوحيد.

إنَّ أَعظم الأُصول على الإطلاق، وأَكملها، وأَفضلها: هو توحيد الأُلوهيَّة؛ فهو الغاية التي من أَجلها خلق الله الخلق؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦]، وهو أَول الدِّين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو حقيقة دين الإسلام، الذي لا يقبل الله ﷻ من أَحد سواه؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران:٥٦].

وهو الذي من أَجله أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وشُرع الجهاد، واتفق عليه المسلمون من كل مِلَّة[(١)]؛ قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وقال رسول الله ﷺ: «أُمرت أَنْ أُقاتل الناس، حتى يشهدوا أَنْ لا إِله إِلاَّ الله، وأَنَّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإِذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأَموالهم، إِلاَّ بحق الإِسلام، وحسابهم على الله»[(٢)].

وعلى قدر تحقُّق هذا الأَصل العظيم يكون الصَّلاح للبلاد والعباد، وبضعفه أَو ذهابه، يكون الشر والفساد؛ قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾[النور:٥٥].

---

(١) ينظر: الفتاوى الكبرى؛ لابن تيمية (٥٦٤/٦)، ومجموع الفتاوى (٣٦٤/٣)، (٤٧٠/١٢)، ومنهاج السنة النبوية (٣٤٦/٥)، ومدارج السالكين (٤٤٩/٣)، وتيسير العزيز الحميد (١٧/١، ١٢٢).

(٢) أَخرجه البخاري؛ كتاب: الإيمان، باب: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ ﴾[التوبة:٥]، (١٤/١) ح (٢٥)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: الأَمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمداً رسول الله (٥٣/١) ح (٣٦)؛ من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-.

فلا ريب إذاً أَنْ يكون هذا النوع من التوحيد جدير بالاهتمام والعناية، بل هو أَهمُّ الأُمور التي يجب الاهتمام والعناية بها.

وفيما يلي بيان جملة من أَقوال علماء اليمن في بيان أَهميَّة توحيد الأُلوهيَّة:

فأما العلامة الصنعاني–رحمه الله– فقد ذكر أَنَّ هناك أُصولاً، هي قواعد الدِّين، ومن أَهمِّ ما تجب معرفته على الموحِّدين، وعدَّ من هذه الأُصول توحيد الأُلوهيَّة؛ "توحيد العبادة"؛ فقال: ((الأَصل الثاني: أَنَّ رسل الله وأَنبياءه من أَوَّلهم إلى آخِرهم بُعِثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة.

وكلُّ رسول أَوَّل ما يقرعُ به أَسماع قومه قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف:٥٩]، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾[هود:٢]، ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[نوح:٣]))[1].

ثم بيَّن –رحمه الله– أَنَّ هذا التوحيد هو: ((الذي تضمَّنه قولُ: "لا إله إلا الله"، فإِنَّما دعت الرسل أُممها إلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرَّد قولها باللِّسان.

ومعناها: هو إِفراد الله بالإِلهيَّة والعبادة، والنَّفيُ لما يُعبد من دونه، والبراءةُ منه، وهذا الأَصل لا مِرية فيما تضمَّنه، ولا شكَّ فيه، وفي أَنَّه لا يتمُّ إيمان أَحد حتى يعلَمَه ويُحَقِقه))[2].

وقال –أَيضاً– في هذا الصَّدد: ((ومن هذا تعرف أَنَّ التوحيد الذي دعتهم إليه الرُّسل من أَوَّلهم: وهو نوحٌ –عليه السلام–، إلى آخِرهم: وهو محمد بن عبد الله ﷺ، هو توحيدُ العبادة، ولذا تقول لهم الرسل: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾[هود:٢]، ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف:٥٩].

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٤٩).

(٢) المصدر السابق، والموضع نفسه.

وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة، ويناديهم عند الشَّدائد، ومنهم من يعبد أَحجاراً، ويهتفُ بها عند الشَّدائد، وهي في الأَصل صور رجال صالحين، كانوا يحبُّونهم ويعتقدون فيهم، فلَّما هَلكوا صوَّروا صُورهم تسلِّياً بها، فلمَّا طال عليهم الأَمَد عبدوهم، ثم زاد الأَمَد طولاً فعبدوا الأَحجار، ومنهم من يعبد المسيح، ومنهم من يعبد الكواكب، ويهتف بها عند الشدائد، فبعث الله محمداً ﷺ يدعوهم إلى الله وحده؛ بأَن يُفردوه بالعبادة، كما أَفردوه بالربوبية؛ أي: بِرُبوبيَّة السموات والأرض، وأَنْ يُفردوه بكلمة "لا اله إلا الله"، مُعتقدين لمعناها، عامِلين بمُقتضاها، وأَنْ لا يدعوا مع الله أحداً))[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، قال: ((أي: قائِلين لأُمَمِهم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾؛ فأَفاد بقوله: ﴿ فِى كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ أنَّ جميع الأُمم لم تُرسل إليهم الرُّسل إلا لطلب توحيد العبادة، لا للتَّعريف بأَنَّ الله هو الخالق للعالم، وأَنَّه ربُّ السموات والأرض، فإِنَّهُم مُقِرُّون بهذا))[2].

كما قرر –رحمه الله– أَنَّ توحيد الألوهية الذي تُفيده كلمة التوحيد؛ هو رأَس العبادة وأَساسها؛ حيث قال: ((إِنَّ رأَس العبادة، وأَساسها، التوحيدُ لله، الذي تُفيده كلمتُه، التي إليها دعت جميعُ الرسل، وهو قول: "لا إله إلا الله"))[3].

كما بيَّن –أَيضاً– أَنَّه لا يتمُّ الإِيمانُ بما جاءَت به الرسل إلاَّ بإِخلاص التوحيد لله ﷻ؛ اعتقاداً، وعملاً، والبراءَة ممَّا يُناقضهُ من الشِّركِيَّات، وأَنَّ بيانَ ذلك للناس والدعوةَ إليه واجبٌ على العلماء، والأَئمة، والملوك[4].

وقرر –أيضاً– أَنَّ الأنبياء –عليهم السلام– إِنَّما بُعِثوا لدعاء العباد إِلى

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٦-٥٧).

(٢) المصدر السابق (ص٥٠).

(٣) المصدر السابق (ص٥٣).

(٤) ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (٦٦-٦٧).

إفراد الله تعالى بالعبادة وحده، لا إلى إثبات رُبوبيَّته؛ إذ هم مقرُّون بذلك؛ فقال: ((اعلم أَنَّ الله تعالى بعث الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من أَولهم إلى آخرهم، يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، لا إلى إثبات أَنَّه خلقهم، ونحوه؛ إذ هم مقرُّون بذلك ...، ولذا قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[الأعراف:٧٠]؛ أَي: لنُفرده بالعبادة، ويختصُّ بها من دون الأَوثان.

فلم يُنكروا الله تعالى، ولا أَنَّه لا يُعبد، بل أَقرَّوا بأَنَّه يُعبد، وأَنكروا كونه يُفرد بالعبادة، فعبدوا مع الله تعالى غيره، وأَشركوا معه سواه، واتخذوا له أَنداداً، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]؛ أَي: وأَنتم تعلمون أَنَّه لا ند له ...))[1].

وقرر -أَيضاً- أَنَّ الله تعالى لا يقبلُ توحيد الرُّبوبيَّة من العباد، حتى يُفرِدوه بتوحيد الأُلوهيَّة كلَّ الإِفراد؛ حيث قال: ((الحمد لله الذي لا يقبلُ توحيد ربوبيَّته من العباد، حتى يُفردوه بتوحيد العبادة كلَّ الإِفراد؛ من اتخاذ الأَنداد، فلا يتَّخذون له نداً، ولا يدعون مع الله أَحداً، ولا يتَّكلون إلاَّ عليه، ولا يَفْزعون في كلِّ حال إلاَّ إليه، ولا يدعونه بغير أَسمائه الحسنى، ولا يتوصَّلون إليه بالشُّفعاء، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥]))[2].

وأوضح -رحمه الله- في موضع آخر أَنَّ من أَقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة لزِمه أَنْ يُفرِده تعالى بتوحيد العبادة، وإِلاَّ كان إِقرارُه باطلاً، واحتجَّ على ذلك بأَنَّ المشركين لم ينفعهم الإِقرار بالله ﷻ مع إِشراكهم في العبادة؛ حيث قال: ((إِذا تقرَّر عندك أَنَّ المشركين لم ينفَعهم الإقرار بالله تعالى مع إِشراكهم في العبادة، ولا يُغني عنهم من الله شيئاً، وأَنَّ عبادتهم هي اعتقادُهُم فيهم أَنَّهم يضرُّون، وينفعون، وأَنَّهم يُقرِّبونهم إلى الله زُلْفى، وأَنَّهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنَحروا لهم النَّحائر، وطافوا بهم، ونذَروا النُّذور عليهم، وقاموا متذلِّلين متواضعين في خدمتهم، وسجدوا

---

(١) المصدر السابق (ص٥٤-٥٥).

(٢) المصدر السابق (ص٤٧).

لهم، ومع هذا كلِّه فهُم مقِرُّون لله بالرُّبوبيَّة، وأَنَّه الخالق، ولكنَّهم لما أَشركوا في عبادته، جعلهم مشركين، ولم يعتدَّ بإِقرارهم هذا؛ لأنَّه نافاه فعلُهُم، فلم ينفَعهم الإقرارُ بتوحيد الرُّبوبيَّة.

فمِن شأَن من أَقرَّ لله تعالى بتوحيد الرُّبوبيَّة أنْ يفردَه بتوحيد العبادة؛ فإِنْ لم يفعل ذلك فالإقرارُ الأَول باطل، وقد عرَفُوا ذلك وهم في طبقات النَّار؛فقالوا: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء:٩٧-٩٨]، مع أنَّهم لم يُسوُّوهُم به من كلِّ وجهٍ، ولا جعلوهم خالقين، ولا رازقين، لكنَّهم علِموا -وهُم في قعْر جهنَّم- أَنَّ خلْطهُم الإقرارَ بذرة من ذرَّات الإِشراك في توحيد العبادة؛ صيَّرهم كَمن سوَّى بين الأصنام وبين ربِّ الأنام.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]؛ أي: ما يُقرُّ أَكثرُهم في إقراره بالله، وبأَنَّه خلقه، وخلق السموات والأرض؛ إلاَّ وهو مشرك بعبادة الأَوثان))[١].

ومن علماء اليمن -أيضاً- الذين بيَّنوا أهمية توحيد الأُلوهيَّة؛ العلامة النعمي -رحمه الله-؛ حيث أوضح: ((أَنَّ التوحيد الذي أَتت به الرسل، وأُنزِلت به الكتب، وقامت عليه الأَديان: هو أَنْ يُعبد الله وحده، ولا يُشرك به شيئاً))[٢].

وأَنَّ ((من أَمعن النَّظر في آيات الكتاب، وما قصَّ من مُحاورات الرسل مع أُممهم؛ وجد أَنَّ أُسَّ الشَّأَن، ومَحط رِحال القَصد؛ شيوعاً، وكثرةً، وانتشاراً، وشهرةً: هو دُعاء الله وحده، وإِخلاص العبادة له، وأَنَّ الغافلين كانوا بنقيض هذه الصِّفة، من دون أَنْ يُضيفوا لما عبدوه شيئاً من صفات الرُّبوبيَّة، كخلقٍ، ورزقٍ، وغيرها، أَو يجعلوا لها من ذواتها، وصفاتها، مُقتضياً ومُلزِماً للعبادة، بل أَعرَبوا عن اتخاذها آلهة لتقريبهم إلى الله، وشفاعتها عنده، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٨-٥٩).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (ص١٨٧)، وينظر: المصدر نفسه (ص٢٤٢).

أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[يونس: ١٠٤-١٠٧]))[1].

وقال -أيضاً- مبيِّناً حال أَهل التوحيد؛ على وجه المقارنة بينهم وبين أَهل الشِّرك: ((وأَهل التوحيد إنَّما يدعون الله وحده، لا يُشركون به شيئاً، في كلِّ شدة وضُرٍّ، فإذا نجَّاهم؛ شكروه وحمدوه، من دون أَنْ يُداخلهم بذلك غرور يزعمون بأَنَّه كرامة، بل هم يُؤمنون أَنَّ كلَّ نعمِ ربهم عليهم امتحان وفتنة، كما قال ربهم في كتابه، وأَهل الأَوثان يُخلصون عند تلك الشَّدائد؛ فلما نجَّاهم إلى البرِّ إذا هم يُشركون ... .

﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[الأعراف:٢٩]، ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[غافر:٦٥]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ﴾[البينة:٥]، ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزمر:٢-٣]؛ فهذا ما أَمر الله به سبحانه وتعالى، وأَرسل به رسله، ودعا إليه عباده ...))[2].

كذلك قرر العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- أَنَّ توحيد الأُلوهيَّة هو الغاية العظمى، والمقصد الأَسمى، الذي من أَجله خلق الله الخلق، وأَوجدهم في هذه الأرض، كما أَنَّ هذا التوحيد هو دعوة الحق؛ الذي من أَجله أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، وهو رأس العبادة، وقوامها؛ حيث قال: ((اعلم أَنَّ الدِّين الذي خلق الله الخلق له، هو عبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إليه، ومعرفته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾[الرعد:١٤]؛ قال علي بن أبي طالب ﷺ: "دعوة الحق

(١) المصدر السابق (ص٢١٣).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٢٤١-٢٤٢).

التوحيد"[(١)]، وقال ابن عباس: "دعوة الحق لا إله إلا الله"[(٢)]، فدعوة الحق هي دعوة الإلهيَّة، وحقوقها، وإخلاصها، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾[الطلاق:١٢]، وبهذا أَرسل الرسل، وأَنزل الكتب، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[الشورى:١٧]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾[الحديد:٢٥]، القسط الذي قامت به السموات والأَرض هو العدل، وأَعظم العدل التوحيد، بل هو رأَس العبادة، وقوامها...))[(٣)].

وقرر -أيضاً- أَنَّ توحيد الأُلوهيَّة هو: ((محض حق الله على العباد، كما في حديث[(٤)] معاذ[(٥)]... وهو العاصم للدَّم، والمال، والذرية، إلا بحقِّ الإِسلام[(٦)]، وهو

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٤٥).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (٩/٣٠٠).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣٣-٣٤)، وينظر: المصدر نفسه (ص١٣٥).

(٤) يشير إلى حديث معاذ بن جبل ، قال: قال النبي ﷺ: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذبهم». أخرجه البخاري؛ كتاب: التوحيد، باب: باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أُمته إلى توحيد الله -تبارك وتعالى-، (٩/١١٤) ح (٧٣٧٣)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه؛ دخل الجنة وحرم على النار (١/٥٩) ح (٥٠).

(٥) هو: أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي المدني البدري، شهد العقبة، وبدراً، والمشاهد كلها، أعلم الناس بالحلال والحرام، توفي سنة ١٨هـ، وقيل: ١٧هـ. ينظر ترجمته: أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ لابن الأثير (٥/١٨٧)، والإصابة في تمييز الصحابة؛ لابن حجر (٦/١٠٧-١١٠).

(٦) تقدم تخريجه (ص١١٢).

أَول مفتاح دعوة الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم–، وأَول فريضة فرضها الله على العباد؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]، وقال لرسول الله ﷺ: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[الزخرف:٤٥]، وحكى الله عن رسله دعاءهم العباد إلى التوحيد؛ كما قال عنهم: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾[هود:٥٠]، ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ ﴾[فصلت:١٤]، ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[نوح:٣]))(١).

كما بيَّن –رحمه الله–: أَنَّ إفراد الله تعالى بالرُّبوبيَّة ((لا يخلص العبد بمجرده عن الشرك، الذي هو أَكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله، بل لا بد أَن يخلص لله العبادة؛ فلا يعبد إلا إيَّاه ...، وهذا النَّوع هو الذي طلبَته الرسل، وبُعثت به إلى الخلق، فإِنَّ المشركين لم يقولوا إِنَّ الأَوثان شاركت الله في خلق السموات والأَرض، ولا في خلقهم، ولا إنها ترزقهم، ولا تحييهم، فجميع أَهل الشرك مقرون بأَن الله الفاعل لجميع ذلك وحده...، ومع إِقرارهم بهذا فلم ينفعهم ذلك، بل أَباح الله دماءهم، وأَموالهم، وذريَّاتهم، على لسان رسله؛ حتى يوحِّدوه في العبادة، كما وحَّدوه في أَنَّه الرب الرازق...))(٢).

كذلك كان للعلامة الشوكاني –رحمه الله– دور بارز في بيان أَهمية التوحيد، وذلك من خلال بيان أَنَّه الغاية من خلق الخلق؛ حيث قال في تفسير قوله تعال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذَّاريات:٥٦]: ((عبادة الله: إثبات توحيده، وتصديق رسله، والعمل بما أَنزل في كتبه))(٣).

كما بيَّن –رحمه الله–: أَنَّه ((لم يبعثِ الله سبحانه رُسله، ولا أَنزل عليهم

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣٤–٣٥).

(٢) المصدر السابق (ص٤٠–٤٣).

(٣) فتح القدير (١٢٦/١).

كتبه، إلا لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة))[1].

واستدل على ذلك بآيات كثيرة؛ منها[2]: قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف:٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[النحل:٣٦].

ثم قال: ((وبالجملة: فرسل الله -صلوات الله عليهم-، وكذلك جميع كتبه المنزلة، متفقة على هذه الدعوة، وقد تكفَّل القرآن الكريم بحكاية جميع ذلك لمن تتبَّعه))[3].

وقال -أيضاً- في هذا الصَّدد: ((اعلم أنَّ الله لم يبعث رسله، ولم يُنزل كتبه، لتعريف خلقه بأَنه الخالق لهم، والرازق لهم، ونحو ذلك، فإِنَّ هذا يُقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾[الزخرف:٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[لزخرف:٩]... .

بل بعث الله رسله، وأَنزل كتبه؛ لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة، ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف:٥٩]، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾[هود:٢]، ...))[4].

كما قرر -أَيضاً- أَنَّ توحيد الأُلوهية هو معنى: شهادة "لا إله إلا الله"؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[البقرة:٢٥٥]: ((أَي: لا معبود بحق إلا هو))[5].

---

(١) العذب النمير في جواب مسائل عالم بلاد عسير؛ للشوكاني (١/١٧٣)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) ينظر: العذب النمير في جواب مسائل عالم بلاد عسير (١/١٧٤-١٧٥)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) المصدر السابق (١/١٧٥).

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٦٥-٦٧).

(٥) فتح القدير (١/٣١١).

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران:٢]، قال: ((أَي: هو المستحق للعبودية))[١].

وقال -أَيضاً- عند شرحه لقوله ﷺ في دعاء استفتاحه: «لا إله إلا أَنت»[٢]: ((أَي: ليس لنا معبود نتذللُ إليه، ونتضرع إليه، في غُفران ذنوبنا إلا أَنت))[٣].

كما بيَّن -رحمه الله- أَنَّ إخلاص التوحيد لله ﷻ، وتجريده عن الشرك، هو الأَمر الذي بعث الله ﷻ لأَجله رسله، وأَنزل فيه كتبه، وأَنَّ من شك في هذا فعليه بالتفكر في القرآن الكريم؛ فإِنَّه سيجده من أَعظم مقاصده، ومن أَكبر موارده[٤].

ثم أَشار -رحمه الله- إلى سورة الفاتحة، وذكر فيها ثلاثين موضعاً من معاني هذا التوحيد، مبيناً في كل موضع ما يستفاد منه من إِخلاص التوحيد لله ﷻ؛ حيث قال: ((هذه فاتحة الكتاب العزيز التي يكررها كل مُصلٍّ في كل صلاة، ويفتتح بها التالي لكتاب الله، والمتعلم له، فإِنَّ فيها الإرشاد إِلى إِخلاص التوحيد في ثلاثين موضعاً...))[٥].

---

(١) فتح القدير (١/٣٥٨).

(٢) جزء من حديث طويل، عن علي بن أبي طالب ﷺ عن رسول الله ﷺ أَنَّه كان إذا قام إِلى الصلاة؛ قال: «وجَّهت وجهي للذي فطر السماوات والأَرض حنيفاً، وما أَنا من المشركين، إِنَّ صلاتي، ونُسكي، ومحياي، ومماتي؛ لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أُمرت وأَنا من المسلمين، اللهم أَنت الملك لا إله إلا أَنت ...». أخرجه مسلم؛ كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/٥٣٤) ح (٢٠١).

(٣) نيل الأوطار؛ للشوكاني (٢/٢٢٦).

(٤) ينظر: رسالة في وجوب توحيد الله؛ للشوكاني (ص٨٤).

(٥) المصدر السابق (ص٨٤).

ثم ذكرها -رحمه الله-[1]، وسأكتفي هنا ببيان خمسة مواضع:

الأول: ((قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[الفاتحة:١]، فإنَّ علماء المعاني والبيان ذكروا أَنَّه يُقدَّر المتعلق متأخراً ليُفيد اختصاص البداية باسم الله تعالى لا باسم غيره، وفي هذا المعنى ما لا يخفى من إخلاص التوحيد))[2].

الثاني: قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الفاتحة:٢]، فإنَّ اللام الداخلة على قوله: "الحمد"، ((تُفيد أَنَّ كل حمد له لا يُشاركه فيه غيره، وفي هذا أَعظم دلالة على إخلاص توحيده ...))[3]، كما أَنَّ اللام في "الله" تُفيد اختصاص الحمدية، فلا حمد لغيره أَصلاً، ((وقد تقرر أَنَّ الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري لقصد التعظيم، فلا ثناء إلا عليه، ولا جميل إلا منه، ولا تعظيم إلا له، وفي هذا من أَدلة إخلاص التوحيد ما لا يُقادَر قدره))[4].

الثالث: ((قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[الفاتحة:٤]، ... فإنَّ من كان له المُلك في مثل هذا اليوم الذي هو يوم الجزاء لكل العباد، وفيه يجتمع العالم؛ أولهم، وآخرهم، سابقهم، ولاحقهم، إنسهم، وجِنَّهم، وملائكتهم، فيه إشارة إلى استحقاقه إخلاص توحيده))[5].

الرابع: ((قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة:٥]، فإنَّ تقديم الضمير معمولاً للفعل الذي بعده يُفيد اختصاص العبادة به، ومن اختص بالعبادة؛ فهو الحقيق بإخلاص توحيده))[6].

---

(١) ينظر: رسالة في وجوب توحيد الله (ص٨٤-٩١).

(٢) المصدر السابق (ص٨٤).

(٣) المصدر السابق (ص٨٥).

(٤) المصدر السابق (ص٦٨).

(٥) المصدر السابق (ص٨٧).

(٦) المصدر السابق (ص٨٨).

الخامس: ((قوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]، فإنَّ تقديم الضمير معمولاً لهذا الفعل له معنىً، ثم مادة هذا الفعل لها معنى آخر، فإنَّ من كان لا يُستعان بغيره، لا ينبغي أن يكون له شريك، بل يجب إفراده بالعبادة، وإخلاص توحيده))[(١)].

كما أشار -رحمه الله- إلى أنَّ ((أهل العلم ما زالوا في كل زمان ومكان يُرشدون الناس إلى إخلاص التوحيد، ويُنفرونهم عن الوقوع في نوع من أنواع الشرك، ويذكرون ذلك في مصنفاتهم المشهورة بأيدي الناس))[(٢)].

كذلك قرر العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله-: أن الله تعالى: ((بعث رسله وأنزل كتبه لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[الأعراف:٥٩]))[(٣)].

ثم قال في تفصيل ذلك: ((والذي دعا إليه نوح قومه من إفراد الله بالعبادة، وأنه لا إله غيره؛ هو الذي دعا هود إليه قومه؛ قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ ﴾[الأعراف:٦٥]، وهم يعلمون أن نوحاً أبوهم، وأن الله تعالى أغرق أهل الأرض بدعوته؛ ولهذا قال لهم: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ ﴾[الأعراف:٦٩]، ولم يُنكروا الاستخلاف من بعد قوم نوح، إنما أنكروا إفراد الله تعالى بالعبادة، وترك ما كان عليه آباؤهم؛ ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[الأعراف:٧٠]))[(٤)].

ونقل -أيضاً- عن ابن تيمية -رحمه الله- قوله: ((وعبادة الله وحده: هي أصل الدِّين، وهي التوحيد الذي بعث الله به الرُّسل، وأنزل به الكتب؛ كما قال

---

(١) رسالة في وجوب توحيد الله (ص٨٨-٨٩).

(٢) المصدر السابق (ص٩٣).

(٣) إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان؛ لمحمد بن ناصر الحازمي (ص٢٢).

(٤) المصدر السابق (ص٦٢-٦٣).

تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وكان ﷺ يحقق التوحيد، ويعلمه أمته، حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: «أجعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده»[١]))[٢].

وقال العلامة الحسن عاكش –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦]: ((أي: ما خلقتهم إلا للعبادة، ولم يرد من جميعهم إلا إياها))[٣].

وقال في موضع آخر: ((وقد صرَّحت الآيات القرآنية: باتفاق دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم على التوحيد))[٤].

كذلك قرر العلامة المعلمي –رحمه الله– أَنَّ توحيد الأُلوهيَّة، هو الغاية من خلق الخلق، وبِعثت الرُّسل؛ حيث قال:((الحمد لله الذي خلق الجن والإنس؛ ليعبدوه، وبعث إليهم رسله؛ ليوحدوه))[٥].

كما بيَّن –أيضاً– أنَّه ((أَساس الإسلام، وأَساس جميع الشرائع الحقَّة؛ قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]))[٦].

وأوضح في موضع آخر أَنَّ هذا التوحيد هو معنى:"لا إله إلا الله"،

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/٤٢٠) ح (٧٨٣)؛ من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١/٢٩٢).

(٢) إيقاظ الوسنان (ص٤٠–٤١)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣/٣٩٧).

(٣) فتح المنان بتفسير القرآن، تحقيق السحيباني (ص٥٣٤).

(٤) المصدر السابق (١/٣٢١).

(٥) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (١/٣).

(٦) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (١/٤).

والجهل بحقيقته يلزم منه الجهل بمعنى:"لا إله إلا الله"[1]، ومن كان حاله كذلك ((يُخشى عليه أَن يكون مشركاً وهو لا يشعر، وأَن يعرض له الشرك؛ فيقبله وهو لا يدري، أَو أَنْ يرمي غيره من المسلمين بالشرك بغير بيِّنة، وكلا الأَمرين خطر شديد، وأَمْر الشرك -نعوذ بالله منه- فهلاكٌ لا هوادة فيه لأَحد؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٤٨]...، وقال جل ذكره: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[لقمان:١٣]...، وقال تبارك اسمه: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨]... .

وقد عصم الله ﷻ ملائكته وأنبياءه، وخاتمهم -عليهم الصلاة والسلام- من الشرك، ومما هو دونه، ولكن نبَّه بما تقدَّم من الآيات المتعلقة بهم على عِظم أَمر الشرك وخطره ...))[2].

كما أوضح -رحمه الله- أنه مما يدل على عظمة شأن التوحيد: ((أَنَّ

---

(١) المصدر السابق (٤/١، ٣٤).

(٢) المصدر السابق (٣٤/١-٣٦).

أَعظم سورة في القرآن[1]، والسورة التي تعدل ثلثه[2]؛ وإنَّما هي بضع عشرة كلمة، والسورة التي ورد أنها تعدل ربعه[3]، وأَعظم آية في القرآن[4]، كلها مبنية على توحيد

---

(١) سورة الفاتحة، وقد ذكر المعلمي -رحمه الله- في كتابه رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٣٧/١-٣٨)، جملة من النصوص الدالة على فضلها؛ ومنها: حديث أَبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ: «﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الفاتحة:٢]: هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته». أخرجه البخاري؛ كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل فاتحة الكتاب، (١٨٧/٦)ح (٥٠٠٦). ويُنظر وجه دلالتها على توحيد العبادة: المبحث السابق.

(٢) سورة الإخلاص؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ رجلاً سمع رجلاً يقرأ:﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:١]، يرددها، فلمَّا أَصبح جاء إلى رسول ﷺ، فذكر ذلك له، وكأنَّ الرجل يتقالَّها، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن. أخرجه البخاري؛ كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الصمد:١] (١٨٩/٦)ح (٥٠١٣).

(٣) سورة الكافرون؛ كما في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ﴾[الزلزلة:١]؛ تعدل نصف القرآن، و﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١]؛ تعدل ثلث القرآن، و﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[الكافرون:١]؛ تعدل ربع القرآن». أخرجه الترمذي؛ كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في ﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ﴾ (١٦/٥) ح (٢٨٩٤)؛ وقال: هذا حديث غريب. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٧٦/١).

(٤) آية الكرسي؛ كما في حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أَبا المنذر أتدري أَي آية من كتاب الله معك أَعظم؟، قال: قلت: الله ورسوله أَعلم، قال: «يا أَبا المنذر أَتدري أَي آية من كتاب الله معك أَعظم؟»، قال: قلت:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[البقرة:٢٥٥]، قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليهنك العلم أَبا المنذر». أخرجه مسلم؛ كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، (٥٥٦/١) ح (٢٥٨).

العبادة))[1].

وقال العلامة العبادي –رحمه الله– مبيناً أَهميَّة العلم بالتوحيد؛ وذلك في سياق بيانه لأَهميَّة تقديم العلم على العمل، وأَنَّه شرط لصحة الأَعمال:

((والعلـم بالتوحيـد مـن كـلٍّ والابتـداء بـالأَهم مُلتـزَم))

فبيَّن –رحمه الله– أَنَّ العلم بتوحيد الله ﷻ هو أَعظم ما يجب على العبد معرفته، وأَنَّ العلم به مقدَّم على كل العلوم، فيجب على العبد أَن يبدأَ بتعلمه، والدعوة إِليه، وأَنْ يوليه غاية الاهتمام والعناية.

كذلك أوضح الشيخ مقبل بن هادي الوادعي –رحمه الله– أَهميَّة ((الاهتمام بالدعوة إِلى التوحيد، فإِنَّ النبي ﷺ لما أَرسل معاذاً إِلى اليمن، قال: «إِنَّك ستأتي قوماً من أَهل الكتاب، فإِذا جئتهم فادعهم إِلى أَن يشهدوا أَنْ لا إله إلا الله»[3]))[4].

كما بيَّن –رحمه الله– في سياق بيانه لعقيدة أَهل السنة والجماعة: ((أَنَّ أَولَّ واجب على العباد: هو التوحيد))[5]، **ثم استدل على ذلك بالعديد من النصوص الشرعية الدالة على أَهميته، وأَهمية البداءة به في الدعوة؛ ومنها**[6]: قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «يا معاذ أَتدري ما حق الله على العباد، قال: الله

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (١/٣٧).

(٢) هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (ص٧).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع (٥/١٦٢) ح (٤٣٤٧)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين، وشرائع الإسلام، (١/٥٠) ح (٢٩)؛ من حديث معاذ رضي الله عنه.

(٤) تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب؛ للوادعي (ص٢٥٣).

(٥) صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال؛ للوادعي (ص٣٣٣).

(٦) ينظر: المصدر السابق (ص٣٣٣-٣٤٢).

ورسوله أعلم، قال:«أَن يعبدوه، ولا يُشركوا به شيئاً، أَتدري ما حقهم عليه؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أَنْ لا يعذبهم»[1].

ومنها: قوله ﷺ يوم خيبر: «لأُعطِين الرَّاية رجلاً يفتح الله على يديه»، فقاموا يرجون لذلك أيُّهم يُعطى، فغدوا وكلهم يرجو أَنْ يُعطى، فقال: «أين علي؟»، فقيل: يشتكي عينيه، فأَمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأَ مكانه؛ حتى كأَنَّه لم يكن به شيء، فقال: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟، فقال: «على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأَخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى بك رجل واحد، خير لك من حمر النَّعم»[2].

ومنها: **قوله ﷺ**: «أُمرت أَنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله»[3].

فهذه النصوص وغيرها كثير، تبيِّن أَهميَّة التوحيد، وأَنَّه أَهم المهمات، وأَوجب الواجبات، كما تبيِّن -أَيضاً- أَهميَّة البداءة به في الدعوة إلى الله ﷻ.

وقال الشيخ محمد أَحمد باشميل -رحمه الله-مبيناً أَهمية التوحيد: ((إِنَّ الله تعالى لم يخلق الخلق، ولم يُرسل الرُّسل؛ إلا ليعبدوه وحده؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]))[4].

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٩).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: الجهاد والسِّير، باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله (٤/٤٧) ح (٢٩٤٢)، ومسلم؛ كتاب: فضائل الصحابة -رضي الله عنهم- باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١٨٧٢/٤) ح (٢٤٠٦)؛ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه (ص١١٢).

(٤) كيف نفهم التوحيد؛ لمحمد أحمد باشميل (ص٥).

وخلاصة الأَمر: فإنَّ أهميَّة توحيد الأُلوهيَّة تكمُن في عدة جوانب ـ كما بيَّن ذلك علماء اليمن ـ؛ وبيانها كما يلي:

١- أنَّ توحيد الأُلوهيَّة هو الغاية العظمى، والمقصد الأَسمى الذي من أَجله خلق الله الخلق، وأَنَّه محض حق الله ﷻ على عباده.

٢- أَنَّ توحيد الأُلوهيَّة هو الغاية العظمى، والمقصد الأَسمى الذي من أَجله أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب.

٣- أَنَّه أَساس الإِسلام، وأَساس جميع الشرائع الحقَّة.

٤- أَنَّه معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله".

٥- أَنَّ هذا التوحيد هو الذي أَنكره المشركون؛ حيث بيَّنت النصوص أَنَّهم كانوا يقرون بتوحيد الرُّبوبيَّة؛ ولهذا عندما بعث الله رسله إلى أَقوامهم، لم يكونوا في حاجة إلى دعوتهم لهذا التوحيد، وإنما جاءت الرُّسل مذكرة بتوحيد الرُّبوبيَّة، داعية إلى توحيد الألوهيَّة، وسيأتي بيان أَن الرسل -عليهم الصلاة والسلام- كانوا يقررون المشركين بتوحيد الربوبية؛ حتى يلزموهم بتوحيد الأُلوهيَّة[1].

٦- أَنَّ بيان توحيد الأُلوهيَّة، والتحذير مما يناقضه، هو أَعظم مقاصد القرآن الكريم، وأَكبر موارده، ((فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأَن الشرك وأَهله وجزائهم))[2].

وبسبب هذه المنزلة العظيمة لهذا التوحيد فقد تعددت أَدلته وتعاضدت، وقد تضمن كلام علماء اليمن السابق في بيان أَهميَّة التوحيد نوعين من الأَدلة، وبيانها كما يلي:

١ـ النصوص الشرعية التي يأَمر الله ﷻ فيها عباده بهذا التوحيد، ويلزمهم به، وأَنَّه من أَعظم الفروض الواجبة على كل مسلم، ومن تلك النصوص: قوله تعالى:

---

(١) ينظر: (ص٢١٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٢).

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ﴾[البينة:٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾[الزمر:٢-٣]، ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾[النساء: ٣٦]، وغيرها من النصوص التي تدل على أَهمية هذا الأصل العظيم، وكونه من أَعظم الواجبات على كل مسلم.

٢ـ من أعظم الأَدلة الدالة على توحيد الله ﷻ، وإفراده بالعبادة، وعدم عبادة ما سواه -كما أَشار إلى ذلك علماء اليمن-، اتصافه ﷻ بصفات الرُّبوبيَّة، وتفرده بكشف الضرَّاء وجلب السرَّاء، المالك لكل شيء، فما من شيءٍ سواه إلا في قبضته وتحت أَمره، ((فتوحيد الربوبية أَعظم دليل على توحيد الإلهيَّة، ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أَكثر مما وقع بغيره؛ لصحة دلالته، وظهورها، وقبول العقول، والفطر لها، ولاعتراف أَهل الأَرض بتوحيد الرُّبوبيَّة، وكذلك كان عبَّاد الأَصنام يقرون به وينكرون توحيد الإلهيَّة، ويقولون: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ ﴾[ص:٥]، مع اعترافهم بأَنَّ الله وحده هو الخالق لهم، وللسموات والأرض وما بينهما، وأَنَّه المنفرد بملك ذلك كله، فأَرسل الله تعالى يذكر بما في فطرتهم الإقرار به؛ من توحيده وحده لا شريك له، وأَنَّهم لو رجعوا إلى فطرهم وعقولهم لدلَّتهم على امتناع إله آخر معه، واستحالته وبطلانه))[1].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين؛ لابن القيم (ص٨٠).

المبحث الثالث: معنى "لا إله إلا الله".

تقدم في المبحث الأَول بيان معنى التوحيد في الشرع، وتبيَّن من خلال النقول السابقة عن علماء اليمن أَنَّ معناه هو: إفراد الله ﷻ بالعبادة، والبراءة من كل معبود سواه، وأَنَّ هذا المعنى هو الذي تضمَّنه قول:"لا إله إلا الله"، وسيتم في هذا المبحث بيان ما أُجمل سابقاً من معنى التوحيد، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: بيان معنى كلمة"الإله".

إذ لا بد لمن أَراد معرفة معنى "لا إله إلا الله" على الوجه الصحيح؛ أَنْ يعرف معنى كلمة "الإله"، إذ أَنَّ ((الجهل بمعنى"الإله"، يلزمه الجهل بمعنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"))[(١)]، **كما أَشار إِلى ذلك المعلمي-رحمه الله تعالى-.**

وكلمة "الإله": مشتقة من: أَلَهَ، يأْلَه، أُلوهَةً، وأُلوهيَّةً[(٢)]، فالمصدر أُلوهيَّة.

قال ابن فارس-رحمه الله-: ((الهمزة واللام والهاء أَصل واحد، وهو التعبُّد، فالإِله: الله تعالى؛ وسُمي بذلك لأَنَّه معبود، ويقال: تأَلَّه الرجل؛ إِذا تعبَّد))[(٣)].

فـ"الإله" فعال بمعنى مأْلوه؛ أَي: معبود، وأَكثر علماء التفسير[(٤)] واللغة[(٥)] يفسرون "الإله" بمعنى المعبود.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ((الإله: هو الذي يأَلهه كل شيء، ويعبده

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص١٤٤).

(٢) ينظر: مختار الصحاح (٢٠/١)، ولسان العرب (٤٦٧/١٣)، والقاموس المحيط (ص١٢٤٢).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١٢٧/١).

(٤) ينظر مثلاً: تفسير الطبري (١٢٢/١-١٢٦)، وتفسير القرطبي (٢٥/٦)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل؛ للبيضاوي (٢٦/١).

(٥) ينظر مثلاً: الصحاح (٢٢٢٣/٦)، ومختار الصحاح (٢٠/١)، ولسان العرب (٤٦٩/١٣)، والمصباح المنير؛ للفيومي (ص١٩).

كل خلق))[1].

وقال الزجَّاج[2]-رحمه الله-: ((ومعنى قولنا "إله":إنما هو الذي يستحق العبادة؛ وهو الله تعالى المستحق لها دون من سواه))[3].

وهذا الذي سار عليه علماء اليمن -رحمهم الله- في بيان معنى كلمة "الإله".

فالعلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- أَجاد في بيان معنى الإله، حيث قال: ((الإِله: المأَلوه؛ أَي: المعبود))[4]، فـ ((الأَلوهيَّة تتضمن توحيد العبادة، فالإِله هو الذي تأَلهه القلوب؛ محبةً، وإنابةً، وتعظيماً، وذلاً، وخضوعاً، وخوفاً، ورجاءً، وتوكلاً، فلا يُعبد إلا هو))[5].

وقال- أَيضاً-: ((معنى الإِله، والأُلوهيَّة: العبادة، والعُبودية))[6].

وقال في موضع آخر: ((وأَما معنى الإِله: فهو المعبود بحق، وهو الله، واشتقاقه من أَلَه -بالفتح- بمعنى: عبَد، وتأَلَّه: تعبَّد، ومن ذلك قول النبي ﷺ في

---

(١) تفسير الطبري (١٢٢/١).

(٢) هو: أَبو إِسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج، النحوي، الإمام، لزم المبرد، وبرع في علم النحو، له مصنفات؛ منها: معاني القرآن، والاشتقاق، والعروض، توفي سنة ٣١١هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي (٦١٣/٦)، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ لابن خلكان (٤٩/١-٥٠).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى؛ للزجاج (ص٢٥).

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣٠)، وينظر: المصدر نفسه (ص٤٨، ٤٩، ٦٠، ٩٦).

(٥) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣١).

(٦) المصدر السابق (ص٤٨).

الحديبية لما أَشرف الحليس بن علقمة بن زبان سيد الأَحباش[١]:«إِنَّ هذا من قوم يتأَلَّهون»[٢]؛ أَي: يتعبَّدون، ويعظِّمون أَمر الإِله))[٣].

ثم بيَّن –رحمه الله–: ((أَنَّ من قصد غير الله بشيء من العبادة، أَو أَثبت له بعض خواص الرب؛ فقد اتخذه رباً، وإِلهاً، سواءً أطلق عليه اسم الإِله، أَم لم يُطلق، فإِنَّ الإِله: المعبود، وغلب على المعبود بحق، وهو الله...))[٤].

ثم ذكر –رحمه الله– جملة من أَقوال أَهل اللغة في بيان معنى ذلك؛ فقال: ((وفي القاموس[٥]: "أَلَه، إِلهَةً، وأُلوهَةً، وأُلوهيَّةً: عبَد، عبادةً، ومنه لفظ الجلالة".

وفي الصحاح[٦]: "أَلَه –بالفتح– إِلهة، أَي: عبَد، عبادةً، ومنه قرأَ ابن عباس[٧]:﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾[الأعراف:١٢٧]–بكسرالهمزة–،قال: وعبادتك، وكان يقول: إِنَّ فرعون كانوا يعبدونه، ومنه قولنا: "الله"، وأَصله: إِله، على فِعال، بمعنى: مفعول؛ لأَنَّه مأَلوه، كقولنا: إِمام، بمعنى: مفعول؛ لأَنَّه مؤتم به"

(١) هو الحليس بن علقمة بن زبان الحارثي، من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، سيد الأَحباش، ورئيسهم يوم أُحد، وكان مع مشركي قريش، وهو ممن أَرسلته قريش إلى رسول الله ﷺ قبل صلح الحديبية، فرجع إليهم؛ وقال: والذي نفس الحليس بيده لتخلّن بين محمد وما جاء له؛ أَو لأَنفرنَّ بالأَحابيش نفرة رجل واحد. ينظر ترجمته: المغازي؛ للواقدي (٢/٥٩٩–٦٠٠)، والسيرة النبوية؛ لابن هشام (٢/٣١٢).

(٢) جزء من حديث طويل؛ أَخرجه أَحمد في مسنده (٣١/٢١٢–٢٢٠) ح (١٨٩١٠)؛ وصححه الأَلباني في تحقيقه لفقه السيرة؛ للغزالي (ص٣٢٨).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٦).

(٤) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٥) القاموس المحيط (ص١٢٤٢).

(٦) الصحاح (٦/٢٢٢٢–٢٢٢٣).

(٧) ينظر: تفسير الطبري (١٣/٣٩).

وفي القاموس[1]: "أَلِه: كفَرِح، تَحَيَّر"، ومثله في الصحاح[2]، ... .

وفي القاموس[3]: "إِله: كفِعالٍ، بمعنى: مأَلوهٍ، وكل ما اتُّخذ معبوداً، إِلهٌ عند متَّخِذِه من الآلهة"... .

الآلهة -أَيضاً- اسم للشمس، فكأَنهم سموها الآلهة لتعظيمهم لها، وعبادتهم إِياها، والآلهة الأَصنام، سموا بذلك لاعتقادهم أَنَّ العبادة تحق لها...))[4].

وأَما العلامة المعلمي -رحمه الله- فقد أَشار إِلى أَنَّ ((الجهل بمعنى: "الإِله"، يلزمه الجهل بمعنى: كلمة التوحيد "لا إِله إِلا الله"))[5]، **ثم قرر- رحمه الله- أَنَّ** ((أَصح الأَقوال في تفسير: "إِله"، قولهم: معبود، أَو: معبود بحق))[6].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]: ((الجار والمجرور في الموضعين متعلق بإِله؛ لأَنَّه بمعنى: معبود، أَو: مستحق للعبادة، والمعنى: وهو الذي معبود في السماء، ومعبود في الأَرض، أَو مستحق للعبادة في السماء، والعبادة في الأَرض))[7].

فظهر مما تقدم أَنَّ معنى الإِله: المعبود المستحق للعبادة، وهو الله ﷻ، وهو الذي تأَلهه القلوب، وتعبده مع المحبة والتعظيم.

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾

---

(١) القاموس المحيط (ص١٢٤٢).

(٢) ينظر: الصحاح (٦/٢٢٢٤).

(٣) القاموس المحيط (ص١٢٤٢).

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٦-٤٧)، وينظر: المصدر نفسه (ص٤٨).

(٥) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص١٤٤).

(٦) المصدر السابق (ص١٤٣)، وينظر: المصدر نفسه (ص١٨٧).

(٧) فتح القدير (٤/٦٤٩).

[الزخرف:٨٤]؛ أي: معبود أَهل السماء، ومعبود أَهل الأرض[١]، كما ذكر ذلك الشوكاني -رحمه الله-.

فـ (("الإله": هو المأَلوه؛ أَي: المستحق لأَن يُؤْله؛ أَي: يُعبد، ولا يستحق أَن يُؤله، ويُعبد إلا الله وحده، وكل معبود سواه من لدن عرشه إِلى قرار أَرضه باطل))[٢]، ((إِذ الإِله: هو الذي يُؤْله، فيُعبد؛ محبةً، وإنابةً، وإجلالاً، وإكراماً))[٣].

الرد على المخالفين في بيان معنى "الإله":

وهذا الذي قرره علماء اليمن في بيان معنى "الإله" فيه رد على المتكلمين الذين خالفوا في ذلك؛ وقالوا: إن إله اسم فاعل؛ أي: آله، وهو بمعنى القادر على الاختراع[٤] -متغافلين عما عليه أهل الشرع وأهل اللغة- ففسروا الألوهية بالربوبية، ومن المعلوم أن بين الألوهية والربوبية فروقاً؛ منها: أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ أقروا بالربوبية دون الألوهية كما سيأتي بيان علماء اليمن لذلك[٥].

فهذا الذي ذهب إليه المتكلمون من تفسير "الإله" بأنه: القادر على الاختراع؛ باطل ((من وجهين:

أحدهما: أن هذا قول مبتدَع، لا يُعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا -كما تقدم- فيكون هذا القول باطلاً.

الثاني: على تقدير تسليمه؛ فهو تفسير باللازم للإله الحق؛ فإن اللازم له أن

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العزيز؛ لابن أبي زمنين (٢/١٥٤)، وتفسير البيضاوي (٥/١٥٤)، وتفسير ابن كثير (٧/٢٤٣)، والدر المنثور؛ للسيوطي (٧/٣٩٥)، وتفسير السعدي (ص٧٧٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٠٢).

(٣) المصدر السابق (١/٢٢).

(٤) ينظر: أصول الدين؛ للبغدادي (ص١٢٣)، وشرح الأسماء الحسنى؛ للرازي (ص١٢٤).

(٥) ينظر: (ص٢٠٩).

يكون خالقاً قادراً على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك فليس بإله حق وإن سُمي إلها، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الإسلام، وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام؛ فإن هذا لا يقوله أحد؛ لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قدر أن بعض المتأخرين أراد ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية))(١).

المطلب الثاني: بيان معنى "لا إله إلا الله".

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٥٩).

حيث إنَّ كلمة التوحيد تضمَّنت نفياً وإثباتاً، حُصر بهما استحقاق الأُلوهيَّة لله ﷻ وحده دون غيره.

و"لا إله إلا الله" هي كلمة الإخلاص، وعنوان التوحيد، ولا يتم إسلام عبد دون تحقيق معناها، والعمل بمدلولها.

وهي تعني: إفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، والبراءة من كل معبود سواه، فمعنى: "لا إله إلا الله": لا معبود بحق إلا الله[1]، والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الزخرف:٢٦-٢٨].

قال ابن جرير الطبري[2] -رحمه الله-:((﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾؛ وهو قول: "لا إله إلا الله"، ﴿ كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾؛ وهم ذريته، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده))[3].

وقال -أيضاً- في بيان معناها: ((لا معبود تنبغي له العبودية إلا الله الملِك الحق))[4].

وهذا المعنى هو الذي اتفقت عليه دعوة المرسلين، وشرائع النبيِّين، فما من

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢١/٤١٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٧٧)، وتيسير العزيز الحميد (ص٥٢)، وفتح المجيد (ص٣٦)، ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول؛ للحكمي (٢/٤١٦).

(٢) هو أَبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، كان إماماً في فنون كثيرة؛ منها: التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك، له مصنفات؛ منها: جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الأُمم والرسل والملوك، توفي سنة ٣١٠هـ. ينظر ترجمته: تاريخ بغداد (٢/٥٤٨)، ووفيات الأعيان (٤/١٩١-١٩٢).

(٣) تفسير الطبري (٢١ /٥٨٩).

(٤) المصدر السابق (١٩/٨٤).

رسول أَرسله الله ﷻ إلا دعا قومه إليه، وحذرهم من مخالفته؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾[النحل:٣٦].

وكان لعلماء اليمن دور بارز في بيان معنى كلمة التوحيد، وتقريره؛ وبيان ذلك كما يلي:

قال العلامة الصنعاني –رحمه الله– في بيان معناها: ((إِنَّ رسل الله وأَنبياءه من أَولهم إِلى آخرهم؛ بُعثوا لدعاء العباد إِلى توحيد الله بتوحيد العبادة، فكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه؛ قوله: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩]، ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ ﴾ [فصلت:١٤]، ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[نوح:٣]، وهذا هو الذي تضمنه قول: "لا إله إلا الله"، فإِنَّما دعت الرُّسل أُممها إِلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان، ومعناها: هو إِفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يُعبد من دونه، والبراءة منه، وهذا الأَصل لا مرية فيما تضمنه، ولا شك فيه، وأَنَّه لا يتم إِيمان أَحد حتى يعلمه ويحققه))(١).

كما بيَّن –رحمه الله– في موضع آخر: أَن رأَس العبادة وأَساسها هو: توحيد الله ﷻ الذي تفيده كلمة التوحيد، وأَنَّ النبيَّ ﷺ لما دعا كفار قريش لتلك الكلمة؛ فهموها غاية الفهم، وعرفوا أَنَّ معناها: عبادة الله وحده، ونَبْذ ما كانوا يعبدونه من دون الله ﷻ، فأَبوا أَن يقولوها؛ حيث قال: ((إِنَّ رأَس العبادة وأَساسها: التوحيد لله؛ الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل؛ وهي قول: "لا إله إلاَّ الله"، والمراد: اعتقاد معناها، والعمل بمقتضاها، لا مجرَّد قولها باللسان.

ومعناها: إفراد الله بالعبادة والإِلهيَّة، والنفي والبراءة من كلِّ معبود دونه، وقد علم الكفار هذا المعنى؛ لأَنَّهم أهلُ اللسان العربي، فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا

(١) تطهير الاعتقاد عن أَدران الإِلحاد (ص٤٩).

وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾[ص:٥]))[1].

كما أَوضح -أَيضاً- أَنَّ الله تعالى أَمر ((عباده أَن يقولوا: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾[الفاتحة:٥]، ولا يصدُق قائل هذا؛ إلا إِذا أَفرد العبادة لله تعالى، وإلا كان كاذباً، منهياً عن أَن يقول هذه الكلمة؛ **إذ معناها: نخصُّك بالعبادة، ونُفردك بها دون كل أَحد**، وهذا معنى قوله: ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [العنكبوت:٥٦]، ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾[البقرة:٤١]، لِما عُرِف من علم البيان أَنَّ تقديم ما حقُّه التَّأخير يفيد الحصر؛ أي: لا تعبدوا إلا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا إلا الله، ولا تتقوا غيره...))[2].

وقال -أَيضاً-: ((العبادة لا يجوز أَن تكون إلا لله وحده لا شريك له؛ بنص قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣]، ونص: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة:٥]، وهذا الأَصل متفق عليه بين المسلمين، وبه بَعث أَعداد رُسله الأَولين والآخرين، فكل نبي يقول لأُمته: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ ﴾[هود:٥٠]))[3].

وهذا الذي ذكره -رحمه الله- من أَنَّ العبادة لا تكون إلا لله ﷻ وحده لا شريك له، هو معنى قول: "لا إله إلا الله".

ومن علماء اليمن الذين عَنوا ببيان وتقرير معنى كلمة التوحيد؛ العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-؛ حيث بيَّن أَنَّ شهادة "لا إله إلا الله": جمعت بين النفي والإثبات؛ نفي عبادة غير الله ﷻ، وإثباتها له وحده؛ حيث قال بعد بيانه لمعنى كلمة: "الإله": ((إِذا علِمت أَن معنى أَلَه -بالفتح- عبَد، وأَنَّ الإله: المأَلوه؛ أَي: المعبود، وأَنَّ معنى العبادة: ما يجمع كمال المحبة، والخضوع؛ ظهر

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٣).

(٢) المصدر السابق (ص٥٧).

(٣) المصدر السابق (٣٥).

لك معنى: "لا إله إلا الله"؛ أي: لا معبود إلا الله[1]، وأتى بـ"إلا" لقصر حقيقة الإله على الله، فقد جمعت هذه الكلمة نفي عبادة غير الله، وأثبتت توحيد الله، فالمنفي: كل فرد من أفراد الإله غير الله -جل وعلا-، والمثبت من تلك الحقيقة واحد، وهو الله -جلا وعلا-؛ لأنَّه الذي له صفة الكمال، فهو المعبود بالحق، ولا يستحق أَنْ يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا الله؛ لأنَّه الذي له التقرب بملك الضر والنفع، والعطا والمنع، وذلك يوجب أَنْ تكون جميع العبادات؛ من الدعاء، والإنابة، والتوكل، وغيرها لله وحده))[2].

وقال في بيان معناها في موضع آخر: ((قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:١٦٣]: دال على العبادة بطريق الحصر، وكقوله تعالى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾[الرعد:٣٠]، فالعبادة لله، والاستعانة بالله، لا توجد حقيقة الإسلام إلا بقيام العبد بهما، وإخلاصهما لله تعالى))[3].

ثم ذكر -رحمه الله- جملة من النصوص الدالة على معنى: "لا إله إلا الله"؛ حيث قال: ((ومما يدل على أَنَّ معنى: "لا إله إلا الله": لا معبود إلا الله؛ قول إبراهيم -عليه السلام-: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾[الزخرف:٢٦-٢٧]؛ أَي: إني بريء من معبوداتكم، إلا الذي فطرني، فنفى الإلهيَّة عن الأَشياء التي يعبدونها، وأثبت الإلهيَّة للذي فطره، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨]؛ أَي: عبادة الله وحده لا شريك به، وخلع ما سواه من الأَنداد، والكلمة هي: "لا إله إلا الله"، جعلها دائمة في ذريته، ليقتدي بها من هداه الله من ذرية إبراهيم -عليه السلام-...، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[آل عمران:٦٤]، فقوله: سواء؛ أَي:

---

(١) الأصح أن يقال: لا معبود بحق إلا الله؛ كما تقدم بيان ذلك (ص١٣٩).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٩-٥٠).

(٣) المصدر السابق (ص٣٣).

عدل، وإنصاف بيننا وبينكم، قال أَبو العالية[١]: "هي كلمة لا إله إلا الله"، ذكره عنه ابن جرير[٢]، وابن أَبي حاتم[٣][٤]، والدليل عليه: أَنَّه فسرها بقوله: أَلا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً؛ لا وثناً، ولا صنماً، ولا صليباً، ولا طاغوتًا، ولا شيئاً، بل تُفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، وهذا هو المراد في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[البقرة:٢٥٦]؛ أَي: من خلع الأَنداد، والأَوثان، وما يدعوا إليه من عبادة كل ما يُعبد من دون الله، ووحَّد الله؛ فعبده وحده، وشهد أَن لا إله إلا الله، فقد استمسك بالعروة الوثقى؛ أَي: استقام على الطريقة المثلى، والصراط المستقيم.

وقد قال عمر: الطاغوت: الشيطان، رواه ابن جرير[٥]، وابن أَبي حاتم[٦]،

---

(١) هو: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري، الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أَدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب، وأَسلم في خلافة أَبي بكر الصديق رضي الله عنه، ودخل عليه، توفي سنة٩٠هـ، وقيل: ٩٣هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: تاريخ دمشق؛ لابن عساكر (١٨/١٥٩-١٩١)، وسير أَعلام النبلاء (٤/٢٠٧-٢١٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦/٤٨٨).

(٣) هو: أَبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي، الإمام، الحافظ، له مصنفات؛ منها: التفسير ، والجرح والتعديل، والرد على الجهمية، توفي سنة ٣٢٧هـ. ينظر ترجمته: تاريخ دمشق (٣٥/٣٥٧-٣٦٦)، وطبقات المفسرين؛ للسيوطي (١/٦٢-٦٤).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم؛ لابن أبي حاتم (٢/٦٦٩).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٥/٤١٧).

(٦) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٩٥).

وسعيد بن منصور[(١)][(٢)]، وقريب منه عن مجاهد[(٣)][(٤)]، وكلام عمر قوي جداً؛ فإِنَّه يشمل كل شر عليه أَهل الجاهلية، من عبادة الأَوثان، والتحاكم إليها، والاستنصار بها، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أَو مطاع...))[(٥)].

ثم بيَّن –رحمه الله– أَنَّ من صرف شيئاً من أَنواع العبادة لغير الله ﷻ؛ فقد ناقض كلمة التوحيد، حيث قال: ((من قصد غير الله بشيء من العبادة، فقد ناقض كلمة: "لا إله إلا الله"، لعبادته غيره، وإن سمَّاه بما سمَّاه؛ فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه، لا لاسمه ولفظه؛ فمن سجد لمخلوق، وقال: هذا ليس بسجود له، بل هذا خضوع وتقبيل للأَرض بالجبهة، كما أُقبلها بالفم، وهذا للإِكرام، لم يخرج بهذه اللفظة عن كونها سجوداً لغير الله، ولو سمَّاه بما سمَّاه، وكذلك من تقرَّب بالذَّبح لمخلوق: من جني، أَو آدمي، أَو دعاه، أَو استعان به، أَو تقرَّب إليه، فقد عبده، وإنْ لم يسم ذلك عبادة، بل سمَّاه استخداماً للجن، ولغيرهم...))[(٦)]

---

(١) هو: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي، الحافظ، الإمام، الحجة، من مصنفاته: السنن، توفي سنة ٢٢٧هـ.ينظر ترجمته: تاريخ دمشق (٢١/٣٠٣-٣٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٩/١٢-١٤).

(٢) ينظر: التفسير من سنن سعيد بن منصور (٤/١٢٨٣).

(٣) هو: أَبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، الإمام، الفقيه، المقرئ، مولى السائب بن أَبي السائب، توفي سنة ١٠٢هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٦/١٩-٢٠)، وطبقات المفسرين؛ للداودي (٢/٣٠٥-٣٠٨).

(٤) ينظر: تفسير مجاهد (١/٢٨٤).

(٥) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٥٣-٥٥).

(٦) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٥٥-٥٦).

كما أَوضح -أيضاً- أَنَّ كلمة التوحيد، وإِنْ كان لفظها مأموراً به، إلا أَنَّ معناها هو روحها، ولبها؛ الذي هو الكفر بعبادة غير الله ﷻ، وإثبات توحيده، ولهذا امتنع المشركون عن قولها؛ حيث فهموا منها وجوب ترك جميع الآلهة التي اتخذوها من دون الله ﷻ، وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة ؛ حيث قال: ((كلمة التوحيد وهي: "لا إله إلا الله"، وإِنْ كان لفظها مأموراً به، ولا يصح إسلام أَحد إلا بالتلفظ بها مع القدرة؛ كما في الصحيح: «أُمرت أَنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[(١)] الحديث، لكن معناها هو روحها، ولبها؛ وهو الكفر بعبادة غير الله، وتوحيد الله، ولهذا امتنع المشركون من قولها لمعرفتهم معناها، وأَنَّها خالعة للأَنداد والأوثان التي يعبدونها...، والإِله عندهم: هو المعبود، سواء كان بحق وهو الله، أَو معبود بباطل؛ كعبادتهم الملائكة، والأنبياء: عزير، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأولياء، وغيرهم، وكعبادة الشجر، والحجر، والكواكب، والنار، والماء، وغيرها، وقد حكى الله عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الصافات:٣٥]، وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[ص:٥]، وما ذاك منهم إلا لعلمهم أَنَّ هذه الكلمة العظيمة التي هي العروة الوثقى خالعة للأَنداد))[(٢)].

وقال العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله- في بيان معناها: ((معنى شهادة أن "لا إله إلا الله": هي عبادته من غير أن تشرك به شيئاً))[(٣)]؛ وهذا بيان منه -رحمه الله- للازم معنى كلمة التوحيد.

كذلك بيَّن العلامة الشوكاني -رحمه الله- معنى: "لا إله إلا الله" في مواضع متعددة؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ((أَي: لا معبود بحق إلا هو))[(٤)]، وفي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٢).

(٢) المصدر السابق (ص٥٢-٥٣).

(٣) تيسير اليسرى، تحقيق: محمد أحمد حفظ الله (ص١٣٥).

(٤) فتح القدير (٣١١/١).

﴾[آل عمران:٢]، قال:((أي: هو المستحق للعبودية))[١]، وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[التغابن:١٣]، قال: ((أي: هو المستحق للعبودية دون غيره، فوحِّدوه، ولا تشركوا به))[٢].

وقال العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله– في ثنايا حديثه عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–: ((فإن ما جاء به حق؛ من الدعاء إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة؛ الذي هو معنى "لا إله إلا الله"))[٣].

وفسَّر العلامة الحسن عاكش –رحمه الله– قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[النمل:٢٦]؛ ((أي: هو المستحق للعبادة والسجود؛ لا غيره))[٤]؛ وهذا هو معنى "لا إله إلا الله".

وقال في قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾[النمل:٦٠]؛((أي: لا إله آخر كائن مع الله الذي ذُكر بعض أفعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره، حتى يُتوهَّم جعله شريكاً له في العبادة، وهذا تبكيت لهم بنفي الألوهيَّة عما يشركون به))[٥].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[غافر:٦٢]: ((﴿ذَٰلِكُمُ ﴾ المتفرد بالأفعال المقتضية للألوهيَّة، والربوبيَّة، ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾؛ أي: لا يستحق العبادة غيره، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾؛ فكيف؟ ومن أي وجه تصرفون عن عبادته خاصة؟ إلى عبادة غيره))[٦].

---

(١) المصدر السابق (٣٥٨/١).

(٢) المصدر السابق (٢٨٤/٥).

(٣) إيقاظ الوسنان (ص٤٥).

(٤) فتح المنان، تحقيق: عبد الكريم الشملان (ص٢٧٥).

(٥) المصدر السابق (ص٢٧٥).

(٦) المصدر السابق (ص١٠٢٢).

وفي تفسيره لقوله تعالى في سورة النبأ: ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[النبأ:٣]، قال: ((منصوب على أصل الاستثناء، والمعنى: لا يتكلمون إلا في حق شخص أذن له الرحمن، وقال ذلك الشخص صواباً؛ أي: حقاً؛ هو التوحيد الذي هو: معنى "لا إله إلا الله"))(١).

كما بيَّن العلامة المعلمي –رحمه الله– أَنَّ كلمة التوحيد:"لا إله إلا الله": هي ((أساس الإسلام، وأساس جميع الشرائع الحقة، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء:٢٥]))(٢).

وأَنَّ ((الجاهل بمعنى: "لا إله إلا الله"؛ يكون جاهلاً بحقيقة التوحيد، ومن كان كذلك يُخشى عليه أَن يكون مشركاً وهو لا يشعر، أَو أَن يعرض له الشرك فيقبله وهو لا يدري، أَو أَن يرمي غيره من المسلمين بالشرك بغير بينة؛ وكلا الأَمرين خطر شديد))(٣).

ثم بيَّن –رحمه الله– معنى كلمة التوحيد، وأَنها بلفظها تقتضي نفي استحقاق العبادة لأَحدٍ غير الله ﷻ؛ حيث قال: ((فشهادة أَنْ لا إله إلا الله بلفظها، تنفي أَنْ يكون أَحد غير الله ﷻ مستحقاً للعبادة، وتتضمن بمعونة القرائن: الالتزام بأَن لا يتخذ غير الله ﷻ معبوداً، فمن قالها؛ ثم عرض له اعتقاد، أَو ظن، أَو احتمال أَنَّ شيئاً غير الله ﷻ يستحق العبادة، فقد نقض شهادته بلا خفاء، ولكنه لا يؤآخذ بذلك ظاهراً؛ إلا أَن يظهره))(٤).

الرد على المخالفين في بيان معنى "لا إله إلا الله":

كما تقدم بيان أن المتكلمين خالفوا أهل الحق في بيان معنى "الإله"؛ حيث

---

(١) المصدر السابق، تحقيق: وفاء الزعقاني (ص١٠٠٢).

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص١٤٤).

(٣) المصدر السابق (ص١٣٧)، وينظر: المصدر نفسه (ص١٨٦).

(٤) المصدر السابق (ص١٩٥).

فسروه بأنه: القادر على الاختراع، كذلك أخطأوا في تفسير "لا إله إلا الله"، حيث فسروها بـ: لا خالق إلا الله، أو يفسرونها بـ: لا مستغني عما سواه ومفتقر إليه كلمن عداه إلا الله [1].

وهذا تفسير لها بتوحيد الربوبية، وإغفال لتوحيد الألوهية، وقد أنتج ذلك فشو الشرك في المجتمعات بسبب أولئك النظار الذين لا تجد في كتبهم المؤلفة في العقائد وأصول الدِّين ذكراً لتوحيد الألوهية ولا للشرك فيه؛ بدعاء غير الله، أو الذبح أو النذرله، أو الطواف على القبور والأضرحة والاستغاثة بأصحابها، بل ويزعمون أن الشرك لا يقع من أحد يعتقد أن التصرف والتدبير بيد الله وحده، وهذا بناء على إغفالهم لتوحيد الألوهية وإجهادهم لأنفسهم بتقرير توحيد الربوبية.

وانبنى على ذلك تجهيل المسلمين بتوحيد الألوهية، وهو التوحيد الذي دعا إليه النبي ﷺ، وقاتل عليه المشركين، ومع ذلك قد جهله كثير من أجيال المسلمين بعد أن تولى المتكلمون تعليم العقائد للناس فَضَلُّوا وأضلوا كثيراً.

وقد تقدم بيان علماء اليمن لمعنى كلمة "لا إله إلا الله"؛ وأن معناها: لا معبود بحق إلا الله ﷻ.

أما تفسير أهل الكلام لها بـ: لا خالق إلا الله، أو: لا مستغني عما سواه إلا الله ونحو ذلك؛ فهو مخالف للكتاب والسنة وهو قول باطل مبتدع.

وأيضاً -كما سيأتي بيان علماء اليمن لذلك[2]-: فإن المشركين الذين بُعث فيهم الرسول ﷺ كانوا يقرون بأن الله هو الخالق والمدبر والمحيي والمميت وحده، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يعصم ذلك دماءهم وأموالهم، بل قاتلهم رسول الله ﷺ ليفردوا الله تعالى بالعبادة دون من سواه، ولو كان معناها لا قادر على الاختراع إلا الله، أو لا خالق إلا الله؛ لبادروا إلى إجابته؛ ولقالوا: سمعنا وأطعنا، وما رضوا أن تسفك دماؤهم على أمر يقرون به أصلاً، بل الأمر المطلوب منهم وراء ذلك، وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة أن أولئك المشركين كانوا يقرون بالربوبية وأن الله تعالى هو

---

(١) ينظر: أصول الدِّين (ص١٢٣)، وشرح أم البراهين؛ للسنوسي (ص٧٤).

(٢) ينظر: (ص ٢٠٩).

الخالق وما سواه مخلوق؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾[يونس:٣١-٣٢].

فالقوم أهل اللسان العربي علموا أن هذه الكلمة "لا إله إلا الله" تهدم عليهم دعاءهم للأموات والأصنام، وتمنعهم من سؤال الشفاعة من غير الله ﷻ، ولهذا لما دعاهم النبي ﷺ إلى كلمة التوحيد قالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:٥]، فقد عرفوا أنها تقتضي إفراد الله بالعبادة والكفر بما يُعبدُ من دونه.

فتبين أن ما يفسر به المتكلمون "لا إله إلا الله"، قد أقر به الجميع من مسلم وكافر، وهو من لوازمه الألوهية، ولكن ليس هو المراد بهذه الكلمة، ولم ينفعهم ذلك مع الشرك في الألوهية(١).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/٩٨-٩٩).

المبحث الرابع: شروط[1] "لا إله إلا الله"

إِنَّ المتدبر لنصوص القرآن والسنة، الداعية إلى كلمة التوحيد؛ يجدها قد أَلزَمت قائلها بشروط، ونهته عن جملة أُمور، فمن حقق تلك الشروط، واجتنب ما يناقضها؛ نفعته هذه الكلمة، وفاز بالأَجر العظيم، والثواب الجزيل، وحصلت له النجاة من النار، والفوز بالجنان، ومن لم يحقق هذه الشروط؛ لم تنفعه هذه الكلمـة.

قال ابن رجب[2] -رحمه الله- بعد أَن أَورد جملةً من الأَحاديث الدالة على فضل كلمة التوحيد: ((المراد من هذه الأَحاديث: أَنَّ "لا إله إلا الله" سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار، ومقتض لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله؛ إِلا باستجماع شروطه، وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه؛ لفوات شرط من شروطه، أَو لوجود مانع؛ وهذا قول الحسن، ووهب بن منبه[3]، وهو الأَظهر))[4].

---

(١) الشرط لغة: إلزام الشيء والتزامه؛ في البيع ونحوه، جمعه: شروط. ينظر: لسان العرب (٣٢٩/٧)، والقاموس المحيط (ص٦٧٣).

واصطلاحاً: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه. وقيل: ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود، ولا عدم لذاته. ينظر: البحر المحيط؛ للزركشي (٤٣٧/٤)، والتعريفات (ص١٢٥).

(٢) هو: أَبو الفرج عبد الرحمن بن أَحمد بن رجب بن الحسن بن محمد السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي، الإمام، الحافظ، المحدث، الفقيه، الواعظ، له عدة مصنفات؛ منها: شرح الترمذي، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، وغيرها، توفي سنة ٧٩٥هـ. ينظر ترجمته: طبقات الحفاظ، للسيوطي (٥٤٠/١)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥٧٨/٨-٥٨٠).

(٣) هو: أَبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، روى عن جمع من الصحابة، وعنده من علم أَهل الكتاب شيء كثير، توفي سنة ١١٠هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: الطبقات الكبرى (٧٠/٦-٧١)، ومشاهير علماء الأمصار (ص١٩٨).

(٤) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها؛ لابن رجب (ص١٣).

وقال وهب بن منبّه -رحمه الله- لمن سأَله: أَليس "لا إله إلا الله" مفتاح الجنة؟ قال: ((بلى، ولكن ليس مفتاح إِلا له أَسنان، فإِن جِئت بمفتاح له أَسنان فُتح لك، وإِلا لم يُفتح لك))[1].

حيث عدّ هذا التابعي الجليل كلمة "لا إله إلا الله" بمثابة المفتاح الذي تُفتح به أَبواب الجنة؛ والمراد بذلك: أَنَّه لا سبيل لدخول الجنة، والنجاة من النار؛ إلا بكلمة التوحيد، كما بيّن -رحمه الله- أَنَّ شروط "لا إله إلا الله" بمثابة أَسنان المفتاح، وليس ثمّت مفتاح يفتح إِلا بوجود أَسنان.

وقد جمع بعض أهل العلم شروط "لا إله إلا الله" بالاستقراء من نصوص الكتاب والسنة؛ فوجدوا أَنَّ لها سبعة شروط، قد جُمِعت في هذه الأَبيات[2]:

وبشروط سبعة قد قُيِّدت ... وفي نصوص الوحي حقاً وَردت

فإِنَّه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إِلا حيث يستكملها

العلمُ واليقينُ والقبولُ ... والانقيادُ فادرِ ما أَقولُ

والصدقُ والإِخلاصُ والمحبةْ ... وفقك الله لما أَحبَّهْ

وقد كان لعلماء اليمن رحمهم الله- جهد في بيان شروط "لا إِله إِلا الله"؛ وبيان ذلك كما يلي:

قرر العلامة الصنعاني -رحمه الله- أَنَّ شرط كلمة التوحيد بعد النطق بها هو: اعتقاد معناها، والعمل بمقتضاها، والبعد عما يناقضها؛ حيث قال: ((إِنَّ رأَس العبادة، وأَساسها، التوحيد لله، الذي تُفيده كلِمَتُه، التي إِليها دعت جميع

(١) رواه البخاري تعليقاً في كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه "لا إله إلا الله" (٧١/٢).

(٢) ينظر: معارج القبول (٤١٨/٢-٤١٩)، وتحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام؛ لابن باز (ص٢٤). وينظر في بيانها: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٨٣)، ومعارج القبول (٤١٩/٢-٤٢٥)، وتحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام (ص٢٥-٢٦)، وشرح الأصول الثلاثة؛ للفوزان (ص١٧٤).

الرسل، وهو قول: "لا إله إلا الله"، والمراد اعتقاد معناها؛ لا مجرد قولها باللسان، ومعناها: إفراد الله بالعبادة والإلهيَّة، والنفي والبراءة من كل معبود من دونه، وقد عَلِم الكفَّار هذا المعنى؛ لأَنَّهم أَهل اللسان العربي؛ فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:٥]))[1].

كما بيَّن في موضع آخر أَنَّ ((كلَّ رسول أَوَّل ما يقرعُ به أَسماع قومه قوله: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[الأعراف:٥٩]، ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[هود:٢]، ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[نوح:٣]، وهذا الذي تضمَّنه قولُ: "لا إله إلا الله"، فإِنَّما دعت الرسل أُممها إِلى قول هذه الكلمة، واعتقاد معناها، لا مجرَّد قولها باللسان.

ومعناها هو: إِفراد الله بالإِلهيَّة والعبادة، والنَّفيُ لما يُعبد من دونه، والبراءةُ منه...))[2].

وقال –أَيضاً– في سياق بيانه لدعوة الرسل: ((فبعث الله محمداً ﷺ؛ يدعوهم إِلى عبادة الله وحده؛ بأَن يفردوه بالعبادة، كما أَفردوه بالربوبيَّة؛ بربوبيته للسموات والأَرض، وأَن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة "لا اله إِلا الله"، معتقدين لمعناها، عاملين بمقتضاها، وأَن لا يدعوا مع الله أَحداً...))[3].

لأَجل ذلك قرر –رحمه الله– أَنَّ من نطق بكلمة التوحيد، ثم أَتى بأَفعال تناقض ما دلت عليه –من إثبات العبودية لله وحده، والبراءة من كل معبود سواه– فإِنَّه يكون قد خالف بفعله ما حكاه بلسانه من الإِقرار بالتوحيد، وصار في عداد المشركين، وإِن أَقر بالله وعبده؛ لأَنَّ فعله أَكذب قوله؛ حيث قال: ((أَمر الله عباده أَن يقولوا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة:٥]، ولا يصدق قائل هذا؛ إِلا إِذا أَفرد العبادة لله تعالى، وإِلا كان كاذباً، منهياً عن أَن يقول هذه الكلمة؛ إِذا معناها: نخصُّك بالعبادة، ونُفردك بها دون كل أَحد، وهو معنى قوله: ﴿ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أَدران الإلحاد (ص٥٣).

(٢) المصدر السابق (ص٤٩).

(٣) المصدر السابق (ص٥٦-٥٧).

[العنكبوت:٥٦]، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾[البقرة:٤١]، كما عُرف مِن "علم البيان" أَنَّ تقديم ما حقَّه التأَخير يفيد الحصر، أَي: لا تعبدوا إِلا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا غيره، كما في "الكشاف"[(١)].

فإِفراد الله تعالى بتوحيد العبادة، لا يتم إِلا بأَن يكون الدعاء كله له، والنداء في الشدائد والرخاء، لا يكون إلا لله وحده، والاستعانة بالله وحده، واللجأ إلى الله، والنذر، والنحر له تعالى، وجميع أَنواع العبادات؛ من الخضوع والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع، والسجود، والطواف، والتجرد عن الثياب، والحلق، والتقصير ،كله لا يكون إلا لله ﷿.

ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق؛ حي، أَو ميت، أَو جماد، أَو غير ذلك؛ فقد أَشرك في العبادة، وصار من تُفعل له هذه الأُمور إِله لعابديه، سواء كان ملَكاً، أَو نبياً، أَو ولياً، أَو شجراً، أَو قبراً، أَو جنّياً، أَو حيّاً، أَو ميّتاً، وصار بهذه العبادة، أَو بأَي نوع منها عابداً لذلك المخلوق، وإِن أَقر بالله وعبده؛ فإِنَّ إِقرار المشركين بالله تعالى، وتقربهم إليه، لم يخرجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وأَخذ أَموالهم غنيمة؛ قال الله تعالى: «أَنا أَغنى الشركاء عن الشرك»[(٢)]، لا يقبل الله عملاً شُورك فيه غيره، ولا يؤمن به من عبَد معه غيره))[(٣)].

كما أَوضح -رحمه الله- أَنه يجب الكف عمن قال كلمة التوحيد، والتزم معناها؛ حتى يتبيَّن منه خلاف ذلك، وأن مجرد قولها لا يمنع من ثبوت شرك قائلها؛ إِذا ارتكب ما يخالفها من عبادة غير الله ﷿؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾[النساء:٩٤]: ((فأَمرهم الله

---

(١) الكشاف؛ للزمخشري (١/١٣).

(٢) جزء من حديث أَبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أَنا أَغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أَشرك فيه معي غيري تركته وشركه»، أَخرجه مسلم؛ كتاب: الزهد والرقائق ،باب: من أَشرك في عمله غير الله (٤/٢٢٨٩) ح (٢٩٨٥).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أَدران الإلحاد (ص٥٧-٥٨).

تعالى بالتثبت في شأَن من قال كلمة التوحيد، فإِن تبين التزامه لمعناها؛ كان له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وإِن تبين خلافه؛ فلم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ، وهكذا كل من أَظهر التوحيد، وجب الكف عنه إِلى أَن يتبين منه ما يخالف ذلك، فإِذا تبين لم تنفعه هذه الكلمة بمجردها، ولذلك لم تنفع اليهود، ولا نفعت الخوارج [(١)] مع ما انظم إِليها من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم إِلى جنبها[(٢)]،

---

(١) الخوارج: سُموا بذلك لخروجهم عن الدِّين، وخروجهم على خيار المسلمين، وكان أَول خروجهم على أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب ﷺ بعد معركة "صفين"، وقبوله تحكيم الحكمين، حيث كرهوا منه ذلك، فانحازوا على بلدة "حروراء"، وأَعلنوا البراءة من علي، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وكفَّروهم بسبب ذلك.

وهم أَصحاب تأَويلات في القرآن، خالفوا فيها المنهج الحق الذي كان عليه سلف الأُمة، وكفَّروا المسلمين بالمعاصي، واستحلوا بها دمائهم؛ ولهذا اتفق الصحابة -رضوان الله عليهم- على ذمهم وتضليلهم، وأَنَّهم قوم سوء، حتى وإِن اجتهدوا في العبادة؛ فحذَّروا منهم، ومن بدعهم، وكانوا يناظرونهم، وينصحونهم، وكانوا يرونهم شرار الخلق، بل كانوا يقاتلونهم إِذا حدث منهم قتال، أَو تعرضوا لمصالح المسلمين. ينظر: التمهيد؛ لابن عبد البر (٢٣/٣٢٠-٣٢٣)، والملل والنحل (١/١١٤-١١٥)، وفتح الباري (١٢/٢٨٣-٣٠٢).

(٢) دلت الأَحاديث على ذلك؛ ومنها: حديث أَبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج في هذه الأُمة -ولم يقل منها- قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، أَو حناجرهم، يمرقون من الدِّين مروق السهم من الرميَّة، فينظر الرامي إِلى سهمه، إِلى نَصله، إِلى رِصَافه، فيتمارى في الفُوقة؛ هل علق بها من الدم شيء». أَخرجه البخاري؛ كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إِقامة الحجة عليهم (٩/١٦) ح (٦٩٣١)، ومسلم؛ كتاب: الزكاة، باب: ذِكر الخوارج وصفتهم (٢/٧٤٣) ح (١٠٦٤).

بل أمر ﷺ بقتلهم؛ وقال: «لئن أَدركتهم لأَقتلنَّهم قتل عاد»[1]؛ وذلك لمَّا خالفوا بعض الشريعة، وكانوا شر القتلى تحت أَديم السماء،

كما ثبتت به الأَحاديث[2].

فثبت أَنَّ مجرد كلمة التوحيد، غير مانع من ثبوت شرك من قالها؛ لارتكابه لما يخالفها من عبادة غير الله))[3].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: ((فكلمة التوحيد؛ وهي "لا إله إلا الله"، وإن كان لفظها مأموراً به، ولا يصح إسلام أحد إلا بالتلفظ بها مع القدرة؛ كما في الصحيح: «أُمرت أن أُقاتل الناس؛ حتى يقولوا: "لا إله إلا

---

(١) جزء من حديث طويل عن أَبي سعيد الخدري ﷺ. أَخرجه البخاري؛ كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٤]، وقوله جل ذكره: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠]، (١٢٧/٩) ح (٧٤٣٢)، ومسلم؛ كتاب: الزكاة ، باب: ذكر الخوارج وصفتهم (٧٤١/٢) ح (١٠٦٤).

(٢) كحديث أَبي أُمامة ﷺ أَنَّه رأَى رؤوساً منصوبة على درج مسجد دمشق؛ فقال: «كلاب النار، كلاب النار -ثلاثاً-، شر قتلى تحت أَديم السماء، خير قتلى من قتلوه؛ ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٦]»، قال أَبو غالب: قلت لأَبي أُمامة: أَسمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أَسمعه إلا مرتين، أَو ثلاثاً، أَو أَربعاً، أو خمساً، أو سبعاً؛ ما حدثتكموه. أخرجه أحمد في مسنده (٥٤٢/٣٦) ح (٢٢٢٠٨)، وابن ماجه؛ كتاب: الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب: في ذِكر الخوارج (٦٢/١) ح (١٧٦)، والترمذي؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران (٧٦/٥) ح (٣٠٠٠)؛ وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (١٠٥٥/٢).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أَدران الإِلحاد (ص٧٢-٧٣).

الله"» الحديث[١]، لكن معناها هو روحها ولبها؛ وهو الكفر بعبادة غير الله وتوحيد الله، ولذا امتنع المشركون من قولها؛ لمعرفتهم معناها وأنها خالعة للأنداد والأوثان التي يعبدونها))[٢].

وأوضح –رحمه الله– أنه لا يتقرر إسلام العبد إلا بقول "لا إله إلا الله"، مع الالتزام بأحكامها؛ حيث قال: ((ولا يصح إسلام عبد إلا بقول "لا إله إلا الله"، والكفر بما يُعبد من دون الله، فأخرج أحمد[٣]

ومسلم[٤] وابن حبان[٥]... أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: "لا إله إلا الله"، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرُم ماله وحسابه على الله»؛ فشَرط لحرمة المال والدم شرطان: قول "لا إله إلا الله"، والكفر بما يُعبد من دون الله، فلو قال: "لا إله إلا الله"، وعبد غير الله؛ لم يحرُم ماله ولا دمه، فإن الجزاء المترتب على شرطين؛ لا يحصل على أحدهما بدون الآخر، وفي الصحيح مرفوعاً: «أُمرت أن أُقاتل الناس؛ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا قالوها؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[٦]، وفي أُخرى: «وأن يستقبلوا قبلتنا، ويأكلوا ذبيحتنا، ويُصلوا صلاتنا»[٧]، وفي رواية: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئتُ به»[٨]، وهذه الرواية –أيضاً– له ثابتة عن رسول الله ﷺ،

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٢).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٥٢).

(٣) في مسنده (٢١٢/٢٥) ح (١٥٨٧٥).

(٤) في صحيحه؛ كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس؛ حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (٥٣/١) ح (٢٣)؛ من حديث أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٥) في صحيحه (٣٩٥/١) ح (١٧١).

(٦) تقدم تخريجه (ص١١٢).

(٧) أخرجه البخاري؛ كتاب: الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة (٨٧/١) ح (٣٩٢)؛ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٨) أخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس؛ حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (٥٢/١) ح (٢١).

وأعظم حقها إخلاص التوحيد لله تعالى، ونفي كل معبود سواه))[١].

كذلك اشترط العلامة الشوكاني -رحمه الله- لكلمة التوحيد بعد النطق بها؛ فهم معناها، والعمل بمقتضاها؛ فقال: ((من تكلم بكلمة التوحيد، وفعل أَفعالاً تُخالف التوحيد؛ كاعتقاد هؤلاء المعتقدين في الأَموات؛ فلا ريب أَنَّه قد تبين من حالهم خلاف ما حكته أَلسنتهم من إقرارهم بالتوحيد.

ولو كان مجرد التكلم بكلمة التوحيد مُوجباً للدخول في الإِسلام والخروج من الكفر، سواءً فعل المتكلم بها ما يُطابق التوحيد، أَو ما يُخالفه؛ لكانت نافعة لليهود؛ مع أَنَّهم يقولون: عزير بن الله، وللنصارى؛ مع أَنَّهم يقولون: المسيح ابن الله، وللمنافقين؛ مع أَنَّهم يُكذِّبون بالدِّين، ويقولون بأَلسنتهم ما ليس في قلوبهم، وجميع هذه الطوائف الثلاث يتكلمون بكلمة التوحيد.

بل لم تنفع الخوارج؛ فإِنَّهم من أَكمل الناس توحيداً، وأَكثرهم عبادة، وهم كلاب النار، وقد أَمرنا رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بقتلهم، مع أَنَّهم لم يشركوا بالله، ولا خالفوا معنى "لا إِله إِلا الله"، بل وحَّدوا توحيده.

وكذلك المانعون للزكاة؛ هم موحِّدون لم يشركوا؛ ولكنهم تركوا ركناً من أَركان الإِسلام، ولهذا أَجمعت الصحابة -رضي الله عنهم- على قتالهم، بل دل الدليل الصحيح المتواتر على ذلك، وهو الأَحاديث الواردة بأَلفاظ؛ منها: «أُمرت أَن أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إِله إِلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويحجوا البيت، ويصوموا رمضان، فإِذا فعلوا ذلك؛ فقد عصموا مني دماءهم وأَموالهم إِلا بحقها»[٢]، بحقها»[٢]، فمن ترك أَحد هذه الخمس لم يكن معصوم الدَّم ولا المال، وأَعظم من ذلك التارك معنى التوحيد، أَو المخالف له بما يأَتي به من الأَفعال))[٣].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٩٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص١١٢).

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٨٠-٨١).

ولأَجل ذلك نزَّل –رحمه الله– هؤلاء المعتقدين في الأَموات منزلة المشركين؛ فقال: ((هؤلاء إنما قالوها بأَلسنتهم، وخالفوها بأَفعالهم، فإِنَّ من استغاث بالأَموات، أَو طلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، أَو عظَّمهم، أَو نذر عليهم بجزءٍ من ماله، أَو نحر لهم؛ فقد نزَّلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأَفعال، فهو لم يعتقد معنى "لا إله إلا الله"، ولا عمل بها، بل خالفها اعتقاداً وعملاً، فهو في قوله: "لا إله إلا الله" كاذب على نفسه؛ فإِنَّه قد جعل إله غير الله يعتقد أَنَّه يضر وينفع، فعبده بدعائه عند الشدائد، والاستغاثة به عند الحاجة، وبخضوعه له، وتعظيمه إياه، ونحر له النحائر، وقرَّب إليه نفائس الأَموال، وليس مجرد قوله: "لا إله إلا الله"، من دون عمل بمعناها مُثبت للإِسلام؛ فإِنَّه لو قالها أَحد من أَهل الجاهلية، وعكف على صنمه يعبده؛ لم يكن ذلك إسلاماً))[1].

وأَما العلامة المعلمي –رحمه الله– فقد أَشار إِلى أَنَّه ((قد دل الكتاب والسنة والإجماع والمعقول على أَنَّه لا يكفي النطق بها دون معرفة معناها؛ وإيضاح ذلك أَنَّ الاعتداد بالنطق بها له شروط))[2]، ثم ذكر –رحمه الله– بعض شروطها، واستطرد في بيانها، وذِكر الأَدلة عليها؛ وإِضاحها –باختصار– كما يلي[3]:

١– أَن يكون النطق بها على سبيل الاعتراف؛ للقطع بأَن المشرك إذا نطق بها حكاية عن غيره لا يُعتد بذلك.

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٧٧).

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص١٤٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص١٤٤– ١٥٩).

٢- العلم بمضمونها؛ قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[الزخرف:٨٦]، وفي صحيح مسلم[1] عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «من مات وهو يعلم أنَّه لا إله إلا الله دخل الجنة».

٣- التصديق؛ ودليله: عن معاذ عن النبي ﷺ قال: «ما من أَحد يشهد أَن لا إله إلا الله وأَنَّ محمداً رسول الله صدقاً من قلبه؛ إلا حرَّمه الله على النار»[2].

٤- التسليم، ويُعبر عنه بالرِّضا؛ قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥]، وفي صحيح مسلم[3] عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً».

٥- أَن يكون النطق على سبيل الالتزام؛ أَي أَن يعمل طول عمره بمضمون كلمة التوحيد، ولا يخالفها، ثم بيَّن -رحمه الله- أَنَّ هذا الشرط «أَدلته أَكثر من أَن تُحصى، منها قول الله -جل وعلا-: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤]، وهذا كالتفصيل لكلمة التوحيد، وفيه بيان الالتزام ... .

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أَنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٥٥/١) ح (٢٦).

(٢) أَخرجه البخاري؛ كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوماً دون قوم؛ كراهية أَن لا يفهموا (٣٧/١) ح (١٢٨)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أَنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً (٦١/١) ح (٣٢).

(٣) أَخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً (٦٢/١) ح (٣٤).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ... قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:٦٥-٧٠].

ونحو ذلك في قصة صالح[الأعراف:٧٣]، وفي قصة شعيب[الأعراف:٨٥]، وجاء نحوه في سورة هود[هود:٢٥-٨٤]، ونحوه عن نوح[المؤمنون:٢٣]، وهذا كله بيان لآية الأَنبياء، وهو متضمن الالتزام؛ لتصريحه بأَنَّ إرسال الرسل إلى قومهم كان لدعوتهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة غيره، وإجابة الرسل معناه: قبول ما أُرسلوا به، ولما جُعلت الشهادة إعلاناً بقبول ما أُرسل به الرسل، كانت متضمنة التزام، الشاهد: أَن لا يُعبد إلا الله))[1].

٦- استمرار حكمها؛ بأَن لا يحدث من صاحبها ما يخل بموجبها.

وعند التأَمل في شروط "لا إله إلا الله" التي ذكرها أَهل العلم؛ نجد أَنَّ ما ذكره المعلمي -رحمه الله- إما متضمن لبعضها، وإما نص في بعضها الآخر.

كذلك ذكر العلامة العبادي -رحمه الله- بعض شروط كلمة التوحيد؛ حيث قال: ((فصل في شروط التوحيد:

شُروطه ترك الْمُنافي أَبــــدا ... والصدق والإخلاص فيما عَبدا

والنُّطق والترتيبُ والمـــوالاةْ ... من غير إكراهٍ ولا جهـــــالهْ

لصحة الإقرار بالشهــــادهْ ... فافهم رُزِقت الخير والسَّعـــادهْ

والشَّرط للمُوحِّد المذكـــورِ ... الجزم فيما قرَّ بالضمـــــير))[2].

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص١٤٩-١٥٠).

(٢) هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (ص١١).

وبيان هذه الشروط كما ذكرها -رحمه الله- كما يلي:

١- ترك المنافي أبداً: أَي أنَّ من قال كلمة التوحيد؛ فعليه أَن لا يقع فيما يناقضها، وعليه أَن يعتقد بطلان أُلُوهيَّة كل ما سوى الله ﷻ، ولا يصرف شيئاً من العبادة لغيره سبحانه، وهذا هو معنى "لا إله إلا الله"-كما تقدم بيانه-؛ إثبات الأُلوهيَّة الحقة لله ﷻ، ونفيها عن كل من سواه، ((وقد أَجمع العلماء على أَنَّ من قال: "لا إِله إِلا الله" وهو مشرك؛ أَنَّه يُقاتل حتى يأَتي بالتوحيد))[1].

٢- الصدق؛ المنافي للكذب، وهو أن يقولها صِدقاً من قلبه، يواطئ قلبه لسانه[2].

٣- الإِخلاص: ((وهو تصفية العمل بصالح النيَّة عن جميع شوائب الشرك))[3]، ((وكلما حقق العبد الإخلاص في قول: "لا إله إلا الله"؛ خرج من قلبه تأله من يهواه))[4].

٤- النطق: وهذا الشرط الذي ذكره العبادي -رحمه الله- مرتبط بدخول العبد في الإِسلام -والله أَعلم-، والمراد به: أَي أَنَّه حين دخول المرء في الإِسلام لا بد أَن ينطق بكلمة التوحيد بلسانه إِن كان قادراً، فإِن لم ينطق بها مع القدرة؛ فهو كافر باتفاق المسلمين.

فلا يكفي أَن يعتقد الإِنسان أَنَّه "لا إِله إِلا الله" دون أَن يُقر ويشهد بها بلسانه، بل يجب أَن ينطق بها بلسانه مع اعتقاد القلب بها[5].

٥،٦- الترتيب، والموالاة: ولعل مراد العبادي -رحمه الله- بهذين الشرطين من أَراد الدخول في الإِسلام؛ حيث جاء في "شرح جوهرة التوحيد" ما نصه:

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص١١٧).

(٢) ينظر: معارج القبول (٢/٤٢٢).

(٣) المصدر السابق (٢/٤٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١/٢٦٠-٢٦١).

(٥) ينظر: شرح النووي على مسلم (١/١٠٦، ١٤٧)، وتيسير العزيز الحميد (ص٢٦٢).

((ولابد من ترتيب الشهادتين، وموالاتهما))[1].

والذي يظهر -والله أَعلم- أَن المراد بالترتيب: أَن يأْتي المرء بكلمة التوحيد مرتبة الكلمات؛ فلا يقدم كلمة على كلمة يحصل بتقديمها إخلال في المعنى، أو تقصير فيه.

كما أَنَّ المراد بالموالاة: أن يأتي قائل هذه الكلمة بها متوالية؛ فلا يفصل بين كلماتها بفاصل طويل يخل بالمعنى المقصود؛ كأن يقول: لا إله، ثم بعد مدة طويلة يقول: إلا الله، فلا بد أَن يأْتي بها متوالية الكلمات على الترتيب الوارد في النصوص الشرعية؛ لأنه بهذا يتضح معناها المراد منها، والله أَعلم.

٧- من غير إِكراه: أَي أَنَّ المرء لا يُحكم بإِسلامه إِلا إِذا قال كلمة التوحيد طائعاً مختاراً؛ من غير إِكراه؛ لأن المكره عليها إنما يقولها لاتقاء تلف نفسه أو دفع الضرر والأذى عنه، وهذا الشرط قريب من شرط القبول الذي ذكره أَهل العلم.

٨- ولا جهالة: والمراد به: أَي من غير جهالة بمعنى كلمة التوحيد؛ الذي هو: إثبات العبادة لله وحده، ونفيها عن كل من سواه -كما تقدم بيان ذلك-، فلا يمكن تحقيق التوحيد إلا بعد العلم بالكلمة الطيبة نفياً وإثباتاً[2].

٩- الجزم: وهو ما يعبر عنه أَهل العلم بـ"اليقين"، والمراد به: ((أَن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً؛ فإِنَّ الإِيمان لا يغني فيه إِلا علم اليقين لا علم الظن))[3]، فلا يكون قائلها مرتاباً، أَوشاكاً، بل يقولها وهو مستيقن وجازم أَنَّها حق لا مرية فيها.

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للبيجوري (ص٥٤).

(٢) ينظر: معارج القبول (٤١٩/٢).

(٣) المصدر السابق (٤١٩/٢).

وخلاصة الأمر: فإن كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" لها شروط؛ فمن حققها، واجتنب ما يناقضها؛ نفعته هذه الكلمة، وفاز بالأَجر العظيم، والثواب الجزيل، وحصلت له النجاة من النار، والفوز بالجنان، ومن لم يحقق هذه الشروط؛ لم تنفعه هذه الكلمـة، والله أعلم.

الفصل الثاني: توضيح علماء اليمن لمعنى العبادة في اللغة والشرع، وبيان شروطها والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى العبادة في اللغة والشرع.

المبحث الثاني: بيان شروط العبادة والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الأَول: معنى العبادة في اللغة والشرع.

المطلب الأول: معنى العبادة في اللغة.

العبادة في اللغة: مصدر عَبَدَ، يَعبُدُ، عِبادةً[1].

قال ابن فارس-رحمه الله-: ((العين، والباء، والدال؛ أَصلان صحيحان، كأَنَّهما متضادان:

والأَول من ذَيْنك الأَصلين: يدل على لِينٍ وذُلٍّ.

والآخر: على شدة وغلظ))[2].

والعبادة تُطلق في اللغة على معان متعددة؛ منها: الخُضوع والذِّلَّة، والقوة والصَّلابة، والأنفة والكراهة، والطاعة والتنسُّك والمملوكية[3].

وعند التأَمل في هذه المعاني نجدها ترجع إِلى الأَصلين اللذين ذكرهما ابن فارس، ولا تخرج عنهما.

وقد ذكر علماء اليمن جملة من معاني العبادة في اللغة؛ وبيانها كما يلي:

فأما العلامة الصنعاني –رحمه الله– فقد قرر ((أن العبادة: هي غاية التَّذلل والخضوع))[4].

وقال في موضع آخر: ((العبادة: ذُلٌّ، وخضوع، ومَسْكنة))[5].

---

(١) ينظر: العين (٢/٤٨)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/٢٠٥)، ولسان العرب (٣/٢٧١-٢٧٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/٢٠٥).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (٢/١٣٦-١٤١)، والصحاح (٢/٥٠٣-٥٠٤)، ولسان العرب (٣/٢٧٠-٢٧٣)، والقاموس المحيط (ص٢٩٦-٢٩٧).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (١/٤٦٥).

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير (٦/١٢٧).

وبيَّن في موضع آخر: أن ((سر العبودية: هي الذُّل، والخضوع))[1].

وأوضح العلامة النعمي -رحمه الله- أن العبادة هي الطاعة[2]؛ ثم قال: ((وهذا وجه اقتصار القاموس[3]، ومن وافقه على تفسير العبادة والعبودية والعُبودة: بالطاعة[4]))[5].

وقال العلامة القاضي عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله-: ((العبادة في اللغة: الطاعة، فالعابد طائع))[6].

وأوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- معنى العبادة من مصدرها من كتب اللغة؛ فقال: ((اعلم أَنَّ العبادة وهي: أَقصى غاية الخضوع والتَّذلل، وهي مشتقة من الذُّل؛ يُقال: طريق مُعبَّد؛ أَي: مذلَّل، ومنه قول موسى -عليه السلام- لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الشعراء:٢٢]، أَي: ذلَّلتهم، فاتَّخذتَهم عبيداً))[7].

وأوضح -أَيضاً- في موضع آخر أنَّ العبادة: هي ((أَقصى مراتب الخضوع، وفي الصِّحاح[8]: العُبودية: الخضوع، والذُّل، والتَّعبيد: التَّذلل؛ يُقال: طريق مُعبَّد؛ أَي: مذلَّل ...))[9].

---

(١) المصدر السابق (٢/٥٦٩).

(٢) ينظر: معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٥٩).

(٣) أي: صاحب القاموس المحيط؛ وهو الفيروز أبادي.

(٤) ينظر: القاموس المحيط (٢٩٦).

(٥) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٥٩-٦٦٠).

(٦) تيسير اليسرى؛ تحقيق: محمد محمد حفظ الله الشيخ (ص١٢٩).

(٧) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣٥-٣٦).

(٨) (٢/٥٠٣).

(٩) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٧).

وقال في موضع آخر: ((العبادة تجمع غاية الحب، وغاية الذل، والخضوع لله تعالى))(١).

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((معنى العبادة في اللغة: الذُّل، والخُضوع، والانقياد، وكل مخلوق من الإِنس والجن خاضع لقضاء الله، متذلِّلٌ لمشيئته، مُنقادٌ لما قُدِّر عليه))(٢).

وبيَّن العلامة الحسن عاكش –رحمه الله–: أن العبادة تأتي بمعنى النُّسك؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾[البقرة:١٢٨]: ((النُّسك في الأصل: العبادة الشديدة))(٣).

كذلك أوضح –رحمه الله– أنها تأتي بمعنى الدِّين؛ حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة:١٩٣]: ((العبادة لله وحده لا يُعبد سواه))(٤).

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢).

(٢) فتح القدير (٥/١١٠).

(٣) فتح المنان؛ تحقيق: عيسى الدريبي (١/٣٨١).

(٤) المصدر السابق (١/٤٦٠).

المطلب الثاني: معنى العبادة في الشرع.

العبادة في الشرع: لفظ:"العبادة": هو لفظٌ شامل للدِّين كله؛ بعباداته الاعتقادية، أَو اللفظية، أَو البدنية، أَو المالية؛ لأَن كل ما أَمر الله تعالى به ونهى عن فعله يُسمى طاعة، والطاعة هي: العبادة.

وقد عُرِّفت العبادة بتعريفات عديدة، ولكن أَجمع تلكم التعريفات، تعريف شيخ الإِسلام ابن تيمية -رحمه الله- لها؛ بأَنها: ((اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأَقوال والأَعمال؛ الباطنة والظاهرة: فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصِدق الحديث، وأَداء الأَمانة، وبر الوالدين، وصلة الأَرحام، والوفاء بالعهود، والأَمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإِحسان إِلى الجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك؛ من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأَمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حُب الله ورسوله، وخشية الله، والإِنابة إِليه، وإِخلاص الدِّين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأَمثال ذلك: هي من العبادة لله))[1].

وقال -أَيضاً-: ((والعبادة: تجمع غاية الحُبِّ وغاية الذُّلِّ، فيُحبون الله بأَكمل محبة، ويذلون له أَكمل ذُل، ولا يعدلون به، ولا يجعلون له أَنداداً، ولا يتخذون من دونه أَولياء، ولا شفعاء))[2].

وقد أَوضح علماء اليمن المقصود بالعبادة، وبيان حقيقتها، وتنوعت عباراتهم في ذلك، وكلها عند التحقيق متقاربة المعنى:

فأَما العلامة الصنعاني -رحمه الله-: فقد قرر أَنَّ ((العبادة أَقصى باب الخضوع والتذلل، ولم تُستعمل إِلا في الخضوع لله تعالى؛ لأَنَّه مولى أَعظم النعم،

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩-١٥٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/٢٩٠).

فكان حقيقاً بأَقصى غاية الخضوع))[1].

ثم بيَّن –رحمه الله– أَنَّ ((رأَس العبادة، وأَساسها، التوحيد لله، الذي تُفيده كلمته، التي إِليها دعت جميع الرسل، وهو قول "لا إِله إِلا الله"...))[2].

كما أوضح –رحمه الله– أَنَّ العبادة أَربعة أَنواع –كما سيأَتي بيان ذلك[3]–؛ إِعتقادية، ولفظية، وبدنية، ومالية، ثم ذكر أَنَّ أَنواع الواجبات، والمندوبات، في الأَموال، والأَبدان، والأَفعال، والأَقوال، كثيرة، ولكن هذه أُمهاتها[4].

وهذا البيان من العلامة الصنعاني لمعنى العبادة، وأَنواعها؛ يجعلها تشمل جميع الأقوال والأعمال؛ الظاهرة والباطنة، التي يتقبلها الله ﷻ بقبول حسن.

وبنحوه قال العلامة النعمي –رحمه الله– في بيان معنى العبادة؛ حيث قال: ((معنى عبادتك الله تعالى وحده: هي وقفك النفس على مطلوب حكمه فيها؛ تركاً، وعملاً، واعتقاداً، أو استعمالك نفسك له وحده؛ تركاً، وعملاً، واعتقاداً على مقتضى حكمه...))[5].

كما وسَّع –في موضع آخر– المجال في تفسيره للعبادة؛ فقال: ((ومن العبارات المنخرطة في سلك نظائرها المارَّة في معنى العبادة: عبارة مبسوطة غير مرتبة ترتيب التعاريف، ومنها يؤخذ للعبادة معناها؛ فنقول: لما كان المخلوق ملكاً لخالقه، ومن شأن المملوك الْمُنعَم عليه بالإيجاد ومقتضياته الفقير إلى مُنْشِئه: أن يترك نفسه وتصرفها تحت إشارة ربها وبارئها؛ إذ هو المقصود بالإيجاد ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦]، ويذرها ذليلة مسخرة، واقفة على حكمه، وأمره وتدبيره،

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أَدران الإلحاد (ص٥٣).

(٢) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٣) ينظر: (ص٢٢٣).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص٥٤).

(٥) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٥٦).

مسلمة إليه بلا منازعة ولا تشمُّس[١]، وإن لم يكن ذا مقصود الإيجاد فهو الأمر الصالح اللائق المناسب الملائم، وغيره فاسد منافر مضاد.

وأمره تعالى بإخلاص العبادة له، وتوحيدها بها، وإمحاض[٢] وجهه بالقصد: إشارة إلى هذا المعنى المقصود أو اللائق))[٣].

وأَما العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله– فقد قرر: أَنَّ ((عبادة الله غاية مراد عباده المؤمنين))[٤].

ثم قال مبيناً معنى العبادة في الشرع: ((وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخُضوع، والخوف))[٥].

وقال في موضع آخر: ((والعبادة تجمع غاية الحُبِّ، وغاية الذُّلِّ والخضوع لله تعالى))[٦].

وقال –أيضاً–: ((العبادة هي: أَقصى مراتب الخضوع؛ حُباً وذلاً))[٧].

وبيَّن –أَيضاً– أَنَّ العبادة: ((هي غاية الخضوع والتذلل؛ الناشيء عن غاية

---

(١) التَّشمُّس: كلمة تدل على النفور وعدم الاستقرار، والشَّموس من الدواب: الذي لا يكاد يستقر، يقال: شَمسَ شِماساً، وامرأة شَموس: إذا كانت تنفر من الريبة ولا تستقر عندها؛ ورجل شَموس، إذا كان لا يستقر على خُلق. ينظر: معجم مقاييس اللغة (٣/٢١٣)، ولسان العرب (٦/١١٣-١١٤).

(٢) المِحضُ: اللَّبن الخالص، وأمحَضَه الوُد: أخلصه. ينظر: القاموس المحيط (٦٥٣).

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٦٦).

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٤).

(٥) المصدر السابق (ص٣٦).

(٦) المصدر السابق (ص٣٨)، وينظر: المصدر نفسه (ص٤٩).

(٧) المصدر السابق (ص٤٨).

الحب، وغاية التعظيم))[1].

فتبيَّن مما ذكره -رحمه الله- أَنَّ العبادة: ((اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذُّلِّ لله ونهايته، فالحب الخليُّ عن ذلٍّ، والذُّلُّ الخليُّ عن حبٍّ لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين، ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله، وهي وإن كانت منفعتها للعبد، والله غنيٌّ عن العالمين، فهي له من جهة محبته لها ورضاه))[2]، ((فالمحبوب الذي لا يُعظَّم، ولا يُذلُّ له؛ لا يكون معبوداً، والمعظَّم الذي لا يُحبُّ؛ لا يكون معبوداً))[3].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣]: ((لا تعبدون إلا الله؛ معناه: اقصدوه بأَنواع العبادة؛ وذلك كالخضوع، والدعاء، والذبح، والسجود، والتوكل، والصلاة، وغيرها من أَنواع العبادة مما أَمر بها تعالى))[4].

ثم قرر -رحمه الله- أَنَّ ((**أَصل العبادة: إِفراد الله بالمحبة؛ بأَن يكون الحب كله لله**، والمراد من محبة الخلق لله ها هنا: ما يليق بجناب الله تعالى، ويختص به من أَنواعها، ولا تصلح إلا له تعالى، وهي أَقصى مراتب الخضوع، الذي هو حقيقة العبادة؛ فإِنَّ المحبة متفاوتة في القدر والوصف، فلله من ذلك ما يليق من أَنواعها، وهي أَقصى مراتب المحبة؛ الذي هو تعبد المحب لمحبوبه، فلا منزلة أَشرف للعبد منها، فالمحبة هي حقيقة العبودية، وسرها، ولا يكفي في العبودية؛ حتى يكون الله ورسوله أَحب إليه مما سواهما))[5].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/١٩).

(٣) المصدر السابق (١٠/٥٦).

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٩).

(٥) المصدر السابق (ص١٦٧-١٦٨).

كما أَوضح –رحمه الله– أَنَّ محبة الله ﷻ التي هي حقيقة العبودية، وسرها؛ إِنما تُحقق باتباع أَمره، واجتناب نهيه، وعلى قدر التزام العبد بذلك؛ تتبين حقيقة عبوديته، ومحبته لله ﷻ نفياً وإِثباتاً؛ حيث قال: ((إِذا كانت المحبة لله هي حقيقة العبودية، وسرها؛ فهي إِنما تُحقق باتباع أَمره، واجتناب نهيه، فعند اتباع أَمره، ونهيه؛ يتبين حقيقة العبودية، والمحبة، وقد جعل الله سبحانه إِتباع رسوله شاهداً لمن ادعاها؛ فقال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١]، فدل أَنَّه لا تثبت محبتهم إِلا بإِتباع الرسول ﷺ، ودل على أَنَّ متابعة الرسول ﷺ هي حب الله، وطاعة أَمره، ولكنه لا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أَحب إِليه مما سواهما، ومتى كان عنده شيء أَحب إِليه من الله ورسوله، فلا يهديه؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة:٢٤]، فمن قدم طاعة أَحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أَو قول أَحد منهم على قول الله ورسوله، أَو مرضات أَحد منهم على مرضات الله ورسوله، أَو خوف أَحد منهم، ورجاءه، والتوكل عليه، على خوف الله، ورجاءه، والتوكل عليه؛ فهو ممن ليس الله ورسوله أَحب إِليه مما سواهما، وإِن قاله بلسانه، فهو كذب منه؛ فإِنَّ من أَحب الله، راقبه في السر والعلانية، وعظَّم ما عظَّمه الله، وضغَّر ما صغَّره الله، فكل محبة لم يُقارنها تعظيم لمحرمات الله من تقديم أمره ونهيه على أَمر من سواه، فهي دعوة كاذبة))[(١)].

كما بيَّن –رحمه الله– أَنَّه ((**متى تمكنت محبة الله من القلب، ازداد عبودية، وذلاً، وخضوعاً، وأَخرجت منه تأَلهه لما سوى الله،** وهذا المطلوب العظيم لا يُوصل إِليه إِلا الله، ولا يدل عليه غيره؛ فإِنَّ الخروج من الظلمات إِلى النور؛ لا يكون إِلا بإِذن الله؛ كما قال تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[إبراهيم:١]، فإِنَّه لن يُعبد إِلا

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٩-١٧٠).

بإعانته، ولن يُطاع إلا بإذنه: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير:٢٨-٢٩]، فإن لم يكن مستعيناً بالله، مُفتقراً إليه، مُتوكلاً عليه؛ لم يحصل له هذا المطلوب، فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون))[١].

وقال العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي في تعريف العبادة شرعاً: ((وفي الشرع: توجيه الأعمال لله تعالى، وهذا الحد يدخل فيه ما وجه لله ولغيره، ويخرجه قوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[النساء:٣٦]))[٢].

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله– في بيان معناها: ((والعبادة: أَقصى غايات الخُضوع والتَّذلل))[٣].

وحكى عن ابن كثير[٤] –رحمه الله– قوله: ((وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع، والخوف))[٥].

وقال في موضع آخر: ((وعبادة الله: إثبات توحيده، وتصديق رسله، والعمل بما أَنزل في كتبه))[٦].

وهذا التعريف شامل لجميع ما شرعه الله ﷻ على عباده؛ من الأُمور الاعتقادية، والعملية.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥]، راوياً عن ابن عباس رضي الله عنه

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٧١).

(٢) تيسير اليسرى، تحقيق: محمد محمد حفظ الله (ص١٢٩).

(٣) فتح القدير (٢٧/١).

(٤) هو: أَبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي البصروي، الإمام، المحدث، الحافظ، المفسر، له عدة مصنفات؛ منها: التفسير، والبداية والنهاية، وغيرها، توفي سنة ٧٧٤هـ. ينظر ترجمته: طبقات الحفاظ، للسيوطي (٥٣٣/١-٥٣٤)، وشذرات الذهب (٦٧/١-٦٨).

(٥) فتح القدير (٢٧/١) ، وينظر: تفسير ابن كثير (١٣٤/١).

(٦) فتح القدير (١٢٦/١).

قال: ((أَي: إياك نُوحِّد، ونخاف يا ربنا لا غيرك))[1].

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]: ((قيل: المعنى: إلا ليأمروا بعبادتي؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾[التوبة:٣١]، وقيل: إلا ليعرفوني؛ لأنه لو لم يخلقهم لم يعرفوا وجوده وتوحيده، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزخرف:٨٧]...))[2].

فالعبادة هي حقيقة التوحيد، وأساسه؛ لأن أساس التوحيد هو إفراد الله بالعبادة والإخلاص فيه؛ ولذا قال ابن عباس ﷺ: ((كل ما ورد في القرآن من العبادة؛ فمعناه التوحيد))[3].

كما عرَّفها العلامة المعلمي -رحمه الله- بقوله: ((هي طاعته بامتثال ما أَمر به ورضيه، واجتناب ما نهى عنه وكرهه))[4].

وهذا التعريف شامل لجميع ما شرعه الله ﷻ على عباده؛ من الأقوال والأَعمال، الظاهرة والباطنة.

ثم ذكر -رحمه الله- شبهة في بيان معنى العبادة:

((هل طاعة ولي الأَمر، والأَبوين، والتوجه إِلى جهة القبلة، وحج البيت، والطَّواف، وتقبيل الحجر الأَسود، واستلام الرُّكن، وإِكرام النبي ﷺ، والعلماء، والصالحين؛ عبادة لهم؟))[5].

وقد ردَّ العلامة المعلمي -رحمه الله- على هذه الشبهة؛ من ثلاثة أَوجه:

---

(١) فتح القدير (٢٧/١)، وينظر: تفسير الطبري (١٥٧/١).

(٢) فتح المنان؛ تحقيق: الزعقاني (ص٥٣٤).

(٣) تفسير البغوي (٩٣/١).

(٤) القائد إلى تصحيح العقائد (ص٧).

(٥) القائد إلى تصحيح العقائد (ص٥٠٥).

الأول: بيانه أن ((مدار الحق في الأَقوال، والأَفعال على ما أَنزل الله تعالى به سلطاناً، فما أَنزل الله به سلطاناً من الأَقوال والأَفعال التي أَشرتم إليها؛ فهو حق وطاعة لله ﷻ وحده لا شريك له، وإن كان في الصورة لغيره؛ كطاعة النبي ﷺ، وطاعة المسلمين أُولي الأَمر منهم، فيما يتعلق بمصالحهم، ولا يُخالف الشريعة، وطاعة الأَبوين فيما لا يُخالف الشريعة، وكذلك توجه المسلمين في صلاتهم إلى جهة القبلة، وحجهم البيت، والطَّواف به، واستلام الركن، وغير ذلك، وكذلك إكرامهم نبيهم ﷺ على الوجه الذي رضيه لهم، وأَقرهم عليه، وإكرام الصالحين، والوالدين، والعلماء، وغيرهم على الوجه الذي ثبت في الشريعة؛ الأَمرُ، أَو الإِذنُ به؛ فكل هذا طاعة، وتعظيم لله ﷻ، ومما أَنزل الله به سلطاناً))[1].

الثاني: بيانه أن ((تعظيم المسلمين لجميع ما سبق؛ ليس طلباً لنفع غيبي منهم، بل من الله تعالى؛ لأَنَّه هو الآمر بذلك، ثم إنَّ هؤلاء قالوا قولاً، لم يقله عبدة الأَصنام))[2].

الثالث: بيانه -كذلك- ((أن المشركين لم يكونوا يزعمون مثل ذلك في الكعبة، والحجر الأَسود؛ لأَنَّهم كانوا يرون أَنَّ احترامها إنما هو لأَمر الله ﷻ، فلذلك لم يسموا الكعبة إلهاً، ولا أَطلقوا على احترامهم لها عبادة))[3].

وخلاصة الأَمر: فإنَّ العبادة قد عُرِّفت باعتبارات مُتعددة؛ فبالنظر إلى مبنى العبادة ومرتكزها الذي تقوم عليه؛ عُرِّفت بقولهم: هي غاية الحبِّ، بغاية الذُّلِّ والخضوع، وأشباه ذلك، وبالنظر إلى الفعل ذاته، وهو التعبد؛ عُرِّفت بقولهم: هي طاعة الله -سبحانه وتعالى- بامتثال ما أَمر به، وترك ما نهى عنه، ونحو ذلك، وبالنظر إلى المفعول، وهو أَفراد الطاعات المتعبَّد بها؛ عُرِّفت بقولهم: هي اسم جامع

---

(١) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٢) المصدر السابق (ص٥٠٦).

(٣) القائد إلى تصحيح العقائد (ص٥٠٦).

لكل ما يحبه الله ﷻ ويرضاه من الأَقوال والأَعمال؛ الظاهرة والباطنة[1].

وعبارات علماء اليمن السابقة في تعريف العبادة وبيان معناها -وإِن تعددت- فهي لا تخرج عما سبق.

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩-١٥٠، ١٥٣، ٢٤٩، ٢٥١، ٤٦٦)، (١٥/١٦٢)، ومنهاج السنة النبوية (٢/٤٤٨)، (٣/٢٩٠)، ومدارج السالكين (١/٩٥)، وتفسير ابن كثير (١/١٣٤)، وفتح الباري (١١/٣٤٧)، وتيسير العزيز الحميد (ص٢٩-٣٠)، وفتح المجيد (١/١٣-١٤).

المبحث الثاني: بيان شروط العبادة والرد على المخالفين في ذلك.

التوحيد: هو إفراد الله بالعبادة، وهذا هو الأصل الذي قام عليه الدِّين، وهو أحد شرطي العبادة، الذي هو إخلاص العمل لله تعالى، ويبقى الأصل الثاني: وهو ألا يُعبد الله إلا بما شرع؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:١١٠].

وضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بخلاصة مفيدة؛ فقال: ((وجماع الدِّين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]، وذلك تحقيق الشهادتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله؛ ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلِّغ عنه؛ فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره))(١).

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: ((فلا يكون العبد متحققاً بـ" ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥]؛ إلا بأصلين عظيمين.

أحدهما: متابعة الرسول ﷺ.

والثاني: الإخلاص للمعبود، فهذا تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾))(٢).

وهذان الشرطان هما بمثابة الأركان والأعمدة والأساس للأعمال الصالحة، من لم يأتِ بهما محقت أعماله ولم ينتفع بها، **وهذا ما قرره علماء اليمن -رحمهم الله-؛ وتفصيل ذلك فيما يلي:-**

---

(١) العبودية؛ لابن تيمية (ص١٤٨).

(٢) مدارج السالكين (١/١٠٤).

الشرط الأول: الإخلاص لله ﷻ.

الإخلاص هو لب الدِّين، وروح العبادة، وأصله وعموده الذي يقوم عليه، وهو: "تجريد القصد طاعة للمعبود"(١) و أن: " لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادة النفس"(٢).

وقد قرر العلامة الصنعاني –رحمه الله– أن الإخلاص شرط في كل عبادة وطاعة(٣).

وأوضح ذلك في موضع آخر؛ حيث بيَّن أَنَّ من شرط العبادة لكي تكون مقبولة: الإخلاص في النية؛ وذلك بجعل العبادة خالصة لوجه الله تعالى؛ حيث قال: ((إفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأَن يكون الدعاء كله له، والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستعانة بالله وحده، واللجأ إلى الله، والنذر، والنحر له تعالى، وجميع أَنواع العبادات من الخضوع، والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع، والسجود، والطواف، والتجرد عن الثياب، والحلق والتقصير، كله لا يكون إلا لله ﷻ))(٤).

ثم بيَّن –رحمه الله– أَنَّ ((من فعل شيئاً من ذلك لمخلوق حي أَو ميت، أَو جماد، أَو غير ذلك، فقد أَشرك في العبادة، وصار من تُفعل له هذه الأُمور إله لعابديه، سواء كان ملكاً، أَو نبياً، أَو ولياً، أَو شجراً، أَو قبراً، أَو جِنياً، أَو حيّاً، أَو ميِّتاً، وصار العابد بهذه العبادة، أَو بأَي نوع منها، عابداً لذلك المخلوق مشركاً بالله، وإِن أَقرَّ بالله وعبده؛ فإِن إِقرار المشركين بالله، وتقربهم إليه، لم يخرجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، وأَخذ أَموالهم غنيمة؛ قال الله

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين؛ لابن القيم (١٢٥/٢).

(٢) مدارج السالكين (٩٣/٢).

(٣) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير(١٦٣/١٠).

(٤) تطهير الاعتقاد عن أَدران الإلحاد (ص٥٧).

تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك»[1]، لا يقبل الله عملاً شُورك فيه غيره، ولا يؤمن به من عبد معه غيره))[2].

وأكد ذلك في موضع آخر؛ فقال: ((إن الله تعالى فرض على عباده إفراده بالعبادة: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[هود:٢]، وإخلاصها له: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[البينة:٥]، ومن نادى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وخوفاً وطمعاً، ثم نادى معه غيره؛ فقد أشرك في العبادة))[3].

كما بيَّن –رحمه الله– في موضع آخر أَنَّ الله ﷻ سمى ((الرياء في الطاعات شركاً، مع أَنَّ فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى، وإنما أَراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس، فالمرائي عبد الله لا غيره؛ لكنه خلط عمله بطلب المنزلة في قلوب الناس، فلم يقبل له عبادة، وسماها شركاً))[4].

وذكر العلامة النعمي –رحمه الله– صفة العبادة الصحيحة؛ فقال: ((...ومن أمعن النظر في آيات الكتاب، ومحاورات الرسل مع أممهم؛ وجد أُسَّ الشأن، ومَحط رحال القَصد، شيوعاً وكثرة وانتشاراً وشهرة: هو دعاء الله وحده وإخلاص العبادة له))[5].

كذلك أوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: أن ((العبادات لا تصلح إلا لله، ولا تنبغي لسواه، وتحقيق هذا المعنى هو في قول: "لا إله إلا الله"، فهذه الكلمة تقتضي: أن لا إله غير الله؛ أي:لا معبود إلا الله، وهو الذي يُطاع فلا يعصى؛ هيبةً له وإجلالاً، ومحبةً، وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه،

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٥٥).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٨).

(٣) المصدر السابق (ص٦٦).

(٤) المصدر السابق (٥٩).

(٥) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٧٠٧-٧٠٩).

ودعاءً له، ولا يصح ذلك إلا لله ﷻ، وليس لأحد من المخلوقين من ذلك شيء، فمتى صرف العبد شيئاً من عبادته لغير الله؛ فقد أشركه مع الله، وكان ذلك نقصاً في توحيده بحسب ما وقع من التعبُّد لغير الله، فإن معنى أشركت زيداً جعلت له قسطاً))[1].

وقال العلامة عبد الرحمن البهكلي –رحمه الله–: ((وفي ذكر نفي الشرك بعد العبادة تنبيه على الإخلاص؛ لأن العبادة لا يصح وجودها مع الشرك، ولا ينتفي التشريك عنها إلا بالإخلاص؛ وهو مناط القبول))[2].

وفي شرحه لحديث جابر ﷺ في دعاء الاستفتاح: «كان النبي ﷺ إذا استفتح الصلاة كبَّر؛ ثم قال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣] ...»[3]، قال: ((وفي هذا الاستفتاح من الألفاظ الدالة على إخلاص العبودية لله تعالى لا سيما في هذا المقام الذي لم يصلح لغيره سبحانه وتعالى))[4].

–إلى أن قال–: ((﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾: أجاب بالجملة الحالية عن الحالة التي هو عليها حين التَّلبس بهذه العبادة التي أمر بالإخلاص فيها بأنه من المسلمين، وفي هذا دليل التلازم، فإن الإخلاص في العبادة من لوازم الإسلام، فالحال هذه يصلح أن يكون مؤكدة بمضمون لا شريك له وبذلك أمرت))[5].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٠).

(٢) تيسير اليسرى؛ تحقيق: محمد محمد حفظ الله (ص٢٠٩).

(٣) أخرجه النسائي في الصغرى؛ كتاب: الافتتاح، نوع آخر من الدعاء بين التكبير والقراءة (١٢٩/٢) ح (٨٩٦)، وصححه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٢٦٠/١).

(٤) تيسير اليسرى، تحقيق: محمد محمد حفظ الله (ص١٨٥).

(٥) تيسير اليسرى، تحقيق: محمد محمد حفظ الله (ص١٨٥).

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في بيان معنى الإخلاص في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[الزمر:٢] : ((الإخلاص: أن يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه، والدِّين: العبادة والطاعة، ورأسها توحيد الله، وأنه لا شريك له...؛ وفي الآية دليل على وجوب النية، وإخلاصها عن الشوائب، لأن الإخلاص من الأمور القلبية التي لا تكون إلا بأعمال القلب، وقد جاءت السنة الصحيحة أن ملاك الأمر في الأقوال والأفعال النية، كما في حديث: «إنما الأعمال بالنيات»[(١)]...))[(٢)].

وقال في موضع أخر: ((بعث الله رسله، وأنزل كتبه لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[الأعراف:٥٩]، ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ ﴾[هود:٢]... .

وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء، والاستغاثة، والرجاء، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره: ﴿ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾[الجن:١٨]...))[(٣)].

وقال في موضع آخر مبيناً أهمية هذا الشرط في قبول الأعمال: ((اعلم أن عمدة الأعمال التي تترتب عليها صحتها أو فسادها هي النية والإخلاص، ولا شك أنهما من الأمور الباطنة.

فمن لم تكن نيته صحيحة لم يصح عمله الذي عمله، ولا أجره المترتب عليه، ومن لم يخلص عمله لله سبحانه فهو مردود عليه مضروب به في وجهه))[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في مقدمة صحيحه (٦/١) ح (١)، ومسلم؛ كتاب: الإمارة، باب: قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (١٥١٥/٣) ح (١٩٠٧)؛ من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) فتح القدير (٥١٥/٤).

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٣٣٨/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٤) قطر الولي على حديث الولي (ص٤٣٨).

ثم أورد رحمه جملة من الأحاديث النبوية الدالة على ذلك؛ ومنها[(١)]:
حديث عمر بن الخطاب ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[(٢)].

ومنها: حديث عائشة –رضي الله عنها– في قصة الجيش الذي يغزو الكعبة فيخسف بهم، قالت: قلت يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم، ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يُبعثون على قدر نياتهم»[(٣)].

ومنها: قوله ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»[(٤)].

كما أوضح –رحمه الله– في سياق بيانه لواجبات طالب العلم؛ أن شرط الإخلاص أول واجبات طالب العلم؛ وذلك لأن طلب العلم من أشرف العبادات وأفضلها؛ فقال: ((فأول ما على طالب العلم: أن يحسن النية، ويصلح طويته، ويتصور أن هذا العمل الذي قصد له، والأمر الذي أراده؛ هو الشريعة التي شرعها الله سبحانه لعباده، وبعث بها رسله، وأنزل بها كتبه، ويجرد نفسه عن أن يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا، أو يخلطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه ؛ كمن يريد به الظفر بشيء من المال، أو يصل به إلى نوع من الشرف، أو البلوغ إلى رئاسة من رئاسات الدنيا، أو جاه يحصله به... .

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص٤٣٨-٤٤١).

(٢) تقدم تخريجه الصفحة السابقة.

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب: البيوع، باب: ما ذُكر في الأسواق (٣/٦٥) ح (٢١١٨).

(٤) أخرجه مسلم؛ كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله (٤/١٩٨٦) ح (٢٥٦٤)؛ من حديث أبي هريرة ﵁.

فإن من أراد أن يجمع في طلبه العلم بين قصد الدنيا والآخرة؛ فقد أراد الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن طلب العلم من أشرف أنواع العبادة، وأجلها، وأعلاها؛ وقد قال الله سبحانه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة:٥]، فقيد الأمر بالعبادة بالإخلاص الذي هو روحها... .

فكل طاعة من الطاعات، وعبادة من العبادات؛ إذا لم تصدر عن إخلاص نية، وحسن طوية؛ لا اعتداد بها، ولا التفات إليها، بل هي إن لم تكن معصية، فأقل الأحوال أن تكون من أعمال العبث واللعب التي هي بما يصدر عن المجانين أشبه منها بما يصدر عن العقلاء))[1].

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾[الكهف:١١٠]: ((إشراكاً جلياً؛ كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكاً خفياً؛ كما يفعله أهل الرياء، ومن يطلب به أجراً))[2].

وقال عند قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[الزمر:٢]: ((أي: فاعبده تعالى مخلصاً له الدِّين من شوائب الشرك والرياء...))[3].

وبين معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ﴾[النمل:٩١]، فقال: ((أُمر رسول الله ﷺ بأن يقول: أُمرت أن أخصَّ الله وحده بالعبادة))[4].

كذلك قرر العلامة البيحاني -رحمه الله-: ((أن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، وأنه تعالى يقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري؛ تركته وشركه»[5].

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب (ص٢٨-٣٠).

(٢) فتح المنان؛ تحقيق: المرشود (ص٣٢٦).

(٣) فتح المنان؛ تحقيق: عبد الكريم الشملان (ص٩١٩).

(٤) المصدر السابق (ص٣٠٤).

(٥) تقدم تخريجه (ص١٥٥).

وفي الكتاب العزيز من الآيات الدالة على وجوب الإخلاص فيما يتقرب به العبد إلى ربه شيء كثير؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[الكهف:١١٠]... .

وعدم الإخلاص لله تعالى في العمل خسارة لا تُقاس بغيرها؛ فتعب بلا فائدة، وعمل بلا أجر، ويلقي الأمر بنفسه في نار جهنم، وقد خلفه أهله الصالحون، وذهبوا إلى الجنة بطيب أعمالهم، وهو وعمله في النار، وذلك هو الخسران المبين.

وفي الحديث الشريف: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(١)... .

وسئل ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك يكون في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»(٢)...))(٣).

وأوضح -أيضاً-: ((أن زينة المرء علمه، وثمرة العلم العمل، وكل عمل لا يقبله الله ولا ينتفع به صاحبه، ولا يؤدي به المأمور به إلا مع الإخلاص، وأن يريد به الله وحده، وسر النجاح وبلوغ الغاية التي يسعى إليها النبي والعالم والملك والزعيم وغيرهم: هو الإخلاص، وما كان لله فيتم، وما كان لغيره فعاقبته الخسران والفشل...))(٤).

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الصفات:١٧١] (١٣٦/٩) ح (٧٤٨٥)، ومسلم؛ كتاب: الإمارة، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (١٥١٣/٣) ح (١٩٠٤)؛ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) إصلاح المجتمع (ص١٦-١٧).

(٤) المصدر السابق (ص٢٠).

كما بيَّن في موضع آخر: أن ((أضر شيء على العبد: أن يعمل عملاً، أو يقول قولاً، لا يريد به وجه الله، جميل ظاهره، قبيح باطنه، يسر غير ما يُعلن، ويُظهر خلاف ما يُبطن...))[1].

الشرط الثاني: المتابعة.

ويقصد بالمتابعة: المتابعة والموافقة لما شرع الله ﷻ، **فلا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع**؛ فالبدع مردودة على أهلها، فمهما اجتهدوا وتعبدوا وأخلصوا في نظرهم، فالبدع مردودة، كما قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[2].

---

(١) المصدر السابق (ص٢٢).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: البيوع، باب: النجش، ومن قال: لا يجوز ذلك البيع (٦٩/٣) معلقاً، ومسلم؛ كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور

وقد أوضح العلامة الصنعاني -رحمه الله- أن الله عَجَّلَ أمرنا باتباع سيد المرسلين؛ فقال: ((إنما أمرنا الله باتباع سيد المرسلين، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص:٨٦]، ولم يخاطبنا رب العالمين في كتابه المبين إلا بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[الحشر: ٧]))[(١)].

كما قرر في موضع آخر أن معرفة الحق مقرون باتباع الكتاب والسنة؛ وذلك في سياق بيانه لأقسام المسلمين؛ حيث قسمهم إلى أربعة أقسام، وأن القسم الرابع هم الأعز من كل عزيز، والأقل من كل قليل، وهم الذين عرفوا الحق، ونبذوا تقليد الآباء، واتبعوا الكتاب والسنة حيث كانا، وساروا بسيرهما متوجهين إلى باب الهدى، قارعين له بإخلاص النية، وتوطين النفس على اتباع الحق حيث كان، والدوران مع الكتاب والسنة حيث دارا[(٢)].

وبين في موضع آخر أن كل الخير في اتباع الكتاب والسنة، وحذَّر من البدع والابتداع؛ فقال:((اعلم أنه -صلى الله عليه وآله وسلم- قد حذر أمته من الابتداع، لما أعلمه الله من أن أمته تأتي من الابتداع بأجناس وأنواع، فقال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[(٣)]، وقال: «خير الأمور كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور

(١٣٤٣/٣) ح (١٧١٨)؛ من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(١) الأنفاس الرحمانية؛ للصنعاني (ص٩٦).

(٢) إيقاظ الفكرة؛ للصنعاني (ص٥٧).

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) ح (٨٦٧) بلفظ: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»، وأخرجه أحمد (٢٣٤/٢٣) ح (١٤٩٨٤) بلفظ: «وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة»، وابن ماجه في مقدمة سننه، باب: اجتناب البدع والجدل (١٨/١) ح (٤٦)، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: صلاة العيدين، باب: كيف الخطبة (٣٠٨/٢) ح (١٧٩٩)؛ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[1]... .

قلت: ووجه عظمة الابتداع في الدين؛ أنه كالرد على قول الله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة:٣]، فالابتداع بزيادة في الدِّين، أو نقصان منه، فلهذا عظُم شأن البدعة في الدِّين، وخرج بها صاحبها من الدِّين كما تخرج الشعرة من العجين...))[2].

وبيَّن أن أهل البدع: هم ((أصحابها المحدثون لها، أو المتبعون فاعلها، وهو كل ما خالف الكتاب والسنة وطريقة السلف))[3].

وذكر أنه ((لا يخفى ما ورد في السنة من الأحاديث الواسعة في ذم المبتدعة والوعيد الشديد))[4]، ثم أورد عدة أحاديث في ذلك[5].

كذلك أوضح العلامة الشوكاني –رحمه الله– لزوم اتباع السنة؛ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[الحشر:٣]؛ حيث قال: ((أمر في هذه الآية باتباع ما سنه رسول الله ﷺ، فكل حكم سنه الرسول لأمته قد ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز، بهذه الآية، وبنحو قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾[آل عمران:٣١]، وبقوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[الأحزاب:٢١]))[6].

وقال في موضع آخر عن الآية نفسها: ((والحق أن هذه الآية عامة في كل

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٢/٥٩٢) ح (٨٦٧) بلفظ: «خير الحديث كتب الله...»؛ من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (ص٣٩-٤١).

(٣) المصدر السابق (٤/٢٩٥).

(٤) ثمرات النظر؛ للصنعاني (ص٤٨).

(٥) ينظر: المصدر السابق (ص٤٨-٥١).

(٦) فتح القدير (٢/١٣٠).

شيء يأتي به رسول الله ﷺ؛ من أمر، أو نهي، أو قول، أو فعل، وإن كان السبب خاصاً، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصله إلينا، وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها))[1].

وقال في ذم الرأي والهوى، ولزوم الاستجابة لله ورسوله باتباع الكتاب والسنة: ((والحاصل أن كل ما لم يأت به الكتاب والسنة فهو من هوى الأنفس؛ كما قال الله سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠].

فقسم سبحانه الأمر إلى قسمين لا ثالث لهما: إما الاستجابة لله وللرسول؛ باتباع الكتاب والسنة، أو اتباع الهوى.

فكل ما لم يكن في الكتاب والسنة فهو من الهوى؛ كما قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[ص:٢٦].

فقسم سبحانه الحكم بين الناس إلى أمرين: إما الحكم بالحق الذي جاء به الكتاب والسنة، أو الهوى، وهو ما خالفهما.

وقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الجاثية:١٨]، وقال سبحانه: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

وقد أجمع الناس سابقهم ولاحقهم أن الرد إلى كتاب الله سبحانه وإلى سنة رسوله، هو الواجب على جميع المسلمين، ومن رد إلى غيرهما فهو عاص لله ورسوله مخالف للكتاب العزيز، والسنة المطهرة ... .

وقد ثبت عن أكابر الصحابة الخلفاء الأربعة وغيرهم ذم الرأي ومقت العامل

---

(١) المصدر السابق (٥/٢٣٦).

به، وأنه ليس من الدِّين في شيء...))[1].

وقرر العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله–: أن العمل المخالف لشرع الله؛ مردود على صاحبه؛ فقال: ((فمن عبد الله بخلاف ما أمر به رسول الله ﷺ فعمله من الهباء لا يُقبل؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]))[2].

وفي مقام الرد على المخالفين في هذا الباب:

قال الشوكاني –رحمه الله– في سياق نقده ورده على المتصوفة في مخالفتهم للشرع المطهر: ((والخير كل الخير في الكتاب والسنة، فما خرج عن ذلك فلا خير فيه، وإن جاءنا أزهد الناس في الدنيا، وأرغبهم في الآخرة، وأتقاهم الله تعالى، وأخشاهم له في الظاهر؛ فإنه لا زهد لمن لم يمش على الهدى النبوي؛ ولا تقوى ولا خشية لمن لم يسلك الصراط المستقيم، فإن الأمور لا تكون طاعات بالتعب فيها والنَّصَب، وإيقاعها على أبلغ الوجوه، بل إنما تكون طاعات خالصة محضة مباركة نافعة؛ بموافقة الشرع، والمشي على الطريقة المحمدية))[3].

وقال –أيضاً– في نقده للخوارج على ما هم فيه من العبادات: ((واعتبر بالخوارج فقد وصفهم النبي ﷺ بما وصف؛ من تلك العبادات، والمجاهدات التي لا تبلغ عبادتنا ولا مجاهدتنا إلى شئ منها، ولا تعتبر بالنسبة إليها، ومع هذا فقال: إنها لا تجاوز تراقيهم، وقال: إنهم يمرقون من الديِّن؛ كما يمرق السهم من الرمية[4]، وقال:

---

(١) قطر الولي على حديث الولي (ص٣٠٠-٣٠٣).

(٢) إيقاظ الوسنان (ص١٠٣).

(٣) قطر الولي على حديث الولي (ص٢١٨-٢١٩).

(٤) كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرمية...»؛ أخرجه البخاري؛ كتاب: فضائل القرآن، باب: إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو

إنهم كلاب النار[1].

فانظر كيف كانت مجاهداتهم، وعباداتهم، وقيامهم الليل، وصيامهم النهار؛ نقمة عليهم، وبلية ومحنة لهم، لم تعد عليهم بنفع قط، إلا ما أصيبوا به من الخسار والنكال والوبال، فكانت تلك الطاعات الصورية؛ من صلاة، وصيام، وتهجد، وقيام؛ هي نفس المعاصي الموجبة للنار.

وهكذا كل من رام أن يطيع الله على غير الوجه الذي شرعه لعباده وارتضاه لهم؛ فإنه ربما يلحق بالخوارج؛ بجامع وقوع ما أطاعوا الله به على غير ما شرعه لهم في كتابه وعلى لسان رسوله))[2].

هذه هي الشروط التي قررها علماء اليمن –رحمهم الله– لقبول الطاعة والعبادة، وهي شروط مستنبطة من نصوص القرآن والسنة، والتخلف عن هذين الشرطين ينتج عنه؛ إما الشرك بالله ﷻ، وإما الابتداع في الدين؛ والله أعلم.

فخر به (١٩٧/٦) ح (٥٠٥٨)، ومسلم؛ كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفتهم (٧٤٣/٢) ح (١٠٦٤).

(١) كما في حديث ابن أبي أوفى ﷛ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخوارج هم كلاب النار»؛ أخرجه أحمد في مسنده (٤٧٣/٣١) ح (١٩١٣٠)، وابن ماجه في مقدمة سننه، باب: في ذكر الخوارج (٦١/١) ح (١٧٣). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٣١/١).

(٢) قطر الولي على حديث الولي (ص٢١٩).

الفصل الثالث: بيان علماء اليمن للعلاقة بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان أقسام التوحيد .

المبحث الثاني: بيان إقرار الكفار بتوحيد الربوبية.

المبحث الثالث: بيان العلاقة توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الأول: بيان أقسام التوحيد.

توحيد الله ﷻ لا يخرج عن ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الربوبية: وهو الإقرار بأن الله ﷻ هو الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

الثاني: توحيد الألوهية: وهو الإقرار بأن الله ﷻ هو الإله المستحق للعبادة وحده، وكل معبود سواه باطل.

الثاني: توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله ﷻ عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف[1] ولا تعطيل[2] ولا تكييف[3] ولا تمثيل[4].

وإن كان بعضهم قد جعله قسمين؛ فضم توحيد الربوبية والأسماء والصفات في قسم، وسماه التوحيد العلمي الخبري، وجعل توحيد الألوهية قسماً مستقلاً، وسماه...

(١) التحريف هو: نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص، واستبداله بمعنى آخر غير صحيح، وهو إما أن يكون لفظياً أو معنوياً. ينظر: شرح العقيدة الواسطية؛ للعثيمين (٨٦/١-٩١).

(٢) التعطيل هو: إنكار ما أثبته الله ﷻ لنفسه من الأسماء والصفات؛ سواء كلياً أو جزئياً، وسواء كان ذلك بتحريف أو جحود. ينظر: شرح العقيدة الواسطية (٩١/١).

(٣) التكييف هو: جعل الشيء على هيئة معينة، من غير تقييده بمماثل. ينظر: القواعد المثلى؛ للعثيمين (ص٦٥)، وشرح العقيدة الواسطية (٩٧/١).

(٤) التمثيل هو: ذكر الصفة مقيدة بمماثل، أو هو أن يعتقد المثبت أن صفات الله ﷻ مماثلة لصفات المخلوقين. ينظر: القواعد المثلى (ص٢٥)، وشرح العقيدة الواسطية (١١٢/١).

التوحيد العملي "توحيد القصد والطلب"[1].

وقد قرر علماء اليمن –رحمهم الله– أنواع التوحيد وبيَّنوه؛ كما سأذكره من خلال كلامهم:

قال العلامة الصنعاني –رحمه الله–: ((التوحيد قسمان:

القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها، ومعناه: أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرب لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً، بل هم مقرون به... .

والقسم الثاني: توحيد العبادة؛ ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات...؛ فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء، ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى.

فالرسل عليهم السلام بُعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلى الثاني...))[2].

وذكر العلامة عبد الرحمن البهكلي –رحمه الله– في فضل سورة الإخلاص أنها اشتملت على ظواهر التوحيد وأصنافه، ثم بيَّنها بالتفصيل، فقال ما ملخصه: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص:١]: يتضمن توحيد الربوبية والألوهية، و﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[الإخلاص:٢]: يتضمن توحيد الألوهية، و﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾[الإخلاص:٣]: يتضمن توحيد الربوبية، ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[الإخلاص:٤]: ليس أحد يكافئه أو يماثله من ند أو صاحبة، ويُقصد به

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٥/٤٦٦، ١٩)، ومتن الطحاوية (ص٣١)، والحجة في بيان المحجة (١/١٢٢-١٢٥)، ومجموع الفتاوى (١٧/١٠٧-١٠٨)، والفتاوى الكبرى (٥/٢٤٨-٢٤٩)، ومدارج السالكين (١/٤٨-٤٩)، (٣/٤١٧-٤١٨)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٤١، ٢٧)، ومعارج القبول (١/٩٨).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٠).

توحيد الأسماء والصفات[1].

وكذلك في بيان فضل سورة الكافرون وكذلك الإخلاص؛ بيَّن أنهما احتوتا على أنواع التوحيد؛ من إخلاص العبادة لله ﷻ، ووحدانيته تعالى، ونفي المثيل، والشريك، فقال: ((ووجه الحكمة في قراءته بهما من بين سائر السور؛ أنهما سورتا الإخلاص؛ أما الأولى: فلما فيها من نفي عبادته -صلى الله عليه وآله وسلم- غير الله في حال الاقتراح، وفيما بعده، وفيما قبله؛ لأن قوله: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ ﴾[الكافرون:٢]: في المستقبل، وقوله: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ ﴾[الكافرون:٤]: في الحال، وفي قوله: ﴿ مَآ أَعۡبُدُ ﴾[الكافرون:٥]: ولم يقل ما عبدتُ؛ لأنه لم يعبد قبل البعثة صنماً، فالسورة تقتضي إخلاص العبادة لله في جميع أحوال الزمان الثلاثة.

وأما الثانية: فلأنها المتضمنة وحدانية الله، وكونه المصمود إليه المألوه، ففيها توحيد الألوهية، وفيها نفي الولد؛ ليدل على نفي الشريك، ونفي الوالد؛ ليدل على القِدم الأزلي المطلق، وليتضمن ذلك الرد على شياطين الكفار، ومِن عبَّاد الملائكة، ومِن عبَّاد عيسى...، وفيها نفي الكفؤ، وهو: المماثل، وهو يدل على التفرد المحض، وعدم المثيل والنَّظير كما يستحق جلال وجهه الكريم))[2].

كما أوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: ((أن رسل الله من أولهم إلى آخرهم اتفقوا على الدعوة إلى التوحيد؛ وهي: توحيد في العلم والاعتقاد، وتوحيد في الربوبية والألوهية.

فالأول: التوحيد العلمي، ومداره على إثبات صفات الكمال لله، وعلى نفي التشبيه والمثال، وتنزيه الرب -جلا وعلا- عن العيوب والنقائص... .

والعلم بهذا التوحيد يترتب عليه العلم بتوحيد الربوبية والألوهية، وهذا القسم نوعان:

الأول: توحيد الربوبية... .

---

(١) ينظر: تيسير اليسرى؛ تحقيق: عبد الحميد العزابي (ص٣٢٣).

(٢) المصدر السابق (ص٦٦).

والنوع الثاني: توحيد الألوهية، وهو توحيد العبادة...))[1].

وقرر في موضع آخر: أن سورة الفاتحة قد تضمنت ((الألوهية، والربوبية، وإثبات المعاد، والأسماء والصفات، والدعاء إلى الصراط المستقيم...؛ فمبنى هذه السورة على إثبات الألوهية، والربوبية، والرحمة، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٤]: مبني على الألوهية؛ لأن الألوهية تتضمن توحيد العبادة...، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]: مبني على الربوبية؛ لأن معنى الرب المتصرف في ملكوت السموات والأرض... فلا يُستعان إلا به، وطلب الهداية على الصراط المستقيم مبني على الربوبية والألوهية، فهو ربهم ورازقهم وراحمهم؛ ولأجل ذلك عرَّفهم وجه عبادته، وهداهم إلى الصراط المستقيم...))[2].

وقال بمثله العلامة الحسن عاكش –رحمه الله–؛ حيث قال: ((وقد صرَّحت الآيات القرآنية باتفاق دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم على التوحيد، وهو توحيد في العلم والاعتقاد، وتوحيد في الربوبية والألوهية، والأول: مداره على إثبات صفات كمال لله تعالى، وعلى نفي التشبيه والمثال، وتنزيه الرب –جل جلاله– عن العيوب والنقائص، وقد اشتمل على ذلك الكتاب العزيز في غير ما آية، ومباحث أهل علم الكلام في هذا النوع، والعلم بهذا التوحيد يترتب عليه العلم بتوحيد الربوبية والألوهية، وتوحيد الربوبية معناه: أن الرب وحده المتصرف في ملكوت السموات والأرض، الخالق الرازق، مالك السمع والأبصار، متفرد بملك النفع والضر، والعطاء والمنع...، وهو من التوحيد الواجب على العبد، ولكن لا يخلُص بمجرده عن الشرك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله تعالى؛ حتى يوحده في الألوهية؛ وهو توحيد العبادة))[3].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣٩-٤٠).

(٢) المصدر السابق (ص٣٠-٣١).

(٣) فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (٣٢١/١).

كما أشار المعلمي –رحمه الله– إلى أقسام التوحيد الثلاثة –أيضاً–؛ في قوله: ((والقطع بلا إله إلا الله يستدعي القطع بثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنه لا مدبر في الكون استقلالاً إلا الله ﷻ... .

الأمر الثاني: القطع بأنه لا مستحق للعبادة إلا الله ﷻ... .

–إلى أن قال:– ويؤخذ من كلام كثير من أهل العلم زيادة قسم ثالث: وهو ما أصل المقصود منه تعظيم الله ﷻ، والبعث على الإيمان به وعلى طاعته، ويدخل في هذا عامة الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه أو وصفه بها نبيه))[1].

وبين –رحمه الله– أن هذا التقسيم موجود في القرآن؛ فقال: ((فإذا قرأت القرآن تجده مملوءاً بالحجج على أن المشركين كانوا يعترفون بالله ﷻ وصفاته، وإنما نازعوا في انفراده باستحقاق العبادة))[2].–

وفي مقام الرد على المخالفين المنكرين لتقسيم التوحيد:

سُئل الشيخ الوادعي –رحمه الله– عن أهل البدع الذين يقولون: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام أمراً محدثاً؛ فما الرد عليهم[3]؟.

فأجاب بقوله: ((الرد عليهم: أن هذا وارد في كتاب الله؛ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ﴾[الأعراف:١٨٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾[فاطر:١٣-١٤]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان:٢٥]... .

وأنت إذا نظرت إلى كتاب التوحيد من "صحيح البخاري"[4]؛ تجده ذكر

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص٦٠٥).

(٢) المصدر السابق (ص٤٦٩).

(٣) ينظر: تحفة المجيب عن أسئلة الحاضر والغريب (ص٢٥٤).

(٤) ينظر: صحيح البخاري (٩/١١٤-١٦١)؛ حيث ذكر أبواباً مختلفة في الدلالة على أنواع التوحيد الثلاثة؛ توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية.

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهكذا علماؤنا المتقدمون، وهكذا -أيضاً- عبيد الله بن بطة[1] -رحمه الله تعالى- قسَّم التوحيد إلى ثلاثة أقسام[2]...))[3].

وأكد ذلك في موضع آخر؛ فقال: ((هذا التقسيم مأخوذ من كتاب الله، ومن سنة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء:٣٦]، هذا توحيد الألوهية، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾[لقمان:٢٥]؛ هذا توحيد الربوبية، وقال الله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]؛ وهذا توحيد الأسماء والصفات.

فسواء أكان شيخ الإسلام ابن تيمية هو أول من قال بهذا أم كان من قبل، على أن في كتاب التوحيد للإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في آخر صحيحه اشتمل على توحيد الأسماء

---

(١) هو: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، المعروف بابن بطه، الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق، مصنف كتاب "الإبانة الكبرى"، توفي سنة ٣٨٧هـ. ينظر ترجمته: تاريخ بغداد (١٢/١٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٢/٤٦٤-٤٦٦).

(٢) ينظر: الإبانة الكبرى؛ لابن بطة (٦/١٤٩)؛ حيث قال: ((أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد آنيته؛ ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها؛ من العلم، والقدرة، والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه)).

(٣) تحفة المجيب عن أسئلة الحاضر والغريب (ص٢٥٤).

والصفات، وعلى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية[1]))[2].

فكما قال الشيخ الوادعي -رحمه الله- فإن هذا التقسيم للتوحيد ليس أمراً مبتدعاً -ابتدعه شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن جاء بعده؛ كما يزعم ذلك أهل البدع[3]- بل قد قسم التوحيد إلى أقسام جملة من السلف؛ ومنهم -إضافة إلى من ذكرهم الشيخ الوادعي-: ابن جرير الطبري[4][5]، والطحاوي[6][7]، ....

....

(١) ينظر: صحيح البخاري (٩/١١٤-١٦١).

(٢) غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة؛ للوادعي (١/١٦٧).

(٣) منهم: المدعو حسن بن علي السقاف؛ في كتابه: "التنديد بمن عدد التوحيد، إبطال محاولة التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية"، حيث أنكر هذا الرجل تقسيم العلماء للتوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية؛ وتوحيد الألوهية؛ وتوحيد الأسماء والصفات؛ فقيض الله ﷻ له الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد -حفظه الله-؛ ورد عليه بكتاب: "القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد".

(٤) هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام العلَم المجتهد، له مصنفات؛ منها: جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الرسل والملوك توفي سنة ٣١٠هـ. ينظر ترجمته: تاريخ بغداد (٢/٥٤٨)، وسير أعلام النبلاء (١١/١٦٥-١٧٥).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٥/٤٦٦).

(٦) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، الإمام العلامة، محدث الديار المصرية وفقيهها، له مصنفات؛ منها: العقيدة الطحاوية، ومشكل الآثار، توفي سنة ٣٢١هـ. ينظر ترجمته: تاريخ دمشق (٥/٣٦٧-٣٧١)، وسير أعلام النبلاء (١١/٣٦١-٣٦٣).

(٧) ينظر: متن الطحاوية (ص٣١).

وابن منده[(١)(٢)]، وغيرهم.

وقرره ابن تيمية[(٣)]، وابن القيم[(٤)]، وابن أبي العز[(٥)(٦)]، ....

....

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن يحي بن منده، الإمام الكبير، الحافظ، المجود، له مصنفات؛ منها: "الإيمان"، و"التوحيد"، و"معرفة الصحابة"، توفي سنة ٣٩٥هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٢/٤٩٩-٥٠٥).

(٢) حيث فصل وبوب كتابه: "التوحيد" في الأقسام الثلاثة للتوحيد؛ ولذلك قال محققه الدكتور علي الفقيهي في مقدمة تحقيقه لكتاب التوحيد لابن منده (١/٢٧): ((ومؤلف هذا الكتاب عاش في القرن الرابع الهجري (٣١٠-٣٩٥هـ) وقد اشتمل كتابه على أقسام التوحيد التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى توحيد الربوبية توحيد الألوهية توحيد الأسماء والصفات فبدأ بقسم الوحدانية في الربوبية مستدلاً به على توحيد الله في الألوهية، ثم ذكر عنواناً لتوحيد الأسماء ومنه دخل في توحيد الألوهية وذلك من الفصل الثاني والأربعين إلى الفصل الخمسين، ثم عاد لتكميل أسماء الله تعالى، ثم اتبعه بتوحيد الصفات حيث بحثه مستقلاً عن أسماء الله ﷻ، ثم عاد إلى توحيد الربوبية بالتصريح بذلك في آخر الكتاب، ولم يخرج في استدلاله على ذلك عن كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ وأقوال السلف كما يجد ذلك القارئ في الكتاب)).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧/١٠٧-١٠٨)، والصفدية، لابن تيمية (٢/٢٢٨-٢٢٩)، والفتاوى الكبرى (٥/٢٤٨-٢٤٩).

(٤) ينظر: مدارج السالكين (١/٤٨-٤٩)، (٣/٤١٧-٤١٨).

(٥) هو: أبو الحسن علي بن علاء الدِّين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي الصالحي الدمشقي، له مصنفات؛ منها: شرح العقيدة الطحاوية، والتنبيه على مشكلات الهداية، توفي سنة ٧٩٢هـ. ينظر ترجمته: الدرر الكامنة (٤/١٠٣).

(٦) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٤١،٢٧).

وقرره الزبيدي[1] في تاج العروس[2]، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي[3] في أضواء البيان[4]، وغيرهم.

وهذا التقسيم مبني على استقراء نصوص الكتاب والسنة، والعلماء أرادوا بهذا التقسيم تقريبه إلى الأذهان، ولكي يكون معيناً على فهم التوحيد إجمالاً وتفصيلاً؛ لأنه من المعلوم أن الشيء إذا قسم يكون أسهل وأقرب إلى الذهن؛ والله أعلم.

المبحث الثاني: بيان إقرار الكفار بتوحيد الربوبية.

---

(١) هو: أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الزبيدي، الفقيه، اللغوي، الصوفي، له مصنفات؛ منها: تاج العروس، وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدِّين، توفي سنة ١٢٠٥هـ. ينظر ترجمته: هدية العارفين (٢/٣٤٧-٣٤٩).

(٢) ينظر: (٩/٢٧٦) من الكتاب.

(٣) هو: محمد بن الأمين بن محمد مختار الشنقيطي، ولد بشنقيط، وهاجر إلى المملكة العربية السعودية، وهو من أعضاء وأساتذة الجامعة الإسلامية الذين تأسست عليهم الجامعة الإسلامية، له مصنفات؛ منها: أضواء البيان، ورسالة منهج دراسة آيات الأسماء والصفات، توفي سنة ١٣٩٢هـ. ينظر ترجمته: مقدمة أضواء البيان حيث ترجم له الشيخ عطية محمد سالم، ورسالة جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف؛ للشيخ عبد العزيز الطويان (ص١٨-٨٨).

(٤) ينظر: (٣/١٧-١٨) من الكتاب.

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية لغة وشرعاً.

أولاً: معنى توحيد الربوبية لغة:

تقدم بيان معنى كلمة:"توحيد"[1]، وأما كلمة: "الربوبية"؛ فهي مأخوذة من الرَّب، وكلمة "الرَّب" في اللغة تطلق على معان؛ منها: مالك الشيء وصاحبه، والملِك، والسَّيد المطاع، والمصلح للشيء، والمدبِّر، والمربِّي، والقيِّم، والْمُنعم، ولا يُطلق غير مضاف إلا على الله، وإذا أطلق على غيره أُضيف؛ فقيل: رب كذا.

قال الأزهري-رحمه الله- : ((الرَّب، هو الله تبارك وتعالى، هو رب كل شيء؛ أي: مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، ويقال: فلان رب هذا الشيء؛ أي: ملكه له، ولا يقال "الرَّب" بالألف واللام، لغير الله، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[يوسف:٤٢]؛ أي: عند ملِكك، يقال: هو ربُّ الدابة، وربُّ الدار))[2].

وجاء في الصحاح[3]: ((ربّ كل شيء: مالكه، والرب اسم من أسماء الله ﷻ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملك)).

وقال الراغب الأصفهاني-رحمه الله-: ((الرب في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقال: ربَّه وربَّاه ورببه))[4].

وجاء في لسان العرب: ((الرب يطلق في اللغة: على المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: رب كذا))[5].

---

(١) ينظر: (ص٩٦).

(٢) تهذيب اللغة (١٢٨/١٥).

(٣) (١٣٠/١).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٣٣٦).

(٥) لسان العرب (٣٩٩/١).

وجاء -أيضاً-: ((يكون الرب المصلح، رب الشيء إذا أصلحه))[1].

وقد بيَّن ذلك علماء اليمن -رحمهم الله-:

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((الرَّب: الملِك، والعالمين جمع عالَم، مشتق من العلم، وهو اسم لجميع المخلوقات))[2].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: ((أما معنى الرَّب: فهو المتصرف، المالك، ويُطلق في اللغة: على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى.

وفي القاموس[3]: الرب باللام لا يُطلق لغير الله. انتهى.

وفي الصحاح[4]: ولا يُقال في غير الله إلا بالإضافة))[5].

وقرر -رحمه الله- ما جاء في الصحاح، والقاموس؛ من أن لفظ الرب لا يُقال في غير الله إلا بالإضافة، كما يُقال: رب الدار، ورب كذا[6].

وقال في موضع آخر: ((معنى الرب: المتصرف في ملكوت السموات

---

(١) المصدر السابق (١/٤٠١).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (١/٢٤٥).

(٣) القاموس المحيط (ص٨٧).

(٤) الصحاح (١/١٣٠).

(٥) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٥-٤٦).

(٦) ينظر: المصدر السابق (ص٤٦).

والأرض، فهو الذي يربي عباده؛ فيهديهم إلى مصالح نفوسهم...))[1].

وقال العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي –رحمه الله– عند ذكره لـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]: ((والعالم كل ما سوى الله، فهو رب كل ما سواه، والرَّب: المالك، وهو اسم من أسمائه الشريفة))[2].

وأوضح العلامة الشوكاني –رحمه الله– أن لفظ الرَّب فيه معنى التوحيد؛ لأن الرب عَزَّ وَجَلَّ اختص بالربوبية دون سواه، فوجب توحيده فيها؛ حيث قال في سياق بيانه لما في سورة الفاتحة من معاني التوحيد: ((لفظ "الرَّب" باعتبار معناه اللغوي مشعر أتم إشعار بإخلاص توحيده، هذا باعتبار معناه الإفرادي دون الإضافي، ثم في معناه الإضافي دلالة أخرى، فإن كونه رب العالمين يدل على ذلك أبلغ دلالة، ثم في لفظ "العالمين": معنى ثالث فإن العالم هو اسم لمن عدا الله عَزَّ وَجَلَّ، فيدخل في هذا كل شيء غير الله سبحانه؛ فلا رب غيره، وكل من عداه مربوب))[3].

وقال العلامة الحسن عاكش –رحمه الله– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[الفلق:١]: ((أي: مالك أمورهم، ومربيهم؛ بإفاضة ما يصلحهم، ومنع ما يضرهم))[4].

وقال في موضع أخر: ((﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]: صفة لله، والعالم: ما سوى الله، "ربهم": مالكهم، ومربيهم سوابغ نعمه ومزايا كرمه))[5].

وقال العلامة المعلمي –رحمه الله– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿رَبِّ

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣١).

(٢) تيسير اليسرى؛ تحقيق: خالد الردادي (ص٤٦٨).

(٣) رسالة تتعلق بوجوب توحيد الله (ص١٩).

(٤) فتح المنان؛ تحقيق وفاء الزعقاني (ص١٢٢٢).

(٥) المصدر السابق؛ تحقيق: محمود حفيظ الله (ص١٨١).

ﭐلۡعَـٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]: ((مالكهم ومدبرهم، فكيف يعبد بعضهم شيئاً آخر مثله في كونه مربوباً لله تعالى، مخلوقاً له تعالى، موقوفاً على تدبيره سبحانه؟))[١].

ثانياً: معنى توحيد الربوبية شرعاً:

توحيد الربوبية هو: ((الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه، وخالقه ورازقه، وأنه المحيي والمميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك))[٢].

وبعبارة أخرى: هو إفراد الله ﷻ بالخلق والملك والتدبير لجميع المخلوقات[٣].

وهذا ما قرره وبيَّنه علماء اليمن –رحمهم الله–:

قال العلامة الصنعاني –رحمه الله–: ((توحيد الربوبية والخالقية والرازقية...؛ معناه: أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرب لهم، والرازق لهم))[٤].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله– في بيان معناه: ((معناه: أنه هو الرب وحده؛ أي: المالك المتصرف والرازق ومن يملك السمع والأبصار، ومن يدبر الأمر، ومن له الأرض ومن فيها، وهو رب العرش العظيم، وهو يُجير ولا يُجار عليه))[٥].

وقال –أيضاً–: ((توحيد الله في الربوبية: أن يُوحّد بأفعاله؛ كالرزق، والإحياء والإماتة، والضر والنفع، وغير ذلك))[٦].

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص٢٦).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص١٧).

(٣) ينظر: أعلام السنة المنشورة (ص٢٣)، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/١٢).

(٤) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٠)، وينظر: المصدر نفسه (ص٥٦).

(٥) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣٩-٤٠).

(٦) المصدر السابق (ص٤٣).

وأوضح في موضع آخر أن توحيد العبودية لا يتحقق ولا يحصل للعبد ((إلا بعد علمه أن المنفرد بملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، والمتصرف في الملك هو الله وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه؛ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الأنعام:١٧]، فلا راد لفضله، ولا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله؛ وهذا توحيد الربوبية، ومعناه: الواحد في التصرف والملك))[1].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:٢]: ((أي: له التصرف في السموات والأرض بالإيجاد، والاختراع، ونفوذ الأمر في جميع مخلوقاته، فهو أعلم بمصالح عباده، وما فيه النفع لهم من أحكامه التي تعبدهم بها وشرعها لهم))[2].

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله-: ((توحيد الربوبية معناه: أن الرب وحده المتصرف في ملكوت السموات والأرض، الخالق، الرازق، مالك السمع والأبصار، متفرد بملك النفع والضر، والعطاء والمنع))[3].

المطلب الثاني: إقرار الكفار بتوحيد الربوبية.

المشركون الذين بُعث فيهم النبي ﷺ يُقرون بتوحيد الربوبية بالجملة، فيقرون بأن

---

(١) المصدر السابق (ص٣٦).

(٢) فتح القدير (١/١٤٨).

(٣) فتح المنان؛ تحقيق السحيباني (ص٢٠٨-٢٠٩).

الأرض ومن فيها؛ لله لا شريك له، ويقرون بأن الله ﷻ هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه رب العرش العظيم، ويقرون بأن بيده ملكوت كل شيء؛ ولم ينفعهم إقرارهم بهذا التوحيد دون إخلاص العبادة لله ﷻ.

وهذا هو ما قرره علماء اليمن –رحمهم الله–:

فأما العلامة الصنعاني –رحمه الله– فقد أوضح: ((أن المشركين الذين بعث الله الرُّسل إليهم مقرون أن الله خالقهم؛ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[الزخرف:٨٧]، وأنه هو الذي خلق السموات والأرض؛ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الزخرف:٩]، وأنه الرزاق الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وأنه الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة؛ ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١]...))[١].

ويقول في ذلك –أيضاً–: ((وهذا فرعون مع غلوه في كفره، ودعواه أقبح دعوى، ونطقه بالكلمة الشنعاء، يقول الله في حقه حاكياً عن موسى –عليه السلام–: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾[الإسراء:١٠٢]، وقال إبليس: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الحشر:١٦]...، وكل مشرك مقر بأن الله خالقه، وخالق السموات والأرض، وربهن ورب ما فيهن، ورازقهم، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ ﴾[النحل:١٧]...، والمشركون مُقرون بذلك ولا ينكرونه))[٢].

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٢).

(٢) المصدر السابق (ص٥٢-٥٣).

وقال العلامة النعمي –رحمه الله–: ((...وهل علمت أحداً من رسل الله وعظ قومه في أنهم جعلوا مع الله خالقاً أو رازقاً أو محيياً أو مميتاً مثلاً؟ أم العلم قاضٍ بصدق الحاكي: أنهم إذا سُئلوا من؟ لقالوا: الله))[1].

كذلك قرر العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: أن توحيد الربوبية ((هو الذي أقر به مشركوا العرب ولم يدخلهم في الإسلام؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[الزخرف:٩]...))[2].

وبين في موضع آخر ((أن المشركين لم يقولوا إن الأوثان شاركت الله في خلق السموات والأرض، ولا في خلقهم، ولا إنها ترزقهم، ولا تحييهم؛ فجميع أهل الشرك مقرون بأن الله الفاعل لجميع ذلك وحده؛ كما حكى الله عنهم ذلك؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١]... .

فكل مشرك مقرٌّ: بأن الله وحده خالقه وخالق السموات والأرض ورب من فيها ورازقهم، ومع إقرارهم بهذا؛ لم ينفعهم ذلك، بل أباح الله دماءهم وأموالهم وذرياتهم على لسان رسله؛ حتى يوحدوه في العبادة كما وحدوه في أنه الرب الرازق))[3].

وكما بيَّن أن إقرارهم بهذا التوحيد لم ينفعهم إذا لم يخلصوا العبادة لله ﷻ، أكد بقوله أن: ((توحيد الربوبية هو من التوحيد الواجب على العبد، لكن لا يخلص العبد بمجرده عن الشرك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله؛ بل لا بد

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٧٦٦).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣٦).

(٣) المصدر السابق (ص٤١-٤٢).

أن يُخلص لله العبادة فلا يعبد إلا إياه))[1].

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((اعلم أن الله لم يبعث رسله، وينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم، والرازق، ونحو ذلك، فإن هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧]...، ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١]... .

ولهذا تجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار معنوناً باستفهام التقرير: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[فاطر:٣]، ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[إبراهيم:١٠]... .

بل بعث الله رسله، وأنزل كتبه لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة؛ ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[الأعراف:٥٩]... .

وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء، والاستغاثة، والرجاء، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره... .

وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله إليهم خاتم رسله لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم إلى الله، وتشفع لهم عنده، مع اعترافهم بأن الله –سبحانه وتعالى– هو خالقها وخالقهم، ورازقها ورازقهم، ومحييها ومحييهم، ومميتها ومميتهم، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٢]، ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[يوسف:١٠٦]...))[2].

وقال العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله–: ((ولهذا لم يبعث الله رسله –عليهم السلام–، وينزل كتبه؛ ليُعرف خلقه بأنه هو الخالق لهم الرازق ونحو

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٠).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٦٥-٦٨).

ذلك، فإن هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسل؛ قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الزخرف:٩]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس:٣١]...، ولهذا تجد كل ما في الكتاب العزيز من شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار باستفهام التقرير؛ ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[فاطر:٣]، ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[إبراهيم:١٠]...))[1].

وقرر العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- أن المشرك مقر بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم ينفعه هذا الإقرار؛ حيث قال: ((وهذا القدر يُقرُّ به مشركو العرب ولا ينكرونه، ولم يخرجوا به من الشرك، وهو من التوحيد الواجب على العبد))[2].

وقال العلامة المعلمي -رحمه الله-: ((كان العرب الذين خوطبوا بالقرآن والسنة أولاً كغيرهم من الناس بعقولهم الفطرية وما توارثوه عن الشرائع يعلمون أن الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١].

فكانوا يعلمون أنه سبحانه ليس بحجر، ولا شجر، ولا كوكب، ولا إنسان، ولا طائر، ولا جني، ولا ملَك، ولا مخلوق من المخلوقات التي عرفوها والتي لم يعرفوها، بل هو رب كل شيء وخالقه، وقد شهد لهم القرآن بأنهم كانوا يعتقدون وجود الله ﷻ وربوبيته، وأنه الذي يرزق من السماء والأرض، والذي يملك السمع والأبصار، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويدبر الأمر كله، له الأرض وما فيها، رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يُجار عليه، خلق السموات والأرض، وسخر الشمس والقمر، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ينزل من السماء ماء فيحي به الأرض، خلق السموات والأرض وهو العزيز

---

(١) إيقاظ الوسنان (ص٢١-٢٢).

(٢) فتح المنان؛ تحقيق السحيباني (١/٣٢٠).

العليم، إلى غير ذلك...))[1].

كما حقق -رحمه الله- بتدرج تأريخي إثبات الإقرار بربوبية الله ﷻ لدى الأمم السابقة؛ كقوم إبراهيم -عليه السلام-، والمصريين في عهده -عليه السلام-، وقوم يوسف -عليه السلام-، والمصريين في عهد موسى -عليه السلام-، وقوم بلقيس من أهل اليمن، وقوم هود وصالح -عليهما السلام-[2].

وأورد ذلك مفصلاً، إلا أنه لم يذكر بعض الأقوام؛ كقوم نوح، وقوم لوط، وقوم شعيب، وقوم داود، وقوم عيسى، وكلهم قد حكت الآيات القرآنية إقرارهم بربوبية الله ﷻ.

ثم ختم -رحمه الله- ذلك ببيان إقرار مشركي العرب بتوحيد الربوبية[3].

وجماع القول فإن البشرية جمعاء مقرة معترفة بوجود الله وربوبيته، بل قد أخذ عليهم عهداً بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[الأعراف:١٧٢].

كذلك أوضح الشيخ باشميل -رحمه الله-: أن المشركين كانوا ((يؤمنون بوجود الله إيماناً جازماً، ويوحدونه في الربوبية توحيداً كاملاً، لا تشوبه أية شائبة؛ أي: أنهم كانوا يعتقدون أنه تعالى ربهم ورب كل شيء، وأن من يدعونهم من دونه؛ من الآلهة، والأنبياء، ليسوا إلا بعضاً من عبيده وخلقه، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، وأن الضر والنفع والموت والحياة بيده وحده سبحانه وتعالى لا يشاركه في ذلك،

---

(١) القائد إلى تصحيح العقائد (ص١٤٣).

(٢) ينظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص٤٥٦-٤٧٠).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٤٧١).

ولا يظاهره أي مخلوق من مخلوقاته))[1].

وفي مقام الرد على المخالفين:

كمن ينكر أن يكون ((أبو جهل وأبو لهب ومن على دينهم من المشركين، كانوا يؤمنون بالله ويوحدونه في الربوبية خالقاً ورازقاً، محيياً ومميتاً، ضاراً ونافعاً، لا يشركون به في ذلك شيئاً))[2].

أوضح الشيخ باشميل –رحمه الله– بطلان هذا الزعم؛ ببيان أن النصوص القرآنية متوافرة في تقرير ذلك: ((فقد قال تعالى مؤكداً إيمان أولئك المشركين الأولين به سبحانه وتعالى، رباً خالقاً ورازقاً، ومحيياً ومميتاً، ضاراً ونافعاً، قال تعالى لنبيه محمد ﷺ في حق هؤلاء المشركين: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[العنكبوت:٦١]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[العنكبوت:٦٣]...))[3].

ومع هذا الذي سبق تقريره من أن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون، ولم يُدخلهم ذلك في الإسلام؛ فإن أهل الكلام أفنوا أعمارهم لتحقيق هذه القضية المسلَّم بها حتى عند المشركين، وزعموا أن توحيد الربوبية هو الغاية العظمى من بعثة الرسل، وأنهم إذا أثبتوه بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد[4].

وهذا القول باطل من وجهين:

الأول: أن توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد لا جميعه، وقد أقر به المشركون، فكيف يكون مع ذلك هو الغاية العظمى من توحيد الرسل؟!.

---

(١) كيف نفهم التوحيد (ص١١).

(٢) المصدر السابق (ص١٢).

(٣) المصدر السابق (ص١٣-١٤).

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٨٨)، ومجموع الفتاوى (٣/١٠١-١٠٢).

الثاني: أن الإقرار بهذا التوحيد فقط لا يوجب الدخول في الإسلام، ولا يصير به الرجل مسلماً؛ فمشركو العرب كانوا مقرين بأن الله ﷻ خالق كل شيء، ومع ذلك سماهم مشركين؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

فالمراد بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ ﴾: هو تصديقهم واعترافهم بأن الله ﷻ هو الخالق الرازق المحيي المميت، والمراد بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾: أي: أنهم أشركوا مع الله ﷻ في عبادته، وهذا ما فسر به السلف هذه الآية[1].

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٨٦/١٦)، وتفسير البغوي (٥١٧/٢).

المبحث الثالث: بيان العلاقة بين توحيد العبادة وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

تقدم بيان أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، ولا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع هذه الأنواع الثلاثة، فلا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، ولا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، ولا يستقيم توحيد الله في ربوبيته وألوهيته بدون توحيده في أسمائه وصفاته، فهذه الثلاثة متلازمة يكمل بعضها بعضاً، ولا يسع الاستغناء ببعضها عن البعض الآخر.

فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأن من عبد الله ولم يُشرك به شيئاً فهذا يدل ضمناً على أنه قد اعتقد أن الله هو ربه ومالكه الذي لا رب غيره، وأنه هو الذي بيده مُلك الضر والنفع، فلا يستحق العبادة أحد سواه.

وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ لأن من أقر بتوحيد الربوبية، وأنه وحده سبحانه هو المتفرد بالخلق والملك والتدبير؛ لزمه أن يعبده وحده، ولا يصرف شيئاً من العبادة لأحد سواه- وقد تقدم في المبحث السابق بيان إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وأن ذلك لم ينفعهم ولم يدخلهم في الإسلام-.

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين معاً، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية؛ وذلك لأنه يقوم على إفراد الله ﷻ بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العُلى التي لا تنبغى إلا له سبحانه، والتي من جملتها: الرب، الخالق، الرازق، الملِك، وهذا هو توحيد الربوبية، وكذلك من جملتها: الله، الغفور، الرحيم، التواب، وهذا توحيد الألوهية[1].

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٣)، وتيسير العزيز الحميد (ص١٧-١٩)، والكواشف الجلية؛ للسلمان (ص٤٤٢).

وقد قرر العلامة الصنعاني -رحمه الله- كما تقدم بيان ذلك: أن توحيد الربوبية لا ينكره المشركون، ولا يجعلون لله فيه شريكاً، بل هم مقرون به، بخلاف توحيد الألوهية؛ الذي هو إفراد الله بجميع أنواع العبادات، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاء، ولذلك جاءت الرسل لتقرير الأول، ودعاء المشركين إلى الثاني[1].

كما أوضح -رحمه الله- أن من أقر بتوحيد الربوبية؛ لزمه أن يفرده سبحانه بتوحيد الألوهية، فإذا لم يفعل ذلك كان إقراره بتوحيد الربوبية باطل؛ فقال: ((إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم في العبادة، ولا يغني عنهم من الله شيئا، وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون، وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النحائر، وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم، ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق، ولكنهم لما أشركوا في عبادته، جعلهم مشركين ولم يعتد بإقرارهم هذا؛ لأنه نافاه فعلهم، فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية، فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة، فإذا لم يفعل ذلك فالإقرار باطل))[2].

كذلك في بيان العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة؛ قال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: ((إن رسل الله من أولهم إلى آخرهم اتفقوا على الدعوة على التوحيد، وهي توحيد في العلم والاعتقاد، وتوحيد في الربوبية والألوهية، فالأول: التوحيد العلمي، ومداره على إثبات صفات الكمال لله، وعلى نفي التشبيه والمثال، وتنزيه الرب -جل وعلا- عن العيوب والنقائص... .

والعلم بهذا التوحيد يترتب عليه العلم بتوحيد الربوبية والألوهية، وهذا القسم نوعان:

---

(١) ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٠).

(٢) المصدر السابق (ص٥٨).

الأول: توحيد الربوبية...، وتوحيد الربوبية هو من التوحيد الواجب على العبد؛ لكن لا يخلص العبد بمجرده عن الشرك؛ الذي هو أكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله؛ بل لا بد أن يخلص لله العبادة، فلا يعبد إلا إياه.

والنوع الثاني: توحيد الألوهية، وهو توحيد العبادة...، وهذا النوع هو نتيجة النوع الأول؛ فإن العبادة والخضوع لا تنبغي إلا لمن بيده ملكوت كل شيء، وهذا النوع هو الذي طلبته الرسل، وبُعثت به إلى الخلق...))[1].

كذلك أوضح –رحمه الله– في موطن آخر أن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم ويُوجب أن تكون العبادة لله وحده ﷻ؛ حيث قال في سياق بيانه لمعنى العبادة: أنها ((عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، وهذا لا يحصل للعبد إلا بعد علمه أن المنفرد بملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، والمتصرف في الملك هو الله وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه...، فلا راد لفضله، ولا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله؛ وهذا توحيد الربوبية؛ ومعناه: الواحد في التصرف والملك، وهو الذي أقر به مشركو العرب ولم يدخلهم في الإسلام... .

ويحتج الله به عليهم في توحيد إلهيته، فإن الإقرار منهم بتفرد الرب –جل وعلا– بالتصرف في ملكوت السموات والأرض، وبأن له الأرض ومن فيها، وبأنه الرازق لهم، مالك السمع والأبصار؛ يوجب أن تكون العبادة؛ وهي الدعاء، والخوف، والتوكل، والرجاء، والاستعانة، والخضوع، والتذلل، وسائر أنواعها لله وحده لا شريك له؛ إذ لا يدعى ولا يُخاف ولا يُرجى، ولا يتوكل، ولا يُستعان، ولا يُخضع، ولا يُتذلل إلا لمن يملك الضر والنفع، ومن بيده ملكوت كل شيء...))[2].

وأوضح في موضع آخر إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وأن إقرارهم بذلك لم ينفعهم[3] ((بل أباح الله دماءهم وأموالهم وذرياتهم على لسان رسله؛ حتى

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣٩-٤٠).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٣٥-٣٨).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٤٠-٤٢).

يوحدوه في العبادة، كما وحدوه في أنه الرب الرازق...))[1].

وقال في موضع آخر: ((ومن هنا نعلم أن من أقر بأن الله هو الخالق الرازق مخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، رب السموات السبع ورب الأرض، وهو يجير ولا يُجار عليه، وعبد مع الله غيره؛ أنه لا ينفعه الإقرار بذلك مع شركه في العبادة، وقد سمى الله من كانت هذه صفته مشركاً مع إيمانه بأنه الخالق له وللسموات والأرض؛ فقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[يوسف:١٠٦]...))[2].

وقد دلَّت النصوص القرآنية على أن الآلهة التي عبدها المشركون من دون الله ﷻ لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وبالتالي فهي غير مستحقة للعبادة؛ لأن الذي يستحق العبادة هو من بيده الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والضر، والنفع، وهو الله سبحانه وحده؛ ومن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[المائدة:٧٦].

قال العلامة الشوكاني –رحمه الله– في تفسير هذه الآية: ((أي: أتعبدون من دون الله متجاوزين إياه ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً؟ بل هو عبد مأمور، وما جرى على يده من النفع، أو دفع من الضر، فهو بإقدار الله له وتمكينه منه، وأما هو، فهو يعجز عن أن يملك لنفسه شيئاً من ذلك فضلاً عن أن يملكه لغيره، ومن كان لا ينفع ولا يضر فكيف تتخذونه إلهاً وتعبدونه، وأي سبب يقتضي ذلك؟ والمراد هنا المسيح –عليه السلام–، وقدم سبحانه الضر على النفع؛ لأن دفع المفاسد أهم من جلب المصالح، ﴿ ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾؛ أي: كيف تعبدون ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً، والحال أن الله هو السميع العليم؟ ومن كان كذلك فهو القادر على الضر والنفع؛ لإحاطته بكل مسموع ومعلوم، ومن جملة ذلك مضاركم

(١) المصدر السابق (ص٤٢).

(٢) المصدر السابق (ص٤٤).

ومنافعكم))[1].

وقال -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[يونس:٣]: ((أمرهم سبحانه بعبادته بعد أن بين لهم أنه الحقيق بها دون غيره لبديع صنعه وعظيم اقتداره، فكيف يعبدون الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر؟ والاستفهام في قوله: ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾؛ للإنكار والتوبيخ والتقريع؛ لأن من له أدنى تذكر وأقل اعتبار يعلم بهذا ولا يخفى عليه))[2].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[النحل:٧٥]: ((أي: هل يستوي العبيد والأحرار الموصوفون بتلك الصفات مع كون كلا الفريقين مخلوقين لله سبحانه من جملة البشر، ومن المعلوم أنهم لا يستوون عندهم، فكيف يجعلون لله سبحانه شركاء لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً، ويجعلونهم مستحقين للعبادة مع الله سبحانه؟.

وحاصل المعنى: أنه كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء، ورجل حر قد رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق منه، كذلك لا يستوي الرب الخالق الرازق والجمادات من الأصنام التي تعبدونها؛ وهي لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع))[3].

وأوضح عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس:١-٣]: ((أن ربوبيته وملكه قد انضم إليهما المعبودية المؤسَّسَة على الألوهية، المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالإيجاد

---

(١) فتح القدير (٢/٧٥).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٨٢).

(٣) فتح القدير (٣/٢١٧).

والإعدام...، فبيَّن أنه إله؛ لأن اسم "الإله" خاص به لا يشاركه فيه أحد، -وأيضاً- بدأ باسم الرب؛ وهو اسم لمن قام بتدبيره وإصلاحه من أوائل عمره إلى أن صار عاقلاً كاملاً، فحينئذ عُرف بالدليل أنه عبد مملوك؛ فذكر أنه ملك الناس، ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه، وأنه عبد مخلوق وأن خالقه إله معبود؛ بيَّن سبحانه أنه إله الناس))[١].

وقال العلامة المعلمي -رحمه الله- في سياق بيانه لمعنى توحيد الألوهية: ((وأما الإله فهو المعبود، فمن عبد شيئاً فقد اتخذه إلهاً، وإن لم يزعم أنه مستحق للعبادة، ومن زعم في شيء أنه مستحق للعبادة؛ فقد عبده بهذا الزعم؛ لأنه يتضمن خضوعاً من شأنه أن يطلب به نفعاً غيبياً، وبذلك جعله إلهاً، ومن صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، وهكذا من أثبت لشيء تدبيراً مستقلاً بالخلق والرزق ونحوها، فإن هذا التدبير هو مناط استحقاق العبادة))[٢].

فبين -رحمه الله- مدى الترابط بين أنواع التوحيد، فمناط استحقاق العبادة هو اتصاف المعبود بأنه يُعبد بحق، وبأنه قادر على النفع والضر، وبأنه متصف بالكمال منزه عن النقص، فمن صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك.

---

(١) المصدر السابق (٥/٦٤٢).

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص٤٨٠).

الفصل الرابع: بيان علماء اليمن لأنواع العبادة والرد على الشبهات التي يستدل بها المخالفون على مشروعية عبادة غير الله.

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : بيان أنواع العبادة.

المبحث الثاني : أعمال العبادة الباطنة.

المبحث الثاني : أعمال العبادة الظاهرة.

المبحث الرابع : الرد على الشبهات التي يستدل بها المخالفون على مشروعية عبادة غير الله.

المبحث الأول: بيان أنواع العبادة.

تقدم فيما سبق بيان معنى العبادة في اللغة والشرع، وتبيَّن من النقول السابقة عن علماء اليمن أن دائرة العبادة واسعة جداً، حتى لتشمل كل قولٍ وفعلٍ وتركٍ باطنٍ أو ظاهرٍ يريد به العبد وجه الله ﷻ(1).

وقد أكد ذلك العلامة الصنعاني –رحمه الله– بتقسيمه العبادة إلى أربعة أنواع؛ حيث قال: ((اعلم أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعاً:

اعتقاديه: وهي أساسها؛ وذلك أن يعتقد أنه الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، وأنه الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق غيره، وغير ذلك من لوازم الإلهية.

ومنها لفظية: وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله، وكان كإبليس، فإنه يعتقد التوحيد، بل ويقر به...، إلا أنه لم يمتثل أمر الله بالسجود فكفر، ومن نطق بها ولم يعتقد؛ حقن ماله ودمه وحسابه على الله، وحكمه حكم المنافقين.

وبدنية: كالقيام والركوع والسجود في الصلاة، ومنها الصوم، وأفعال الحج، والطواف.

ومالية: كإخراج جزء من المال امتثالاً لما أمر الله تعالى به.

وأنواع الواجبات والمندوبات في الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة، لكن هذه أمهاتها))(2).

وبنحوه قرر العلامة النعمي –رحمه الله–؛ حيث قال في سياق بيانه لمعنى العبادة: ((ومعنى عبادتك الله تعالى وحده: هي وقفك النفس على مطلوب حكمه فيها؛ تركاً، وعملاً، واعتقاداً، أو استعمالك نفسك له وحده؛ تركاً وعملاً، واعتقاداً على مقتضى حكمه... .

---

(1) ينظر: (ص ١٦٦).

(2) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٤).

ولهذا نزل الكتاب بالثلاثة: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الطلاق:١٢]، ﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[البقرة:٢٦٠]، ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد:١٩]، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴾[الطلاق:١٢].

والعمل ظاهر؛ ومنه: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[البقرة:٤٣]، و﴿ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾[آل عمران:٢٠٠]، ﴿ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ ﴾[الحج:٧٧]...،وما لا يأتي عليه العد الآن.

والترك: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾[الأنعام:١٥١]، ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء:٣٢]، ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾[النساء:٢٢]، ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾[الحج:٣٠]، وغيرها))[1].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: ((اعلم أن العبادة جنس يدخل تحته أنواع...))[2].

ثم شرع -رحمه الله- في ذكر جملة من أنواع العبادات الظاهرة والباطنة[3].

كذلك أوضح العلامة الشوكاني -رحمه الله-: أن العبادات ((كثيرة جداً؛ يصعب حصرها، وتتعسر الإحاطة بها))[4].

وسأذكر بحول الله ﷻ في المبحثين التاليين نماذج لأنواع العبادة الباطنة والظاهرة، وذلك على سبيل التمثيل والإشارة لا على سبيل الحصر؛ إذ الحصر في مثل هذا المقام أمر متعذر، نظراً لسعة باب الأنواع، لذلك سأكتفي بذكر الأهم منها -إشارة به إلى غيره- لئلا أخرج عن الغاية المقصودة بالبحث.

ويعنينا في كلام علماء اليمن ما لا بد من ذكره لاستبانة أصل كل مسألة، فأما ما يتفرع عنها مما لا صلة له بذلك فلا أطيل بذكره.

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٥٦-٦٥٧).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٩٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٩٤-١٢٠).

(٤) قطر الولي على حديث الولي (ص٤٣٧).

المبحث الثاني: أعمال العبادة الباطنة.

المطلب الأول: المحبة.

تقدم بيان أن العبادة لها ركنان اثنان؛ وهما: كمال الذُّل مع كمال المحبة؛ فالعبد مُحبٌّ خاضع لمولاه[1].

وقد ورد ذكر محبة المؤمنين لربهم ﷻ في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة؛ كما سيأتي بيان علماء اليمن لجملة منها؛ حيث إنها تدل على أن الله ﷻ محبوب محبة حقيقية، بل هي أكمل محبة، وكذلك هو سبحانه يحب عباده المؤمنين محبة حقيقية.

وقد عنى علماء اليمن -رحمهم الله- ببيان هذه المحبة؛ من خلال إثبات محبة العبد لربه ﷻ وبيان وجوبها، والبرهان على محبة العبد لله ﷻ.

أولاً: محبة الله من أوجب الواجبات، وهي حقيقة العبودية.

قرر العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- أن محبة الله ﷻ هي أصل العبادة؛ وأن محبة غيره -مما أذن الله ﷻ في محبته- إنما تكون لأجله؛ حيث قال: ((اعلم أن أصل العبادة محبة الله وإفراده بالعبادة؛ لأنها ناشئة عن غاية الحب وغاية الذل...، والنفع ورجاء النفع لا يكون إلا من الله؛ لأنه ليس لأحد سواه ملك ذرة في السموات ولا في الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[سبأ:٢٢]، فمحبة غير الله للجهل بأن النفع والضر منه، ولا قدرة لأحد على نفع أحد أو ضره إلا بإذن الله...، فمن عرف ذلك لم يبق في قلبه حب لغير الله، ولا خوف من سواه، وإنما يُحِب من يُحبه فيه لأجله))[2].

وقال في موضع آخر: ((أصل العبادة إفراد الله بالمحبة؛ بأن يكون الحب كله لله، والمراد من محبة الخلق لله هاهنا: ما يليق بجناب الله تعالى، ويختص به من

---

(١) ينظر: (ص ١٦٩).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٥-١٦٧).

أنواعها، ولا تصلح إلا له تعالى؛ وهي أقصى مراتب الخضوع الذي هو حقيقة العبادة، فإن المحبة متفاوتة في القدر والوصف، فلله من ذلك ما يليق من أنواعها؛ وهي أقصى مراتب المحبة، الذي هو تعبد المحب لمحبوبه، فلا منزلة أشرف للعبد منها، فالمحبة هي حقيقة العبودية وسرها، ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما))[1].

ثم أوضح –رحمه الله–: أنه ((لما كان مراد الله من خلقه خلوص هذه المحبة أنكر على من أحب سواه كحبه؛ فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥]، فأخبر سبحانه وتعالى أن من الناس من يشرك به؛ فيتخذ من دونه نداً يحبه كما يحب الله، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حباً لله، وحكى الله عن أهل الشرك قولهم لآلهتهم وهم في الحميم: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء:٩٦-٩٨]، ومعلوم أنهم لم يسووهم به في الخلق والرزق والإحياء والإماتة والقدرة؛ فقد حكى الله إقرارهم بذلك...، ولكن سووهم به في العبادة التي هي أقصى مراتب الخضوع الناشئ عن غاية الحب مع غاية الذل))[2].

ثم قرر –رحمه الله–: أن ((العبادات كلها ناشئة عن الحب؛ فمن كان الله أحب إليه مما سواه وجَّه إليه العبادة وعلم أنها لا تنبغي إلا له، وصار اتباع أوامره واجتناب نواهيه –وإن عَظُمَت– أحق من جريان النفس؛ لأنها اتباع مراد المحبوب.

وقد أنكر الله على من اتخذ من دونه ولياً أو شفيعاً غاية الإنكار؛ فقال تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[السجدة:٤]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:٥١]، فالموالاة أصلها الحب فلا موالاة إلا بحب، كما أن العداوة أصلها البغض، والمقصود أن حقيقة العبودية لا تحصل مع المساواة بمحبة الله لمحبة غيره، بخلاف المحبة لله وفيه فإنها من لوازم العبودية، فتقديم محبة الرسول ﷺ على النفس والأبناء لا يتم الإيمان إلا بها، وكذلك كل حب لله

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٧-١٦٨).

(٢) المصدر السابق (ص١٦٨-١٦٩).

وفيه؛ كما في الصحيح...، عن النبي ﷺ: «ولا يجد طعم الإيمان إلا من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في..............................

الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار»[1]، وفي لفظ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»[2]))[3].

ومحبة العبد لربه سبحانه تستلزم محبة ما يحبه الله تعالى؛ ومن الأعمال التي يحبها الله ﷻ صلاة الليل في السفر؛ قال العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي في باب فضل صلاة الليل في السفر: ((ينال بها العبد المصلي محبة الله سبحانه، وهي المقصد الأسمى الذي يتنافس عليه أهل الله، فإن محبته سبحانه لعبده يستوجب به رضاه، ورضاه موصل إلى السعادة الأبدية، وهي دخول دار النعيم والتلذذ بما أعده الله سبحانه لأهلها، وهذه الحالة التي ترتب عليها هذا الجزاء وهو محبة الله؛ لا تتم إلا لرجل قد آثر أعمال الآخرة على لذات الدنيا، فإن النوم عند المسافر الذي قد أعي وطال عليه تعب السفر، وكثر عليه ألم السهر إذا وصل المنزل لم يكن أحب إليه من النوم شيء من الأشياء، وبعضهم يرجح النوم على النظر في متاعه ويكله إلى غيره، وربما لم يكله أحد، ويرى التمكن من النوم من أعظم ملاذ الدنيا، وأشهر مطالب الأحياء، فإذا كان هذا الذي يطلب محبة الله سبحانه ترك ملاذ نفسه وفارق ما عليه أبناء جنسه، وذهب متعرضا يذكر الله، ثم دخل في

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٦٦/١) ح (٤٣)؛ بلفظ :«ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمان: من كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه»؛ من حديث أنس ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: الإيمان، باب: حلاوة الإيمان (١٢/١) ح (١٦)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٦٦/١) ح (٤٣)؛ من حديث أنس ﷺ.

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٨-١٦٩).

الصلاة بقلب فيه إقبال، وذرف فيه إهمال؛ واندفع يتملق ربه؛ أي: يتودد إليه بالطاعة، ويتقرب إليه بالضراعة؛ فينال محبة الله المفسَّرة في الحديث الآخر: «ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به»[1] الحديث، والسر في محبة الله له؛ أنه آثر محبه على محبة ملاذه، فهجر الملاذ، وقهر النفس الأمارة على الاشتغال بالتقرب إلى الله في أوقات القرب والتجلي على العباد، وجدير من هذا حاله أن يحبه الله))[2].

كذلك قرر العلامة الشوكاني -رحمه الله- أن محبة الله ﷻ من أعظم الفرائض المفترضة على العباد؛ كما دلت على ذلك النصوص الشرعية وإجماع المسلمين؛ حيث قال: ((اعلم أن محبة الله ﷻ من أعظم الفرائض المفترضة على العباد؛ كما يدل على ذلك آيات الكتاب المبين، وأحاديث سيد المرسلين، وإجماع المسلمين أجمعين))[3].

ثم أورد -رحمه الله- جملة من النصوص الدالة على ذلك؛ فقال: ((فمن ذلك قول الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١].

وقد عُلم أن اتباع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فرض واجب لا خلاف فيه، وكانت هذه المحبة لله سبحانه أدخل في الفرضية لتعليق الإتباع بها، وجعله متسبباً عنها، مع ما في ذلك من التهييج للعباد على الإتباع بما هو مطلوب لكل فرد من أفرادهم، ومقصد من مقاصد عامهم وخاصهم، فإن دخول العبد في زمرة المحبين لله ﷻ هو الذي يتنافس فيه المتنافسون، ويتسابق إليه المتسابقون، فإذا سمع السامع أن هذا الإتباع لرسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- هو صُنع من يحب الله، وعَمَل من يتصف بذلك سعى إليه وبادر به، وبالغ في تحصيله بكل

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الرقاق، باب: التواضع (١٠٥/٨) ح (٦٥٠٢)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تيسير اليسرى؛ تحقيق: خالد الردادي (ص٤٤٧-٤٤٨).

(٣) بحث في وجوب محبة الله ﷻ (٤١٣/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

ممكن.

والحاصل أن في هذا النظم القرآني دلالة بينة على أن إتباع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- متسبب عن محبة العبد لله، وفرع من فروعها، وأنه سبب لمحبة الله ﷻ للعبد، ومن أحب الله وأحبه الله فقد ظفر بالغاية القصوى، ووصل المقصد الأسمى الذي هو أعلى مطالب الطالبين، ونهاية رغبات الراغبين، وكل العبادات والأعمال الصالحات إنما هي للتوصل بها إلى هذه المحبة التي يكون بها حصول الفلاح والنجاح والفوز لكل محبوب، والنجاة من كل مكروه.

ومن الآيات القرآنية الدالة على فرضية محبة العبد لربه، قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة:٢٤].

فهذا الوعيد المذكور في آخر هذه الآية بقوله: ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ ﴾، مع قوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، قد دل أبلغ دلالة على أن محبة العبد لله ﷻ فرض من أعظم الفرائض الدينية، ولا سيما بعد ذكره لما هو غاية ما يُحب في الدنيا؛ من الأشخاص الذين هم الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر، فإن هؤلاء هم الذين تحصل المحبة لهم، وضم إلى ذلك الأموال والمساكن، وما هو أعظم أسباب الكسب وهو التجارة بصدقه على غالب المكاسب التي يتكسب العباد بها، ويحصلون الأرزاق منها.

ومعلوم أن الله لا يتوعد بالعذاب، ويشير إلى أن من لم يقم بما توعد عليه فهو من القوم الفاسقين المحرومين للهداية الربانية والعناية الإلهية، إلا على فرض لازم، وواجب متحتم... .

ومن أعظم ما ينبه على افتراض هذه المحبة قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة:٥٤].

فتوعد المرتدين عن الدِّين بأنه سيأتي بقوم هذه صفتهم، فأفاد ذلك أن هذا

الوصف أشرف الأوصاف، وأعلى ما تتسبب عنه الخيرات))[1].

كذلك أوضح –رحمه الله– أن ((من الأدلة المرشدة إلى افتراض محبة الله ﷻ ما ورد في الأحاديث الصحيحة من التحاب في الله، فإن التحاب في الله ﷻ هو من محبة الله سبحانه))[2]، **ثم أورد جملة من الأحاديث الواردة في ذلك؛ ومنها**[3]: قوله ﷺ: «من أعطى لله، ومنع لله، وأبغض لله، وأحب لله؛ فقد استكمل إيمانه»[4].

ومنها: ما جاء في صحيح البخاري أن رجلاً كان يؤتى به إلى النبي ﷺ قد شرب الخمر، فقال رجل: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»[5].

قال العلامة الشوكاني –رحمه الله– معلقاً: ((فجعل العلَّة المقتضية للمنع من سبه؛ كونه يحب الله ورسوله، مع ارتكابه لذلك المحرم المجمع عليه، والمعصية الشديدة))[6].

كذلك بيَّن –رحمه الله– أن ((**من أعظم البواعث على محبة الله ﷻ أنه يحصل بها المحبة من الله ﷻ للعبد والمغفرة لذنوبه**؛ كما... في قوله: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[آل عمران: ٣١]،

---

(١) بحث في وجوب محبة الله ﷻ (١/٤١٣-٤٢٠)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) المصدر السابق (١/٤١٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١/٤١٦-٤١٩).

(٤) أخرجه أبو داود؛ كتاب: السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤/٢٢٠) ح (٤٦٨١)؛ من حديث أبي أمامة ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/١٠٣٤).

(٥) أخرجه البخاري؛ كتاب: الحدود، باب: ما يُكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة (٨/١٥٨) ح (٦٧٨٠)؛ من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٦) بحث في وجوب محبة الله ﷻ (١/٤١٩)؛ ضمن الفتح الرباني.

ومن أحبه الله ﷻ أعطاه ما لم يكن له في حساب؛ كما ورد في الحديث الثابت في صحيح البخاري...، عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: يقول الله ﷻ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته علي، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته»[1]...

وفي الصحيحين[2]...، من حديث أنس أن رجلاً سأل النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال: متى الساعة يا رسول الله؟ قال: «ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، فقال: رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-: «فأنت مع من أحببت»...))[3].

وبين العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- أن كل محبة محمودة داخلة في محبة الله، فمحبة ما يحبه الله من الأعمال؛ كالجهاد وغيره، تابعة لمحبة الله؛ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة:٢٤]؛ حيث قال: ((نظم حبه في سلك حب الله ﷻ وحب رسوله ﷺ تنويهاً بشأنه وتنبيهاً على أنه مما يجب فضلاً عن أن يكره، وإيذاناً بأن محبته واجبة راجعة إلى محبتهما، فإن الجهاد عبارة عن قتال أعدائهما؛

---

(١) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: الأدب، باب: علامات حب الله ﷻ (٤٠/٨) ح (٦١٧١)، ومسلم؛ كتاب: البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب (٢٠٣٢/٤) ح (٢٦٣٩).

(٣) بحث في وجوب محبة الله ﷻ (٤٢٠/١-٤٢٢)؛ ضمن الفتح الرباني.

لأجل عداوتهما، فمن يحبهما يجب أن يُحب، ومن يبغضهما يجب قتاله))[1].

وقال الشيخ البيحاني –رحمه الله– في إثبات محبة الله ﷻ، وذلك في شرحه لحديث: «إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب...»[2]، الحديث؛ قال: ((فالحديث يُبين أن أولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما فرض من فرائض، وشرَع من واجبات، ثم يرقون من ذلك إلى الاستزادة من فعل النوافل والمندوبات، لتصفوَ نفوسهم، وتستنير قلوبهم، فمن كان كذلك قرَّبه الله إليه، وأدناه من حضرته، ورقَّاه إلى درجة الإحسان، فعبدَ اللهَ على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله، ومحبته، وتعظيمه، وإجلاله، ومهابته، والأنس به، والشوق إليه، ومتى امتلأ القلب بذلك محا عنه كل ما سواه، ولم يبقى للعبد شيء من نفسه وهواه، فلا إرادة له إلا ما يريده منه مولاه، وحينئذ لا ينطق إلا بذكره، ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطقَ نطق بالله، وإن سمعَ سمع بالله، وإن نظرَ نظر به، وإن بطشَ بطش به، فلا تنبعث الجوارح إلا بالطاعة، ولا يصدر عنها إلا ما يرضي الله.

والحديث يبين بعد؛ أن من نتائج تلك المحبة أن العبد إذا سأل الله شيئاً أعطاه إياه، وإن استعاذ به من شيء أعاذه منه، وإن دعا أجابه لمنزلته منه، وكرامته عليه))[3].

ثانياً: أقسام المحبة:

قرر العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله– أن محبة الله ﷻ هي أصل العبادة؛ كما تقدم، وأن محبة غيره –مما أذن الله ﷻ في محبته– إنما تكون لأجله، وبيَّن أقسامها؛ حيث قال: ((إنما يُحِب من يُحبه فيه لأجله؛ وهو قسمان:

---

(١) فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (٢/٦٣٧).

(٢) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٣) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص١٨٣-١٨٤).

الأول: شرعي؛ وهو حب الأنبياء والملائكة والمؤمنين، وبغض أعدائهم، فمحبتنا لهم محبته، فإن محبة المحبوب تُوجب محبة ما يحبه وليس شيء يُحبُّ لنفسه إلا الله، وكل ما سواه مما يُحبُّ فإنما يُحبُّ لغيره، فالنافع منه ما كان محبته تبعاً لمحبة الله.

القسم الثاني: طبيعي؛ وهو قسمان:

الأول: حب الأولاد، فإن الله جبَل القلوب عليه لضعفهم، وأودع الله هذا الحب في جميع الحيوانات ولا يدوم في غير الناطق... .

الثاني: ما جبَل الله القلوب عليه من حب الزوجات من النساء، ويُلائم طبعه؛ كمحبة الماء والطعام للعطشان والجائع، فمحبة هذا القسم من الدواعي إلى مقاصد الشرع التي يحبها الله وكف البصر وتطلع إلى غير أهله فهو قربة وطاعة، وقد امتن الله على عباده لما جعل بين الزوجين من المودة؛ فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الروم:٢١]... .

وقال النبي ﷺ: «حبب إلي من دنياكم النساء والطِّيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة»[(١)]...، فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله، بل تجمع القلب على التفرغ لمحبة الله، وأما ما زاد على ذلك من المحبة التي تُلهي عن ذكر الله، وتُشغل عن طاعته؛ فتلك مذمومة من حيث إفضائها إلى ما يكرهه الله، وذلك كمحبة جمع المال من حِلِّه وغير حِلِّه... .

فالمذموم من هذه المحبة ما منعت كمال محبة الله، أو زاحمته، أو أثرت فيه ضعفاً، وربما قطعت عن ذكر الله حتى يقدم للمحب رضا محبوبه وطاعته، ويذل لمحبوبه أعظم من ذله من ربه، ومن ذلك محبة الأنداد يحبونهم كحب الله، وكمحبة الظلم والبغي والفسوق في الأرض؛ فهذه قواطع عن الله تعالى، وإذا كان العبد لا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٣/٢١) ح (١٤٠٣٧)، والنسائي في الصغرى؛ كتاب: عِشرة النساء، باب: حُبُّ النساء (٦١/٧) ح (٣٩٣٩)؛ من حديث أنس ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٩٩/١).

يؤمن حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين...، فما الظن بمحبة الله وتقديمها على محبة غيره وإفراده بها سبحانه وتعالى...))[1].

ثم أوضح –رحمه الله– أن ((الذي أذن الله فيه من حب المخلوقين قدر معلوم وهو الحب الذي فيه...؛ لأن أصل العبادة إفراد الله بالمحبة بأن يكون الحب كله لله، والمراد من محبة الخلق لله ها هنا ما يليق بجناب الله تعالى ويختص به من أنواعها ولا تصلح إلا له تعالى؛ وهي أقصى مراتب الخضوع الذي هو حقيقة العبادة، فإن المحبة متفاوتة في القدر والوصف فلله من ذلك ما يليق من أنواعها؛ وهي أقصى مراتب المحبة الذي هو تعبد المحب لمحبوبه، فلا منزلة أشرف للعبد منها، **فالمحبة هي حقيقة العبودية وسرها، ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**))[2].

ثالثاً: علامات محبة الله ﷻ.

ولما كانت محبة الله ﷻ هي حقيقة العبودية؛ كان لها علامات بها يُستدل عليها وتتحقق؛ إذ محبة الله ﷻ ليست مجرد دعوى من غير دليل، بل لا بد من علامات وبينات تدل عليها.

وقد أوضح العلامة الصنعاني –رحمه الله– أن محبة العبد لربه ﷻ إنما تُعرف بإتباع ما أمر الله ﷻ ورسوله به والبعد عن كل ما نهى عنه؛ فقال: ((وتُعرف هذه المحبة بإيثار ما أمر الله ورسوله على كل ما نهى عنه، واجتناب كل ما لا يرضاه))[3].

وقال في شرحه لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١]: ((فجعل تعالى اتباع رسوله ﷺ علامة محبة الله تعالى، ومحبة الرسول

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٥-١٦٧).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٧-١٦٨).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (١٣٣/٥).

ﷺ لا تكون إلا لله))[1].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: ((وإذا كانت المحبة لله هي حقيقة العبودية؛ فهي إنما تحقق باتباع أمره واجتناب نهيه، فعند إتباع أمره ونهيه يتبين حقيقة العبودية والمحبة، وقد جعل الله سبحانه إتباع رسوله شاهداً لمن ادعاها؛ فقال تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١]، فدل أنه لا تثبت محبتهم إلا بإتباع الرسول ﷺ ودل على أن متابعة الرسول ﷺ هي حب الله وطاعة أمره، ولكنه لا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومتى كان عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله فلا يهديه؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة:٢٤]، فمن قدَّم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله، أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله، أو مرضات أحد منهم على مرضات الله ورسوله، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجاه والتوكل عليه؛ فهو ممن ليس الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وإن قاله بلسانه فهو كذِب منه، فإن من أحب الله راقبه في السر والعلانية وعظَّم ما عظَّمه الله وصغَّر ما صغَّره الله، فكل محبة لم يقارنها تعظيم لمحرمات الله من تقديم أمره ونهيه على أمر من سواه؛ فهي دعوة كاذبة))[2].

كذلك قرر العلامة الشوكاني -رحمه الله- أن البرهان الذي تُعرف به تلك المحبة هو اتباع رسوله ﷺ؛ حيث قال في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران:٣١]: ((في هذه الآية: تعليق محبة الله الواجبة على كل عبد من عباده بإتباع رسوله ﷺ، وأن ذلك هو المعيار الذي يُعرف به محبة العبد

---

(١) المصدر السابق (٦/٥٣٨).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٩-١٧٠).

لربه على الوجه المعتبر، وأنه السبب الذي يستحق به العبد أن يحبه الله))[1].

وقال في موضع آخر: ((ومن أعظم محبة الله ﷻ ودلائل صحتها؛ إتباع رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في أقواله، وأفعاله، والاقتداء به، والاهتداء بهدية الشريف؛ قال الله ﷻ: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران:٣١]، الآية، فمن أحب الله، وتتبع رسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- فاز بحب الله ﷻ له، وبمحو ذنوبه، وارتفاع درجته بين عباد الله المؤمنين))[2].

المطلب الثاني: الخوف والرجاء.

إنَّ من أجل العبادات القلبية الخوف والرجاء، إذ العبد لا يخلو من معصية يخاف عاقبتها ويرجو مغفرتها، وطاعة يأمل قبولها ويخشى ردَّها، وبالتالي فهو بين

---

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص١٠٥).

(٢) القول الحسن في فضائل أهل اليمن؛ للشوكاني (٥٧٦٨/١١)، وينظر: قطر الولي على حديث الولي (ص٢٢٤).

رجاء لبلوغ دار المحسنين، وخوف من بلوغ دار المُسيئين، ولذا فإن كل أحد عَقَل عن الله ﷻ أمره مُعلَّق بين الخوف والرجاء.

وقد جاءت النصوص الشرعية مبينة أهمية هاتين العبادتين القلبيتين:

كما قال تعالى في وصف نبيه زكريا –عليه السلام– وأهل بيته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠].

وقال تعالى في وصف بعض عباده الصالحين: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[الإسراء:٥٧].

ودخل النبي ﷺ على شاب وهو في الموت؛ فقال له: «كيف تجدك؟»، قال: أرجوا الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن؛ إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف»(١).

وقد تكلم علماء اليمن على هذا النوع من العبادة؛ وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: منزلة الخوف والرجاء:

فأما العلامة الصنعاني –رحمه الله– فقد قرر أن الخوف والرجاء من جملة العبادات التي يجب أن يُفرد بها الله ﷻ وحده دون سواه؛ فقال: ((توحيد الألوهية توحيده بأفعال العباد؛ كالدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراده بها، فلا يُصرف منها شيء لغيره، ولو كان ملَكاً مقرباً، أو نبياً مرسلا، فضلاً عمن

(١) أخرجه ابن ماجه؛ كتاب: الزهد، باب: ذكر الموت والاستعداد له (١٤٢٣/٢) ح (٤٢٦١)، والترمذي؛كتاب: الجنائز ، بابٌ (٣٠٢/٣) ح (٩٨٣)؛ وقال: هذا حديث غريب، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول المريض إذا قيل له: كيف تجدك؟ (٣٩٠/٩) ح (١٠٨٣٤)، من حديث أنس ﷺ، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (٤١/٣).

سواهما))[1].

وأوضح في –موضع آخر– أن الخوف من الله ﷻ من صفات أولياءه المخلصين؛ فقال: ((إذا عرفت هذا عرفت أولياء الله، وأنَّ صفاتهم الخوف من الله، والإقبال على ما يرضاه، والإعراض عن كلِّ ما سواه))[2].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: ((ومن أنواع العبادة الخوف والرجاء، ولا يتم العبادة إلا بها، فبالخوف يكفُّ عن المناهي، وبالرجاء ينبعث إلى الطاعات، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[البقرة:٤١]، وقال تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[البقرة:٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة:١٨]، فرتب وقوع الهداية لهم بفعلهم هذه الصفات الحميدة، وعدم خوف غير الله، وأثنى الله على الذين هم من خشية ربهم مشفقون))[3].

كما قرر العلامة الشوكاني–رحمه الله– أن أعظم مُحصِّلات مقام الإحسان الوارد في حديث حديث جبريل[4] هو الخوف والخشية من الله ﷻ؛

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٩).

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص٥٠).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١١٧).

(٤) حديث جبريل المشهور؛ والذي فيه: قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله

حيث قال: ((وأعظم محصلات هذا المقام الإحساني: هو الخشوع والخوف والخشية من الله ﷻ؛ كما قال ﷻ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[الرحمن:٤٦]، وفي الحديث المتفق عليه[1]: في السبعة الذين يظلهم الله في ظله: ومنهم: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله».

وكذلك في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة؛ فقال صاحب المرأة التي دعته فتركها: «اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك رجاء رحمتك، وخشية عذابك»[2]... .

وكذلك حديث الرجل الذي أمر أولاده بإحراقه إذا مات؛ فقال له الله ﷻ: «لم فعلت هذا؟ قال: خشيتك يا رب وأنت أعلم، فغفر الله له»، وهو في الصحيحين[3]...))[1]، وأطال -رحمه الله- في إيراد الأحاديث الواردة في ذلك[2].

كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»؛ الحديث. أخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة (٣٦/١) ح (٨).

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الحدود، باب: فضل من ترك الفواحش (١٦٣/٨) ح (٦٨٦٠)، ومسلم ؛ كتاب: الزكاة، باب: فضل إخفاء الصدقة (٧١٥/٢) ح (١٠٣١)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٨/١٩) ح (١٢٤٥٤)؛ من حديث أنس -رضي الله عنه-، وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-؛ كما سيأتي بيان ذلك (ص٣٤٩-٣٥٠).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذُكر عن بني إسرائيل (١٦٩/٤) ح (٣٤٥٢)؛ من حديث حذيفة ﷺ، ومسلم؛ كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٢١٠٩/٤) ح (٢٧٥٦)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقال العلامة العبادي -رحمه الله- في سياق بيانه لجملة من العبادات التي لا يجوز أن تصرف إلا لله ﷻ[٣]:

ولم يجـز نـوع مـن العبـادهْ	لعـاجز عـن فعـل مـا أرادهْ
كنـذره وذبحـه ورغبتـهْ	وذِكـره معظِّمـاً ورهبتـهْ
والخـوف والخضـوع والإنابـهْ	ثم الـدعا وقصـده الإجابـهْ

ففي هذه الأبيات بيَّن -رحمه الله- أنه لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله؛ خاصة وأن ذلك المخلوق الذي لا يجوز صرف أي شيء من العبادة له ضعيف عاجز، لا يقدر على كل شيء، بل قد يريد الشيء ويعجز عن تحقيقه بسبب ضعفه وتدبير الله ﷻ له، فالأمر كله لله ﷻ، وهو القادر على كل شيء، ومن تلك العبادات التي لا تصرف إلا لله ﷻ الرغبة في تحصيل ما عنده من الثواب والجزاء والعطاء والنوال، والرهبة منه سبحانه وتعالى، والخوف من عقابه الذي يتقي به العبد مساخط الرب ﷻ.

كذلك قرر الشيخ البيحاني -رحمه الله- أن الخوف والرجاء من جملة العبادات التي لا تكون إلا لله ﷻ، وأن نفيهما عن غير الله من لوازم الإقرار بتوحيد العبودية؛ حيث قال: ((الإقرار بتوحيد العبودية، والاستعانة بالله ﷻ يُحتِّم على الموحِّد أن لا يدعو غير الله، ولا يتقرب إلى أي مخلوقٍ؛ بذبحٍ، ولا نذرٍ، ولا حلقٍ، ولا دعاءٍ، ولا استغاثةٍ، ولا رجاءٍ، ولا خوفٍ، ولا طمعٍ، ولا رغبةٍ، ولا رهبةٍ))[٤].

ثانياً: أهمية العلم والإيمان في الخوف من الله ﷻ:

---

(١) قطر الولي على حديث الولي (ص٤٤٨-٤٤٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٤٤٩-٤٥١).

(٣) ينظر: هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (ص١١).

(٤) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٢٦٨).

الخوف والرجاء دليل على كمال المعرفة بالله ﷻ، فالعلم والإيمان يوجبان الخوف والرجاء فيما عند الله، وعلى قدر إيمان العبد وعلمه بربه يكون خوفه ورجائه منه لا من سواه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:١٧٥].

وقد أوضح العلامة الصنعاني –رحمه الله– أن العلماء هم أكثر خشية من الله ﷻ؛ حيث قال: ((إنه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[فاطر:٢٨]، ومن كان أعلم بالله كان أكثر خشية له لمعرفته بربه...))[1].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: ((وعلى قدر علم العبد ومعرفته، يكون الخوف والرجاء؛ قال ﷺ: «إني لأعلمكم بالله، وأشدكم له خوفاً»[2]، وقال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً.......................................

ولبكيتم كثيراً»[3]، وأخبر تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[فاطر:٢٨]، ولذا تجد أثبت الناس وأشدهم في مقام الشدة الأنبياء، ثم

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٥٤٩/٩).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: «أنا أعلمكم بالله» (١٣/١) ح (٢٠)؛ من حديث عائشة –رضي الله عنها–؛ بلفظ: «إن أتقاكم، وأعلمكم بالله أنا»، ومسلم؛ كتاب: الصيام، باب: بيان أن القُبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته (٧٧٩/٢) ح (١١٠٨)؛ من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه؛ بلفظ: «أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له».

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً» (١٠٢/٨) ح (٦٤٨٦)، ومسلم؛ كتاب: الفضائل، باب: توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع، ونحو ذلك (١٨٣٢/٤) ح (٢٣٥٩)؛ من حديث أنس رضي الله عنه.

الأمثل فالأمثل؛ لأن خوفهم ورجاءهم لمن له الضر والنفع لا لسواه...، وكذا أخبر الله عن المؤمنين في غزوة الأحزاب؛ فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٢٢]، وكلما كان العبد أعلم بالله، كلما كان له أخشى وأتقى، ونجد أن الله وصف ملائكته بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل:٥٠]، والأنبياء بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[الأحزاب:٣٩]، وكلما عظمت خشية الله في قلب العبد؛ هانت عليه خشية الناس حتى لا يكاد يخافهم؛ لأن اليقين قد استقر بقلبه بأن الله هو المدبر لكل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء))[1].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥]: ((أمرهم أن يخافوه سبحانه؛ فقال: وخافون فافعلوا ما آمركم به، واتركوا ما أنهاكم عنه، لأني الحقيق بالخوف مني، والمراقبة لأمري ونهيي؛ لكون الخير والشر بيدي))[2].

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- في معنى ذلك: ((وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[الأحزاب:٣٩]، تكملة لقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾[فاطر:١٨]؛ أي: إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به ﷻ بما يليق به من صفاته الجليلة، وأفعاله الجميلة.

وقال ابن عباس: "يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي، وعزِّي وسلطاني"[3]، وذلك لما عُلِم أن مدار الخشية معرفة الْمَخشي، والعلم بشؤونه، فمن كان أعلم به تعالى؛ كان أخشى منه ﷻ؛ كما في صحيح البخاري عن عائشة -

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١١٨-١١٩).

(٢) فتح القدير (٤٥٩/١).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٦٩٣/٣).

رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»[1]))[2].

وقال -أيضاً- عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥]: ((الإيمان يقتضي إيثار خوف الله على خوف غيره))[3].

ثالثاً: الجمع بين الخوف والرجاء:

نبَّه أهل العلم إلى ضرورة الجمع بين هاتين العبادتين القلبيتين معاً؛ وذلك كي تستقيم أحوال العبد؛ فخوفه يردعه، ورجاؤه يؤمله، فهو بينهما، ولما في إفراد أحدهما عن الآخر من العاقبة السُّوء، فالخوف وحده موصل صاحبه إلى القنوط من رحمة الله ﷻ، والرجاء وحده موصل صاحبه إلى الأمن من مكر الله ﷻ.

ولهذا قال مُطرِّف بن عبد الله[4] -رحمه الله-: ((لو وُزِن رجاء المؤمن وخوفه؛ ما رجح أحدهما صاحبه))[5].

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الإعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما يُكره من التعمُّق والتنازع في العلم، والغلو في الدِّين والبدع (٩٧/٩) ح (٧٣٠١).

(٢) فتح المنان؛ تحقيق: الشملان (ص٧٢٢-٧٢٣).

(٣) المصدر السابق؛ تحقيق: الدريبي (٧٤٧/٢).

(٤) هو: أبو عبد الله مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير العامري الحرشي البصري، الإمام العابد، حدَّث عن عدد من الصحابة -رضوان الله عليهم-، منهم أبوه، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي ذر، وغيرهم، توفي سنة ٨٦هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى (١٠٣/٧-١٠٧)، وتاريخ دمشق (٢٨٩/٥٨-٣٣٧).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٨/٧) رقم (٣٥١٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٨/٢).

وقال سهل بن عبد الله[1] -رحمه الله-: ((الرجاء والخوف زَمَانان على الإنسان فإذا استويا استقامت أحواله، وإن رجح أحدهما بطل الآخر))[2].

وهذا المعنى هو الذي أراده البخاري بقوله في كتاب الرقاق من صحيحه: ((باب الرجاء مع الخوف))[3].

وقد أوضح العلامة الصنعاني -رحمه الله-: أنه: ((ما اجتمع الرَّجاء لعفو الله، والخوف من عقابه، في قلب مؤمن؛ بأن كان يعمل عمل الراجين، ويحذَر حذر الخائفين، إلا أعطاه الله الرَّجاء، وأمنه من الخوف))[4].

وفي هذا بيان لضرورة الجمع بين الخوف والرجاء لكي يسلم العبد من الإفراط والتفريط.

وقال العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله- في تعليقه على حديث: أن النبي ﷺ أطال في ليلة من الليالي الصلاة، وبيَّن السبب الباعث على إحياء تلك الليلة بقوله: «صلاة رغبة ورهبة»[5]: ((والراغب في الشيء يحب الإكثار منه؛ لحصول اللذة بالمرغوب فيه، والراهب يحب الإكثار من العمل الذي به

---

(١) هو: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أحد علماء الصوفية، له عدة مصنفات؛ منها: كتاب في التفسير مختصر، وكتاب رقائق المحبين، وغيرها، توفي سنة ٢٨٣هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: طبقات الصوفية (١/١٦٦-١٧١)، وحلية الأولياء؛ للأصبهاني (١٠/١٨٩-٢١٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٠/٢٨٠).

(٣) صحيح البخاري (٨/٩٩).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٩/٣٢٦).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/٤٠٠-٤٠١) ح (٢٢٠٨٢)، وابن ماجه؛ كتاب: الفتن، باب: ما يكون من الفتن (٢/١٣٠٣) ح (٣٩٥١)؛ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٤٨٤).

نجاته من الهلكة، وكلما عرف العبد الشيء الذي ينجيه من الهلكة بالغ في الإكثار منه، وفعَله فعل المحب له الطالب النجاة، وعلم بذلك خشيته التطويل في إحياء الليل كله، وأن السبب لذلك الرغبة فيما عند الله والرهبة منه، ولما اجتمعنا على قلبه -صلى الله عليه وآله وسلم- طاب له القيام في مناجاة ربه، وصادف قرة عينه التي هي الصلاة))[1].

وقد جمع الله ﷻ بين العبادتين الخوف والرجاء في قوله تعالى:﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا ﴾[الأعراف: ٥٦]، قال العلامة الشوكاني –رحمه الله– مقرراً مشروعية الجمع بينهما: ((وفيه أنه يشرع للداعي أن يكون عند دعائه خائفاً وجلاً طامعاً في إجابة الله لدعائه، فإنه إذا كان عند الدعاء جامعاً بين الخوف والرجاء ظفر بمطلوبه، والخوف: الانزعاج من المضار التي لا يؤمن من وقوعها، والطمع: توقع حصول الأمور المحبوبة))[2].

فكما أن الداعي لا بد أن يكون في دعائه جامعاً بين الخوف والرجاء لتحقيق مطلوبه، فكذلك يكون في سائر أحواله التعبدية.

وبين العلامة الحسن عاكش –رحمه الله– أن من محاسن الدعاء: أن يكون مقروناً بالخوف والطمع؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ ﴾ [الأعراف:٥٦][3].

وذكر الشيخ البيحاني –رحمه الله–: أن الخوف من الله ﷻ ومن عذابه، ورجاء فضله وإحسانه؛ من جملة الصفات التي يتصف بها أولياء الله ﷻ؛ حيث قال: ((وأولياء الله هم أحباؤه من الخلق، الممتثلون أمره، والمجتنبون لما نهاهم عنه، الواقفون على قدم الشريعة، المتمسكون بالكتاب والسنة، الذين يمشون على الأرض هوناً، في غير تِيْهٍ ولا ذلة، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، لا خائفين

---

(١) تيسير اليسرى؛ تحقيق: خالد الردادي (ص٥٧٢).

(٢) فتح القدير (٢/٢٤٣).

(٣) ينظر: فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (٢/٣٩٦).

ولا مخيفين، ولا هائبين ولا مستهزئين...، وهم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياماً، يرجون فضله ويخافون عذابه، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦]، لا مسرفين ولا مقترين، إذا أنفقوا ففي سخاء، وإذا أمسكوا فغير بخلاء، لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يستبيحون من المؤمنين عرضاً، ولا مالاً، ولا دماً، يخافون ربهم في السر والعلن، ويجتنبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، لا يشهدون الزور، ولا يصحبون أهل الفجور، إذا سمعوا الآيات خرُّوا لها سجداً وبكياً، تفيض أعينهم من الدمع لما عرفوا من الحق...)) [(١)].

رابعاً: أقسام الخوف:

ينقسم الخوف إلى أربعة أقسام[(٢)]:

الأول: **خوف السِّر**: وهو أن يخاف من غير الله ﷻ؛ أن يصيبه بما يشاء؛ من مرض، أو فقر، أو قتل، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، ؛ كما قال الله تعالى عن قوم هود -عليه السلام-: إنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[هود:٥٤]، وقد خوَّف المشركون رسول الله محمداً ﷺ من أوثانهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾ [الزمر:٣٦]، وهذا الخوف يجب صرفه لله وحده، فمن صرفه لغير الله؛ فقد أشرك بالله الشرك الأكبر.

وهؤلاء الذين يعظمونهم من الصالحين هم يخافون الله ﷻ، ويرجونه، فليس لخوفهم منهم من سبيل؛ كما قال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[الإسراء:٥٧].

وقد أشار العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- إلى كلام

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص١٧٤-١٧٥).

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص٤١٦-٤١٨).

المفسرين لهذه الآية؛ حيث قال: ((وذكر المفسرون[1] أنها نزلت في ناس من الإنس كانوا يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم، ونزلت –أيضاً– في عيسى وعزير والملائكة ممن لا يرضى أن يُعبد من دون الله؛ أي: هم عبادي؛ يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، فليس لخوفكم لهم ورجائكم إياهم محلاً فتدعوهم من دوني، فإن المنفرد بملك الضر والنفع هو الله، له الأمر كله، لا يتحرك شيء من الأشياء إلا بحوله وقوته، ولا ينفع ولا يضر إلا بإذنه، فمن رضي بحكم الله وقسمه، لم يبق لرجاء الخلق في قلبه موضع، ومن سلم لله واستسلم له وعلم أنما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه لم يصبه إلا ما كتب الله له؛ لم يبق لخوف المخلوقين في قلبه موضع، فالله سبحانه وتعالى أمر بخوفه ورجائه، ونهى عن خوف غيره ورجائه))[2].

وذكر العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله– عند كلامه عن تعظيم عبادة الكفار للأصنام: أنه ((قد وقع من المعتقدين في القبور، فإنهم قد عظموها إلى حد لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده أو قريباً منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان في حرم الله تعالى، أو في مسجد من المساجد، أو قريباً من ذلك، وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذباً، ولم يحلف بالميت الذي يعتقده))[3].

وقال في موضع آخر: ((وأصل هذا مخالفة شرع رسول الله ﷺ، وارتكاب المناهي، وعدم التناهي، وهؤلاء يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله، والخوف من غير الله ﷻ، خصوصاً على هذه الكيفية؛ شرك جلي؛ لأنه خوف من شر هذا المعتقد أن يتصرف فيه، ولا يخاف من الله أن ينتقم منه، قد أمن مكر الله؛ ﴿ **فَلَا**

---

(١) ينظر مثلاً: تفسير الطبري (١٧/٤٧١-٤٧٤)، وتفسير القرطبي (١٠/٢٧٩)، وتفسير ابن كثير (٥/٨٨-٨٩).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١١٨).

(٣) إيقاظ الوسنان (ص٢٥).

يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[الأعراف:٩٩]، وإذا جاء من يعترضه على ذلك؛ أوحى الشيطان إلى أوليائه أن يجيبوا بأن الله حليم والولي سريع الانتقام، فيثبتونه على ضلاله))[١].

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((وقد علم كل عالم أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها، واعتقاد أنها تضر وتنفع الاستغاثة بها عند الحاجة، والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم...))[٢].

وقال العلامة العبادي –رحمه الله– في سياق بيانه لجملة من الشركيات[٣]:

((ومن يناد ميْتاً أَو غائباْ ويرتجيه راغباً وراهباْ

في دفْعِ ضر أَو حصول نَفْعِ فَذاك شرك عند أَهل))

ففي هذه الأبيات يذكر –رحمه الله– أن من الشرك دعاءَ الأموات والغائبين ورجاءهم؛ رغبة في نوالهم، أو رهبة من منعهم وسخطهم، فيدعوهم ويلتجأ إليهم أهلُ الشرك ليدفعوا عنهم الضر؛ من المرض، أو الفقر، ونحو ذلك، ويجلبوا لهم النفع؛ من قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وسائر المطالب التي لا يقدر على تحقيقها إلا الله ﷻ وذلك منكر في الشرع، وهو الشرك الأكبر.

الثاني: **الخوف المحرم**: وهو أن يترك الإنسان ما يجب عليه؛ من الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحوها من الأعمال، بغير عذر إلا لخوف من الناس؛ وهذا محرم، وهو شرك أصغر، وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل

---

(١) المصدر السابق (ص٨٩-٩٠).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/ ٣٤٠)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) ينظر: هداية المريد (ص٢٤).

عمران:١٧٣-١٧٥].

الثالث: الخوف التعبدي: وهو خوف وعيد الله ﷻ الذي توعد به العصاة، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[إبراهيم:١٤]، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧]، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان -وهو ما سبق تقريره-، وإنما يكون محمودًا إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله.

الرابع: الخوف الطبيعي: وهو الخوف من عدو، أو سبع أو غير ذلك، فهذا ليس بمذموم؛ كما قال تعالى في قصة موسى -عليه السلام-: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:٢١].

وفي سياق ذلك قال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: ((وأما ما يذكر من خوف بعض المؤمنين في الحروب، وغيرها؛ فذلك يقع بسبب الطبع البشري؛ إما عقوبة على شيء من الذنوب، أو دهشة من الوارد فيحجبه ما يرى عما يعلم، أو للبلوى التي ذكرها الله في غير محل، ولا عقوبة في الطبع البشري إن لم يعمل بأثر ذلك الخوف من الفرار من أعداء الله، والنزول عن الجهاد في سبيل الله))(١).

خامساً: اقتران الخوف والرجاء بالعمل الصالح.

الخوف من الله ﷻ يستلزم منه اجتناب المآثم، كما أن رجاءه ﷻ يستلزم منه الإقبال عليه سبحانه والإتيان بالطاعات؛ **وهذا ما أوضحه العلامة الصنعاني -رحمه الله- في سياق بيانه لضرورة الجمع بين الخوف والرجاء واقتران العمل الصالح بهما، وبيان الفرق بين الرجاء والأماني**؛ حيث قال: ((من خاف اجتنب المآثم حذرًا من عقوباتها، ومن رجا أتى بالطاعات طمعًا في قبولها والجزاء عليها، لا أنه يرجوا الغفران والرحمة مع ارتكاب كل كبيرة، والإعراض عن الله؛ فهذه أمنية لا رجاء.

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١١٩-١٢٠).

وما أحسن ما قاله ابن القيم في "الجواب الشافي"[1] قال: "ومما ينبغي أن يُعلم أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه أمورًا:

أحدها: حبه ما يرجوه.

الثاني: خوفه من فواته.

الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء آخر فكل راج خايف؛ والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات، وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال السيئة؛ فعُلم أن الرجاء والخوف النافع هو ما اقترن به العمل؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[المؤمنون: ٥٧-٦١].

وقد روى الترمذي في جامعه[2] عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات»... .

---

(١) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي؛ لابن القيم (ص٣٩-٤٠).

(٢) كتاب: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة المؤمنون (١٨٠/٥) ح (٣١٧٥)، وأخرجه -أيضاً- أحمد في مسنده (١٥٦/٤٢) ح (٢٥٢٦٣)، وابن ماجه؛ كتاب: الزهد، باب: التوقي على العمل (١٤٠٤/٢) ح (٤١٩٨). وصححه الألباني في تحقيقه لكتاب الإيمان لابن تيمية (ص١٦٢).

والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن، ومن تأمل أحوال الصحابة؛ وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير بل التفريط مع الأمن..."))[1].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في شرحه لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف:١١٠]: ((الرجاء: توقع وصول الخير في المستقبل، والمعنى: من كان له هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين؛ ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، وهو ما دل الشرع على أنه عمل خير يثاب عليه فاعله، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾؛ من خلقه، سواء كان صالحاً أو طالحاً، حيواناً أو جماداً))[2].

وقال في شرحه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]: ((إنما قال: يرجون بعد تلك الأوصاف المادحة التي وصفهم بها؛ لأنه لا يعلم أحدٌ في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ، والرجاء: الأمل، يقال: رجوت فلاناً، أرجو رجاء ورجاوة))[3].

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله-: ((ولا يكون الرجاء إلا مع العمل الصالح وإلا فهو أماني؛ كما قال تعالى في اليهود أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ﴾[البقرة:٨٠]، وقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[البقرة:١١١]، فسماها أماني؛ لأنه قول باطل، فمسالك الرجاء فعل الطاعات، واجتناب المقبحات، والمذموم إنما هو الإرجاء المشتق من المزيد، وهو أرجا، لكن كثير من الناس لا يفرق بيم الرجاء المحمود، والإرجاء المذموم، فإن

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/١٠-١٢).

(٢) فتح القدير (٣/٣٧٥).

(٣) المصدر السابق (١/٢٥١).

الإرجاء هو: القول بأنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الشرك طاعة، قالوا: وعمومات الوعيد كلها في الكفار

فقط؛ وهذا مذهب باطل، وأصحابه يسمون المرجئة، كما أن الأول حق، ويُسمون أصحاب الراجية))[1].

المطلب الثالث: التوكل.

التوكل على الله ﷻ: هو اعتماد القلب عليه سبحانه وتعالى؛ في حصول ما ينفع، ودفع ما يضر، مع فعل الأسباب المشروعة[2].

والتوكل على الله ﷻ فرض من فرائض الرحمن، وشرط من شروط الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[المائدة:٢٣]، فعلَّق الإيمان بالتوكل، وقال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[هود:١٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ

(١) فتح المنان؛ تحقيق: وفاء الزعقاني (ص٩٢٧).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد؛ لابن القيم (١٤/٤).

إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[هود:٨٨].

ولابد مع التوكل على الله من فعل الأسباب؛ لأن مجرد الاعتماد على الله مع ترك الأسباب هو العجز المذموم، أما التوكل فهو فعل الأسباب مع عدم الاعتماد عليها، بل الاعتماد على خالق الأسباب -جل وعلا- ومقدِّرها، والله تعالى أمر بالتوكل وأمر باتخاذ الأسباب، فدل على التلازم بينهما وعدم المنافاة.

قال الحافظ ابن رجب-رحمه الله-: ((اعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به؛ كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾[النساء:٧١]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾ [الأنفال:٦٠]، وقال:﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠]))[١].

وقد اعتنى علماء اليمن -رحمهم الله- بهذا المقام العظيم -مقام التوكل على الله ﷻ-؛ من خلال بيان أهميته وحقيقته، وصلته بالأسباب.

ففي شرح حديث: «قيِّد، وتوكل»[٢]؛ **قال العلامة الصنعاني -رحمه الله- في بيان حقيقة التوكل:** ((أي: قيّد ناقتك، وتوكل على الله، فإن التقييد لا ينافي التوكل، فإن التوكل: اعتماد القلب على الرب؛ في كل عمل ديني، أو دنيوي، فالتقييد لا ينافي ذلك، وفيه إعلام بأنه لا يترك السبب زاعماً أنه متوكل، بل فعل السبب أصل التوكل ولبه))[٣].

وأوضح في موضع آخر: أن ((التوكل: إظهار العجز، والاعتماد على المتوكل

---

(١) جامع العلوم والحكم؛ لابن رجب (٢/٤٩٨).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٢٨) ح (١١٦٠)، من حديث عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/٨١٥).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٧/٩٧-٩٨).

عليه))[1].

وقال –رحمه الله– في بيان أهميته: ((﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]؛ أي: من شرط الصِّدق في الإيمان بالله؛ أن لا يتوكلوا إلا عليه، وأن يُفردوه بالتوكل؛ كما يجب أن يفردوه بالدعاء، والاستغفار))[2].

كما بيَّن في موضع آخر: أن ((من سره أن يكون أقوى الناس في جميع أموره وأحواله؛ فليتوكل على الله؛ لأنه إذا قوي توكله، قوي قلبه، وذهبت مخافته، ولم يبال بأحد؛ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[الطلاق:٣]))[3]، وأن ((ترك سؤال المخلوقين توكلاً على الله؛ دليل قوة الرَّجاء والثقة بالله))[4].

كذلك أوضح –رحمه الله– أن التوكل لا يتم إلا باتخاذ الأسباب المشروعة، وتاركها يكون متكلاً عاجزاً مفرطاً؛ حيث قال: ((التوكل لا يتم إلا باتخاذ الأسباب التي جعلها الله وصلة إلى مسبباتها؛ لأن ترك السبب ليس من شأن المتوكلين، بل المتوكل من اتخذ السبب ثم توكل في حصول المسبب؛ كتوكل الزراع في سقي الأرض وإلقاء البذور، وأما تارك السبب فلا يسمى متوكلاً، بل متكلاً عاجزًا مفرطًا))[5].

وأوضح في موضع آخر أنه ((لا تتم حقيقة التوحيد إلا باستعمال الأسباب التي جعلها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، فإن تركها عجز ينافي التوكل؛ الذي حقيقته: اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه))[6].

---

(١) المصدر السابق (٣/١١٠-١١١).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٧).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٢٥٦).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٤٣٠-٤٣١).

(٥) المصدر السابق (٢/٥٠٨-٥٠٩).

(٦) المصدر السابق (٣/٢٧٩).

وقال في شرحه لحديث: «تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم يضع داءاً إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم»[1]: ((وصفهم بالعبودية؛ إيذاناً بأن التداوي لا يخرجهم عن التوكل الذي هو من لازم العبودية، وإعلاماً بأنهم مع تداويهم لا يخرجون عن الاتصاف بالتوكل الذي هو لازمها))[2].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله– في بيان أهمية التوكل وحقيقته: ((ومن أنواع العبادة التوكل على الله؛ قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]، وقال عن خليله والذين معه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الممتحنة:٤]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ﴾ [النمل:٧٩]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨].

والتوكل: هو الاستعانة بالله، ولا يتم حقيقة التوكل إلا بعد معرفة العبد أن مقاليد الأمور بيد الله، وانتهاء الأمور إلى علمه، فحقيقة إلقاء النفس في العبودية؛ بالقيام بما أُمرت به، وبراءتها من حولها وقوتها بها إلا بالله وحده، فلا يرجو سواه، ولا يقصد إلا إياه، ولا يلاذ إلا بجنابه، ولا تطلب الحوائج إلا منه، ولا يرغب إلا إليه، وليعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له، ولا معقب لحكمه، ولهذا قال سعيد بن جبير[3]: "التوكل على الله جماع الإيمان"[4]، وتأمل قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/٣٩٤-٣٩٥) ح (١٨٤٥٤)، وأبو داود؛ كتاب: الطب، باب: في الرجل يتداوى (٤/٣) ح (٣٨٥٥)، من حديث أسامة بن شريك ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٥٦٥).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٥/٢٦).

(٣) هو: أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الكوفي، الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، مات مقتولاً في قصة مشهورة على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥هـ. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان (٢/٣٧١-٣٧٤)، وسير أعلام النبلاء (٤/٣٢١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٧٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/٧٠).

ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[التوبة:٥٩]، فجعل الرضا بما آتاه الله ورسوله، وجعل التوكل على الله وحده، وهو قوله: حسبنا الله، وكذا الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول، وعلى قدر توحيد العبد يكون صحة توكله؛ فإن التوكل قطع علائق القلب بغير الله، فمتى التفت العبد إلى غير الله؛ كان ذلك نقصاً في توكله على الله بقدر التفاته إلى غير الله))[1].

وفي بيان صلة التوكل بالأسباب؛ قال –رحمه الله–: ((والتوكل لا ينافي القيام بالأسباب مع رفض تأثيرها من القلب، بل لا يصح التوكل إلا مع القيام بها؛ لأن الذي أمر بالتوكل عليه هو الذي أمر بالقيام بالأسباب، فلا بد من الامتثال والقيام بجميع ما أمر، وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين[2]...))[3].

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ** ﴾[إبراهيم:١١-١٢]: ((أي: عليه وحده، وهذا أمر منهم للمؤمنين بالتوكل على الله دون من عداه، وكأن الرُّسل

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١١٥-١١٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٩٩/٢٤) ح (١٥٧٢٢)، وأبو داود؛ كتاب: الجهاد، باب: في لبس الدروع (٣١/٣) ح (٢٥٩٠)، من حديث السائب بن يزيد ﷺ: «أن النبي ﷺ ظاهر بين درعين يوم أُحد». وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٩/٧).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١١٦).

قصدوا بهذا الأمر للمؤمنين الأمر لهم أنفسهم قصداً أولياً، ولهذا قالوا: ﴿ **وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ** ﴾؛ أي: وأي عذر لنا في ألا نتوكل عليه سبحانه، ﴿ **وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا** ﴾؛ أي: والحال أنه قد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه؛ من هدايتنا إلى الطريق الموصل إلى رحمته، وهو ما شرعه لعباده، وأوجب عليهم سلوكه، ﴿ **وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا** ﴾؛ بما يقع منكم من التكذيب لنا والاقتراحات الباطلة، ﴿ **وَعَلَى ٱللَّهِ** ﴾؛ وحده دون من عداه، ﴿ **فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾؛ قيل: المراد بالتوكل الأول استحداثه، وبهذا السعي في بقائه وثبوته))[1].

وفي قوله تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴾[آل عمران:١٧٣].

قال –رحمه الله– في بيان معنى الوكيل: ((الوكيل: هو من تُوكل إليه الأمور، أي: نعم الموكول إليه أمرنا، أو الكافي، أو الكافل، والمخصوص بالمدح محذوف، أي: نعم الوكيل الله سبحانه))[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب:٣]؛ قال: ((أي: اعتمد عليه، وفوض أمورك إليه، وكفى به حافظاً يحفظ من توكل عليه))[3].

كما قرر –رحمه الله– أن التوكل على الله ﷻ لا يتم إلا بالأخذ بالأسباب، وأنها لا تنافيه، لمن اعتقد أنها بإذن الله وتقديره؛ واستدل على ذلك بجملة من الأحاديث؛ ومنها[4]: قوله ﷺ: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء»[5].

---

(١) فتح القدير (١١٧/٣).

(٢) فتح القدير (٤٥٨/١).

(٣) المصدر السابق (٣٠٠/٤).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٢٢٩/٨-٢٣٠).

(٥) أخرجه البخاري؛ كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (١٢٢/٧) ح

ومنها: قوله ﷺ: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله تعالى»[1].

ومنها: حديث ابن عباس رضي الله عنه: أن امرأة سوداء أتت النبي ﷺ؛ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف؛ فادع الله لي، قال: «إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك»، فقالت: أصبر، وقالت: إني أتكشف؛ فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها»[2].

ثم قال –رحمه الله– بعد سوقه لهذه الأحاديث: ((وفي أحاديث الباب كلها إثبات الأسباب، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله لمن اعتقد أنها بإذن الله وبتقديره، وأنها لا تنفع بذواتها، بل بما قدره الله فيها، وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك، وإليه الإشارة في حديث جابر؛ حيث قال: «بإذن الله»، فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته، والتداوي لا ينافي التوكل؛ كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكذلك تجنب المهلكات، والدعاء بالعافية، ودفع المضار،

(٥٦٧٨)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء، واستحباب التداوي (١٧٢٩/٤) ح (٢٢٠٤)؛ من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: المرضى، باب: فضل من يُصرع من الريح (١١٦/٧) ح (٥٦٥٢)، ومسلم؛ كتاب: البر والصلة والآداب، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (١٩٩٤/٤) ح (٢٥٧٦).

وغير ذلك))[1].

كما قرر –رحمه الله– أن على العباد ((التوكل على ربهم في أرزاقهم، وأن جميعهم فقراء إلا من غناه الله، فدفع الفقر لا يغني فيه سعي ولا كسب، ولا حيلة للعبد في شيء من ذلك، بل الغنى بيد الله ﷻ، من أفاض عليه من خزائن ملكه صار غنياً، ولا ينافي ذلك السعي في أسباب الرزق، كما في قوله عز وجل: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ ﴾[الملك:١٥].

فإن الله ﷻ هو مسبب الأسباب، وهو الفاتح لأبواب الخير، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ ﴾[فاطر:٢]، الآية، وقال سبحانه: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴾[يونس:١٠٧]))[2].

كما أشار العلامة العبادى –رحمه الله– إلى عبودية التوكل على الله ﷻ؛ حيث قال في سياق بيانه لجملة من العبادات التي لا تصرف إلا لله ﷻ[3].

ولم يكن معتمداً على أحدْ إلا على رب السموات الصمدْ

فيذكر –رحمه الله– أن الموحد لا يتوكل في أموره كلها إلا على الله ﷻ، رب السموات، والمقصود في الحوائج كلها.

وقال الشيخ البيحاني –رحمه الله– في سياق رده على صاحب "درر المعاني": ((ومن الذي سيغضب يا حضرة الخصم غضباً يحمله على الفساد في الأرض، وسفك الدماء إذا قيل له: لا تعبد إلا الله، ولا تتوكل إلا عليه، ولا تصرف شيئاً مما هو له إلى غيره من الآلهة، إنما هو جاهل خدعتموه، أو متعلم سلكتم به غير سبيل المؤمنين، فزينتم له الباطل، وفتنتموه بالوعود وتلك المواثيق والعهود التي

---

(١) نيل الأوطار (٨/٢٣١).

(٢) رسالة: نثر الجوهر على حديث أبي ذر (١١/٥٥٣٢-٥٥٣٣)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) ينظر: هداية المريد (ص١٢).

قطعتموها له بأنه سيعيش حميداً، أو يموت شهيدا ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الحشر:١٦-١٧]))[(١)].

وفي هذا بيان منه -رحمه الله- أن التوكل عبادة من العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ.

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٢٤).

المبحث الثالث: أعمال العبادة الظاهرة.

المطلب الأول: الذِّكر.

الذِّكر عبادة من أفضل العبادات، وقد أمر الله ﷻ به عباده؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الأحزاب:٤١-٤٢]، وقال تعالى:﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[البقرة:١٥٢].

وقد تقدم في الفصل الثاني بيان معنى العبادة، وظهر بمعناها أنها شاملة لكل أنواع الطاعات، سواء كانت ظاهرة أو باطنة، والذِّكر فيه تحقيق لهذا المعنى بوضوح تام؛ لأن لفظ "الذِّكر" يُستخدم لمعنيين:

ذِكر بالمعنى الخاص: وهو ذِكر القلب، وذِكر اللسان؛ وهو أشهر أنواع استخداماته.

وذِكر بالمعنى العام: وهو ما كان بالقلب، واللسان، والجوارح، وهو بهذا المعنى يشمل جميع أنواع الطاعات والقربات، ووجه إدخاله ضمن العبادة الظاهرة أن الغالب إطلاقه على ذِكر اللسان، مع أنه يشمل جميع أنواع العبادات.

وقد اعتنى علماء اليمن –رحمهم الله– بالذِّكر، وبينوا أقسامه:

قال العلامة الحسين بن محمد المغربي –رحمه الله– في بيان معنى الذِّكر: ((الذِّكر: مصدر ذَكر يذكرُ، وهو ما يجري على اللسان...))(١).

كما أوضح –رحمه الله– أن الذِّكر قد يكون ((باللسان فقط، أو بالقلب فقط، أو بهما، أو بامتثال الأمر واجتناب النهي...))(٢).

ثم ذكر –رحمه الله– جملة من النصوص الواردة في بيان فضل الذِّكر؛ ومنها(٣): **قوله ﷺ:** «ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله فيه؛ إلا حفتهم الملائكة،

---

(١) البدر التمام شرح بلوغ المرام؛ للحسن المغربي (٣٨١/١٠).

(٢) المصدر السابق (٣٨٨/١٠).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٣٨٩/١٠-٣٩٢).

وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده»[1].

ومنها: قوله ﷺ: «ما عمل ابن آدم عملاً؛ أنجى له من عذاب الله، من ذِكر الله»[2].

وقال العلامة الصنعاني –رحمه الله–: ((الذِّكر: مصدر ذَكَر، وهو ما يجري على اللسان، والقلب، والمراد به ذِكر الله))[3].

كما أورد –رحمه الله– جملة من النصوص الواردة في بيان فضائل الذِّكر، منها ما سبق ذكره؛ ومنها –أيضاً–[4]: **قوله ﷺ**: «يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[5].

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الذِّكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر (٢٠٧٤/٤) ح (٢٧٠٠)؛ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري –رضي الله عنهما–.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٦/٣٦) ح (٢٢٠٧٩)، وابن ماجه؛ كتاب: الأدب، باب: فضل الذِّكر (١٢٤٥/٢) ح (٣٧٩٠)؛ من حديث معاذ رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٩٨٦/٢).

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٦٩٨/٢).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٧٠٠/٢-٧٠٦).

(٥) أخرجه البخاري؛ كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعلى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ ﴾[آل عمران:٢٨] (١٢١/٩) ح (٧٤٠٥)، ومسلم؛ كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: الحث على ذكر الله تعالى (٢٠٦١/٤) ح (٢٦٧٥)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومنها: قوله ﷺ: «إن ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذِّكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى؛ تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا»[1].

قال -رحمه الله-: ((وهذا من فضائل مجالس الذِّكر تحضرها الملائكة بعد التماسهم لها.

والمراد بالذِّكر: هو التسبيح والتحميد وتلاوة القرآن ونحو ذلك...، والذِّكر حقيقة: في ذِكر اللسان، ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضار معناه، وإنما يشترط أن لا يقصد غيره، فإن انضاف إلى الذِّكر باللسان الذِّكر بالقلب فهو أكمل، وإن انضاف إليهما استحضار معنى الذِّكر، وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى، ونفي النقائص عنه؛ ازداد كمالاً، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض؛ من صلاة، أو جهاد، أو غيرهما؛ فكذلك، فإن صح التوجه وأخلص لله؛ فهو أبلغ في الكمال...))[2].

كما أوضح -رحمه الله-: أن التهليل أفضل الذِّكر؛ حيث قال: ((الأحاديث دالة على أن التهليل أفضل...؛ «أفضل الذكر لا إله إلا الله...»[3]، ....

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الدعوات، باب: فضل ذِكر الله ﷻ (٨٦/٨) ح (٦٤٠٨)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٧٠٠/٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه؛ كتاب: الأدب، باب: فضل الحامدين (١٢٤٩/٢) ح (٣٨٠٠)، والترمذي؛ كتاب: الدعوات، باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة (٣٢٥/٥) ح (٣٣٨٣)؛ وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: أفضل الذِّكر وأفضل الدعاء (٣٠٦/٩) ح (١٠٥٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع والصغير وزيادته (٢٤٨/١).

وهي كلمة التوحيد والإخلاص...»))[1].

كما قرر العلامة الشوكاني –رحمه الله– أن ذِكر الله ﷻ هو أعلى العبادات[2].

وأوضح في –موضع آخر– أن ذِكر الله ﷻ هو أفضل الأعمال؛ حيث قال في شرحه لحديث: «ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا العدو؛ فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم»، قالوا: بلى يا رسول الله قال: «ذِكر الله»[3]: ((فيه دليل: على أن الذِّكر خير الأعمال على العموم؛ كما يدل عليه إضافة الجمع إلى الضمير، وكذلك إضافة أزكى وأرفع إلى ضمير الأعمال، والزكا النماء والبركة، فأفاد كل ذلك أن الذِّكر أفضل عند الله سبحانه وتعالى من جميع الأعمال التي يعملها العباد، وأنه أكثرها نماء وبركة وأرفعها درجة، وفي هذا ترغيب عظيم؛ فإنه يدخل تحت الأعمال كل عمل يعمله العبد كائناً ما كان))[4].

ثم أورد –رحمه الله– استشكال بعض أهل العلم على تفضيل الذِّكر على بعض الأعمال؛ كالصدقة، والجهاد، مع ورود النصوص في بيان فضلها[5]؛ وأجاب عن ذلك بقوله: ((وقد جمع بعض أهل العلم بين ما ورد من الأحاديث المشتملة على

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٧٠٤/٢).

(٢) ينظر: نيل الأوطار (٣٧١/٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٣/٣٦-٣٣) ح (٢١٧٠٢)، وابن ماجه؛ كتاب: الأدب، باب: فضل الذِّكر (١٢٤٥/٢) ح (٣٧٩٠)، والترمذي؛ كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الذِّكر (٣٢٠/٥) ح (٣٣٧٧)؛ من حديث أبي الدرداء ﵁، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥١٣/١).

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين؛ للشوكاني (ص١٧-١٨).

(٥) ينظر: المصدر السابق (ص١٨).

تفضيل بعض الأعمال على بعض آخر، وما ورد منها، مما يدل على تفضيل البعض المفضل عليه؛ بأن ذلك باعتبار الأشخاص والأحوال، فمن كان مطيقاً للجهاد، قوي الأثر فيه؛ فأفضل أعماله الجهاد، ومن كان كثير المال؛ فأفضل أعماله الصدقة، ومن كان غير متصف بأحد الصفتين المذكورتين؛ فأفضل أعماله الذِّكر، والصلاة، ونحو ذلك))[١]، **ثم رجح –رحمه الله– أفضيلة الذِّكر على سائر الأعمال**[٢].

وأورد –رحمه الله–: جملة من النصوص الواردة في فضل الذِّكر[٣]، وقد تقدم بيان جملة منها، مما يغني عن إعادتها هنا.

وقال العلامة العبادي –رحمه الله– في سياق بيانه لجملة من العبادات التي لا تصرف لغير الله ﷻ[٤]:

ولم يجز نوع من العبادهْ	لعاجزٍ عن فِعلِ ما أرادهْ
كنذره وذبحه ورغبتهْ	وذِكره معظِّماً ورهبتهْ
والخوف والخضوع والإنابهْ	ثم الدعا وقصده الإجابهْ

فبيَّن –رحمه الله–: أن ذكر الله ﷻ يكون مع التعظيم، ولا يكون إلا لله ﷻ، وهو نوع من أنواع العبادة التي لا تُصرف إلا لله ﷻ.

كما أوضح الشيخ البيحاني –رحمه الله–: أن الله قد ((أمر الله بذكره وشكره، وحث عباده على ذلك بالغدو والآصال، وأثنى على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، ووعد على ذلك بالأجر العظيم، والثواب الجزيل؛ فقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[البقرة:١٥٢]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص١٨).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص١٨-٢٠)، ونزهة الأبصار في التفاضل بين الأذكار(١٢/٥٩٢٥)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) ينظر: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص١٢-٣٢).

(٤) ينظر: هداية المريد (ص١٢).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤١-٤٣] . . . .

والآيات في فضل الذكر كثيرة، لا يمكن الاستشهاد بها كلها، وحسبنا من ذلك معرفتها، وفهم معانيها، ومطالبة أنفسنا بذِكر الله في كل حال، وحمده وشكره في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والعسر واليسر؛ آناء الليل وأطراف النهار، كما أَمرت بذلك السنة الغراء، وأرشدنا إليه رسول الله ﷺ، الذي كان يذكر الله على كل أحيانه)) [(١)].

ثم قرر -رحمه الله- أن ((أفضل الذكر "لا إله إلا الله"[(٢)]، والله يحب من عبده لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وجسداً على البلاء صابراً، ولا شيء بعد تلاوة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ أفضل من حركة اللسان بذكر الله، ولكن ربك لا يُعبد إلا بما شرع، ولا يُتقرب إليه إلا بما يريد...))[(٣)].

ثم قال -رحمه الله- في الإنكار على من يخالف الشرع في ذِكر الله ﷻ: ((يتخذ جهلة الصوفية لأنفسهم أعمالاً يتقربون بها إلى الله لم تكن مشروعة إلا من تلقاء شيوخهم الجهال؛ كالتسبيح بغير ما شرع، وأوراداً أخرى يتخذون لها أوقاتاً مخصوصة، وكيفيات ابتدعوها))[(٤)].

ثم عقَّب: بأن صاحب "درر المعاني"[(٥)] أنكر عليه هذا القول ((وعدَّ ذلك إنكاراً على السادة الصوفية المتمسكين بالكتاب والسنة، وظن أنه كراهة لذكر

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٥٤٢).

(٢) تقدم قبل قليل بيان ذلك.

(٣) المصدر السابق (ص٥٤٣).

(٤) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٥) درر المعاني في التحذير من منظومة العبادي وتعليق البيحاني؛ لعلي محمد باحميش (ص١٣٤).

الله، وإعراضٌ عنه ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[طه: ١٢٤-١٢٦].

وأخذ يدندن بسب الوهابية، ويدور حول نفسه، ويعدُّ إنكارنا لكل بدعة غلواً في الدِّين، ومخالفة لله ورسوله ولصالح المؤمنين، وزعم أن الاجتماع لقراءة رواتب المشايخ وأورادهم أمرٌ لا بأس به، ولا محذورة فيه، ...))[١].

ثم أطال -رحمه الله- في الرد عليه، وبيان جهله من وجوه متعددة؛ ومنها[٢]:

الوجه الأول: بيانه -رحمه الله- أن الاجتماع لتلاوة القرآن، وذكر الله، ودراسة العلوم الإسلامية، ((قد أمر به النبي ﷺ ورغَّب فيه بقوله: «ومن سلك طريقاً يلتمس فيها علماً؛ سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، و ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[٣]....

وفي الحديث القدسي: «من ذكرني في نفسه؛ ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ؛ ذكرته في ملأ خير منهم»[٤]))[٥].

الوجه الثاني: بيانه -رحمه الله- أن: ((الاجتماع المحرم: هو الذي يقع فيه الرقص، والتصفيق، والتواجد، وضرب الكاسات، والحركات المخلة بالآداب، والاستغاثة بالموتى، ودعاء غير الله، وما ينشدونه من الأشعار الغزلية، وقصائد

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٥٤٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٥٤٤-٥٥٠).

(٣) تقدم تخريجه (ص٢٦٥).

(٤) تقدم تخرجه (ص٢٦٥).

(٥) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٥٤٦).

الفجار، وأشرار الملاحدة من أهل وحدة الوجود [١]، القائلين بحلول الله -جل وعلا- في كل موجود...)) [٢].

الوجه الثالث: بيانه -رحمه الله- أن ((من أعظم البدع: الاجتماع الذي يقع فيه اختلاط الرجال بالنساء، ويطفئون معه السرج وقت الذِّكر؛ ليشتغل كلٌّ بنفسه كما يزعمون! وذلك من تلاعب الشيطان بأدعياء التصوف الجهال، الذين هم إلى الإباحية أقرب، وفي الشهوات أرغب، وأولئك هم شرار الخلق عند الله، وهم على الإسلام أضرُّ من أعدائه الكفار؛ لبعدهم عن القرآن، وتمسكهم بقول فلان ورأي فلان، قد استحبوا العمى على الهدى، وآثروا الحياة الدنيا، وهم في مظاهر العبَّاد، وثياب الزُّهاد، ولكنهم إخوان الثعابين، وأتباع الشياطين... .

أما الذي يتمسك بالشريعة، ويسير على طريقة الإسلام الصحيحة، ويترسم خطى الصحابة الأخيار، وأهل بيت النبي المختار، ويفعل من الخير ما استطاع، ويترك ما نهى الله ورسوله عنه؛ فإنه الذي يقال له الفقيه الصوفي؛ كأبي القاسم الجنيد[٣] وأمثاله، الذين لا يرون الوصول إلى الله إلا من طريق الكتاب العزيز، والسنة الشريفة الغراء.

والإسلام لا يريد من بنيه الانقطاع للعبادة، وأن يكونوا عالة على الناس، ولكنه يريد منهم العلم والعمل، ويحثهم على مصالح العاجل والآجل، ويدلهم على

---

(١) أهل وحدة الوجود: هم الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وأنه ليس لهذا العالم رب مباين له منفصل عنه؛ وفي هذا تعطيل للصانع، وجحود له، وهذا الرأي جامع لكل شرك، وهو أكفر أقوال أهل الأرض، ومذهب أهل الإلحاد. ينظر: التحفة العراقية؛ لابن تيمية (ص٦٤)، ومجموع الفتاوى (٣٥/٤٤)، والصواعق المرسلة؛ لابن القيم (١/٢٩٤).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٥٤٦).

(٣) هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، الزاهد المشهور، كان فقيهاً علي مذهب سفيان الثوري، توفي سنة ٢٩٧هـ. ينظر ترجمته: طبقات الصوفية (ص١٢٩-١٣٥)، ووفيات الأعيان (١/٣٧٣-٣٧٥).

الخير في الدنيا والآخرة، فأبناؤه الحقيقيون هم الصائمون القائمون، العاملون العاملون، الصالحون لوراثة الأرض وتدبير الملك، وإتقان التجارة والزراعة والصناعة، وسائر الأعمال التي بها صلاح الحياة، وما بعد الموت.

وما رجعنا إلى الورى، ومشينا القهقرى، إلا بترك تلك التعاليم الصحيحة، وتطاول الجهال على أهل العلم بما ليس من شأنهم، وانصياع الملوك والخلفاء لأصحاب العمائم الكبيرة، والأكمام الواسعة، والسبح الطويلة، ورب لحية كثة تستحق الحلق والنتف، وسبحة طويلة يستحق صاحبها أن يجر بها إلى السجن؛ لأنهم جعلوا تلك الثياب الفضفاضة، والمظاهر الخلابة؛ للخدع والمكر، وأن يظهروا للعامة بمظهر العظماء، واتخذوا تلك المسابح شباكاً لاصطياد الناس، فحسيبهم الله، والله ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[غافر:١٩]...))[1].

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٥٤٩-٥٥٠).

المطلب الثاني: الدعاء.

من أجل أنواع العبادات الدعاء، فهو أعظم أنواع العبادة، وقد وردت النصوص الكثيرة في الحث عليه، والترغيب فيه، والإخلاص فيه، وعدم الاستكبار عنه؛ قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة:١٨٦]، وغيرها من الآيات.

ومن السنة: قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[(١)]، وقوله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[(٢)]، وغيرها من النصوص.

وقد اعتنى علماء اليمن –رحمهم الله– ببيان عبودية الدعاء، بنوعيه؛ دعاء العبادة، ودعاء المسألة، وأنه من العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ، وبيان ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: بيان معنى الدعاء وحقيقته:

الدعاء لغةً: النداء والطلب والسؤال والرغبة [(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩٨/٣٠-٢٩٩) ح (١٨٣٥٢)، وابن ماجة؛ كتاب: الدعاء، باب: فضل الدعاء (١٢٥٨/٢) ح (٣٨٢٨)، وأبو داود؛ كتاب: الصلاة، باب: الدعاء (٧٦/٢) ح (١٤٧٥)، والترمذي؛ كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء (٣١٦/٥) ح (٣٣٧٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: التفسير، باب: سورة غافر (٢٤٤/١٠) ح (١١٤٠٠)؛ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٤١/١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٨٧/٤-٤٨٨) ح (٢٧٦٣)، والترمذي؛ كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، بابٌ (٢٤٨/٤) ح (٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح؛ من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٣١٧/٢).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٣١٥)، والقاموس المحيط (ص١٢٨٢).

ومعنى دعاء الله سبحانه: ((استدعاء العبد ربه ﷻ العناية، واستمداده إياه المعونة.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله ﷻ، وإضافة الجود والكرم إليه))[1].

وقد أوضح العلامة الحسن بن محمد المغربي -رحمه الله- أن الدعاء؛ مصدر: "دعا"، وأنه يأتي على معان؛ ومنها: النداء، والطلب، والسؤال، والاستعانة، والعبادة[2].

ويُراد به: ((الطلب من الله سبحانه وتعالى خير الدنيا وخير الآخرة، والاستعاذة من شرورهما))[3].

و قال -أيضاً- العلامة الصنعاني -رحمه الله- في بيان معنى الدعاء: ((والدعاء: مصدر دعا؛ وهو الطلب، ويُطلق على الحث على فعل الشيء؛ نحو: دعوتُ فلاناً: استعنته، ويقال: دعوت فلاناً: سألته، ويُطلق على العبادة، وغيرها))[4].

وفي بيان حقيقته؛ قال -رحمه الله-: ((وهو يتضمن حقيقة العبودية، والاعتراف بغنى الرب، وافتقار العبد وقدرته تعالى، وعجز العبد وإحاطته تعالى بكل شيء علماً؛ فالدعاء يزيد العبد قرباً من ربه، واعترافاً بحقه، ولذا حث ﷺ على الدعاء، وعلم الله عباده دعاءه؛ بقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[البقرة:٢٨٦] الآية، ونحوها، وأخبرنا بدعوات رسله وتضرعهم؛ حيث قال أيوب: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٣]، وقال زكريا -عليه السلام-:

---

(١) شأن الدعاء؛ للخطابي (ص٤).

(٢) ينظر: البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/٣٨١-٣٨٢).

(٣) المصدر السابق (١٠/٣٨٢).

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٢/٦٩٨).

﴿ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، وقال: ﴿ فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴾ [مريم:٥]، وقال أبو البشر: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية، وقال يوسف: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴾-إلى قوله- ﴿ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال يونس: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ودعا نبينا ﷺ في مواقف لا تنحصر؛ عند لقاء الأعداء، وغيرها، ودعواته في الصباح، والمساء، والصلوات، وغيرها معروفة))[(١)].

وأوضح العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله- معنى الدعاء أثناء شرحه لحديث: «وقني سيء الأعمال والأخلاق»[(٢)]، فقال: ((هذا من طلب دفع المضر، هو بيان لنوعي الطلب الذي لا يكون مسبباً إلا عن أحد النوعين غالباً، فإن طلب العبد لربه لا تكون إلا لاستجلاب نفع، أو استدفاع ضر، وسر التوحيد منه))[(٣)].

وقال العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله-: ((ومسمى الدعاء: هو السؤال والطلب لغة وشرعاً))[(٤)].

وأوضح ذلك بقوله: ((إذ الدعاء بطلب وصول الخير، ودفع الضر عنه؛ هو نوع من أنواع العبادة))[(٥)].

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٦٩٨/٢).

(٢) أخرجه النسائي؛ كتاب: المساجد، باب: نوع آخر من الدعاء بين التكبير والقراءة (٤٦٦/١) ح (٩٧٢)؛ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ. وصححه الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح (٢٦٠/١).

(٣) تيسير اليسرى؛ تحقيق: محمود أحمد حفيظ الله (ص١٨٦).

(٤) إيقاظ الوسنان (ص١٢٨).

(٥) إيقاظ الوسنان (ص٢٤).

وقال العلامة المعلمي -رحمه الله-: ((أهل اللغة متفقون على أن أصل الدعاء: بمعنى النداء...))[١].

ثم أطال -رحمه الله- في نقل كلام أهل العلم في بيان ذلك، ورجَّح: أن معنى الدعاء في اللغة: الرغبة والسؤال[٢].

ثانياً: أهمية الدعاء، وكونه من العبادة:

قرر العلامة الحسن بن محمد المغربي -رحمه الله- أن الدعاء: ((هو محض العبادة وخالصها))[٣]، واستدل على ذلك بأحاديث[٤]؛ ومنها قوله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[٥].

وقرر العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((أن الدعاء ذِكر الله وزيادة، فكل حديث في فضل الذِّكر يصدق عليه، وقد أمر الله تعالى عباده بدعائه؛ فقال: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر:٦٠]، وأخبرهم بأنه قريب يجيب دعاءهم؛ فقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة: ١٨٦]، وسماه مخ العبادة؛ ففي الحديث عند الترمذي[٦] من حديث أنس مرفوعاً: «الدعاء مخ العبادة»، وأخبر ﷺ: أن الله تعالى يغضب على من لم يدعه؛ فإنه أخرج البخاري في الأدب المفرد[٧] من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من لم يسأل الله يغضب عليه»،

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٧٥٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/٧٥٤-٧٦٤).

(٣) البدر التمام شرح بلوغ المرام (١٠/٤٤٠).

(٤) ينظر: المصدر السابق (١٠/٤٣٩-٤٤٠).

(٥) تقدم تخريجه (ص٢٧٣).

(٦) في سننه برقم (٣٣٧١)؛ كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء (٥/٣١٦)، وقال: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١/٤٤١).

(٧) (ص٣٤٥)، وأخرجه الترمذي؛ كتاب: الزكاة، باب: منه (٥/٣١٧) ح (٣٣٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص٢٤٦).

وأخبر ﷺ: أنه تعالى يحب أن يسأل؛ فأخرج الترمذي[1] من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «سلوا الله من فضله، فإنه يحب أن يُسأل»، والأحاديث في الحث عليه كثيرة...))[2].

وقرر في موضع آخر -أيضاً-: أن ((الدعاء من العبادة، وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]، بعد قوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾))[3].

وقال -أيضاً-: ((قد سمى الله تعالى العبادة دعاء؛ في قوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر:٦٠]، ولذا نهى الله تعالى عن سؤال غيره...؛ لأن الداعي إذا أراد إنجاح مطلبه، وقضاء حاجته، قطع عن غير الله مسألته، وأزال عن الخلق رجاءه، وهذا هو العبادة والغنى بالله...))[4].

وقال في شرحه لحديث: «الدعاء هو العبادة»[5]: ((قال الطيبي[6]: "جاء "جاء بضمير الفصل والخبر المعرف باللام ليدل على الحصر؛ لأن العبادة ليست غير

---

(١) في سننه؛ كتاب: الزكاة، باب: في انتظار الفرج وغير ذلك (٥/٤٥٧) ح (٣٥٧١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١/٤٨١).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٢/٦٩٨).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٦٦).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/٤٥٠).

(٥) تقدم تخريجه (ص٢٧٣).

(٦) هو: الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي، الإمام المشهور، كان ذا ثروة من الإرث والتجارة، وكان حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، له مصنفات؛ منها: شرح المشكاة، والتبيان، وغيرها، توفي سنة ٧٤٣هـ. ينظر ترجمته: الدرر الكامنة (٢/١٨٥-١٨٦)، والبدر الطالع (١/٢٢٩-٢٣٠).

الدعاء"[١]، ....

وقال غيره: المعنى أنه أعظم العبادة؛ فهو كخبر: «الحج عرفة»[٢]؛ أي: ركنه الأكبر؛ لدلالته على أن فاعله مقبل على الله تعالى، معرض عما سواه، ولأنه مأمور به، وفعل المأمور به عبادة، وسماه عبادة؛ ليخضع الداعي، ولأنه يظهر ذلته، ومسكنته، وافتقاره، إذ العبادة ذل، وخضوع، ومسكنة))[٣].

كما بيَّن –رحمه الله– أن إفراد الله ﷻ بالسؤال، وإنزال الحاجات به وحده دون خلقه؛ يدل عليه السمع والعقل؛ حيث قال في شرحه لحديث ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[٤]: ((وقوله: «فاسأل الله»؛ أمر بإفراد الله ﷻ بالسؤال وإنزال الحاجات به وحده... .

وإفراد الله بطلب الحاجات دون خلقه؛ يدل له العقل والسمع، فإن السؤال بذلٌ لماء الوجه وذل لا يصلح إلا لله تعالى؛ لأنه القادر على كل شيء، الغني مطلقاً، والعباد بخلاف هذا، وفي صحيح مسلم... حديث قدسي فيه: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت

---

(١) ينظر: شرح المشكاة؛ للطيبي (١٧٠٨/٥).

(٢) جزء من حديث؛ أخرجه أحمد في مسنده (٦٤/٣١) ح (١٨٧٧٤)، وابن ماجه؛ كتاب: المناسك، باب: من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع (١٠٠٣/٢) ح (٣٠١٥)، وأبو داود؛ كتاب المناسك، باب: من لم يدرك عرفة (١٩٦/٢) ح (١٩٤٩)، والترمذي؛ كتاب: أبواب الحج، باب: ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج (٢٢٩/٢) ح (٨٨٩)، والنسائي؛ كتاب: مناسك الحج، باب: فرض الوقوف بعرفة (٢٥٦/٥) ح (٣٠١٦)، من حديث عبد الرحمن بن يعمر رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٠٦/١).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (١٢٧/٦).

(٤) تقدم تخريجه (ص٢٧٣).

كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر»[1] ...))[2].

وبيَّن العلامة النعمي –رحمه الله– أهمية الدعاء؛ فقال: ((فإنه لما كان بكيفية الاضطرار والافتقار إلى قوي قهار، وضعاً، وطبعاً، وصنعاً، وإبداء الفاقة والاحتياج إليه، وعدم الاستغناء عنه، مترجماً عن معنى عبدٍ مملوك مربوب، والمدعو مالكه وربُّه؛ كان حينئذ قاعدة أُفق العبادة، ومنتثل[3] كنانتها[4]، وهذا سر اختصاص الله به، وعدم استحقاق سواه له))[5].

وقال –أيضاً– في شأن الدعاء: ((فما بال الدعاء الذي هو العَلَم المشهور في العبادة، وآيات التنزيل، بل هو في الحقيقة بداية الأمر ومشرعه، وقطب رحاه[6]، سُلَّ من مركزه، واسُتنزل من شوامخ صياصيه[7]، وهو أظهر وأشهر معنى من العبادة، العبادة،

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم (١٩٩٤/٤) ح (٢٥٧٧)؛ من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٦٤٨/٢).

(٣) ومنتثل: النثل: هو إخراج الشيء، يقال: نثل كنانته نثلاً؛ أي: استخرج ما فيها من النبل. ينظر: لسان العرب (٦٤٥/١١).

(٤) الكنانة: هي جعبة السهام، وهي تتخذ من جلود لا خشب فيها، أو العكس. ينظر: لسان العرب (٣٦١/١٣).

(٥) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٧٢٦/٢-٧٢٧).

(٦) قطب الرحى في الأصل: يطلق على الحديدة القائمة التي تدور عليها الرحى، وقطب كل شيء: ملاكه وسيده الذي يدور عليه أمره. ينظر: لسان العرب (٦٨١/١-٦٨٢)، والمقصود هنا: أن الدعاء هو أصل العبادة وروحها.

(٧) الصياصي: هي الحصون، وكل شيء امتنع به وتحصن به، ومفردها صيصة. ينظر: لسان

وأكثر تنصيصاً وتعييناً وبياناً لمعناه في آيات الكتاب منها))[1].

ونقل آراء المفسرين لتفسير الدعاء بالعبادة؛ فقال: ((وقد رأينا بعض المفسرين اعتمد تفسير الدعاء بالعبادة، وكأنه لاحظ الحديث الذي سنذكره إن شاء الله تعالى؛ إذ هو الوجه، فرأيناه يعمد مثلاً إلى تركيب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾[الأعراف:١٩٤]، فيقول: تعبدون، وهكذا في غير هذا التركيب[2]، وبه جاء النص الصريح...: «الدعاء هو العبادة»[3]، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠]))[4].

وبيّن -أيضاً- أن الله ﷻ ذكر العبادة محل الدعاء: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[مريم:٤٨]، ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[مريم:٤٩][5].

و-أيضاً- كونه من العبادة؛ بيّن -رحمه الله-: ((أن الدعاء بوضعه وطبعه وحاصله: كأن تقيم صلاة بتكبير وقراءة وركوع وسجود تتلوه فيها، فهذه العبادة بكيفيتها موضوعة لذي الوحدانية والملك، والدعاء هذا مجراه وهذه منزلته))[6].

العرب (٧/٥٢).

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٧٢٨).

(٢) ينظر مثلاً: تفسير الطبري (٢١/٤٠٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/١٤٩٩)، وتفسير البغوي (٧/١٥٦)، وتفسير القرطبي (١٥/٣٢٦)، وتفسير ابن كثير (٧/١٥٣)، وغيرها.

(٣) تقدم تخريجه (ص٢٧٣).

(٤) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٧١٤-٧١٦).

(٥) ينظر: معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٧٢٥).

(٦) المصدر السابق (٢/٧٢٧).

وقال: ((من أمعن النظر في آيات الكتاب، ومحاورات الرسل مع أممهم، وجد أُسَّ الشأن، ومحط رحال القصد، شيوعاً، وكثرةً، وانتشاراً، وشهرةً: هو دعاء الله وحده، وإخلاص العبادة له...))(1).

وأوضح –أيضاً– أن الدعاء والعبادة يتعاقبان في القرآن؛ فقال: ((وقد وجدنا العبادة والدعاء يتعاقبان في الكتاب العزيز...؛ كقوله: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٠٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:١٩٤]، ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾[فاطر:١٣-١٤]، ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾[الأحقاف:٥-٦]، مع قوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا عَنۡ عِبَادَتِكُمۡ لَغَٰفِلِينَ﴾[يونس:٢٩]))(2).

كذلك قرر العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: أن ((الدعاء هو مخ العبادة ولبها، وفيه من العبودية ما ليس في غيره من العبادات))(3).

وكذلك أوضح العلامة الشوكاني –رحمه الله– أهمية الدعاء في مواضع متفرقة من كتبه؛ ومنها: قوله: ((أفضل الذِّكر ما كان في دعاء الرب ﷻ، فإنه مطلوب منه سبحانه؛ كما قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر:٦٠]، وعقبه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾[غافر:٦٠]؛ الآية، فجعل الدعاء له في حوائج

---

(١) المصدر السابق (٢/٧٠٨).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٧٠٨-٧٠٩).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٩٥).

العبد عبادة، وجعل تارك الدعاء مستكبراً عن عبادته...، وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة:١٨٦]))[١].

ثم أورد -رحمه الله- جملة من الأحاديث الواردة في فضل الدعاء[٢].

وأوضح في موضع آخر: ((أن الدعاء هو العبادة، بل هو مخ العبادة، فالإرشاد إليه إرشاد إلى عبادة جليلة تترتب عليها فائدة جميلة، مع ما في ذلك من امتثال الأمر الرباني؛ حيث يقول: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر:٦٠]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة:١٨٦].

ومع ما فيه -أيضاً- من خلوص عباده من الاستكبار على ربهم الذي ورد الوعيد عليه؛ بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾[غافر:٦٠]؛ أي: دعائي...، فكانت الفوائد ثلاثا:

الأولى: الظفر بالمرتبة العلية من كونهم من مجابي الدعوة.

الثانية: ما في ذلك من العبادة لله عز وجل بدعائه.

الثالثة: توقيهم لما خوطب به غيرهم من المستكبرين عن الدعاء...))[٣].

وبيَّن في موضع آخر: أن ((الدعاء هو أعلى أنواع العبادة، وأرفعها، وأشرفها؛ وإلى هذا أشار بقوله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة»[٤]، والآية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من العبادة؛ فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾[غافر:٦٠]، فأفاد ذلك: أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا اقبح من هذا الاستكبار، وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له، ورازقه ،وموجده من العدم، وخالق العالم كله، ورازقه، ومحييه

---

(١) قطر الولي على حديث الولي (ص٣٨١).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٣٨٢-٣٨٦).

(٣) قطر الولي على حديث الولي (ص٤٦٢-٤٦٣).

(٤) تقدم تخريجه (ص٢٧٥).

ومميته، ومثيبه ومعاقبه، فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون، وشعبة من كفران النعم))[1].

وقال -أيضاً-: ((فاعلم أن الدعاء نوع من أنواع العبادة المطلوبة من العباد، ولو لم يكن في الكتاب العزيز إلا مجرد طلبه منهم؛ لكان ذلك مفيداً للمطلوب، أعني: كونه من العبادة))[2].

واستدل- رحمه الله- بجملة من الآيات القرآنية[3] -كما تقدم بيان جملة منها- ثم قال: ((فهذه الآيات البيِّنات دلت على أن الدعاء مطلوب لله ﷻ من عباده، وهذا القدر يكفى في إثبات كونه عبادة، فكيف إذا انضم إليه النهي عن دعاء غير الله؛ قال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[الجن:١٨]...، فكيف إذا صرح القرآن الكريم بأن الدعاء عبادة تصريحاً لا يبقى عنده ريب لمرتاب؛ قال الله سبحانه: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾[غافر:٦٠]، فقد طلب الله سبحانه من عباده في هذه الآية أن يدعوه، وجعل جزاء الدعاء له منهم الإجابة منه فقال: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ولهذا جزمه لكونه جواباً للأمر، ثم توعدهم على الاستكبار عن هذه العبادة -أعني: الدعاء- بما صرح به في آخر الآية، وجعل العبادة مكان الدعاء تفسيراً له، وإيضاحاً لمعناه، وبياناً لعباده بأن هذا الأمر الذي طلبه منهم وأرشدهم إليه هو نوع من عبادته التي خص بها نفسه، وخلق لها عباده؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦].

(١) تحفة الذاكرين (ص٣٣).

(٢) العذب النمير في جواب مسائل عالم بلاد عسير (١/١٧١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) ينظر: العذب النمير في جواب مسائل عالم بلاد عسير (١/١٧١)؛ ضمن الفتح الرباني.

ومع هذا كله قد جاءت السنة المطهرة بما يدل أبلغ دلالة على أن الدعاء من أكمل أنواع العبادة...))[1]، ثم أورد -رحمه الله- ما يدل على ذلك[2]، وما تقدم بيانه يغني عن إعادته هنا.

وقرر -أيضاً-: ((أن الدعاء من العبد لربه؛ من أهم الواجبات، وأعظم المفروضات؛ لأن تجنب ما يغضب الله منه، لا خلاف في وجوبه، وقد انضم إلى هذا الأوامر القرآنية؛ ومنها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠]، وقوله:﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ ﴾[النساء:٣٢]...))[3].

كذلك قرر العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله- أن الدعاء عبادة؛ فقال: ((قد أخبرنا الله تعالى أن الدعاء عبادة في محكم كتابه؛ بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠]))[4].

وفسر العلامة الحسن عاكش -رحمه الله-: قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾[غافر:٦٠]: ((أي: أعبدوني أُثبكم؛ لما عبَّر عن العبادة بالدعاء؛ أطلق الاستجابة على الإثابة؛ للمشاكلة[5]))[6].

وقرر -أيضاً- العلامة المعلمي -رحمه الله-: أن الدعاء عبادة، واستدل على ذلك بالنصوص الشرعية من القرآن والسنة؛ حيث قال: ((الدعاء عبادة، قال

---

(١) المصدر السابق (١/١٧١-١٧٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق (١/١٧٢-١٧٣).

(٣) تحفة الذاكرين (ص٣٦-٣٧).

(٤) إيقاظ الوسنان (ص٢٩).

(٥) المشاكلة في اللغة: المشابهة والمماثلة، وفي الاصطلاح: ذكرُ الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صُحبته. ينظر: المعجم الوسيط (١/٤٩١).

(٦) فتح المنان؛ تحقيق الشملان (ص١٠٢٠).

الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠]، فكلمة "إنَّ" في مثل هذا تفيد التعليل -على ما صرَّح به أهل الأصول وغيرهم، وذلك يقتضي أن الدعاء عبادة، كأنه قال: ادعوني؛ فإن الدعاء عبادة، ومن استكبر عن عبادتي سيدخل جهنم))[1].

ثم استطرد -رحمه الله- في ذكر نصوص القرآن والسنة الدالة على ذلك[2]، وما تقدم بيانه يغني عن إعادته هنا.

وقال العلامة العبادي -رحمه الله- في سياق بيانه لجملة من أنواع العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ[3]:

ولم يجزْ نوع من العبادهْ	لعاجزٍ عن فعل ما أرادهْ
كنذره وذبحه ورغبتهْ	وذِكره معظِّماً ورهبتهْ
والخوف والخضوع والإنابهْ	ثم الدعاء وقصده الإجابهْ

فبيَّن -رحمه الله- أن الدعاء من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ؛ القادر على كل شيء، الفعال لما يريد.

وقوله: وقصده الإجابة: هذا لبيان حال الداعي؛ فإن الداعي يريد بدعائه إجابتَه، وإعطاءَه طلبه، وتحقيقَ مرادِه، وقضاءَ حاجتِه، ودعاء الله تعالى وسيلة وسبب عظيم من أسباب تحصيل ما ينفع في الدنيا والآخرة.

أو أنه يُنصص على أنه يقصد بالدعاء دعاء المسألة؛ فإن الداعي دعاء مسألة يريد الإجابة وإعطاءَه سؤله، أما الداعي دعاء عبادة فيريد على ذلك الإثابة؛ ويكون تنصيص العبادي -رحمه الله- على هذا لكثرة الخطأ في هذا النوع من الدعاء "دعاء المسألة"، حيث يظن بعض الجهال أن المُحرَّم هو صرف العبادات لغير الله ﷻ،

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٧٦٥/٢).

(٢) ينظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٧٦٥/٢-٧٦٩).

(٣) ينظر: هداية المريد (ص١٢).

دون الدعاء؛ والله أعلم.

وقال -أيضاً- في سياق بيانه لشروط كلمة التوحيد[1]:

فليس يدعو عند كل شدهْ إلا إلـه العالمين وحدهْ

ومراده -والله أعلم- أن من مقتضى شهادة "أن لا إله إلا الله"؛ أن لا يدعو العبد إلا الله ﷻ، فلا يتوجه العبد بالدعاء إلا لله سبحانه، ويعرض عن دعاء غيره من المخلوقين، ودعاء غير الله ﷻ محرم؛ سواء كان في حال شدة، أو في حال رخاء، وقد خص العبادي -رحمه الله- حال الشدة؛ لأن بعض الناس إذا ابتلوا بشدة وضائقة؛ من مرض، أو خوف، ونحوها، توجهوا إلى غير الله تعالى وإن لم يكن عندهم حال الأمن والرخاء شيء من الشرك.

كذلك نص الشيخ البيحاني -رحمه الله-: على أن ((الدعاء هو العبادة، بل مخها؛ كما في الحديث الشريف عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة»، رواه الترمذي[2]، وعن النعمان بن بشير[3] عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»، رواه أحمد، والأربعة[4]))[5].

ثم أورد -رحمه الله- جملة من نصوص القرآن الدالة على كون الدعاء عبادة، فلا يُعبد إلا الله وحده، لا شريك له، ولا يُدعى لقضاء الحوائج غيره ؛

---

(١) ينظر: هداية المريد (ص١١).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٧٥).

(٣) هو: أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثمان سنين، وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة، توفي سنة ٦٤هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٤٩٦/٤-١٥٠٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣٤٦/٦-٣٤٧).

(٤) تقدم تخريجه (ص٢٧٣).

(٥) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٠٠-٣٠١).

ومنها[1]: قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الجن:١٨-٢٠]، وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[النمل:٦٢].

ثم أكد على ((أن الدعاء هو العبادة، فلا يعبد إلا الله وحده، لا شريك له، ولا يُدعى لقضاء الحوائج غيره ﷻ))[2].

ثالثاً: أقسام الدعاء:

الدعاء نوعان[3]:

الأول: **دعاء عبادة**: ويكون بفعل الأسباب التي يحصَّل بها المطلوب، فالمصلي، والصائم، والحاج، وغيرهم، يعبدون الله خوفاً وطمعاً، يرجون رحمته ويخافون عذابه، وإن لم يكن هذا بصيغة السؤال والطلب، وإلا فهو سائل لما يطلبه بامتثال الأوامر.

الثاني: **دعاء مسألة**: وهو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره، ودفعه، ويكون بصيغة السؤال فيقول الداعي مثلاً: اللهم اغفر لي وارحمني.

ويجمع النوعين قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾[البقرة:١٨٦]، وقوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ ﴾[غافر:٦٠]، فهذا الدعاء يتناول النوعين: دعاء العبادة ودعاء المسألة.

ونوعا الدعاء متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص٣٠١-٣٠٢).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٠٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/١١-١٢)، وبدائع الفوائد (٣/٢-٣)، وتيسير العزيز الحميد (ص١٧٦)، وتفسير السعدي (ص١٢٧-١٢٨).

وقد وبين العلامة النعمي -رحمه الله- أن بين الدعاء والعبادة بالسجود وغيره تلازماً في المعنى، فكل عابد سائل، وكل سائل عابد؛ فقال: ((لما كان الدعاء هو العبادة أو مخها، والسجود إنما كأنه عبارة عن بعض معاني الدعاء، وهو المعنى الأشمل الأكمل في هذا الباب...، ومع التأمل: كأن الدعاء بعض معاني السجود، وكأنهما -أيضاً- لتلاقي حاصلهما فرسا رهان))[1].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-:

(("فصل في الدعاء"؛ قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠]، وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف:٥٥-٥٦].

وهذا شامل لنوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، فإن الدعاء في القرآن يُراد به دعاء المسألة تارة، ويُراد به دعاء العبادة تارة، ويُراد بها مجموعهما تارة، وهما متلازمان؛ فإن دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه، وكل من يملك الضر والنفع حقاً فإنه هو المعبود حقاً، والمعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر، فهو بدعاء النفع والضر ودعاء المسألة، ويُدعى خوفاً وطمعاً دعاء العبادة؛ فالنوعان متلازمان، ولكنه في قوله: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ ظاهر في دعاء المسألة، وهو متضمن لدعاء العبادة؛ لذا أمر بإخفائه وإسراره))[2].

ثم أوضح -رحمه الله-: أنه ((لما كان أثر العبودية في دعاء المسألة من أظهر الأمور؛ لما فيه من الذُّل، والفقر، والمسكنة، والخضوع الدال على أقصى مراتب الخضوع، وذلك لا يصلح إلا لله ولا ينبغي لسواه، وقد أثنى الله على الذين لا

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٥٤-٦٥٥).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٩٤-٩٥).

يسألون الناس إلحافاً[1]، وحرَّم المسألة على من سأل الناس أموالهم وعنده ما يغنيه، ولم تحل المسألة إلا لإحدى ثلاث؛ لما في حديث قبيصة[2][3]، وهذا فيمن سأل الناس في الشرع، وذلك لما في المسألة عن مالك الضر والنفع إلى من لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا بالله، فحرم الله المسألة على غير الثلاثة المذكورين في حديث قبيصة؛ وهم: رجل تحمَّل حمالة، ورجل أصابته جائحة في ماله، ورجل أصابته فاقة؛ وذلك لأن في المسألة نوعاً من العبودية؛ لبذله سؤاله وفقره واستعطافه لغير الله، وذلك هضم لجانب التوحيد، فكيف بمن سأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، أليس قد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك مثقال ذرة شبيهاً بمن له الأمر كله))[4].

وبين العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله–: أن ((الله تعالى بعث

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[البقرة:٢٧٣]، ومعنى إلحافاً: هو سؤال الناس بإلحاح، فالإلحاح هو الإلحاح في السؤال، وظاهر العبارة نفي سؤال الإلحاح لا مطلق السؤال. ينظر: تفسير المنار (٧٥/٣).

(٢) هو: أبو بشر قبيصة بن المخارق بن عبد الله بن شداد بن صعصعة الهلالي، صحابي جليل، سكن البصرة، وولي سجستان. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٢٧٣/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣١٢/٥-٣١٣).

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة (٧٢٢/٢) ح (١٠٤٤)؛ وفيه: عن قبيصة بن مخارق الهلالي، قال: تحملت حمالة، فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها؛ فقال: «أقم حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها»، قال: ثم قال: «يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة؛ فحلت له المسألة حتى يصيبها، ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله؛ فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش –أو قال: سداداً من عيش–، ورجل أصابته فاقة؛ حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحِجَا من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة؛ فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش –أو قال: سداداً من عيش–، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً».

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٩٨).

رسله تنهى أن يُدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة، ولا دعاء استعانة))[1].

كذلك أوضح العلامة الحسن عاكش -رحمه الله-: أن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]: شاملة لنوعي الدعاء؛ دعاء العبادة، ودعاء المسألة[2].

وخلاصة الأمر: فإن الدعاء من أعظم العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ، وصرفه لغير الله ﷻ شرك أكبر مخرج من الملة؛ كما سيأتي بيان ذلك[3].

---

(١) إيقاظ الوسنان (ص٥٦).

(٢) ينظر: فتح المنان؛ تحقيق: الشملان (ص١٠٢١).

(٣) ينظر: (ص٥٦٧).

المطلب الثالث: الذبح لله ﷻ.

قرن الله ﷻ الذبح في غير موضع من كتابه الكريم بالصلاة التي هي من أظهر شعائر الدِّين؛ فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[الكوثر:٢].

فدلت هذه الآيات على عِظم شأن القرابين، وأن الذبح لله ﷻ من أجل العبادات التي يُتقرب بها إليه سبحانه.

وقد بيَّن علماء اليمن –رحمهم الله– هذا الحكم بياناً شافياً:

فقد قرر العلامة الصنعاني –رحمه الله–((أن النحر نوع من أنواع العبادة التي تعبَّد الله العباد بها؛ كالهدايا، والفدية، والضحايا، فالمتقرب بها إلى القبر، والناحر لها عنده؛ لم يكن له غرض بذلك إلا تعظيمه وكرامته، واستجلاب الخير منه، واستدفاع الشر به، وهذه عبادة لا شك فيها))[1].

وأوضح ذلك في موضع آخر؛ فقال: ((إن الله سبحانه جعل إراقة دماء الأنعام التي خلقها لانتفاع الأنام عبادة يعبدونه بها ويتقربون إليه بنحرها؛ فشرع لهم التضحية بإراقة دمائها قربة يتقربون إليه بها... .

فالتضحية عبادة سواء كانت سنة أو واجبة، ولذا كان رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يقول عند نحره الضحية: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾، والنُّسك: العبادة...، وجعل تعالى من عبادة العباد له إراقة دماء الهدي، وجعله تقوى؛ بنص قوله: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾[الحج:٣٧]، وسماه نُسكاً في فدية الحج؛ حيث قال: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ ﴾[البقرة:١٩٦]، إلى قوله: ﴿أَوْ نُسُكٍ ﴾، فجعله عبادة، وعوضاً عن الصيام والإطعام؛ وكلها عبادات.

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص١٦).

وقال في المحُصَر: ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾، وجعل إراقة الدم شرطاً في حج القِران، ونحر رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- مائة بدنة في حجته تقرباً إلى الله[1]، وعبادةً له، وجعل تعالى البُدن من شعائر الله: ﴿ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾[الحج:٣٦]، والأدلة واسعة في كون إراقة دماء الأنعام قربة وعبادة))[2].

ثم أوضح -رحمه الله-: ((أن العبادة لا يجوز أن تكون إلا لله وحده لا شريك له؛ بنص قوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣]، ونص: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة:٥]، وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، وبه بَعث أعداد رسله الأولين والآخرين، فكل نبي يقول لأمته: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[الأعراف:٧٣].))[3].

ثم بعد تقريره لهذا الأصل قرر -رحمه الله-: أن ((إراقة دماء الأنعام عبادة، وكل عبادة لا تكون إلا لله، فينتج: إراقة دماء الأنعام لا يكون إلا لله))[4].

---

(١) يشير إلى حديث جابر في حجة النبي ﷺ؛ وفيه: «... ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى علياً، فنحر ما غبر...»، أخرجه مسلم؛ كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ (٨٨٦/٢) ح (١٢١٨).

(٢) مسألة في الذبح لغير الله وغيرها؛ للصنعاني (ص٣٢-٤١).

(٣) المصدر السابق (ص٤١).

(٤) المصدر السابق (ص٤٢).

وعند شرحه لقوله ﷺ: «ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم، إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع علي الأرض، فطيبوا بها نفساً»[1].

قال: ((لأن قربة كل وقت أخص من غيرها وأولى، والله تعالى جعل قربة يوم النحر؛ إراقة الدماء لهذه الحيوانات تقربًا إليه، وسواءٌ كان عن ضحيه، أو عن نسك أخر))[2].

كذلك عقد العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- فصلاً في التقرب بالذبح[3]، وقرر أنه نوع ((من أنواع العبادات؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ**﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]...، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢]؛ أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فتكون صلاته ونسكه لله لا شريك له، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام، ويذبحون لها فأمره الله بالانحراف عما هم فيه، والإقبال لقصده ونيته على الإخلاص لله تعالى، والنسك: العبادة، والناسك: العابد، وقد سمى الله الذبيحة نسكاً في قوله تعالى: ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[البقرة:١٩٦]، من تسمية النوع باسم الجنس، فجعله عوضاً عن الصيام والإطعام؛ وكلها عبادات، قد جعل الله إراقة الدماء له تقوى؛ فقال: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج:٣٧]؛ وذلك لأن التقرب بالذبح عبادة، وهي لا تصلح إلا لله تعالى وحده لا

---

(١) أخرجه ابن ماجه؛ كتاب: الأضاحي، باب: ثواب الأضحية (١٠٤٥/٢) ح (٣١٢٦)، والترمذي؛ كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في فضل الأضحية (١٣٥/٣) ح (١٤٩٣)؛ وقال: هذا حديث حسن غريب؛ من حديث عائشة -رضي الله عنها-، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٧٣٨/١).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٤٢٠/٩).

(٣) ينظر: قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٠٣).

شريك له؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣]، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة:٥]))[١].

كذلك فسر العلامة عبد الرحمن البهكلي -رحمه الله- قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر:٢]، بقوله: ((أنحر البدن، ونحوها على اسمه وحده، لتخالف المشركين؛ بذبحهم لغير اسم الله))[٢].

وذكر من فوائد الآية: ((الأمر للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بنُسكين عظيمين، وهما: الصلاة لديه، والنحر له، ففيها الحظ على إخلاص العبادة لله سبحانه، وأن النحر عبادة؛ كالصلاة))[٣].

كذلك قرر العلامة الشوكاني -رحمه الله-: ((أن النحر للنُّسك، وإخراج صدقة المال، والخضوع، والاستكانة؛ عبادة لله ﷻ بلا خلاف))[٤].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]: ((والنُّسك: جمع نسيكة، وهي الذبيحة...، أي: ذبيحتي في الحج والعمرة))[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر:٢]؛ قال: ((ظاهر الآية الأمر له ﷺ بمطلق الصلاة، ومطلق النحر، وأن يجعلهما لله ﷻ لا لغيره))[٦].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٠٣-١٠٤).

(٢) تيسير اليسرى؛ تحقيق: محمود أحمد حفيظ الله (ص٢٤٤).

(٣) المصدر السابق (ص٢٤٤).

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٤٤)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٥) فتح القدير (٢/٢١٠).

(٦) المصدر السابق (٥/٦١٤-٦١٥).

وفي شرحه لقوله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»[1]؛ **قال:** ((قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة؛ لأنها إما هدي، أو أضحية، أو نسك، وكذلك ما يُذبح للبيع؛ لأنه مكسب حلال فهو عبادة، ويتحصل من ذلك شكل قطعي هو إراقة دماء الأنعام عبادة، وكل عبادة لا تكون إلا لله، فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله، ودليل الكبرى[2]؛ قوله تعالى: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩]، ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾[العنكبوت:٥٦]، ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣]، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة:٥]))[3].

ونقل العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله– مقرراً كلام الشوكاني –رحمه الله– في الدر النضيد؛ وهو أن : ((أن النحر للنُّسك، وإخراج صدقة المال، والخضوع والاستكانة؛ عبادة لله سبحانه وتعالى بلا خلاف))[4].

وفسر –أيضاً–العلامة الحسن عاكش قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢]: بقوله: ((﴿ وَنُسُكِي ﴾: وذبحي؛ أي: ذبيحتي، فهو مصدر بمعنى: النَّسيكة، وهي الذبيحة، ﴿ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾؛ أي: خالصة؛ لا أشرك فيها غيره))[5].

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله (١٥٦٧/٣) ح (١٩٧٨)؛ من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) يعني: العبادة.

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٣٢٢/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٤) إيقاظ الوسنان (ص٢٩)، وينظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٣٤٤/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٥) فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (٣٢٦/١).

وفسر أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر:٢]؛ أي: ((البُدن التي هي خيار أموال العرب؛ باسمه تعالى...))[1].

وقال الشيخ باصبرين -رحمه الله- : ((لا يُتقرب ويُعظم بالصلاة والنسك -عين الذبح- لغيره تعالى))[2].

وذلك كون الذبح على وجه القربة والطاعة عبادة خاصة به ﷻ.

كذلك أوضح العلامة العبادي -رحمه الله- أنه لا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله ﷻ، والتي منها الذبح؛ حيث قال[3]:

ولم يجز نوع من العبادةْ   لعاجز عن فعل ما أرادهْ
كنذره وذبحه ورغبتهْ   وذِكره معظِّماً ورهبتهْ

وهذا بيان منه -رحمه الله- أن الذبح على وجه القربة والطاعة نوع من أنواع العبادة التي لا تُصرف إلا لله ﷻ، القادر على كل شيء، والفعال لما يريد.

كذلك أوضح الشيخ البيحاني -رحمه الله-: أن المسلمين متفقون على أن الذبح ((عبادة لا يجوز صرفها لأي معبود غير الله تعالى، وقد قال ﷻ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر:٢]، وتقديم الظرف يقتضي الحصر، فكما أنه لا تجوز الصلاة لغيره، فكذلك لا يجوز الذبح لغيره... .

وقال الحافظ ابن كثير: "أي: كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا، والآخرة...؛ أخلص لربك صلاته المكتوبة، والنافلة، ونحرَك، فاعبده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]... .

---

(١) المصدر السابق؛ تحقيق: وفاء الزعقاني (ص١١٩٨).

(٢) المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية؛ لباصبرين (ص٦٤).

(٣) ينظر: هداية المريد (ص٢٥).

وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون؛ من السجود لغير الله، والذبح على غير اسمه؛ كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ... ﴾ [الأنعام: ١٢١]"(١).

وقال في تفسير آية الأنعام: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي... ﴾؛ ما نصه: "يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالفٌ لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾؛ أي أخلص له صلاتك، وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال في القصد والنية، والعزم على الإخلاص لله تعالى.

قال مجاهد في قوله: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾: النُسُك: الذبح في الحج والعمرة..."(٢))(٣).

ثم أطال -رحمه الله- في بيان النصوص الدال على تحريم الذبح لغير الله ﷻ؛ مدعومة بتقريرات أهل العلم(٤)؛ ثم قال: ((وبذلك تعلم أن ما يصنعه الناس عند قبور الصالحين؛ من حلق رؤوس أولادهم، وسَوْق تلك الذبائح إلى أصحاب القبر، يتقربون بها عليهم، هو من أعظم الذنوب، وإنكاره فرض على كل مسلم موحِّد))(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٥٠٢-٥٠٣).

(٢) المصدر السابق (٣/٣٨١-٣٨٢).

(٣) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٢٧١-٢٧٤).

(٤) ينظر: الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٢٧٤-٢٧٧).

(٥) المصدر السابق (ص٢٧٧).

وبنحوه قال الشيخ الوادعي -رحمه الله-؛ حيث بيَّن أن الذبح لا يجوز إلا لله تعالى، فقال: ((... والذبح لا يجوز إلا لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر:٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]... .

وفي صحيح مسلم...، عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله سلم- قال: «لعن الله من ذبح لغير الله»[1]))[2].

وأوضح في موضع آخر: أن ((الذبح عبادة، وصرف العبادة لغير الله يعتبر شركاً))[3].

كذلك قرر الشيخ محمد باشميل -رحمه الله-: أن الذبح من جملة العبادات التي هي من خالص حق الله ﷻ فلا تصرف لغيره سبحانه وتعالى[4].

فإذا كان الذبح لله ﷻ بهذه المنزلة العظيمة من الدِّين -كما بيَّن ذلك علماء اليمن-؛ فإن صرفه لغير الله ﷻ شرك أكبر مخرج من الملة؛ كما سيأتي بيان ذلك[5].

ذلك[5].

(١) تقدم تخريجه (ص٢٩٦).

(٢) المخرج من الفتنة (ص٦٨).

(٣) إجابة السائل على أهم المسائل (ص٢٧٧).

(٤) ينظر: كيف نفهم التوحيد (ص٢٧).

(٥) ينظر: (ص٥٨٩).

المطلب الرابع: النّذر.

النذر في اللغة: الإيجاب والإلزام[1].

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((إن النذر في "النهاية"[2]: نَذَرْتُ أَنْذِرْ، وأَنْذُرُ نَذْراً، إذا أوجبت على نفسك شيئًا تبرعًا؛ من عبادة، أو صدقة، أو غير ذلك))[3].

وقال: ((النذور لغة: التزام خير، أو شر...))[4].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله-: ((النذر في اللغة: الإيجاب...))[5].

النذر في الشرع: هو ما أوجبه المكلف على نفسه، تعظيماً لله ﷻ، وهو نوع من أنواع العبادة، فلا يُصرف إلا لله ﷻ وحده دون سواه.

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((...وفي الشرع: التزام المكلف شيئاً لم يكن عليه؛ منجزاً، أو معلقاً))[6].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله-: ((...في الشرع: ما أوجبه المكلف على نفسه))[7].

---

(١) ينظر: لسان العرب (٢٠٠-٢٠٢)، والمعجم الوسيط (٩١٢/٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٩/٥).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٤٥٦/٣).

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٥٥٧/٢).

(٥) فتح القدير (٤١٨/٥-٤١٩).

(٦) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٥٥٧/٢).

(٧) فتح القدير (٤١٨/٥،٤١٩).

ولما كان هذا الذي يُوجبه المرء على نفسه؛ منه ما يُحمد في الشرع، ومنه ما يُذم[1]، فسيكون الكلام هنا عن نذر العبادة، الذي أثنى الله على الموفين به؛ فقال:

---

(١) حكم النذر في الأصل مكروه، بل إن بعض أهل العلم يميل إلى تحريمه؛ لأن النبي ﷺ نهى عنه، وقال: «لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل» -سيأتي تخريجه (ص٣٠٥)، وإنما نهى عنه لأنه لا فائدة فيه إلا التزام ما التزمه، وقد لا يرضى به فيبقى آثماً، وإذا فعل تلك العبادات بلا نذر كان خيراً له، والناس يقصدون بالنذر تحصيل مطالبهم، فبيَّن النبي ﷺ أن النذر لا يأتى بخير، فليس النذر سبباً في حصول مطلوبهم، ولأنه إلزام لنفس الإنسان بما جعله الله في حل منه، وفي ذلك زيادة تكليف على نفسه، ولأن الغالب أن الذي ينذر يندم، وتجده يسأل العلماء يميناً وشمالاً يريد الخلاص مما نذر؛ لثقله ومشقته عليه، ولا سيما ما يفعله بعض العامة إذا مرض، أو تأخرت له حاجة يريدها، تجده ينذر كأنه يقول: إن الله لا يُنعم عليه بجلب خير أو دفع الضرر إلا بهذا النذر.

والنذر أقسام:

الأول: ما يجب الوفاء به، وهو نذر الطاعة، لقوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله، فليطعه» -سيأتي تخريجه (ص٣٠٦)-.

الثاني: ما يحرم الوفاء به، وهو نذر المعصية، لقوله ﷺ: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» -سيأتي تخريجه قريباً-.

الثالث: ما يجري مجرى اليمين، وهو نذر المباح، فيخير بين فعله وكفارة اليمين، مثل لو نذر أن يلبس هذا الثوب، فإن شاء لبسه وإن شاء لم يلبسه، وكفَّر كفارة يمين.

الرابع: نذر اللجاج والغضب، وسمي بهذا الاسم، لأن اللجاج والغضب يحملان عليه غالباً، وليس بلازم أن يكون هناك لجاج وغضب، وهو الذي يُقصد به معنى اليمين، أو الحث، أو المنع، أو التصديق، أو التكذيب؛ مثل لو قال: حصل اليوم كذا وكذا، فقال الآخر: لم يحصل، فقال: إن كان حاصلاً، فعلي لله نذر أن أصوم سنة، فالغرض من هذا النذر التكذيب، فإذا تبين أنه حاصل، فالناذر مخيَّرٌ بين أن يصوم سنة، وبين أن يُكفر كفارة يمين، لأنه إن صام فقد وفى بنذره وإن لم يصم حنث، والحانث في اليمين يُكفر كفارة يمين.

=الخامس: نذر المكروه، فيكره الوفاء به، وعليه كفارة يمين.

السادس: النذر المطلق، وهو الذي ذكر فيه صيغة النذر، مثل أن يقول: لله علي نذر، فهذا كفارته كفارة يمين.

وحكم النذر لغير الله شرك؛ لأنه عبادة للمنذور له، وإذا كان عبادة فقد صرفها لغير الله، فيكون مشركاً، وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقاً، ولا تجب فيه كفارة، ولا يجب الوفاء به باتفاق المسلمين، فمن ظن أن النذر للمخلوقين يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة؛ فهو من الضالين؛ كالذين يظنون أن عبادة المخلوقين تجلب لهم منفعة أو تدفع عنهم مضرة ، فهو شرك تجب التوبة منه، كالحلف بغير الله، فلا ينعقد، وليس فيه كفارة. ينظر: الحاوي الكبير؛ للماوردي (١٥/٤٦٣)، ومجموع فتاوى (١/٨١)، (١٠/٤٢٠)، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد (١/٢٣٥، ٢٣٧-٢٣٨، ٢٤٥).

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾[الإنسان:٧]، ففي هذه الآية بيان أن النذر عبادة؛ لأن الله تعالى مدح الموفين به، والله تعالى لا يَمْدَح إلا على فعل واجب[١]، أو مستحب[٢]، أو ترك محرم[٣]، أو مكروه[٤]، ولا يَمْدَح على فعل المباح[٥] المجرد، وإذا ثبت أنه عبادة؛ فصرفه لغير الله تعالى يعد شركاً أكبر مخرجاً من الملة[٦].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾[الحج:٢٩].

وسيكون بيانه من خلال أقوال علماء اليمن –رحمهم الله– مقصوراً على بيان معنى نذر العبادة، وحكم الوفاء به.

فقد قرر العلامة الصنعاني –رحمه الله–: أن ((النذر في الطاعة والمعصية؛ فإن نذر بالطاعة، ووفى به ؛كان له أجر))[٧].

---

(١) الواجب: ما يُثاب على فعله ويُعاقب على تركه. ينظر: العدة في أصول الفقه؛ لأبي يعلى (١/١٥٩)، والورقات؛ للجويني (ص٨).

(٢) المستحب: ما يُثاب على فعله، ولا يُعاقب على تركه. ينظر: العدة في أصول الفقه (١/١٦٣)، والورقات (ص٨).

(٣) المحرم: هو ما يُثاب على تركه ويُعاقب على فعله. ينظر: الورقات (ص٨).

(٤) المكروه: هو ما يُثاب على تركه ولا يُعاقب على فعله. ينظر: الورقات (ص٨).

(٥) المباح: هو ما لا يُثاب على فعله ولا يُعاقب على تركه. ينظر: العدة في أصول الفقه (١/١٦٧)، والورقات (ص٨).

(٦) ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٦٥).

(٧) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٢/٥٥٨).

وقال في شرحه لقوله ﷺ: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يُستخرج به من البخيل»[1]: ((القول بتحريم النذر؛ هو الذي دل عليه الحديث، ويزيده تأكيداً: تعليله بأنه لا يأتي بخير، فإنه يصير إخراج المال فيه من باب إضاعة المال، وإضاعة المال محرمة، فيحرم النذر بالمال؛ كما هو ظاهر قوله: «وإنما يُستخرج به من البخيل»، وأما النذر بالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والعمرة، ونحوها من الطاعات؛ فلا تدخل في النهي...))[2].

وقرر في موضع آخر: وجوب الوفاء بالنذر إذا كان في طاعة[3].

وقال في موضع آخر: ((من نذر أن يتصدق، ويأتي بقربة في محل معين؛ أنه يتعين عليه الوفاء بنذره، ما لم يكن في ذلك المحل شيء من أعمال الجاهلية))[4].

ونقل عن النووي –رحمهما الله–: ((أنه أجمع المسلمون على صحة النذر، ووجوب الوفاء به؛ إذا كان الملتزم طاعة...))[5].

وقال في موضع آخر مبيناً أن النذر من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ: ((فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له، والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستغاثة، والاستعانة بالله وحده، واللجوء إلى الله، والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات؛ من الخضوع، والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع، والسجود، والطواف، والتجرد عن الثياب،

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: القدر، باب: إلقاء النذر العبد إلى القدر (١٢٤/٨) ح (٦٦٠٨)، ومسلم؛ كتاب: النذر، باب: النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً (١٢٦١/٣) ح (١٦٣٩)؛ من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٥٥٨/٢).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٤١١/١٠).

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٥٦٢/٢).

(٥) المصدر السابق (٥٥٩/٢)، وينظر: شرح النووي على مسلم (٩٦/١١).

والحلق، والتقصير؛ كله لا يكون إلا لله ﷻ، ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق؛ حي، أو ميت، أو جماد، أو غيره؛ فقد أشرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلها لعابديه...))[1].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- مبيناً عبودية النذر:

((ومن أنواع العبادة: النذر، فلا يكون إلا لله؛ قال الله: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[الحج:٢٩]، وأثنى على الذين يوفون بالنذر، ويخافون يوما كان شره مستطيراً، والنذر لا يكون إلا لله، ولا ينذر أحد من ماله شيئاً إلا معتقداً جلب نفع أكثر منه، ومُلك النفع والضر إنما هو لله تعالى، فهو الذي له ملكوت كل شيء، مع أنه قد صح...، عن النبي ﷺ: «أنه نهى عن النذر؛ وقال: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل»[2]، وفي رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «أن النذر لا يقرب من بني آدم شيئاً لم يكن الله قدره، ولكن النذر يوافق القدر، فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن يريد أن يخرج»[3]، فأخبر النبي ﷺ أن النذر لا يأتي بخير، وأنه ليس من الأسباب الجالبة للخير الدافعة للشر، وإنما يوافق القدر موافقة؛ كما يوافقه بسائر الأسباب، هذا والحال أن النذر لله وإن وجب الوفاء به؛ كما صرح به القرآن، وصرحت بذلك السنة، فقد صح عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «من نذر أن يطيع الله؛ فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه»[4]، لكن نذر الطاعة المعلقة بشرط ليس سبباً للخير...))[5].

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٧-٥٨).

(٢) تقدم تخريجه الصفحة السابقة.

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب: النذر، باب: النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً (١٢٦٢/٣) ح (١٦٤٠).

(٤) أخرجه البخاري؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: النذر في الطاعة (١٤٢/٨) ح (٦٦٩٦).

(٥) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٠٨-١٠٩).

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾[الإنسان:٧]: ((المعنى: يوفون بما أوجبه الله عليهم من الطاعات، قال مجاهد: ويوفون بطاعة الله؛ من الصلاة، والحج، ونحوهما، وقال عكرمة[١]: يوفون إذا نذروا في حق الله سبحانه...، فالمعنى:

يوفون بما أوجبوه على أنفسهم))[٢].

وأوضح -رحمه الله- في موضع آخر: أن النذر ((إنما يصح إذا ابتغي به وجه الله تعالى، فلا بد أن يكون قربة، ولا نذر في معصية الله...، أما كونه لا يصح النذر إلا إذا ابتغى به وجه الله؛ فلأنه قد ورد النهى عن النذر؛ كما في الصحيحين...، من حديث ابن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ عن النذر؛ وقال: «إنه لا يرد شيئاً، وإنما يُستخرج به من مال البخيل»[٣]...، ثم ورد الإذن بالنذر في الطاعة، والنهى عنه في المعصية؛ كما في الصحيحين...، من حديث عائشة عن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»[٤]، وعلى ذلك يحمل قوله: تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾[الإنسان:٧]...))[٥].

وبنحوه قال الشيخ باصبرين -رحمه الله-: ((أن النذر لا يصح إلا لمن كان يملك -ومنه المسجد- إن كان حياً طاعة لله، وقربة يتقرب بها إليه تعالى...))[٦].

---

(١) هو: أبو عبد الله عكرمة القرشي مولاهم المدني البربري الأصل، أحد أعلام التابعين، والمفسرين المكثرين، توفي سنة ١٠٥هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٥/١٢-٣٤)، وطبقات المفسرين (١/٣٨٦-٣٨٧).

(٢) فتح القدير (٥/٤١٧).

(٣) تقدم تخريجه (ص٣٠٥).

(٤) تقدم تخريجه الصفحة السابقة.

(٥) الدراري المضية؛ للشوكاني (٢/٣١٢-٣١٣)، وينظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص١٩٩)، وشرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص١١٥).

(٦) المهمات الدينية (ص٦٣).

وقال العلامة العبادي -رحمه الله- في سياق بيانه لجملة من العبادات التي لا تصرف إلا لله ﷻ[1]:

ولم يجز نوع من العبادهْ	لعاجز عن فعل ما أرادهْ
كنذره وذبحه ورغبتهْ	وذِكره معظِّماً ورهبتهْ

فبيَّن -رحمه الله-: أن النذر من جملة العبادات التي لا تصرف إلا لله ﷻ القادر على كل شيء، الفعال لما يريد.

وقال الشيخ البيحاني -رحمه الله-: ((مدح الله الذين يوفون بالنذر، ويخافون يوماً كان شره مستطيراً، وأمر حجاج بيته الحرام بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[الحج:٢٩].

والنذر من الكافر لا يصح، وإذا أسلم وجب عليه عندنا الوفاء به، لحديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أنأعتكف ليلة في المسجد الحرام؟ فقال: «أوف بنذرك، فاعتكِف»[2]...))[3].

وقال -أيضاً- في موضع آخر؛ مقرراً عبودية النذر وحكم الوفاء به: ((والنذر عبادة شرعية، نُقرها ونُلزم الناس الوفاء بها، إلا إذا كان النذر في معصية فهو باطل، ولا يجوز الوفاء به؛ لقول رسول الله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»[4]، ولا ينعقد النذر إلا فيما يجوز التقرب به إلى الله...، وقد أمر الله جل ذكره بالوفاء به، وأثنى على قوم بقوله تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ

---

(١) ينظر: هداية المريد (ص١٢).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: الاعتكاف، باب: إذا نذر في الجاهلية أن يعتكف فأسلم (٥١/٣) ح (٢٠٤٣)، ومسلم؛ كتاب: الأيمان، باب: نذر الكافر وما يفعل فيه إذا أسلم (١٢٧٧/٣) ح (١٦٥٦).

(٣) إصلاح المجتمع (ص٣٥١).

(٤) تقدم تخريجه (ص٣٠٦).

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة:٢٧٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[الحج:٢٩]، وحيث كان عبادة فلا يجوز صرفها إلا إلى المعبود بحق في كل حال، بمعنى أنه لا يكون إلا لله وحده، كما لا تكون سائر العبادات إلا له -جل وعلا-، وهو لا يقبض النذر لينتفع به، ولا تصل إليه الأعيان المتقرب بها إليه،؛ كما يقول الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[الحج:٣٧]، وعليه فإن كان المنذور صلاةً، أو صياماً، أو تلاوةً، أو ذكراً، فإنه إليه كله، وليس فيه على الناذر شيءٌ لأي مخلوق، وإن كان صدقة مالية فالتقرب به إلى الله، والانتفاع به لمن يصح تملكه من الفقراء، وطلبة العلم، ومحلات العبادة مثلاً))[1].

وقال الشيخ الوادعي -رحمه الله-: ((... رب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾ [البقرة:٢٧٠]، ويقول في مدح الموفين بالنذر -مما يدل على أنه عبادة-: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧]، وامرأة عمران تقول: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾[آل عمران:٣٥]، فنذرت لله، ... النذر يكون لله ﷻ...))[2].

وقال -أيضاً-: ((وقد نذرت تفي بنذرك؛ لقول الله ﷻ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧]، وقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾[البقرة:٢٧٠]، على أن النذر لا يأتي بخير...، وما قدر الله سيكون، لكن وقد نذرت تفي بنذرك، ولا يضاعف عليك النذر، وإذا لم يف به يكون آثماً؛ لحديث عائشة: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[3]، ولو لم يكن إلا قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾؛ أي: سيجازيكم إذا لم

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٩١-٤٩٢).

(٢) إجابة السائل على أهم المسائل (ص١٩٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص٣٠٦).

توفوا بالنذر))[1].

فتبين مما سبق: أن النذر من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك؛ كما سيأتي بيان ذلك[2].

(١) إجابة السائل على أهم المسائل (ص٦٩٢).

(٢) ينظر: (ص٥٩٦).

المطلب الخامس: الطواف.

الطواف في اللغة: الدَّوران حول الشيء[1]، **وهو كذلك في الاصطلاح الشرعي**[2]، إلا أنه قد خُصَّ بكونه عبادة يُتقرب بها لله ﷻ في مكان معين لا يتحقق التعبُّد بالطواف في غيره.

وهو من العبادات العظام؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[الحج:٢٦]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[الحج:٢٩].

والطواف بالبيت الحرام حول الكعبة المشرفة ركن من أركان الحج والعمرة.

وقد بيَّن علماء اليمن –رحمهم الله– هذه المسألة من خلال بيان مكان الطواف، وصلته بالعبادة.

قال العلامة الصنعاني –رحمه الله– في شرحه لقوله ﷺ لعائشة –رضي الله عنها–: «افعلي ما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري»[3]: ((فيه دليل على أن الحائض يصح منها جميع أفعال الحج، غير الطواف بالبيت...))[4].

---

(١) ينظر: لسان العرب (٢٢٥/٩)، والمعجم الوسيط (٥٧١/٢).

(٢) قال ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث والأثر" (١٤٣/٣): ((وفيه ذكر الطواف بالبيت، وهو الدوران حوله))، وينظر: تفسير السمعاني (١٣٨/١)، والمفردات في غريب القرآن (ص٥٣١).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب الحج، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت، وإذا سعى على غير وضوء بين الصفا والمروة (١٥٩/٢) ح (١٦٥٠)، ومسلم؛ كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نسكه (٨٣٧/٢) ح (١٢١١).

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام (١٥٦/١).

وقال في شرحه لقوله ﷺ: «يا بني عبد مناف، لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت، وصلى أية ساعة شاء؛ من ليل، أو نهار»[1]: ((وهو دال على أنه لا يُكره الطواف بالبيت، ولا الصلاة فيه في أي ساعة من ساعات الليل والنهار))[2].

وقال في موضع آخر: ((وقد أجمع العلماء؛ على أنه ينبغي لكل طائف إذا طاف بالبيت؛ أن يصلي خلف المقام ركعتي الطواف))[3].

وقال في موضع آخر مبيناً أن الطواف من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ: ((فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له، والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستغاثة، والاستعانة بالله وحده، واللجوء إلى الله، والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات؛ من الخضوع، والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع، والسجود، والطواف، والتجرد عن الثياب، والحلق، والتقصير؛ كله لا يكون إلا لله ﷻ، ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق؛ حي، أو ميت، أو جماد، أو غيره؛ فقد أشرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلها لعابديه...))[4].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩٧/٢٧) ح (١٦٧٣٦)، وابن ماجه؛ كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الرخصة في الصلاة بمكة في كل وقت (٣٩٨/١) ح (١٢٥٤)، وأبو داود؛ كتاب: المناسك، باب: الطواف بعد العصر (١٨٠/٢) ح (١٨٩٤)، والترمذي؛ كتاب: الحج، باب: ما جاء في الصلاة بعد العصر، وبعد الصبح لمن يطوف (٢١٢/٢) ح (٨٦٨)؛ وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: قيام الليل وتطوع النهار، باب: إباحة الصلاة في الساعات كلها بمكة (٢٢٠/٢) ح (١٥٧٤)؛ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٣٠٨/٢).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (١٦٩/١).

(٣) المصدر السابق (٦٣٤/١).

(٤) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٧-٥٨).

وقال في موضع آخر في سياق بيانه لجملة من اعتقادات القبوريين: ((إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت))[1].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- مقرراً عبودية الطواف: ((ومن أنواع العبادة: الطواف؛ فهو عبادة لا تصلح إلا لله؛ كالسجود، والركوع، والصيام؛ قال الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[الحج:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة:١٢٥]، فهذه الأنواع من العبادة من خالص حق الله على عباده، الذي لا يصلح لغيره منه شيء، فمن طاف بغير بيته تعبداً؛ قد تعبد غير الله))[2].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]: ((المراد بالقائمين هنا: هم المصلون، وذكر الرُّكع السجود بعده؛ لبيان أركان الصلاة، دلالة على عظم شأن هذه العبادة، وقرن الطواف بالصلاة؛ لأنهما لا يشرعان إلا في البيت، فالطواف عنده، والصلاة إليه))[3].

وقال في شرحه لحديث جابر ﷺ: «أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أتى الحجر فاستلمه، ثم مشى على يمينه ثلاثاً، فرمل، ومشى أربعاً»[4]: ((فيه دليل على أنه يستحب أن يكون ابتداء الطواف من الحجر الأسود بعد استلامه))[5].

---

(١) المصدر السابق (ص٦٢).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٠٧-١٠٨).

(٣) فتح القدير (٣/٥٣٠).

(٤) أخرجه مسلم؛ كتاب: الحج، باب: ما جاء أن عرفة كلها موقف (٢/٨٩٣) ح (١٢١٨).

(٥) نيل الأوطار (٥/٥٣).

وقال العلامة العبادي -رحمه الله- في سياق بيانه لجملة من الشركيات[1]:

وحلقه للرأس عند القبرِ مثل الطواف حوله والنحرِ

حيث أوضح -رحمه الله- أن من الشرك الطواف حول القبر؛ **ثم علل ذلك بقوله**[2]:

لأن هذه كلها عبادهْ لا يمتري فيه ذوو الشهادهْ

فالطواف من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا له سبحانه وتعالى.

وقال الشيخ البيحاني -رحمه الله- في سياق رده على مؤلف "درر المعاني": ((وما رأيك في قواطع الإسلام، وما يثبته الفقهاء في أحكام الردة، من الكلمات المكفرة، والأفعال التي يخرجون بها المرء من دائرة الإسلام، وإن صلى وصام، وطاف بالبيت الحرام))[3].

وهذا بيان منه أن الطواف محله البيت الحرام.

---

(١) هداية المريد (ص٢٥).

(٢) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٣) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٢٩٤).

المطلب السادس: الاستغاثة.

الاستغاثة لغة: هي الغوث من الإغاثة، وهي الإعانة والنصرة عند الشدة[1].

وفي الشرع: هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة[2].

قال العلامة الشوكاني -رحمه الله-: ((الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة: فهي طلب الغوث: وهو إزالة الشدة؛ كالاستنصار: وهو طلب النصر))[3].

والفرق بين الاستغاثة والدعاء: أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، فبينهما عموم وخصوص مطلق، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة، فالدعاء أعم وأشمل حيث تدخل فيه الاستغاثة، والاستغاثة دعاء خاص في حال الشدة والكرب[4].

والاستغاثة بالله ﷻ عبادة من أجل العبادات؛ قال الله تعالى: ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ﴾[الأنفال:٩]، وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[النمل:٦٢]؛ فدلت هاتان الآيتان وغيرهما من الأدلة على أن الاستغاثة بالله ﷻ عبادة من أجل العبادات، فهو سبحانه المدعو عند الشدائد، وهو الذي يكشف السوء.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٤٠٠)، ولسان العرب (٢/١٧٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١/١٠٣)، وتيسير العزيز الحميد (ص١٧٥).

(٣) الدر النضيد في إخلاص التوحيد (١/٣٠٦)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٤) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة؛ لابن تيمية (ص١٥٤)، والاستغاثة في الرد على البكري؛ لابن تيمية (١/٢٤٢،٣٦٧)، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٧٩).

ومن استغاث بغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد وقع في الشرك الأكبر[1]؛ كما سيأتي بيان ذلك[2].

أما الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه، فجائزة؛ قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾[القصص:١٥].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغُلول[3] فعظمه، وعظم أمره؛ ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء[4]؛ يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً؛ قد بلَّغْتُك...» الحديث[5]؛ فهذه استغاثة بالنبي ﷺ فيما يقدر عليه، وهو حي حاضر يوم القيامة، وهي جائزة.

وفيما يلي بيان لأقوال علماء اليمن –رحمهم الله– في تقرير هذه المسألة:

فأما العلامة الصنعاني –رحمه الله– فقد قرر أن الاستغاثة من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ؛ حيث قال: ((فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له، والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستغاثة، والاستعانة بالله وحده، واللجوء إلى الله، والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات؛ من الخضوع، والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع، والسجود،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/١٠٢-١٠٤)، ومدارج السالكين (١/٣٥٣).

(٢) ينظر: (ص٦٤٦).

(٣) قال النووي في شرحه على مسلم (١٢/٢١٦): ((أصل الغُلول الخيانة مطلقاً، ثم غلب اختصاصه في الاستعمال بالخيانة في الغنيمة)).

(٤) الرغاء هو صوت الإبل. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٤٠).

(٥) أخرجه البخاري؛ كتاب: الجهاد والسير، باب: الغلول (٤/٧٤) ح (٣٠٧٣)، ومسلم؛ كتاب: الإمارة، باب: غلظ تحريم الغلول (٣/١٤٦١) ح (١٨٣١).

والطواف، والتجرد عن الثياب، والحلق، والتقصير؛ كله لا يكون إلا لله ﷻ، ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق؛ حي، أو ميت، أو جماد، أو غيره؛ فقد أشرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلها لعابديه...))[1].

وأوضح في موضع آخر أن الاستغاثة في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ لا تكون إلا به سبحانه، ومن صرفها لغير الله؛ فقد أشرك، وذلك بخلاف الاستغاثة بالمخلوق في الأمور التي يقدر عليها؛ فإنه لا ينكرها أحد؛ حيث قال: ((إن الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد، وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الإسرائيلي والقبطي: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾[القصص:١٥]، وإنما الكلام في استغاثة القبوريين، وغيرهم؛ بأوليائهم، وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى، من عافية المريض، وغيرها[2]... .

استغاثة العباد يوم القيامة، وطلبهم من الأنبياء؛ إنما يدعون الله تعالى ليفصل بين العباد بالحساب؛ حتى يريحهم من هول الموقف، وهذا لا شك في جوازه، أعني طلب دعاء الله تعالى من بعض عباده لبعض، بل قد قال ﷺ لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمراً: «لا تنسنا يا أخي من دعائك»[3].

وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين، ونستغفر لهم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[الحشر:١٠]،

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٧-٥٨).

(٢) سيأتي بيان ذلك (ص٦٤٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٦/١) ح (١٩٥)، وأبو داود؛ كتاب: تفريع أبواب الوتر، باب: الدعاء (٨٠/٢) ح (١٤٩٨)؛ من حديث عمر رضي الله عنه. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٩٠٦/١).

وقد قالت أم سليم[١] -رضي الله عنها-: "يا رسول الله، خادمك أنس، ادع الله له"[٢].

وقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- يطلبون الدعاء منه ﷺ وهو حي، وهذا أمر متفق على جوازه، والكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً؛ أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا عن حبلاهم، وأن يسقوا زرعهم، ويدروا ضروع مواشيهم، ويحفظوها من العين، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها أحد إلا الله تعالى))[٣].

وهذا بيان منه أن الاستغاثة لا تكون إلا بالله ﷻ في الأمور التي لا يقدر عليها إلا هو سبحانه وتعالى.

كذلك قرر العلامة الشوكاني -رحمه الله-: أنه ((لا خلاف أنه يجوز أن يُستغاث بالمخلوق، فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلال، فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد فيه خلاف؛ ومنه: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾[القصص:١٥]، وكما قال: ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾[الأنفال:٧٢]، وكما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ [المائدة:٢].

---

(١) هي: أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية، اختلف في اسمها؛ فقيل: سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: رميثة، وهي أم أنس بن مالك رضي الله عنه، أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار. ينظر ترجمتها: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٩٤٠/٤-١٦٤١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤٠٨/٨-٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب: فضائل الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب: من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه (١٩٢٨/٤) ح (٢٤٨٠).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٦٧-٦٩).

وأما ما لا يقدر عليه إلا الله؛ فلا يُستغاث فيه إلا به؛ كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر، والرزق، ونحو ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:١٣٥]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[القصص:٥٦]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[فاطر:٣]...))[1].

وقال العلامة العبادي -رحمه الله-[2]:

فليس يدعو عند كل شدةْ ... إلا إله العالمين وحدهْ

ولا نراه مستغيثاً ضارعاً ... أو مستعيناً بسواه خاشعاً

في دفع ضر مسه لن يدفعهْ ... إلا الذي أوجده وأبدعهْ

حيث بيَّن -رحمه الله- أن من صفات الموحِّد، ومن لوازم التوحيد أن لا يستغيث فيما لا يقدر عليه إلا الله إلا به ﷻ؛ فإن ذلك عبادة من أجل العبادات، ويصاحبها من الذل والخضوع لله والانكسار بين يديه شيء عجيب، وعلى قدر الذل والخضوع والانكسار تكون درجة تحقيق الاستغاثة، ونحوها من العبادات.

وقال -رحمه الله- في سياق بيانه لجملة من الشركيات[3]:

ومن يُناد ميْتاً أو غائباً ... ويرتجيه راغباً وراهباً

في دفع ضر أو حصول نفعِ ... فذاك شرك عند أهل الشرعِ

كمن ينادي مستغيثاً بأحدْ ... أو مستعيناً أو رجى منه الولدْ

إذ ذاك في العادة ليس يقدرُ ... عليه إلا الواحد المقتدرُ

وكل ما استحال في العاداتِ ... كطلب الأحياء من الأمواتِ

حيث أوضح -رحمه الله- أن من الشرك الاستغاثة بغير الله ﷻ في الأمور التي

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٠٦-٣٠٨)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) هداية المريد (ص١١-١٢).

(٣) المصدر السابق (ص٢٤).

لا يقدر عليها إلا الله ﷻ؛ **ثم علل ذلك بقوله**[1]:

لأن هـــذه كلهـــا عبـــادةْ | لا يمـــتري فيـــه ذوو الشـــهادةْ

فالاستغاثة بالله ﷻ في الأمور التي لا يقدر عليها إلا هو سبحانه هي من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ.

كذلك قرر الشيخ البيحاني -رحمه الله-: أن ((الاستغاثة، والاستعانة لا تكون إلا بالله تعالى وحده، ولا يُخاف، ولا يُخشى إلا منه، ولا يُطمع إلا في فضله، ولا يُرجى إلا ما عنده، ومن قال بخلاف هذا فكافر بالإجماع، ومشركٌ بلا نزاع...؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:١١٦]...، فمن تدبر القرآن، وفهم معانيه، علم أنه ما جاء إلا لتوجيه الناس جميعاً إلى ربهم تعالى؛ حتى يخلصوا له التوحيد، والعبادة))[2].

وقرر في موضع آخر: أن ((الشفاعة، والتوسل، والاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا محذور فيه؛ ودليل جوازه قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾[القصص:١٥]، وغير ذلك من الأدلة، وأن الاستغاثة بالمخلوق؛ سواءً كان ملكاً، أو نبياً، أو رسولاً، حياً أو ميتاً، فيما لا يقدر عليه إلا الله لا يجوز، ولا يحل؛ لأن ذلك تسوية برب العالمين؛ بل ذلك شركٌ أكبر))[3].

وأوضح في موضع آخر: أن ((كتب السنة بين أيدينا، ومعنا دواوين الإسلام وتواريخه المعول عليها، وليس فيها إلا الحثُّ على عبادة الله وحده، ودعائه في الشدائد، والاستغاثة به في جميع الأمور، والاعتماد عليه في كل صغير وكبير، وعظيم وحقير، مما كان أو سيكون، في العاجل والآجل، والأول والآخر))[4].

---

(١) هداية المريد (ص٢٥).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٣٣-٤٣٥).

(٣) المصدر السابق (ص٥٧٨).

(٤) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٥٨٢).

المطلب السابع: الاستعانة.

الاستعانة بالله ﷻ: هي الاعتماد عليه سبحانه في جلب المنافع، ودفع المضار مع الثقة به في تحصيل ذلك[1].

والاستعانة بالله تعالى نوع من أنواع العبادة؛ قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]، وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ [الأعراف:١٢٨]؛ فأخبر تعالى عن نبيه موسى -عليه السلام- أنه أمر قومه بهذه العبادة العظيمة، وأن يخصوا الله تعالى بها.

وفي وصية النبي ﷺ لابن عباس -رضي الله عنهما-: «وإذا استعنت فاستعن بالله...»[2]؛ ففي هذه الأدلة من الكتاب والسنة بيان أن الاستغاثة بالله تعالى عبادة من العبادات، وأنه يجب أن يُفرد الله ﷻ بها[3].

والاستعانة بغير الله تعالى فيما لا يقد عليه إلا الله ﷻ؛ شرك أكبر، وذلك مثل أن يطلب من الأموات، أو من الجن أو الغائبين؛ جلبَ الرزق، أو النصر على

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (١/٣٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٧٨).

(٣) قال ابن رجب -رحمه الله- في "جامع العلوم والحكم" (١/٤٨١-٤٨٢): ((وأما الاستعانة بالله ﷻ دون غيره؛ فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ﷻ، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول: "لا حول ولا قوة إلا بالله"؛ فإن المعنى: لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها؛ في الدنيا، وعند الموت، وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله ﷻ، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه...، ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره وَكَلَه الله إلى من استعان به؛ فصار مخذولاً)).

الأعداء، أو دفعَ المصائب؛ فإن هذه الأمور ونحوها مما لا يقدر على تحقيقها إلا الله تعالى.

أما الاستعانة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه؛ كالاستعانة به في حمل متاع، ونحوه؛ فإنه جائز قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٢]، وعن النبي ﷺ قال : «واستعينوا بالغدوة [(١)] والروحة[(٢)] وشيء من الدُّلجَة[(٣)]»[(٤)(٥)].

وقد قرر العلامة الصنعاني –رحمه الله– أن الاستعانة من جملة العبادات التي لا تكون إلا لله ﷻ؛ وصرفها لغير لله تعالى شرك؛ حيث قال: ((وتوحيد الألوهية: توحيده بأفعال العباد؛ كالدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراده بها، فلا يُصرف منها شيء لغيره، ولو كان ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلا، فضلاً عمن سواهما))[(٦)].

---

(١) الغدوة: سير أول النهار. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٣٤٦)، وفتح الباري (١/١٦١).

(٢) الروحة: السير بعد الزوال. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٧٣)، وفتح الباري (١/٩٥).

(٣) الدلجة: السير آخر الليل، وقيل: سير الليل كله، ولهذا عبر عنه بالتبعيض. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٢٩)، وفتح الباري (١١/٢٩٨).

(٤) أخرجه البخاري؛ كتاب: الإيمان، باب: الدِّين يسر (١/١٢٦) ح (٣٩)؛ من حديث أبي هريرة ﷛ .

(٥) ينظر: الاستغاثة في الرد على البكري (ص٢٠٣-٢٠٤)، ومجموع الفتاوى (١/١٠٣-١٠٤).

(٦) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٩).

وقال في موضع آخر: ((فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له، والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستغاثة، والاستعانة بالله وحده، واللجوء إلى الله، والنذر والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات؛ من الخضوع، والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع، والسجود، والطواف، والتجرد عن الثياب، والحلق، والتقصير؛ كله لا يكون إلا لله عز وجل، ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق؛ حي، أو ميت، أو جماد، أو غيره؛ فقد أشرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلها لعابديه...))[١].

واستدل –رحمه الله– على عبودية الاستعانة بجمله من النصوص؛ حيث قال: ((وقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]؛ فيه إثبات توحيد الألوهية، وتقديم المفعول؛ وهو: ﴿ إِيَّاكَ ﴾؛ يفيد الحصر، والمعنى: نخصك بالعبادة والاستعانة، ولا نشرك معك أحدا))[٢].

وقال –أيضاً–: ((الذي أمر الله به عباده في كتابه بقوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]؛ أي: نخصك بالاستعانة؛ فلا نستعين إلا بك؛ كما عُرف في علم البيان: أن تقديم المفعول هنا أفاد الاختصاص، سيما وقد قدم قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾[الفاتحة:٥]؛ أي: نخصك بالعبادة، فكما أنه مختص بالعبادة لا يُعبد سواه بالاتفاق، فهو مختص بأن لا يُستعان بغيره))[٣].

وقال في موضع آخر: ((علَّمنا تعالى طلب الاستعانة في كل صلاة في أم الكتاب؛ لأن العبد لضعفه؛ لا يقوى على طاعة إلا بإعانته؛ ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾[النحل: ١٢٧]))[٤].

---

(١) المصدر السابق (ص٥٧-٥٨).

(٢) المصدر السابق (ص١٠).

(٣) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص١٠٠).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٤/٣٥٥).

وقال في شرحه لحديث: «... إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»[1]: ((قوله: «إذا استعنت فاستعن بالله»؛ مأخوذ من قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]؛ أي نفردك بالاستعانة، أمره ﷺ أن يستعين بالله وحده في كل أموره؛ أي: إفراده بالاستعانة على ما يريده.

وفي إفراده تعالى بالاستعانة فائدتان:

فالأولى: أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في الطاعات.

والثانية: أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ﷻ؛ فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول...، وعلَّم ﷺ العباد أن يقولوا في خطبة الحاجة: «الحمد لله نستعينه»[2]،وعلم معاذاً أن يقول دبر الصلاة: «اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»[3]، فالعبد أحوج إلى مولاه في طلب إعانته على فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدورات.

قال سيدنا يعقوب ﷺ في الصبر على المقدور: ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف:١٨]، وما ذُكر من هذه الوصايا النبوية لا ينافي القيام بالأسباب؛ فإنها من جملة سؤاله والاستعانة به، فإن من طلب رزقه بسبب من أسباب المعاش المأذون فيها رزق من جهته؛ فهو منه تعالى، وإن حرم فهو لمصلحة لا يعلمها، ولو كشف الغطاء لعلم أن الحرمان خير من العطاء...))[4].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٧٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/٤٢٩-٤٣٠) ح (٢٢١١٩)، وأبو داود؛ كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار (٢/٨٦) ح (١٥٢٢)، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: المساجد، باب: نوع آخر من الدعاء (٢/٨٠) ح (١٢٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/١٣٢٠).

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٢/٦٤٨-٦٤٩).

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((الاستعانة بالنون[1]: هي طلب العون، ولا خلاف أنه يجوز أن يُستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا؛ كأن يستعين به على أن يحمل معه متاعه، أو يعلف دابته، أو يبلغ رسالته، وأما ما لا يقدر عليه إلا الله –جل جلاله– فلا يُستعان فيه إلا به))[2].

كذلك قرر –رحمه الله– عبودية الاستعانة بالله ﷻ؛ في كثير من المواضع؛ ومنها: قوله في تفسيره في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]: ((والمعنى: نخصك بالعبادة، ونخصك بالاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه...، وقدمت العبادة على الاستعانة لكون الأولى وسيلة إلى الثانية، وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب، وإطلاق الاستعانة لقصد التعميم.

وقد أخرج ابن جرير[3] وابن أبي حاتم[4] عن ابن عباس في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: يعني: "إياك نوحّد ونخاف يا ربنا لا غيرك"، وإياك نستعين على طاعتك، وعلى أمورنا كلها، وحكى ابن كثير[5] عن قتادة أنه قال في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: "يأمركم أن تخلصوا له العبادة، وأن تستعينوه على أمركم"...))[6].

وقال –أيضاً–: ((قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فإن تقدُّم الضمير هاهنا يفيد الاختصاص ...، وهو يقتضي أنه لا يشاركه غيره في الاستعانة به في الأمور التي لا يقدر عليها غيره))[7].

---

(١) مراده –رحمه الله–: الاستعانة بحرف النون.

(٢) الدر النضيد في إخلاص التوحيد (٣٠٩/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) في تفسيره (٩٧/١).

(٤) في تفسيره (٢٩/١).

(٥) في تفسيره (١٣٥/١).

(٦) فتح القدير (٢٧/١).

(٧) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٣٨٠/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

وقال العلامة العبادي -رحمه الله-[1]:

ولا نراه مُسْتغيثاً ضارعاْ	أو مسْتعِيناً بِسواهُ خَاشعَاْ
في دفعِ ضرٍ مسَّهُ لن يَدْفعهْ	إلا الذي أَوجدهُ وأَبدعهْ

حيث بيَّن -رحمه الله- جملة من صفات الموحِّد؛ والتي منها: ألا يستعين فيما لا يقدر عليه إلا الله إلا به ﷻ؛ فإن ذلك عبادة من أجلِّ العبادات، ومن استعان به فهو المُعان، ومن تخلى الله تعالى عنه فهو المخذول.

وقال في سياق بيانه لجملة من أنواع الشرك[2]:

ومن يُناد ميْتاً أو غائباً	ويرتجيه راغباً وراهباً
في دفع ضر أو حصول نفعِ	فذاك شرك عند أهل الشرعِ
كمن ينادي مستغيثاً بأحدْ	أو مستعيناً أو رجى منه الولدْ
إذ ذاك في العادة ليس يقدرُ	عليه إلا الواحدُ المقتدرُ
وكل ما استحال في العاداتِ	كطلب الأحياء من الأمواتِ

فعد -رحمه الله- من الشرك الاستعانة بغير الله ﷻ في تحصيل المنافع ودفع المضار التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، **ثم علَّل ذلك بقوله**[3]:

لأن هذه كلها عبادةْ	لا يمتري فيه ذوو الشهادةْ

فالاستعانة بالله ﷻ من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا له سبحانه وتعالى.

كذلك قرر الشيخ البيحاني -رحمه الله- عبودية الاستعانة بالله ﷻ؛ فقال: ((وكما نقدس ربنا عن الأضداد والأنداد، نفرده تعالى بالعبادة، والاستعانة، ونقول بألسنتنا وقلوبنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]، فلا نسأل غيره، ولا نطلب حاجاتنا إلا منه بلا واسطة ولا وسيلة إلا بالأعمال الصالحة))[4].

---

(١) هداية المريد (ص١١-١٢).

(٢) هداية المريد (ص٢٤).

(٣) المصدر السابق (ص٢٥).

(٤) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص١٦٧).

وقال في الآية نفسها: ((تقديم المعمول على العامل يقتضي الحصر، وعليه فيكون المعنى: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين بأحد غيرك...، فإن الإقرار بتوحيد العبودية، والاستعانة بالله ﷻ يُحتِّم على الموحد أن لا يدعو غير الله، ولا يتقرب إلى أي مخلوقٍ؛ بذبح، ولا نذر، ولا حلق، ولا دعاء، ولا استغاثة، ولا رجاء، ولا خوف، ولا طمع، ولا رغبة، ولا رهبة))[1].

وقرر في موضع آخر: أن ((الاستغاثة والاستعانة لا تكون إلا بالله تعالى وحده، ولا يخاف ولا يخشى إلا منه، ولا يطمع إلا في فضله، ولا يرجى إلا ما عنده، ومن قال بخلاف هذا فكافر بالإجماع، ومشركٌ بلا نزاع... ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:١١٦]، ولما لا يكون كذلك؛ وقد عبد غير الله، واستعان بمخلوق عاجزٍ، وعصى ربه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢١-٢٢]، واتصف بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾[البقرة:١٦٥]، وبقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[الزمر:٤٥-٤٦]، وكيف يجوز لمسلم يؤمن بوحدانية الله ﷻ، وأنه المالك المتصرف في جميع الموجودات، أن يطلب النفع من غيره، أو يتقِ الضر من سواه، وهو يقول في كل صلاة، بين يدي ربه متوجهاً إليه بقلبه وقالبه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]، فيكذب على الله، أم يُكَذِّبُهْ! أم يخاطبه بما لا يفهم، ويعبده بما لا يعلم، قال ابن عباس ﵄: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٢٦٨).

بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1]...، ومصداق هذا الحديث في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزمر:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[فاطر:٢-٣]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[سبأ:٢٢]، ونظائر هذه الآيات من كتاب الله كثيرة جداً.

فمن تدبر القرآن، وفهم معانيه، علم أنه ما جاء إلا لتوجيه الناس جميعاً إلى ربهم تعالى، حتى يخلصوا له التوحيد، والعبادة))[2].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٧٨).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٣٣-٤٣٥).

المطلب الثامن: التوسل.

إن مما وقع فيه الاشتباه والإجمال من الألفاظ؛ لفظ "التوسل"، حتى صار يُطلق على غير معناه المراد منه، ولذا اعتنى به من عرَف مدى خطورته؛ فأوضح معناه وحقيقته، وفرَّق بين ما دل عليه الكتاب والسنة من التوسل، وبين ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه؛ وقد كان لعلماء اليمن جهد في بيان هذه المسألة؛ فدار كلامهم حولها في الأمور التالية:

المسألة الأولى: بيان معنى التوسل، وحقيقته.

المسألة الثانية: أنواع التوسل.

المسألة الثالثة: الشبهات في التوسل.

المسألة الأولى: بيان معنى التوسل وحقيقته.

التوسل في اللغة: من الوسيلة؛ والوسيلة: الرغبة، والقربة، والتوصل.

جاء في اللسان: ((الوسيلة: المنزلة عند الملك، والوسيلة: الدرجة، والوسيلة: القربة، ووسَّل فلان إلى الله وسيلة؛ إذا عمل عملاً تقرَّب به إليه، والواسل: الراغب إلى الله...، وتوسل إليه بوسيلة؛ إذا تقرب إليه بعمل...، والوسيلة: الوُصلة والقربى، وجمعها الوَسائل))(1).

وقال الأصفهاني -رحمه الله-: ((الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة، لتضمنها لمعنى الرغبة؛ قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥]، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربة، والواسل: الراغب إلى الله تعالى))(2).

التوسل في الشرع: جاءت الوسيلة في الشرع على معنيين:

---

(١) لسان العرب (١١/٧٢٤)، وينظر: معجم مقاييس اللغة (٦/١١٠).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٨٧١).

١- طلب القربة إلى الله ﷻ بالإيمان والعمل الصالح.

٢- منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ﷻ.

وهذا ما بينه وقرره علماء اليمن -رحمهم الله-:

قال العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله-: ((والوسيلة هي: ما يُتقرب به إلى الكبير؛ يُقال: توسلتُ: أي: تقربت))[١].

وفي شرحه لحديث عبد الله بن عمرو[٢] ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن؛ فقولوا مثل ما يقول،ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة؛ صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة؛ حلت عليه الشفاعة»[٣]؛ قال -رحمه الله-: ((وهي هنا: المنزلة العلية عند الله سبحانه في الجنة، وقد فسرها رسول الله في هذا الحديث بقوله: «فإنها منزلة في الجنة»، وقد علمت: أن الوسيلة: التقرب، فكأنه منزلة ليس فوقها في القرب منزلة؛ لأن من وصل إليها قرب من الله تعالى، فيكون كالقربة التي يتوسل بها، وفضيلة القرب قد عرفت أنه لا يوازيها فضيلة؛ لأن القريب يكون محلاً لأن يقبل قوله عند من قرب منه))[٤].

كذلك فسر العلامة الشوكاني -رحمه الله- الوسيلة بالقربة؛ بالطاعة والعبادة، وبالمنزلة العلية؛ التي هي الجنة؛ حيث قال في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

(١) تيسير اليسرى؛ تحقيق: مسلم عبد الستار (ص٥٢٧).

(٢) هو: أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، كان من أكثر الصحابة رواية للحديث وكاتباً له، توفي سنة ٦٣هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٩٥٧-٩٥٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/١٦٥-١٦٧).

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة (١/٢٨٨) ح (٣٨٤).

(٤) تيسير اليسرى؛ تحقيق: مسلم عبد الستار (ص٥٢٧).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[المائدة:٣٥]: ((والوسيلة: فعيلة من توسَّلت إليه: إذا تقربت إليه...، فالوسيلة: القربة التي ينبغي أن تُطلب))[(١)].

وقال في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴾[الإسراء:٥٧]: ((والوسيلة: القربة بالطاعة والعبادة؛ أي: يتضرعون إلى الله في طلب ما يُقربهم إلى ربهم))[(٢)].

وقال في موضع آخر: ((الوسيلة: هي ما يُتقرب به؛ يُقال: توسلت؛ أي: تقربت، وتُطلق على المنزلة العلية))[(٣)].

وقال -أيضاً-: ((والوسيلة -أيضاً- درجة في الجنة مختصة برسول الله ﷺ؛ وقد ثبت في صحيح البخاري[(٤)] من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة».

وفي صحيح مسلم[(٥)] من حديث عبد الله بن عمرو أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن؛ فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة؛

---

(١) فتح القدير (٢/٤٤)، وذكر أن تفسير الوسيلة بالقربة؛ قال به ((أبو وائل، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، وروي عن ابن عباس، وعطاء، وعبد الله بن كثير؛ قال ابن كثير في تفسيره: "وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة؛ لا خلاف بين المفسرين فيه")). فتح القدير (٢/٤٤)، وينظر: تفسير ابن كثير (٣/١٠٣).

(٢) فتح القدير(٣/٢٨٢).

(٣) نيل الأوطار (٢/٦٤).

(٤) كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء (١/١٢٦) ح (٦١٤).

(٥) تقدم تخريجه (ص٣٣٣).

صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة؛ حلت عليه الشفاعة» وفي الباب أحاديث... .

والظاهر أن الوسيلة: التي هي القربة؛ تصدق على التقوى، وعلى غيرها من خصال الخير؛ التي يتقرب العباد بها إلى ربهم))[1].

وأوضح العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله-: أن حقيقة التوسل إلى الله هو: التقرب إليه سبحانه وتعالى؛ بفعل الطاعات، واجتناب السيئات؛ حيث قال: ((الوسيلة التي أمر الله بابتغائها إليه هي: فعل الطاعات، وأعظمها وأساسها إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى، وكالتوسل إليه بأسمائه وصفاته، وعبادته؛ كالصلاة، والصدقة، والزكاة، والصيام، والحج، والذكر، والخشوع، والخضوع، والجهاد، والصبر على فعل مأمور، وترك محظور، وصبر على نزول مقدور، وشكر على نعم الله تعالى، وإخلاص كل عمل لا يصرف منه شيء لغيره، وكل شعبة من شعب الإيمان فهي من الوسائل، وليست الوسائل أن العبد ينادي غير الله، وينزل الحاجة بمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً؛ بل هذا شرك))[2].

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- في بيان معنى "الوسيلة" في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[المائدة:٣٥]: ((معنى قوله: ما يتوسل به؛ أي: يتقرب من صنيعة، أو غيرها، ثم استعيرت لما يتقرب إلى الله تعالى؛ من فعل طاعة، أو ترك معصية))[3].

---

(١) فتح القدير (٢/٤٥).

(٢) إيقاظ الوسنان (ص١١٧-١١٨).

(٣) فتح المنان؛ تحقيق: عيسى الدريبي (٢/١٠٠٨).

وفسر "الوسيلة" في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾[الإسراء:٥٧]: بـ((القربة، والطاعة، والعبادة))[1].

وقال العلامة المعلمي –رحمه الله–: ((قال في "المختار"[2]: "الوسيلة: ما يُتقرب به إلى الغير، والجمع: الوسيل، والوسائل، والتَّوسل والتَّوسيل واحد؛ يقال: وسَّل فلان إلى ربه وسيلة بالتشديد، وتوسَّل إليه الوسيلة؛ إذا تقرب إليه بعمل".

ومن هنا نعلم أنه لا دلالة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥]، إلا على الأمر بابتغاء ما يتقرَّب به إلى الله، وهو أمر مجمل لا يؤخذ بيانه إلا من الشرع، فمن ادعى في شيء من الأشياء أنه يتقرب به إلى الله تعالى؛ كُلِّف بإبراز حجة من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله.

وعليه فأقول: التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل، واجتناب الحرام، والمكروه، مما لا يحتاج إلى بيان))[3].

وقال الشيخ البيحاني –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥]: ((قال المفسرون: اتقوا الله بترك معاصيه، وابتغوا إليه الوسيلة بفعل ما يرضيه، وعن ابن عباس: أي القربة...، قال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه، وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه[4]))[5].

---

(١) المصدر السابق؛ تحقيق: المرشود (ص٢٤٦).

(٢) مختار الصحاح (ص٣٣٨).

(٣) بحث "التبرك" (ص٢٦٠)؛ ضمن تحقيق الكلام في المسائل الثلاث.

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٦/٢٢٥-٢٢٧)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٢/٣٠٣)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/٢٦)، وتفسير السلمي (١/١٧٧)، وتفسير القرطبي (٦/١٥٩).

(٥) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٦٣).

المسألة الثانية: أنواع التوسل.

بالنظر في النصوص الشرعية والآثار الثابتة عن السلف الصالح؛ يظهر لنا أن التوسل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع: وهو التوسل الذي دلت عليه النصوص الشرعية؛ وهو ثلاثة أنواع:

١- التوسل إلى الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى؛ ومن أدلة مشروعية هذا النوع؛ قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

٢- التوسل إلى الله ﷻ بالأعمال الصالحة؛ ومن أدلة مشروعيته؛ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران:١٦].

٣- التوسل إلى الله ﷻ بدعاء الصالحين؛ ومن أدلة مشروعيته؛ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يوسف:٩٧-٩٨].

وسيأتي بيان جملة من الأدلة على هذه الأنواع من خلال تقريرات علماء اليمن -رحمهم الله-.

القسم الثاني: التوسل الممنوع: وهذا التوسل لا أصل له في الدِّين، ولم تدل عليه النصوص الشرعية، ولم يعمل به السلف الصالح، وهو ما عدا الثلاثة الأنواع السابقة؛ كالتوسل بالذوات، والجاه، والأموات، وعمل الغير وصلاحه؛ وحكمه بدعة، إلا إذا اعتقد المتوسل أن المتوسَّل به له تأثير أو قدرة على جلب المنافع ودفع المضار؛ فإنه يكون شركاً أكبر مخرجاً من الملة.

وقد بيَّن علماء اليمن -رحمهم الله- هذه المسألة:

فأما العلامة الصنعاني -رحمه الله-؛ فقد ذكر نوعاً من أنواع التوسل؛ وهو التوسل بدعاء الصالحين، وقرر جوازه مستدلاً له ببعض النصوص؛ فقال:

((وهذا لا شك في جوازه، أعني طلب دعاء الله تعالى من بعض عباده لبعض، بل قد قال ﷺ لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمراً: «لا تنسنا يا أخي من دعائك»[1].

وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم؛ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠]، وقد قالت أم سليم –رضي الله عنها–: "يا رسول الله، خادمك أنس، ادع الله له"[2]، وقد كان الصحابة –رضي الله عنهم– يطلبون الدعاء منه ﷺ وهو حي، وهذا أمر متفق على جوازه، والكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً؛ أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا عن حبلاهم، وأن يسقوا زرعهم، ويدروا ضروع مواشيهم، ويحفظوها من العين، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها أحد إلا الله تعالى))[3].

كما أوضح –رحمه الله– التوسل الشركي؛ وقرر ((أن من اعتقد في شجر، أو حجر، أو قبر، أو ملك، أو جني، أو حي، أو ميت؛ أنه ينفع، أو يضر، أو أنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا؛ بمجرد التشفع به، والتوسل به إلى الرب تعالى، إلا ما ورد في حديث فيه مقال –في حق نبينا محمد ﷺ–، أو نحو ذلك، فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده؛ كما اعتقده المشركون في الأوثان، فضلاً عمن ينذر بماله، وولده؛ لميت، أو حي، أو يطلب من ذلك الميت ما لا يُطلب إلا من الله تعالى من الحاجات؛ من عافية مريضه، أو قدوم غائبه، أو نيله لأي مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عُبَّاد الأصنام))[4].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣١٨).

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب: فضائل الصحابة –رضي الله تعالى عنهم–، باب: من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه (٤/١٩٢٨) ح (٢٤٨٠).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٦٨–٦٩).

(٤) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٦٠–٦١).

وأوضح في موضع آخر: ((أن النذر بالمال للميت، ونحوه، والنحر على القبر، والتوسل به، وطلب الحاجات منه؛ هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً، والأسماء لا أثر لها...، فإن من شرب الخمر وسماها ماء؛ ما شرب إلا خمراً، وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية))[1].

ويلاحظ من كلامه -رحمه الله- السابق أنه استثنى التوسل بذات النبي ﷺ، من التوسل الشركي -السابق بيانه-؛ لورود حديث فيه مقال.

ولعله -رحمه الله- يشير إلى حديث الأعمى؛ ونصه: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ؛ فقال: ادع الله أن يعافيني؛ قال: «إن شئت دعوت لك، وإن شئتَ أخرتُ ذاك، فهو خير»؛ فقال: ادعه؛ فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه، فتقضي لي، اللهم شفعه فيَّ»[2].

والصواب: أن التوسل بذات المتوسَّل به، أو بجاهه، أو بحقه، أو منزلته، ونحو ذلك؛ إلى الله ﷻ: توسل غير مشروع، أياً كان المتوسَّل به، سواءً كان نبياً، أو ملكاً، أو غيرهما؛ لأن النصوص الشرعية لم تأمر به، ولم يُنقل عن أحد من السلف أنه عمل به، وهم السباقون إلى الخير، فعدم فعلهم له؛ دل على عدم مشروعيته.

---

(١) المصدر السابق (ص٦١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/٤٧٨) ح (١٧٢٤٠)، وان ماجه؛ كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في صلاة الحاجة (١/٤٤١) ح (١٣٨٥)، والترمذي؛ كتاب: الدعوات، بابٌ (٥/٤٦١) ح (٣٥٧٨)؛ وقال: حديث حسن صحيح غريب، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ذكر حديث عثمان بن حنيف (٩/٢٤٤) ح (١٠٤٢٠)؛ من حديث عثمان بن حنيف ؓ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٢٧٥).

وأما التوسل الوارد في حديث الأعمى؛ فإنما هو توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، لا بذاته؛ كما سيأتي بيان ذلك[1].

وقال العلامة النعمي -رحمه الله- في بيان خطر من جوَّز التوسل بالأقربين إلى الله ﷻ في قضاء الحاجات: ((ومن يتكلم بمثل هذا إلا من لا يدري ما فشي في العامة، ومن امتاز عنهم بالاسم فقط، وما صار هِجِّيْراهم[2] عند الأموات، ومصارع الرفات؛ من دعائهم، والاستغاثة بهم، والعكوف حول أجداثهم، ورفع الأصوات بالجُؤار[3]، وإظهار الفاقة والاضطرار واللُّجْأَ في ظلمات البحر، والتطام أمواجه الكبار، والسفر نحوها بالأزواج والأطفال، والله قد علم ما في طيِّ ذلك كله من قبيح الخلائق والأفعال، وارتكاب ما نهى الله عنه، وإهمال حقوق ذي العزة والجلال))[4].

كذلك قرر العلامة الشوكاني -رحمه الله- جواز التوسل إلى الله ﷻ بدعاء أهل الفضل والصلاح والتقوى؛ من الأنبياء، والصالحين، وأورد نصوصاً كثيرة في الدلالة على ذلك؛ حيث قال في شرحه لحديث الشفاعة الطويل؛ والذي فيه أن الخلائق يوم القيامة يأتون آدم فيدعونه ويستغيثون به، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمداً -صلى الله عليه وعليهم[5]-.

---

(١) ينظر: (ص٣٦٣).

(٢) أي: دأبهم وشأنهم. ينظر: القاموس المحيط (ص٤٩٥).

(٣) الجُؤار: هو رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة. ينظر: القاموس المحيط (ص٩٦٢)، ولسان العرب (٤/١١٢).

(٤) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٠٥-٦٠٦).

(٥) حديث الشفاعة أخرجه البخاري؛ كتاب: التفسير، باب: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[الإسراء:٣] (٦/٨٤) ح (٤٧١٢)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/١٨٤-١٨٥) ح (١٩٤)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.

قال: ((أهل المحشر إنما يأتون هؤلاء الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله -سبحانه-، ويدعوا لهم بفصل الحساب والإراحة من ذلك الموقف؛ وهذا جائز، فإنه مِن طلب الشفاعة والدعاء المأذون فيهما، وقد كان الصحابة يطلبون من رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم- في حياته أن يدعو لهم؛ كما في حديث: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم؛ «لما أخبرهم بأنه يدخل الجنة سبعون ألفاً»[1]...، وقول أم سليم: "يا رسول الله، خادمك أنس ادع الله له"[2]، وقول المرأة التي كانت تُصرع: "يا رسول الله، ادع الله لي"، وآخر الأمر سألته الدعاء بأن لا تنكشف عند الصرع، فدعا لها[3]...، ومنه ما ورد في دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب[4]، وغير ذلك مما لا يحصر، حتى إن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قال لعمر لما خرج معتمراً: «لا تنسنا يا أخي من دعائك»[5].

فمن جاء إلى رجل صالح، واستمد منه أن يدعو له، فهذا ليس من ذلك

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: اللباس، باب: البرود والحبرة والشملة (١٤٦/٧) ح (٥٨١١)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب (١٩٧/١) ح (٢١٦)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٣٩).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب: المرضى، باب: فضل من يصرع من الريح (١١٦/٧) ح (٥٦٥٢)، ومسلم؛ كتاب: البر، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (١٩٩٤/٤) ح (٢٥٧٦)؛ من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٤) ومن ذلك قوله ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكَّل، كلما دعا لأخيه بخير؛ قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثل». أخرجه مسلم؛ كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٢٠٩٤/٤) ح (٢٧٣٣)؛ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٥) تقدم تخريجه (ص٣١٨).

الذي يفعله المعتقدون في الأموات، بل هو سنة حسنة، وشريعة ثابتة، وهكذا طلب الشفاعة ممن جاءت الشريعة المطهرة بأنه من أهلها؛ كالأنبياء، ولهذا يقول الله لرسوله يوم القيامة: «سل تعطه، واشفع تشفع»[1]، وذلك هو المقام المحمود الذي وعده الله به في كتابه العزيز.

والحاصل أن طلب الحوائج من الأحياء جائز إذا كانوا يقدرون عليها؛ ومن ذلك الدعاء ...))[2].

وهذا الذي قرره العلامة الشوكاني -رحمه الله- في التوسل والتشفع بدعاء الصالحين؛ قول صائب واستدلال صحيح، غير أنه جعل التوسل بالذوات والأشخاص من التوسل بدعاء الصالحين، فجعلهما نوعاً واحداً، كذلك جعل التوسل بالذوات والأشخاص كالتوسل بالأعمال الصالحة في الجواز؛ حيث قال: ((وأما التوسل إلى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه؛ فقد

قال الشيخ عز الدِّين بن عبد السلام[3]: "إنه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا

---

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل؛ وقد تقدم تخريجه (ص٣٤٢).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٥١-٣٥٣)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، له عدة مصنفات؛ منها: قواعد الأحكام، وبداية السول في تفضيل الرسول، توفي سنة ٦٦٠هـ. ينظر ترجمته: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ للذهبي (٩٣٣/١٤)، وطبقات الشافعية الكبرى؛ للسبكي (٨/٢٠٩-٢٢٣).

بالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إن صح الحديث فيه"[(١)]، ولعله يشير إلى الحديث...: أن أعمى أتى إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال: يا رسول الله، إني أصبت في بصري فادع الله لي، فقال له النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: «توضأ وصل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد، يا محمد إني أشفع بك في رد بصري، اللهم شفع نبيي في»[(٢)]... .

وللناس في معنى هذا قولان:

أحدهما: أن هذا التوسل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب؛ لما قال: "كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا إليك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا"... .

والقول الثاني: أن التوسل به -صلى الله عليه وآله وسلم- يكون في حياته وبعد موته، وفي حضرته ومغيبه، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسل به -صلى الله عليه وآله وسلم- في حياته، وثبت التوسل بغيره من الأحياء بعد موته بإجماع الصحابة

---

(١) الذي في كتاب "فتاوي العز بن عبد السلام"(ص١٢٦): سؤال عن الإقسام على الله بمعظَّم من خلقه في دعائه؛ كالنبي ﷺ، والولي، والملك؛ هل يُكره ذلك أو لا؟.

فأجاب -رحمه الله- بقوله: ((أما مسألة الدعاء، فقد جاء في بعض الأحاديث أن رسول الله ﷺ علَّم بعض الناس الدعاء، فقال: في أقواله: «قل اللهم إني أقسم عليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة»، وهذا الحديث إن صحَّ فينبغي أن يكون مقصوراً على النبي ﷺ؛ لأنه سيد ولد آدم، وأن لا يُقسم على الله بغيره من الأنبياء، والملائكة؛ لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما خص به تنبيهاً على علو درجته ومرتبته)).

وهذا الذي ذهب إليه العز بن عبد السلام هو ما ذهب إليه الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه، والذي عليه جمهور الأئمة: أنه لا ينعقد اليمين بمخلوق البتة، ولا يُقسم بمخلوق البتة؛ وهذا هو الصواب؛ لعموم الأدلة الدالة على المنع من الحلف بغير الله تعالى. ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٩٦،٢٣١).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٤١).

سكوتياً؛ لعدم إنكار أحد منهم على عمر ﷺ في توسله بالعباس[1] ﷺ))[2].

ثم قال -رحمه الله- مبيناً قوله في المسألة: ((وعندي أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ؛كما زعمه الشيخ عز الدِّين بن عبد السلام؛ لأمرين:

الأول: ما عرفناك به من إجماع الصحابة.

والثاني: أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة، ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله.

فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم، وقد ثبت في الصحيحين[3]...، أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة؛ أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله، فارتفعت الصخرة؛ فلو كان التوسل بالأعمال الفاضله غير جائز، أو كان شركاً كما يزعمه المتشددون في هذا الباب...؛ لم تحصل الإجابة من الله لهم، ولا سكت النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم))[4].

---

(١) هو: أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله ﷺ، أسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه، وشهد مع النبي ﷺ فتح مكة، توفي سنة ٣٢هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٨١٠-٨١٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣/٥١١-٥١٢).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣١٢-٣١٤)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حديث الغار (٤/١٧٢) ح (٣٤٦٥)، ومسلم؛ كتاب: الرقاق، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (٤/٢٠٩٩) ح (٢٧٤٣)؛ من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-.

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣١٤-٣١٥)؛ ضمن الفتح الرباني.

ثم شرع -رحمه الله- في الرد على من خالفه في ذلك[1].

وقال في موضع آخر؛ وذلك في جوابه عن سؤال يقول: ((أنه لو قصد الإنسان قبر رجل من المسلمين، مشهور بالصلاح، ووقف لديه وأدى الزيارة، وسأل الله بأسمائه الحسنى، وبما لهذا الميت لديه من المنزلة، هل تكون هذه البدعة عبادة لهذا الميت، ويصدق عليه أنه قد دعا غير الله، وأنه قد عبد غير الرحمن؟...))[2].

قال: ((إنه لا بأس بالتوسل بنبي من الأنبياء، أو ولي من الأولياء، أو عالم من العلماء...؛ فهذا الذي جاء إلى القبر زائراً، ودعا الله وحده، وتوسل بذلك الميت؛ كأن يقول: اللهم إني أسألك أن تشفيني من كذا، وأتوسل إليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك، أو المجاهدة فيك، أو التعلم والتعليم، خالصاً لك، فهذا لا أتردد في جوازه))[3].

وهذا الذي قرره العلامة الشوكاني -رحمه الله- قول مخالف للصواب؛ لأمور:

١- أن التوسل بذات المتوسل به، أو بجاهه، أو بحقه، ونحو ذلك؛ توسل باطل؛ سواء كان المتوسَّل به نبياً أو ملكاً أو غيرهما؛ وذلك لعدم دلالة النصوص الشرعية عليه، ولم يُنقل عن أحد من الصحابة -رضوان الله عليهم- وغيرهم من السلف الصالح أنه فعل ذلك، وهم أحرص الناس على الخير.

٢- أما استدلاله -رحمه الله- بحديث الأعمى، وكذلك حديث استسقاء عمر بالعباس -رضي الله عنهما- على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين؛ فهو استدلال خاطئ؛ حيث إن التوسل بالنبي ﷺ الذي ورد في حديث الأعمى إنما هو توسل بدعائه ﷺ وشفاعته، لا توسل بذاته -كما سيأتي بيان ذلك[4]-، وعلى هذا

---

(١) ينظر: المصدر السابق (١/٣١٥-٣١٨).

(٢) المصدر السابق (١/٣٨٣).

(٣) المصدر السابق (١/٣٨٣).

(٤) سيأتي بيان ذلك (ص٣٦٢).

درج الصحابة -رضوان الله عليهم-، فإنما كانوا يتوسلون به ﷺ في حياته، فلما مات توسلوا بدعاء غيره؛ كما يدل على ذلك توسل عمر بالعباس -رضي الله عنهما- واستسقائه به لما أجدبوا، وقصد بذلك دعائه؛ لفضله وصلاحه، إذ لو كان التوسل بذاته ﷺ جائزاً لما عدلوا عنه وذهبوا إلى العباس ﷺ، فدل ذلك على عدم مشروعيته[(١)].

فسقط بذلك استدلاله بهذين الحديثين، وكذلك سقط ما ذهب إليه من أن الصحابة أجمعوا على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين، وإنما أجمعوا على التوسل بدعاء الحي؛ كما تقدم.

٣- أما ما ذهب إليه -رحمه الله- من أن التوسل بأهل الفضل والصلاح هو في الحقيقة توسل بأعمالهم الصالحة؛ فهو قول مردود، فلا علاقة بين المتوسِّل وبين أعمال المتوسَّل به، فلكل عمله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[النجم:٣٩].

قال شارح الطحاوية -رحمه الله-: ((فلا مناسبة بين ذلك [أي صلاح المتوسَّل به] وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي! وأي مناسبة في هذا، وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء؛ وقد قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[الأعراف:٥٥]، وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة -رضي الله عنهم-، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية، والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والإتباع، لا على الهوى والابتداع))[(٢)].

وممن وضح التوسل بأنواعه الشيخ البيحاني -رحمه الله- ؛ حيث قرر جواز التوسل إلى الله ﷻ بالأعمال الصالحة؛ فقال: ((لا بأس بالتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، التي يتقرب بها إليه عبده المتوسِّل، ولا خلاف بين أهل العلم في

---

(١) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٨٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٢١١).

جواز توسل الإنسان إلى ربه بأعماله الصالحة، وإنما الخلاف في شيئين: أحدهما: التوسل إليه تعالى بالذوات الطاهرة؛ من ملائكة، وأنبياء، وأولياء، وثانيهما: توسل الغير بأعمال غيره...))[1].

ثم ذكر –رحمه الله– الأدلة على هذا النوع من التوسل:

فقال: ((الدليل على جواز التوسل بالأعمال الصالحة: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥]، قال المفسرون[2]: اتقوا الله بترك معاصيه، وابتغوا إليه الوسيلة بفعل ما يرضيه... .

وفي الصحيحين[3] عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم؛ حتى آواهم المبيت إلى غار؛ فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار؛ فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم؛ قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق[4] قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما؛ فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين؛ فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً، أو مالاً؛ فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما؛ حتى برق الفجر، زاد بعض الرواة: "والصبية يتضاغون عند قدمي"، فاستيقظا وشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه؛ قال النبي ﷺ: قال الآخر: اللهم كان لي ابنة عم أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها؛ فامتنعت مني، حتى أَلَمَّت بها

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٦٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٠/٢٨٩-٢٩٠)، وتفسير ابن كثير (٣/١٠٣).

(٣) تقدم تخريجه (ص٣٤٦).

(٤) لا أغبق قبلهما أهلاً، ولا مالاً؛ أي: ما كنت أقدِّم عليهما أحداً في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه. والغبوق: شرب آخر النهار والعشي، مقابل الصبوح. ينظر: لسان العرب (١٠/٢٨٢)، ومقدمة فتح الباري (ص١٦١).

سنة من السنين، فأتتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بينها وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها؛ قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت عن الوقوع عليها، وانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين؛ وقال لي: يا عبد الله أدِّ إلي أجري، فقلت: كلُّ ما ترى من أجرك؛ من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزأ بي! فقلت: إني لا استهزأ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون».

وفي صحيح مسلم[1] عن ربيعة بن مالك الأسلمي[2] قال: قال لي النبي ﷺ: «سَلْ»، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك»، فقلت: هو ذاك؛ فقال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود»))[3].

ثم قال –رحمه الله– مؤكداً ذلك، ومقرراً النوعين الآخرين من أنواع التوسل المشروع، داعماً قوله بالأدلة الشرعية: ((وحيث قلنا بجواز التوسل إليه بصالح الأعمال، بل باستحبابه؛ لأنه مطلوب... **فنحن نتقرب إلى الله تعالى، ونتوسل إليه بأسمائه وصفاته؛** قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا**

(١) كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه (٣٥٣/١) ح (٤٨٩).

(٢) هو: أبو فراس ربيعة بن كعب بن مَالك بن يَعْمُر الأسلمي، كان خادماً لرسول الله ﷺ وصحبه قديماً، وكان من أهل الصفة، توفي سنة ٦٣هـ. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٢٧/٤-١٧٢٨)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣٩٤/٢-٣٩٥). ووقع عند الشيخ –رحمه الله– منسوباً إلى جده مالك، والصواب ما في صحيح مسلم عن ربيعة بن كعب.

(٣) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (٣٦٣-٣٦٥).

﴿ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف:١٨٠]، ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء:١١٠]، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[المؤمنون:١٠٩]، ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٣]، ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[الأنبياء:٨٩].

وكذلك نتوسل إليه تعالى بالصلاة، والتسبيح، والحمد، والثناء عليه تعالى، والصلاة والسلام على نبيه ﷺ، وبالصدقة، ودعاء الصالحين لنا، ولن ندعو من دونه أحداً أبداً؛ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[البقرة:١٥٣]، ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾[البقرة:٤٥]، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧-٨٨]، ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الصافات:١٤٣-١٤٤].

وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد؛ فقال: «لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»(١)... .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٠/٥) ح (٢٣٠٩١)، وابن ماجة؛ كتاب: الدعاء، باب: اسم الله الأعظم (١٢٦٧/٢) ح (٣٨٥٧)، وأبو داود؛ كتاب: الصلاة، باب: الدعاء (٧٩/٢) ح (١٤٩٣)، والترمذي؛ كتاب: الدعوات، باب: جامع الدعوات عن النبي ﷺ (٥١٥/٥) ح (٣٤٧٥)؛ وقال: حديث حسن؛ من حديث بريدة ﷺ. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٩/٥).

وسمع -أيضاً- رجلاً يدعو الله في الصلاة، ولم يصل عليه؛ فقال: «لقد عَجِل هذا»، فدعاه؛ فقال له، أو لغيره: «إذا صلى أحدكم؛ فليبدأ بتحميد الله، والصلاة على رسوله، ثم ليدع بعد بما يشاء»(١).

وقال أبي بن كعب(٢): قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة، فكم أجعل لك من صلاتي، قال: «ما شئت»، قال: قلت: الربع، قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»، قلت: النصف، قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»، قال: الثلثين، قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير لك»، قلت: اجعل لك صلاتي كلها، قال: «إذن تكفى همك، ويغفر لك ذنبك»(٣)... .

وبما ذكرته لك من الآيات والأحاديث؛ تعلم مشروعية التوسل بصالح الأعمال، القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة))(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٨/٦) ح (٢٣٩٨٢)، وأبو داود؛ كتاب: الصلاة، باب: الدعاء (٧٧/٢) ح (١٤٨١)، والترمذي؛ كتاب: الدعوات، باب: جامع الدعوات عن النبي ﷺ (٥١٧/٥) ح (٣٤٧٧)؛ وقال: حديث حسن صحيح؛ من حديث فضالة بن عبيد ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٧٢/١).

(٢) هو: أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، سيد القراء، من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلها، توفي سنة ٣٠هـ على الراجح. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٦٥/١-٦٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٨٠/١-١٨٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٦/٥) ح (٢١٢٨٠)، والترمذي؛ كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٦٣٦/٤) ح (٢٤٥٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (٢٩٣/١).

(٤) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (٣٦٤-٣٦٨).

وقال الشيخ الوادعي -رحمه الله- في بيان أنواع التوسل: ((التوسل بالأموات فيما لا يقدرون عليه، وهم لا يقدرون على شيء وهم أموات؛ يعتبر بدعة، إذا لم يبلغ إلى حد العقيدة فيهم.

والتوسل المشروع: هو التوسل بأسماء الله وصفاته؛ ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف:١٨٠]، التوسل بالحي الصالح فيما يقدر عليه، الرجل الأعمى الذي جاء إلى النبي ﷺ قال: يا محمد إني أتوسل بك -أي: بدعائك- إلى ربي[1].

فالنبي ﷺ حي قادر على أن يدعو له.

التوسل بالأعمال الصالحة؛ كما في قصة أصحاب الغار[2]))[3].

(١) تقدم تخريجه(ص٣٤١).

(٢) تقد بيانها (ص٣٤٦).

(٣) مجموع فتاوى الوادعي (١/١٤١).

المسألة الثالثة: شبهات في التوسل.

أوضح علماء اليمن -رحمهم الله- جملة من الشبهات التي يستدل بها المخالفون على جواز التوسل بغير الله تعالى مما لم تدل عليه النصوص الشرعية؛ ثم رد عليها علماء اليمن -رحمهم الله- بما يبطلها ويدحضها؛ وفيما يلي بيان لبعضها:

الشبهة الأولى: أن المراد بالوسيلة في قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[المائدة:٣٥]: عام في الذات، والأعمال، وأن التوسل بالأنبياء والصالحين من جملة التوسل بالأعمال الصالحة[1].

الرد على الشبهة:

أوضح العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله- أن هذا الذي ذهبوا إليه مغالطة وخروج عن محل النزاع، وفرية بلا مرية فإنهم ((لما جعلوا معنى الوسيلة، وسموا ما حرم الله وسيلة؛ فجعلوا الوسيلة اجتماعهم عند قبر حكموا لصاحبه بالولاية، والله أعلم بأوليائه، ففعلوا ما لا يحل فعله في مذهب من المذاهب، ولا ملة من الملل قربة؛ كما فعل عُبَّاد سواع ويغوث ويعوق ونسرا، أسماء رجال صالحين قربة؛ وقالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[الزمر:٣]، وهذا هو الذي أُرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم بنهي العباد عنه، وتعريفهم أن هذه عبادة الشيطان، لا لودّ ولا لسواع ولا ليغوث، وإنما يعبدونهم من دون الرحمن، وكون العبد يُسمي ما لا يحل قربة؛ كمن يشرب الخمر، ويدَّعي أنها من الطيبات، وأنه يثاب على شربه، وأنه يجد نشاطاً للطاعة، وخشوعاً وفهماً للحقائق))[2].

---

(١) ينظر: الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٧٣).

(٢) إيقاظ الوسنان (ص١١٦-١١٧).

كما أجاب الشيخ البيحاني –رحمه الله– على هذه الشبهة من وجهين:

الأول: ((بما ذكره العلامة الآلوسي[1] –رحمه الله– في تفسيره[2]؛ قال ما نصه: "واستدل بعض الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين، وجعلهم وسيلة بين الله تعالى وبين العباد، والقَسَم على الله تعالى بهم؛ بأن يُقال: اللهم إنا نُقسم عليك بفلان أن تعطينا كذا[3]، ومنهم من يقول للغائب، أو الميت من عباد الله تعالى الصالحين: يا فلان ادع الله تعالى؛ ليرزقني كذا، ويزعمون أن ذلك من باب ابتغاء الوسيلة، ....

(١) هو: أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، المحدث، المفسر، الأديب، له مصنفات؛ منها: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ودقائق التفسير، توفي سنة ١٢٧٠هـ. ينظر ترجمته: التفسير والمفسرون؛ لمحمد الذهبي (١/٢٥٠–٢٥٣)، ومعجم المؤلفين؛ لعمر كحالة(١٢/١٧٥–١٧٥).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ للآلوسي (٣/٢٩٤)، وقد فصَّل –رحمه الله– عقب هذا النقل تفصيلاً جيداً، وخلص منه إلى قوله: "وأما إذا كان المطلوب منه ميتاً أو غائباً، فلا يستريب عالمٌ أنه غير جائز، وأنه من البدع، التي لم يفعلها أحدٌ من السلف".

(٣) ذكر ابن تيمية –رحمه الله– أنه لا يوجد أي دليل من الكتاب أو السنة على هذا النوع من أنواع التوسل، وأنه لا يجوز القسم على أحدٍ بغير الله، لا بالأنبياء ولا بالصالحين ولا غيرهم. ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٣٠،٩٠).

ويروون عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أعيتكم الأمور؛ فعليكم بأهل القبور»[1]، فاستغيثوا بأهل القبور، وكل ذلك بعيد عن الحق بمراحل"))[2].

الثاني: ((لو جاز جعل هذه الآية دليلاً على جواز التوسل بالذوات المقدسة، وأعمال المتوسل به الصالحة؛ لجاز ذلك بأحجار المساجد، وجلود المصاحف، وصناديق الكتب، وبجميع أفراد الآدميين: مسلمين، وكفار[3]؛ لأنهم مكرَّمُون بقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[الإسراء:٧٠]؛ ولأن الجميع ذوات مقدسة محترمة، ولجاز -أيضاً- بأعمال أبي طالب، التي كان يرضي بها رسول الله ﷺ، وبأعمال المرائين والمنافقين، من صلاة، وصوم، وجهاد في سبيل الله، بالنفس والمال؛ لأنها كلها أعمال صالحة في حد ذاتها، وصالحة للتوسل بها على رأي صاحب درر المعاني))[4].

---

(١) هذا الحديث ليس له أصل في كتب الحديث المعتمدة، وهو حديث موضوع؛ قال ابن تيمية -رحمه الله- في التوسل والوسيلة (ص٣٢٣): ((فهذا الحديث كذب مفترى على النبي ﷺ بإجماع العارفين بحديثه، لم يروه أحد من العلماء بذلك، ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة))، وقال ابن القيم -رحمه الله- في إغاثة اللهفان (٢١٥/١): ((ومنها أحاديث مكذوبة مختلقة؛ وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله؛ تناقض دينه وما جاء به؛ كحديث: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور»...)).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٧٣-٣٧٤).

(٣) ينظر لهذا الإلزام: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٠٨).

(٤) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٧٤-٣٧٥).

الشبهة الثانية: الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]؛ على جواز التوسل الممنوع؛ حيث ذكر الشيخ البيحاني –رحمه الله– أن مؤلف "درر المعاني استدل بهذه الآية على جواز التوسل الممنوع؛ فقال: ((ونقل من أسباب النزول[١] للجلال السيوطي[٢] عن ابن عباس؛ قال: "كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود، فعادت بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي، الذي وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان، إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان، فلما بُعث عليه الصلاة والسلام كفروا به؛ فأنزل الله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ الآية"))[٣].

الرد على الشبهة:

أوضح الشيخ البيحاني –رحمه الله– أن هذه الشبهة باطلة من وجوه:

الأول: أن هذا الحديث ورد بسند ضعيف عن ابن عباس ﷺ، وأن مؤلف "درر المعاني" ((حذف من النقل قول السيوطي –رحمه الله– قبل ذكر الحديث:

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول؛ للسيوطي (ص١١).

(٢) هو: أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الخضيري السيوطي، نبغ في جملة من العلوم، له مصنفات؛ منها: لباب النقول، وطبقات المفسرين، توفي سنة ٩١١هـ. ينظر ترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع؛ للسخاوي (٤/٦٥-٧٠)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (١٠/٧٤-٧٩).

(٣) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٧٥)، وينظر: درر المعاني (ص٦٦).

"أخرج الحاكم في المستدرك[1]، والبيهقي في الدلائل[2]، بسند ضعيف عن ابن عباس..."[3]، وسبب الحذف: خوفه من تضعيف السند؛ لأنه يحتج بالموضوع، فضلاً عن الضعيف... .

فاعتبروا يا أولي الأبصار كيف جعل الخصم طلب اليهود من الله، أن يعجل بعثة النبي ﷺ ليقاتلوا معه أعداءهم دليلاً على جواز التوسل))[4].

الثاني: ((ليس في الآية ما يدل على جواز التوسل بذاته الكريمة ﷺ، إذ القصد من الآية: الإخبار بانتظار اليهود لبعثته؛ حتى يقاتلوا معه المشركين، وعُبَّاد الأوثان الذين كانوا يضطهدون أهل الكتاب، ومن عنده بقية من شرائع المرسلين، فاستفتاحهم به؛ طلب الفتح من الله بينهم وبين أعدائهم؛ فمعناه: أنهم كانوا يطلبون من الله تعجيل بعثته، وأن يؤيدهم بالنصر معه، فمن أين للمستدل بها جواز التوسل بمحمد ﷺ، أو بأي شخص غيره؛ نبياً كان، أو ملكاً، وكيف فهم ما لم يفهمه أحد المفسرين، العارفين لسان العرب، والناقلين عن الصحابة ﷺ أقوالهم في الآية؟))[5].

---

(١) (٢٨٩/٢) ح (٣٠٤٢).

(٢) دلائل النبوة (٧٦/٢)، والحديث ضعيف، قال ابن تيمية -رحمه الله- في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٢٤٧): ((وهذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه، وقال: أدت الضرورة إلى إخراجه؛ وهذا مما أنكره عليه العلماء فإن عبد الملك بن هارون من أضعف الناس، وهو عند أهل العلم بالرجال متروك، بل كذاب)).

(٣) لباب النقول (ص١١).

(٤) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٧٥-٣٧٦).

(٥) المصدر السابق (ص٣٧٦).

الثالث: ((لو جاز التوسل بالذوات، في الشرائع القديمة، ما كان حجة علينا، إذ شرعنا ناسخ لما قبله في كثير من الأمور[1]؛ ومنها: التوسل؛ لما ورد من النهي عنه، وعدم فعله في القرون الخيرية الأولى، وإن ادعي وقوعه بحكايات باطلة، وروايات مزيفة، ولو سلمنا جدلاً أن صحابياً، أو تابعياً، توسل بأي ذات، ما كان ذلك دليلاً على الجواز، إذ لا يكون فعل الصحابي حجة، ولو اختلف فعل الصحابي وما يرويه عن النبي ﷺ، أخذنا بروايته، وتركنا فعله، فكيف لو اختلف قوله، أو فعله مع قول الله تعالى، أو متواتر[2] السنة المطهرة...))[3].

---

(١) مسألة هل شرع من قبلنا شرع لنا؟ من المسائل الخلافية في أصول الفقه، والأقوال في هذه المسألة كثيرة، والراجح منها هو: أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا خلافه، وثبت بالدليل القاطع أنه شرع لمن قبلنا، قال ابن تيمية -رحمه الله- في قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٩٠): ((الذي عليه الأئمة، وأكثر العلماء أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه، وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا ﷺ أو بما تواتر عنهم)). وينظر: التبصرة في أصول الفقه؛ للشيرازي (ص٢٨٥)، والمستصفى؛ للغزالي (ص١٦٥-١٦٦)، وأحكام القرآن؛ لابن العربي (٣٨/١).

(٢) التواتر في اللغة: التتابع؛ وهو مجيء الشيء يتلو بعضه بعضاً من غير تخلل.

وفي الاصطلاح: خبر عن محسوس، أخبر به جماعة، بلغوا في الكثرة مبلغاً تحيل العادة تواطؤهم على الكذب فيه. ينظر: أعلام النبوة؛ للماوردي (ص١١٣)، وفتح الباري (٢٨/١)، والقاموس المحيط (ص٦٣١)، ونظم المتناثر؛ للكتاني (ص٩).

(٣) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٧٦-٣٧٧).

الشبهة الثالثة: الاستدلال بحديث الاستسقاء بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وهو عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا، استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه؛ فقال: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا؛ فُيسقون"[(1)][(2)].

الرد على الشبهة:

قال الشيخ البيحاني -رحمه الله- في الرد على ذلك: ((وليس فيه ما يصح له به الاستدلال، بل هو حجة لنا، وعلى عدونا بحمد الله، وإن رآه حجة له؛ لأنه يفيد التوسل برسول الله ﷺ حال حياته، حيث كانوا يطلبون منه الدعاء، ويستسقون به إذا قحطوا؛ كما في حديث أنس: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة والنبي ﷺ قائم يخطب؛ فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله عز وجل يغيثنا؛ فرفع يديه؛ ثم قال : «اللهم أغثنا اللهم أغثنا...» فذكر الحديث، وفيه الدعاء بإمساكها، رواه البخاري[(3)]، ومسلم[(4)]، ولتعذر الدعاء منه بعد موته، طلبه عمر من العباس -رضي الله عنهما-؛ كما في رواية: "قم يا عباس فادع"؛ فقام رضي الله عنه وقال :" اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك؛ لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة،

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الجمعة، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢/٢٧) ح (١٠١٠).

(٢) ينظر: بحث التوسل؛ ضمن كتاب "تحقيق الكلام في المسائل الثلاث" (ص٢٧١)، والصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٧٧).

(٣) كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (١/٣٤٤) ح (٩٦٤).

(٤) كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء (٢/٦١٢-٦١٣) ح (٨٩٧).

فاسقنا الغيث"، فأرخت السماء مثل الجبال، حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس.[1]))[2].

الشبهة الرابعة: الاستدلال بحديث الأعمى؛ ونصه: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ؛ فقال: ادع الله أن يعافيني؛ قال: «إن شئت دعوت لك، وإن شئت أخرت ذاك، فهو خير»؛ فقال: ادعه؛ فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه، فتقضي لي، اللهم شفعه في»[3][4].

الرد على الشبهة:

الرد على هذه الشبهة من وجهين كما ذكر ذلك الشيخ البيحاني –رحمه الله–:

الأول: أن الحديث في صحته نظر؛ فهو غير ثابت[5].

الثاني: أن المراد بالحديث –على فرض صحته– هو التوسل بدعاء النبي ﷺ؛ ((فالمراد بقوله: بنبيك: بدعاء نبيك وشفاعته، بل هذا متعين؛ بدليل قول الضرير:

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢٦/٣٥٩-٣٦٠)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٤٩٧): ((وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر...)).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٧٧-٣٧٨).

(٣) تقدم تخريجه (ص٣٤١).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص٣٨١).

(٥) ينظر: المصدر السابق (ص٣٨٢-٣٨٣)، والصواب أن الحديث صحيح؛ كما تقدم بيان ذلك (ص٣٤١).

ادع الله أن يعافيني، وقوله ﷺ: «إن شئت دعوت»، وقوله في الدعاء: اللهم فشفعه فيَّ))[1]؛ أي: ((اللهم اقبل شفاعته ﷺ فيَّ؛ أي: اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري))[2].

فالحادثة كلها تدور حول الدعاء، وليس فيها ما يدل على التوسل بذات النبي ﷺ، ((ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه؛ لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه؛ بأن يقول مثلاً: اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني، وتجعلني بصيراً، ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم المتوسل به، بل لابد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة، وطلب الدعاء منه له))[3].

الشبهة الخامسة[4]: الاستدلال بحديث الدعاء عند الخروج إلى الصلاة، وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[5]، عن رسول ﷺ أنه قال: «من خرج من بيته إلى الصلاة الصلاة وقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا إليك، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا رياءً ولا سمعةً، وخرجت اتقاء سخطك، وابتغاء

---

(١) ينظر: الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٨٢).

(٢) التوسل أنواعه وأحكامه؛ للألباني (ص٧٢).

(٣) المصدر السابق (ص٧٠).

(٤) ينظر: الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٨٣).

(٥) هو: أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر الأنصاري الخزرجي الخدري، مشهور بكنيته، استصغر بأحد، وهو أحد المكثرين من رواية الحديث، توفي سنة ٦٣هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، والإصابة في تمييز الصحابة (٧٨/٣).

مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك»[(١)].

الرد على الشبهة:

رد الشيخ البيحاني –رحمه الله– على هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أن الحديث ضعيف؛ فلا يُحتج به[(٢)].

الثاني: ((لو سلمنا صحته؛ ما كان فيه دليل التوسل؛ لخلوه منه، إذ الباء فيه للتعدية والتبعيض، وعلى الأول يكون المراد: أسألك حق السائلين عليك؛ وهو: الإجابة، وحق ممشاي هذا إليك؛ وهو: الأجر والثواب، وسأل فعل يتعدى بنفسه وبالباء، وعلى الثاني يكون: أسألك من حق السائلين عليك، وحق ممشاي إليك، وقد جعل الله إجابة الدعاء حقاً على نفسه، وكذلك مكافأة المحسن بإحسانه؛ وقال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧]، وفي الحديث: «حق الله على عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله: أن لا يعذبهم إذا فعلوا ذلك»[(٣)]، وكل من جاء بهذا الدعاء فهو متوسل بعمله الصالح،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧/٢٤٧) ح (١١١٥٦)، وابن ماجه؛ كتاب: المساجد والجماعات، باب: المشي إلى الصلاة (١/٢٥٦) ح (٧٧٨). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١/٨٠٣).

(٢) ينظر: الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٨٣-٣٨٤).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب: الرقاق، باب: من جاهد نفسه في طاعة الله (٨/١٠٥) ح (٦٥٠٠)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/٥٨) ح (٣٠)؛ من حديث معاذ بن جبل ﷺ.

الذي هو سؤاله، ومشيه إلى الصلاة[1]))[2].

كذلك لأهل الباطل شبهات أخرى يستدلون بها على باطلهم؛ أطال علماء اليمن -رحمهم الله- في بيانها وتفنيدها بما لا يتسع المقام هنا لسردها[3].

---

(١) وقيل: لأن فيه التوسل بحق السائلين على الله، وبحق ممشى المصلين، فما هو حق السائلين على الله تعالى؟ لا شك أنه إجابة دعوتهم، وإجابة الله دعاء عباده صفة من صفاته ﷻ، وكذلك حق ممشى المسلم إلى المسجد؛ هو: أن يغفر الله له، ويدخله الجنة، ومغفرة الله تعالى، ورحمته، وإدخاله بعض خلقه ممن يطيعه الجنة، كل ذلك صفات له تبارك وتعالى، وبهذا تعلم أن الحديث الذي يحتج به المبتدعة ينقلب عليهم بعد فهمه الفهم الصحيح. ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٠٣)، والتوسل أنواعه وأحكامه (ص٩٨-٩٩).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٨٥).

(٣) ينظر: بحث "التوسل"؛ للمعلمي؛ ضمن "تحقيق الكلام في المسائل الثلاث" (ص٢٦٠-٢٨٧)، والصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣٧٣-٣٩٧).

المبحث الرابع: الرد على الشبهات التي يستدل بها المخالفون على مشروعية عبادة غير الله.

أورد العلامة المعلمي –رحمه الله– جملة من الشبه العامة التي يستدل بها المخالفون على عبادة غير الله تعالى؛ وبيانها كما يلي:

الشبهة الأولى: شبهة: عُبَّاد الأصنام.

من الشبه التي ذكرها العلامة المعلمي –رحمه الله– شبهة عُبَّاد الأصنام، وهذه الشبهة موجودة بين العوام والسُّذَّج من الناس، ومن لوَّثت أفكارهم الأفكار الدخيلة على الإسلام؛ وهي قولهم: ((أرأيت تعظيمنا لأصنامنا التي جعلناها رمزاً لله تعالى، وتعظيم المسلمين للكعبة، والحجر الأسود، وتعظيم العاشق –مثلاً– منزلة معشوقته غير مُتديِّن بذلك، ما الفرق بين هذه الثلاثة حتى زعمتم: الأول شركاً.

والثاني: إيماناً.

والثالث: ليس بشرك ولا إيمان؟))[1].

والرد على هذه الشبهة؛ كما كر ذلك المعلمي –رحمه الله– هو: ((أن الفرق أنكم تُعظِّمون أصنامكم تعظيماً تطلبون به النفع الغيبي؛ وتلك عبادة، ولم يُنزل الله تعالى بذلك سلطاناً، فليست عبادة له، بل هي عبادة للأصنام.

والمسلمون يصنعون ما يصنعون بالكعبة، والحجر الأسود طاعة لأمر الله تعالى الذي أنزل به سلطاناً، فتلك عبادة لله تعالى.

والعاشق لا يَطلُب بتعظيم منزل معشوقته نفعاً غيبياً فليس فعله بعبادة أصلاً.

وبعبارة أخرى: أنتم كذبتم على الله ﷻ، وكذَّبتم رُسُله، والمسلمون صدقوا على الله تعالى، وصدَّقوا رُسُله، والعاشق لا صدَّق ولا كذَّب؛ وقد قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٢-

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٨٣٠).

٣٣]...))[1].

الشبهة الثانية: شبهة عُبَّاد الأشخاص الأحياء:

ومن الشبه التي ذكرها العلامة المعلمي -رحمه الله- شبهة عُبَّاد الأشخاص الأحياء، ومثَّل لها بأبرز من ادعى الألوهية؛ قال -رحمه الله-: ((لو قال قوم فرعون: إننا في تعظيمنا لفرعون ظننا أنه مقبول عند الله تعالى؛ بدليل أنه سوَّى خَلْقَه وعافاه وملَّكه، فعظَّمناه لذلك؛ كما يُعظِّم المسلمون من يظنون به الصلاح منهم))[2].

والرد على هذه الشبهة: كما ذكر المعلمي -رحمه الله-: أن ((المسلمين إنما يُكرِّمون من يظنون به الصلاح، وإنما يظنون بالرجل الصلاح إذا كان محافظاً على طاعة الله ﷻ، الطاعة التي أنزل الله بها سلطاناً، وعندهم من الله تعالى سلطاناً بأن ذلك دليل على الصلاح.

ولم يكن عند قوم فرعون سلطان من الله تعالى بأن تسوية الخِلْقة والمعافاة والتمليك تدل على الصلاح، وإنما يكرم المسلمون صلحاءهم إكراماً عندهم سلطان من الله تعالى به، فلا يسجدون لصالحيهم؛ لأنهم ليس عندهم سلطان بشرع السجود لهم، وقِس على ذلك.

وأما قوم فرعون فعظموه بما لم يُنزل الله تعالى به سلطاناً فهو مخالف لحكم الإسلام، فلا يُلتفَت إليه))[3].

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٨٣٠-٨٣١).

(٢) المصدر السابق (٢/٨٣٢).

(٣) المصدر السابق (٢/٨٣٢-٨٣٣).

الشبهة الثالثة: شبهة النصارى في تعظيمهم للصليب:

ومن الشبه التي تطرق إليها المعلمي -رحمه الله- شبهة النصارى في تعظيمهم للصليب؛ حيث قال: ((وإن قال النصارى: إننا إنما نعظم خشبة الصليب بناءً على أن عيسى -عليه السلام- صُلِب بها، وأنتم تُعظِّمون الكعبة، والحجر الأسود، ومقام إبراهيم، وزمزم، وغيرها من آثار إبراهيم...))[١].

وقد رد -رحمه الله- على هذه الشبهة؛ بقوله ((قلنا: أما أنتم فليس عندكم سلطان من الله تعالى بتعظيم خشبة الصليب ولا تعظيم صورتها، وأما صلاتنا إلى الكعبة وطوافنا بها وتقبيلنا الحجر الأسود وصلاتنا إلى مقام إبراهيم، فكل ذلك عندنا به سلطان من الله ﷻ، ولسنا نصنع شيئاً من ذلك لأنها آثار، وإنما نصنع ذلك طاعة لله ﷻ وامتثالاً لأمره...))[٢].

الشبهة الرابعة: شبهة للنصارى واليهود في شأن الأحبار والرهبان:

ومن الشبه التي تطرق إليها المعلمي -رحمه الله- شبهة للنصارى واليهود في تبرير طاعتهم لأحبارهم ورهبانهم؛ حيث قال: ((وإن قال النصارى واليهود: إنكم معشر المسلمين تطيعون علماءكم؛ كما أطعنا أحبارنا ورهباننا))[٣].

وقد رد -رحمه الله- على هذه الشبهة؛ بقوله: ((أما أهل العلم والدِّين منا فإنهم لا يطيعون في الدِّين إلا الله تعالى ورسوله ﷺ، وإنما يقبلون أقوال العلماء على أنهم رواة مبلِّغون عن الله ورسوله، ولذلك لا يطيعون أحداً من العلماء تبين لهم أن قوله يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإذا قبلوا قول عالم ثم تبيَّن لهم مخالفته لكتاب الله وسنة رسوله تركوه، ومن كان من المسلمين على غير هذه الطريقة فهو على خلاف الشريعة، فلا يُلتفَت إليه))[٤].

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٨٣٣/٢).

(٢) المصدر السابق (٨٣٣/٢-٨٣٥).

(٣) المصدر السابق (٨٣٥/٢).

(٤) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٨٣٥/٢).

الشبهة الخامسة: شبهة عبَدَة الملائكة:

ومن الشبه التي تطرق إليها المعلمي -رحمه الله- شبهة عبَدَة الملائكة؛ حيث بيَّن أنهم فريقان:

((**الفريق الأول**: من يزعم أن الملائكة يتصرفون بهواهم واختيارهم، ومن هؤلاء وثنيُّو الهند واليونان والمصريون القدماء، وشبهتهم القياس على البشر، وربما يحتجون علينا بقول بعض المسلمين: إن أرواح الأنبياء والأولياء تتصرف في الكون باختيارها))[1].

ثم رد -رحمه الله- على هذا الفريق وشبهته؛ بأن ((الله تعالى قد سحق شبهتهم ومحقها بحيث لم يبق لها عين ولا أثر، وذلك بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]))[2].

((وتقرير هذا البرهان: أنه لو كان مع الله تعالى أحياء يُدبِّرُ كلٌّ منهم الخلق والرزق ونحوهما من الأمور العظمى في العالم تدبيراً مستقلاً؛ لاختلفوا، وإذا اختلفوا فسدت السموات والأرض، كما أن الأمور الصغيرة التي يُدبِّرها الناس مستمرة الفساد.

ولا ريب أن قدرة الناس لو تتناول نحو إنزال المطر ومنعِه، وإرسال الرياح وحبسها، وتسيير الهواء ورفعه، وتحريك الزلازل ونحو ذلك؛ لكان الفساد أظهر، ومعلوم بالمشاهدة أن الأمور العظمى لا يتطرق إليها الفساد، وما قد يظهر في بعضها مما يُتوهَّم فساداً تُعلم مصلحته عند التدبر، فُعلِم بذلك أنه ليس في العالم مع الله تعالى أحياء كلٌّ منهم يُدبِّر تدبيراً مستقلاً.

والمراد بالآلهة هنا الجنس؛ أي: واحد مع الله فأكثر؛ لأن الفساد كما يلزم من وجود ثلاثة مثلاً مع الله يَلزم من وجود اثنين وواحدٍ -أيضاً-.

وقد عُلم من هذا البرهان إبطال ما يزعمه المشركون من أن الملائكة متمكنون من التصرف بهواهم واختيارهم؛ كالبشر، وبيان ذلك: أن الفساد كما يلزم من تصرفهم

---

(١) المصدر السابق (٢/٨٥٠).

(٢) المصدر السابق (٢/٨٥١).

بهواهم واختيارهم بناءً على أنهم مُدبرون استقلالاً، فكذلك يلزم من تصرفهم بهواهم واختيارهم بناء على أن الله ﷻ مكَّن لهم في ذلك كما مكَّن للبشر في الأرض؛ فإن تصرف البشر يحدُثُ منه الفساد قطعاً، وذلك معلوم بالمشاهدة، ولو تناولتْ قدرتُهم الأمور العظمى ومُكِّنوا من التصرف فيها تمكينهم من الصغرى؛ لظهر الفساد فيها حتماً.

وبهذا التقرير اجتُثَّت شبهة المشركين من أصلها...))[1]، ((وأما قول بعض المسلمين فخطأ منهم))[2].

((**الفريق الثاني**: من لا يُثبت للملائكة اختياراً إلا في الشفاعة على تردُّد منهم في ذلك، ومن هؤلاء مشركو العرب))[3].

ثم أوضح –رحمه الله– أن ((شبهة هذا الفريق هي القياس على ملوك الدنيا؛ كأنهم يقولون: إننا نرى الملِك من ملوك الدنيا لا يخلو أن يكون لديه أشخاص مُقرَّبون تعرض الناس عليهم حوائجهم، فيعرضها المقرَّبون على الملك، ويسألونه قضاءها؛ فيقضيها إكراماً لهؤلاء المقرَّبين، ويُعد هذا من تمام عظمة الملِك؛ لأن مِن الحوائج ما لا يحسُن عرضها على الملِك بدون واسطة، ومن أصحاب الحوائج مَن لا يليق لمخاطبة الملك؛ إما لدناءته وإما لإساءة تقدَّمت منه، ومنهم مَن لا يستحق أن تُقضى حاجته ولكن إذا شفع فيها أحد المقربين قضاها الملِك؛ لأن ذلك المقرَّب يستحق الإكرام))[4].

والرد على هذه الشبهة: كما ذكر ذلك العلامة المعلمي –رحمه الله–؛ من وجوه؛ ومنها:

الوجه الأول: أن الله ﷻ قد أبطل ((هذه الشبهة بإخباره أن الملائكة لا يشفعون إلا بعد أن يأذن لهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، فهم بغاية التعظيم لربهم

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (١/٣٥٠-٣٥١).

(٢) المصدر السابق (٢/٨٥١).

(٣) المصدر السابق (٢/٨٥١).

(٤) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٨٥١).

ﻷ، والمحبة له، والاجتهاد في مرضاته، إن أحبوا أن يشفعوا لأحد فإنما ذلك لعلمهم بأن ربهم تبارك وتعالى يُحب الشفاعة له ويرضاها.

وقد أخبر الله تعالى عن بعض شفاعتهم؛ بقوله: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾[الشورى:٤-٦].

وبيَّن استغفارهم لمن هو؟ بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[غافر:٧-٩].

فأنت تراهم إنما شفعوا لمن تاب واتَّبع سبيل الله تعالى؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة:٢٢٢].

وإذا كان الأمر كذلك؛ فطريق التوصل إلى شفاعة الملائكة؛ إنما هي بطاعة الله تعالى، واتِّباع سبيله، والتوبة من الذنوب، ونحو ذلك.

فأما تعظيمهم فإنه لا يحملهم على الشفاعة، بل إذا علموا أن تعظيمهم معصية لله تعالى وكُفر به؛ كان أبغض الأشياء إليهم، فهم إلى أن يسألوا الله تعالى تعذيب فاعله أقرب من أن يشفعوا له، وكذا يُقال في سؤال الشفاعة منهم))(١).

الوجه الثاني: بيان أن قياسهم على ملوك الدنيا ((غلط واضح؛ فإن ملوك الدنيا مفتقرون إلى أن يكون لديهم من يبلغ حوائج الناس إليهم.

أولاً: لجهل الملِك؛ فلا يتيسر له العلم بحوائج الرعية كلهم.

ثانياً: لعجزه؛ فلا يستطيع الاستماع إلى كل أحد.

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٨٥٢/٢-٨٥٣).

ثالثاً، ورابعاً، وخامساً: لفقره، وبخله، ورثائه، فهو لا يقدر، أو لا يريد قضاء الحوائج كلها، ولا يُحب أن يعلم الناس أنه فقير، أو بخيل، فهو يُرائي الناس بأن يوكِّل وسائط لسماع الحوائج حتى يقضيَ منها ما أراد، ويترك ما أراد، فيظن العامة أنه ليس به فقر أو بخل ولكن الوسائط لم يُبلِّغوه.

سادساً: لخيلائه؛ لا يحب أن يصل إليه الضعفاء والمساكين.

سابعاً: لخوفه أن يكون في غمار الناس من يريد قتله.

ثامناً: لحقده؛ فلا يحب أن يتصل به من قد أساء إليه.

تاسعاً: لاحتياجه إلى أولئك المقرَّبين؛ ليسعوا في معونته وتأييد ملكه، فهو يوهمهم أنه لم يكن يريد أن يقضيَ تلك الحوائج لولا شفاعتهم.

عاشراً: لخشيته من رؤوس الناس؛ أن يسعوا في زوال ملكه، فهو يُداريهم بأن يمنحهم الرياسة والإمارة والوساطة بينه وبين الرعية.

وهناك أسباب أخرى من هذا القبيل؛ منها: خوف الملِك من نفسه أن يغضب في غير موضع الغضب، أو يبخل في غير موضع البخل، أو يكافئ على الإحسان بأقل مما ينبغي، أو يعاقب على الذنب بأشد مما ينبغي، وأشباه ذلك، وكلها نقائص لا يخفى أن الله ﷻ متعالٍ عنها، وعن أشباهها.

والمقرَّبون إلى ملوك الدنيا يرون أن لهم حقاً أن يشفعوا إلى الملوك، وأن تُقبل شفاعتهم؛ لأمور:

منها: علمهم بما تقدم من النقائص في الملوك.

ومنها: أنهم يرون لأنفسهم حقاً على الملوك؛ لتأييدهم لملكهم، وسترهم عيوبهم، وإظهارهم محاسنهم، وقدرتهم على أن يضرُّوا الملوك إذا أرادوا، وغير ذلك.

ولا يأتي هذا في الملائكة؛ لأنهم يعلمون أن ربهم ﷻ مبرأ من كل نقص، غني عنهم وعن غيرهم، قادر على كل شيء، لا يستطيع أحد أن يضره، هذا مع كمال الملائكة في أنفسهم، وخضوعهم الكامل لربهم سبحانه، وحرصهم على مرضاته.

ورعيَّة ملوك الدنيا بغاية الحاجة إلى أن يكون لهم شفعاء إلى ملوكهم، لعلمهم

بنقائص الملوك التي تقدمت، ومن عرف الله تعالى علم أنه عالم الغيب والشهادة فلا يخفى عليه شيء من مصالح عباده، وإذا أراد أمراً فقد علِم أنه كائن، وما علِم أنه كائن فهو كائن لا محالة، ولو شفع إليه الخلق كلهم أن يرجع عما أراده لما أمكن ذلك، وأنه سبحانه أحكم الحاكمين أرحم الراحمين، فالحاجة التي يريدها العبد إن كانت مما قد سبق العلم بها واقتضتها الحكمة والرحمة فهي كائنة ولا بدَّ، ويكفي في طلبها طاعة الله ﷻ، ودعاؤه والخضوع له، كما يقتضيه مقام العبودية، وإلا فلو شفع إليه خلقه كلهم فيها لما حصلت، فأي فائدة للشفاعة مع هذا؟ وما أحمق من يتوهم أن يكون أحدٌ أرحمَ به من ربه تعالى!))[1].

الوجه الثالث: أما قولهم: أن ((من الحوائج ما لا يحسُن عرضُها على الملِك بدون واسطة))؛ فقول باطل؛ إذ ((لا معنى له بالنسبة إلى الله تعالى؛ لأنه هو العليم الخبير الرؤوف الرحيم، فليس من حاجة لا يحسُن عرضها عليه، بل إن من الحوائج ما يحرم على الإنسان أن يذكرها لمخلوق ويجب عليه أن يدعو الله ﷻ لها؛ وذلك كالفواحش إذا وقعت منه؛ لم يكن له إظهارها لأحد من الناس، ويجب أن يدعو ربه؛ ويقول مثلاً: يارب إني ظلمت نفسي بإصابة الفاحشة؛ فاغفر لي، وكذلك من الأشياء ما يُتحاشى من ذكرها للناس؛ كالأمراض السِّريَّة، ولا حرج في أن يذكرها في دعاء الله ﷻ.

فإن كان قصدكم أن من حوائج الناس ما يكون في معصية الله ﷻ؛ فالملائكة أبعد من أن يشفعوا في معصيته، ولو شفعوا لحصول معصيته؛ لكانوا عُصاة، فإن وقع منهم ما يُوهم الرضا بمعصيته؛ فذلك غضب على ذلك العاصي ورغبة في بقائه

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٨٥١-٨٥٤).

على المعصية ليَتمَّ له استحقاق العذاب؛ كما رُوي في دسِّ جبريل –عليه السلام– الحمأة في فرعون[1] إن صحَّ... .

ومما يشبه ذلك دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه؛ قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾[يونس:٨٨]))[2].

الوجه الرابع: وأما قولهم: ((إن من أصحاب الحوائج من لا يليق لمخاطبة المِلِك؛ لدناءة، أو إساءة))؛ فإنه ((لا يصح في حق الله ﷻ؛ فإنه سبحانه البرُّ الرحيم، لا يأنفُ من سماع دعاء أحد من خلقه، كيف وهو ربهم وبارئهم؟ ومن أساء منهم؛ لا يخلو أن يكون جاء تائباً، أو غير تائب، فإن كان تائباً؛ فإن التوبة تمحو الإساءة السابقة وتُوجب محبَّة الله تعالى للتائب؛ قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ** ﴾[البقرة:٢٢٢]... .

وفي صحيح مسلم[3] عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله؛ فيغفر لهم»... .

وإن كان غير تائب؛ فالملائكة، والأنبياء، والصالحون كلهم لا يحبونه، ولا

---

(١) حيث روي بلفظ: «إن جبريل كان يدس في فم فرعون الطين؛ مخافة أن يقول: لا إله إلا الله». أخرجه أحمد في مسنده (٤/٤٥) ح (٢١٤٤)، والترمذي؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة يونس (٥/١٣٩) ح (٣١٠٨)؛ وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: التفسير، قوله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ** ﴾[يونس:٩٠] (١٠/١٢٥) ح (١١١٧٤)؛ من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–. وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/١٠٨).

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٨٥٥–٨٥٦).

(٣) كتاب: التوبة، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار (٤/٢١٠٦) ح (٢٧٤٩).

يحبون أن تُقضى حاجته، والله تعالى أرأف به منهم، وأرحم، ولذلك سمّى نفسه أرحم الراحمين؛ وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٣٠].

وقال تعالى لخاتم أنبيائه ﷺ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[آل عمران:١٢٨].

أخرج البخاري[1]...، عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول: «اللهم العن فلاناً، وفلاناً، وفلاناً»، بعد ما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»، فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾.

وروى الترمذي[2] حديث ابن عمر بلفظٍ آخر، وزاد فيه: فتاب الله عليهم فأسلموا فحسُن إسلامهم...))[3].

---

(١) في صحيحه؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[آل عمران:١٢٨] (٦/٣٨) ح (٤٥٥٩).

(٢) في سننه؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران (٥/٧٨) ح (٣٠٠٤)؛ بلفظ: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية»، قال: فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[آل عمران:١٢٨]، فتاب الله عليهم، فأسلموا فحسن إسلامهم. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/٤).

(٣) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٨٥٦-٨٥٨).

الوجه الخامس: قولهم: ((ومنهم مَن لا يستحق أن تُقضى حاجته، ولكن إذا شفع فيها أحد المقرَّبين قضاها الملِك؛ لأن ذلك المقرَّب يستحق الإكرام))؛ جوابه: ((أن الملائكة بغاية التعظيم لربهم ﷻ؛ لعلمهم بأنه وسع كل شيء رحمة وعلماً؛ كما حكى الله تعالى عنهم في كتابه أنهم يقولون: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[غافر:٧]، وذلك يقتضي ألَّا يشفعوا لأحد إلا بأمره أو بإذنه، وقد صرَّح بذلك في القرآن كما تقدم مراراً، فإن شفعوا لهذا الذي فُرض أنه غير مستحق لحاجته، فإن أمرهم الله بالشفاعة فلم يأمرهم بها حتى جعل برحمته المشفوع له مستحقاً، ولا بدَّ أن يطيعوا الله فيشفعوا.

وعلى فرض أنهم لا يشفعون؛ فقد كفى في حصول الحاجة أن الله ﷻ قد أراد قضاءها؛ فلا بدَّ أن يقضيها شفعوا أم لم يشفعوا، وإن أذن لهم فيها على أنهم مخيَّرون إن شاء شفعوا وإن شاء لم يشفعوا، فالملائكة عباد مُطهَّرون لا يمتنعون من شفاعة قد أذن لهم ربهم فيها.

وإن فرضنا لإمكان ألا يشفعوا؛ فالظاهر من حكمة الله ﷻ ورحمته أنه لم يأذن لهم في الشفاعة في تلك الحاجة إلا وقد أراد قضاءها، فلا يمنعه مما أراده عدم شفاعتهم، وعلى فرض أنه لا يقضيها إذا لم يشفعوا؛ فما الطريق إلى حملهم على الشفاعة؟ لا سلطان عندكم على أنه يحملهم على الشفاعة تعظيمهم أو السؤال منهم، بل إنه يُعْلَم من تعظيمهم ربهم ﷻ أنهم يبغضون أن يُعظَّموا، أو يُدْعَوا مِن دونه، وأنهم لا يحبون إلا من يُعظِّم ربهم ويبجِّله.

فعُلم بذلك أن الطريق إلى تحصيل شفاعة الملائكة هي الاجتهاد في طاعة الله عز وجل وإخلاص العبادة له سبحانه...))[1].

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٨٦٦-٨٦٧).

البـــــــاب الثاني
التحذير من الشرك عند علماء اليمن
والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: إيضاح علماء اليمن لحقيقة الشرك وبيان خطورته والرد على المخالفين في ذلك.

الفصل الثاني: بيان علماء اليمن لسبب الشرك والرد على المخالفين في ذلك.

الفصل الثالث: بيان علماء اليمن لأنواع الشرك والرد على المخالفين في ذلك.

تمهيد:

لما كان الشرك بالله تعالى أعظم الذنوب التي عُصي الله بها؛ فقد جاءت النصوص الشرعية محذرة منه، ومبينة أنه في غاية القبح والشناعة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٤٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[المائدة:٧٢].

ويكفي في بيان قبح الشرك وشناعته أن الله تعالى يُوحي لكل رسول -وهم خير خلق الله- ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[الزمر:٦٥].

ولأجل الحذر من هذا الخطر استعاذ منه الخليل إبراهيم -عليه السلام- بقوله ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾[إبراهيم:٣٥]، بل كان النبي ﷺ يستعيذ منه، وهو أعلم الناس بربه وأشدهم خشية منه، ((والمتأمل في سيرته ﷺ بعد البعثة ليجدها سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد الدائب لإعلاء كلمة التوحيد، وتقويض دعائم الشرك، ومحاربة الوثنية في كل صورها ومظاهرها، فقد قضى ثلاثة عشر عاماً في مكة من سني بعثته لا شغل له إلا إقرار العقائد الصحيحة، والدعوة إلى التوحيد، حتى طهر جزيرة العرب من عبادة الأوثان، وجرى أصحابه -رضي الله عنهم- على هذه الطريقة في كل موطن نسجت منه عناكب الشرك؛ فأبادوا الأصنام وما يُشبه الأصنام...، وتفقهوا في الدِّين، فأخذوا في إبعاد الناس عن عقيدة الشرك بطريق الجزم، وسدوا الذرائع التي قد تفضي إليه...))[(١)].

وقد سلك علماء اليمن -رحمهم الله- هذا المسلك في التحذير من الشرك، وبيان عظيم خطره، والرد على شبه أهله والتحذير منها؛ وبيان ذلك كما في الفصول التالية:

---

(١) مصرع الشرك والخرافة (ص٢٨).

الفصل الأول: **إيضاح علماء اليمن لحقيقة الشرك ،وبيان خطورته والرد على المخالفين في ذلك.**

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: حقيقة الشرك.

المبحث الثاني: بيان خطورة الشرك .

المبحث الثالث: المقارنة بين شرك أهل الجاهلية وشرك عباد القبور.

المبحث الرابع: الرد على عباد المقابر ببيان شبههم وإبطالها .

المبحث الأول: حقيقة الشرك.

أولاً: معنى الشرك لغة:

الشرك في اللغة: هو المقارنة وخلاف الإنفراد، ويُطلق على المخالطة والمصاحبة والمشاركة.

قال ابن فارس -رحمه الله-: ((الشين والراء والكاف أصلان، أحدُهما يدلُّ على مقارنة وخِلافِ انفراد، والآخر يدلُّ على امتداد واستقامة.

فالأول الشِّرْكة؛ وهو أن يكون الشيءُ بين اثنين لا ينفردُ به أحدهما، يقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صِرْت شريكه، وأشركْت فلاناً، إذا جعلتَه شريكاً لك))[1] .

وقال الراغب الأصفهاني-رحمه الله-:((الشِّركةُ والمشاركة: خلط المِلكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً؛ عيناً كان ذلك الشيء، أو معنى؛ كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانية))[2].

وقال صاحب اللسان: ((الشِّرْكَةُ والشَّرِكة سواء؛ مخالطة الشريكين، يقال: اشترَكنا بمعنى تَشارَكنا، وقد اشترك الرجلان وتَشارَكا وشارَك أَحدُهما الآخر...، والشَّريكُ المشارِك، والشِّرْكُ كالشَّريك...، والجمع أَشْراك وشُرَكاء))[3].

ويُطلق -أيضاً- على النصيب، والتسوية:

قال الأزهري -رحمه الله-: ((يُقال: شريِك وأشراك؛ كما قالوا: يتيم وأيتام، ونصير وأنصار، والأشراك -أيضاً- جمع الشرك؛ وهو النصيب؛ كما يقال: قِسم وأقسام))[4].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (١/٥٣٥).

(٣) لسان العرب (١٠/٤٤٨).

(٤) تهذيب اللغة (١٠/١٣).

وقال صاحب اللسان: ((يقال: طريق مشترك؛ أي: يستوي فيه الناس، واسم مشترك: تستوي فيه معاني كثيرة))[1].

ثانياً: معنى الشرك اصطلاحاً:

تقدم في الكلام على معنى التوحيد ما يدل على أنه لا يستقيم تحقيق التوحيد إلا بعد تحقيق جانبي الإثبات والنفي؛ بأن ينفي الإنسان عبادة غير الله ﷻ، ويحصر العبادة لله ﷻ[2].

فالإيمان الذي ينفع صاحبه لا يتحقق إلا بترك الشرك مطلقاً، وعدم صرف شيء من العبادة لغير الله ﷻ، ولهذا قال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله»[3].

فلا بد لمن نطق بهذه الكلمة مُوقناً بها مِن نبذ ما يُعبد من دون الله ﷻ؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وعلى هذا؛ فحقيقة الشرك في الألوهية: هو اتخاذ شريك لله ﷻ في العبادة؛ وهو ما أفصح عنه علماء اليمن في بيانهم لحقيقة الشرك:

فأما العلامة الصنعاني -رحمه الله- فقد بيَّن حقيقة الشرك بقوله: ((**إفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له، والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستعانة بالله وحده، واللجأ إلى الله، والنذر، والنحر له تعالى، وجميع أنواع العبادات؛ من الخضوع، والقيام تذللاً لله تعالى، والركوع، والسجود، والطواف، والتجرد عن الثياب، والحلق والتقصير؛ كله لا يكون إلا لله ﷻ.**

---

(١) لسان العرب (١٠/٤٤٨).

(٢) ينظر: (ص١٠٠) من البحث.

(٣) تقدم تخريجه (ص١٥٨).

ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق؛ حي، أو ميت، أو جماد، أو غير ذلك؛ فقد أشرك في العبادة، وصار من تُفعل له هذه الأمور إله لعابديه، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجراً، أو قبراً، أو جنياً، أو حياً، أو ميتاً، وصار العابد بهذه العبادة، أو بأي نوع منها، عابداً لذلك المخلوق، مشركاً بالله، وإن أقر بالله وعبده))[1].

فمن صرف شيئاً من تلك العبادات لغير الله ﷻ فقد أشرك في العبادة؛ وهذه هي حقيقة الشرك.

ومثله قال العلامة النُّعمي -رحمه الله- في بيان حقيقة الشرك؛ حيث قال: ((لا نعلم كبير معنى للشرك -إذ نعاه الله إلى أهله- سِوى: باب العمل لغيره، والدعاء لسواه، وما يستتبعانه، أو ينشآن عنه، وإن كان العمل لها لم يقع إلا للاستشفاع، لا للاستحقاق بالذات؛ كما هو صريح ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]))[2].

ومثله -أيضاً- قال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله؛ حيث قال بعد ذكره لجمله من العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ[3]:((فهذه العبادات لا تصلح إلا لله، ولا تنبغي لسواه، وتحقيق هذا المعنى هو في قول "لا إله إلا الله"؛ فهذه الكلمة تقتضي أن لا إله غير الله؛ أي: لا معبود إلا الله، وهو الذي يُطاع فلا يُعصى؛ هيبة له وإجلالاً، ومحبةً وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك إلا لله ﷻ، وليس لأحد من المخلوقين من ذلك شيء، فمتى صرف العبد شيئاً من عبادته لغير الله فقد أشركه مع الله، وكان ذلك نقصاً في توحيده بحسب ما وقع من التعبد لغير الله، فإن معنى أشركت زيداً: جعلت له قسطاً،

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٨).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٧٥٨-٧٥٩).

(٣) ينظر: قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٩٩-١٢٠).

فالإشراك في الدِّين: أن تجعل منه شيئاً لغير الله))[1].

وأكد في موضع آخر أن من صرف شيئاً من العبادات لغير الله ﷻ فقد ناقض كلمة التوحيد، وهذا هو حقيقة الشرك والكفر[2]؛وإن سُميت تلك العبادات بغير أسمائها؛ حيث قال :((من قصد غير الله بشيء من العبادة فقد ناقض كلمة "لا إله إلا الله" لعبادته غيره، وإن سماه بما سماه، فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه، لا لاسمه ولفظه، فمن سجد لمخلوق؛ وقال: هذا ليس بسجود له، بل هذا خضوع وتقبيل للأرض بالجبهة؛ كما أقبلها بالفم وهذا للإكرام؛ لم يخرج بهذه اللفظة عن كونها سجوداً لغير الله، ولو سماه بما سماه، وكذلك من تقرب بالذبح لمخلوق؛ من جني أو آدمي، أو دعاه، أو استعان به، أو تقرب إليه، فقد

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٠).

(٢) الفرق بين الشرك والكفر:

- أما من حيث اللغة: فإن الشرك بمعنى المقارنة وخلاف الإنفراد؛ أي: أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما -وقد تقدم قبل قليل بيان ذلك-، أما الكفر فهو بمعنى: الستر والتغطية؛ قال ابن فارس -رحمه الله- في معجم مقاييس اللغة (١٩١/٥): ((الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد؛ وهو الستر والتغطية ...، والكفر ضد الإيمان، سُمّي لأنه تغطية الحق، وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها)) .

- وأما من حيث الاستعمال الشرعي فقد يُطلقان بمعنى واحد؛ كما قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٣٥-٣٨]، وقد يفرق بينهما؛ قال النووي -رحمه الله- في شرحه على مسلم (٧١/٢): ((الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد؛ وهو الكفر بالله تعالى، وقد يفرق بينهما؛ فيخص الشرك بعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات؛ مع اعترافهم بالله تعالى، ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك)).

عبده وإن لم يسمي ذلك عبادة، بل سماه استخداماً للجن ولغيرهم، فإن الذبح عبادة؛ كما هو المراد بالنسك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾[الأنعام:١٦٢]؛ أي: ذبحي، وكذلك: الدعاء مخ العبادة[١]...، والمقصود أن هذه الأفعال عبادة؛ وإن سماها بغيرها، فالأسماء لا تُغير المعاني، فهؤلاء عُبَّاد الخلق؛ من الجن والإنس وغيرهم، فإن كان المعبود راضياً بذلك؛ فهو ولي عابده في الدنيا والآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾[الحج:١٣]))[٢]

وقال -أيضاً-: ((من سأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو قصده بشيء من العبادة؛ فقد عبده مع الله...))[٣]، وهذه هي حقيقة الشرك.

وقال في موضع آخر -مؤكداً ذلك- :((من صرف شيئاً من العبادات إلى غير الله؛ فقد اتخذه إلهاً ورباً، أما كونه اتخذه إلهاً فقد صار له مألوهاً؛ والمألوه: المعبود...))[٤].

وقال العلامة عبد الرحمن البهكلي -رحمه الله- في بيان معناه مع ذكر نوعيه: ((والشرك: جعل النِّد لله في الأفعال والصفات، فمن عمل لله ولغيره فهو مشرك، فإن كان ظاهراً؛ فشرك أكبر ظاهر، وإن كان خفياً؛ فهو الرياء))[٥].

وعرَّفه في موضع آخر؛ فقال: ((هو من يجعل لله نداً في أي شيء))[٦].

وأما العلامة الشوكاني -رحمه الله- فقد بيَّن أن الشرك: هو أن يصرف الإنسان شيئاً من خصائص الربوبية والألوهية التي يختص بها ﷻ لغيره، فيجعل ذلك الغير شريكاً ونداً لله ﷻ فيما يجب أن يكون حقاً خالصاً له ﷻ؛ حيث

---

(١) يشير إلى حديث: «الدعاء مخ العبادة»؛ وقد تقدم تخريجه (ص٢٧٦).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٥٥-٦٥).

(٣) المصدر السابق (ص٥٠).

(٤) المصدر السابق (ص٦٠).

(٥) تيسير اليسرى؛ تحقيق: محمد بن محمد حفظ الله (ص١٣٠).

(٦) المصدر السابق؛ تحقيق: عبد الحميد محمد (ص٤٠٦).

قال: ((إن الشرك: هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه، ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكاً بالصنم والوثن والإله لغير الله، زيادة على التسمية بالوليّ والقبر والمشهد؛ كما يفعله كثير من المسلمين، بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن، إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات؛ بل الشرك: هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختصّ به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلق عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسماً آخر، فلا اعتبار بالاسم مطلقاً))[1].

وبهذا البيان لمعنى الشرك جعل الشوكاني -رحمه الله- شرك الوثنيين والقبوريين شركاً واحداً؛ لأن كل منهم يصرف لغير الله ﷻ ما هو مختص به من أنواع العبادة، كما سيأتي بيان ذلك[2].

وكذلك بينه العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله- أتم البيان؛ فقال: ((فإن الشرك: هو دعاء غير الله تعالى في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، والتقرب إلى غيره بشيء مما لا ينصرف إلا إليه))[3].

وقال في موضع آخر: ((معنى الشرك: أن يُجعل لله ﷻ شريكاً في العبادة ولا يُفرده بها، وهذا المقدار هو الذي أنكره المشركون؛ وقالوا لمحمد ﷺ: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:٥]، فمن لم يوحِّد العبادة فقد أشرك ولو في جزء، وقد ساوى أهل الشرك في عبادة غير الله تعالى، وهذا يُعرف من قوله تعالى في فاتحة الكتاب؛ السبع المثاني التي لا صلاة لمن يقرأ بها من قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]، فإن لغة العرب تدل على أن المراد بهذا الحصر، ولو لم يرد

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٧٠).

(٢) ينظر: (ص٤٠٨).

(٣) إيقاظ الوسنان (لوح٣/ب).

الحصر لقال: نعبدك، وأتى بنون الجمع؛ ليستدل العارف بها أن من عبد غير الله فليس منا))[1].

وقال في موضع آخر: ((الشرك: هو أن يعمل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان يُطلقه أهل الجاهلية عليه، أو أطلق عليه اسماً آخر، فلا اعتبار بالاسم فقط))[2].

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله-: ((وأصل الإشراك: أن تجعل لشيء شركة في شيء، أشركتُ زيداً فيما شريتُ؛ جعلتُ له قسطاً، فالإشراك في الدِّين: أن تجعل منه شيئاً لغير الله))[3].

وقال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان حقيقة الشرك: ((نظرت في حقيقة الشرك فإذا هو بالاتفاق: اتخاذ غير الله ﷻ إلهاً من دونه، أو عبادة غير الله ﷻ))[4].

وقال في موضع آخر -مؤكداً ذلك-: ((الشرك: هو عبادة غير الله ﷻ))[5].

وقال العلامة العبادي -رحمه الله-[6]:

فمن يقل غير الإله يوجدُ	في الكون موجود بحق يُعبدُ
ومن لغير ربه طوعاً سجدْ	من غير إكراه فذا شركٌ يُعدْ

فبيَّن -رحمه الله- أن من قال، أو اعتقد أن أحداً غير الله ﷻ يمكن أن يُتوجه إليه بالعبادة، ويَصح أن تُصرف له العبادة أو شيء منها؛ كأن يسجد له طوعاً من

(١) المصدر السابق (ص٥٧).

(٢) المصدر السابق (لوح٣-٤).

(٣) فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (٣/٩٨٢-٩٨٣).

(٤) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص١٤٣).

(٥) المصدر السابق (ص١٤٩).

(٦) هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (ص٢٣).

غير إكراه؛ فقد وقع في الشرك؛ لأنه جاء بما يناقض كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"؛ إذ معناها: لا معبود بحق إلا الله؛ كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[الحج:٦٢]، وقد تقدم بيان ذلك(١).

وهذا الذي ذكره العلامة العبادي -رحمه الله- هو حقيقة الشرك.

كما أوضح الشيخ محمد باشميل -رحمه الله- أن جهل كثير من الناس، ((وعدم معرفتهم بحقيقة الشرك الذي كان عليه المشركون الأولون؛ هو الذي أوقعهم فيما لا يظنونه شركًا؛ وهو الشرك بعينه، ولوَّثهم بما لا يحسبونه كفراً؛ وهو الكفر ذاته؛ دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والذبح، والنذر لهم، ليشفعوا لهم ويقربوهم إلى الله زلفى، دون أن يأذن الله لهم في ذلك ...، فهؤلاء الذين يدعون الأموات اليوم، ويذبحون، وينذرون لهم، ويطوفون بقبورهم، مقدِّسين ومعظِّمين خاشعين لهم، ومتضرِّعين إليهم بقصد التوسل والتوسط بهم إلى الله، لو عرفوا أن هذا هو عين العمل الذي كان عليه العرب في الجاهلية، والذي سماه الله شركاً، واعتبره كفراً؛ لما أقدموا عليه وتمسكوا به، وثاروا وغضبوا على من أنكره عليهم))(٢).

وبهذا البيان من علماء اليمن لحقيقة الشرك؛ يُعلم أن غالب الشرك الذي جاءت النصوص الشرعية بالنهي عنه إنما هو شرك العبادة، حيث إن غالب الأمم تقر بربوبية الله ﷻ، وإنما وقع الانحراف في العبادة؛ بأن صُرفت لغير الله ﷻ.

---

(١) ينظر: (ص١٣٩).

(٢) كيف نفهم التوحيد (ص٢٧-٢٨).

المبحث الثاني: بيان خطورة الشرك.

سيأتي الكلام على أقسام الشرك؛ وأنه ينقسم إلى نوعين: شرك أكبر، وشرك أصغر، وبيان أن الشرك الأكبر: هو أن يتخذ العبد نداً لله ﷻ في العبادة؛ يدعوه، أو ينذر له، أو يذبح له، أو يخافه، أو يصرف له أي نوع من أنواع العبادة، وذلك بخلاف الشرك الأصغر؛ كما سيأتي بيانه[1].

والحديث هنا عن خطورة الشرك؛ حيث ورد في النهي عنه وبيان بطلانه آيات وأحاديث كثيرة جداً، وجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم قد أُرسلوا من أجل إبطال هذا الشرك، وبيان خطره، وتقبيح أهله، وتبيين أنهم أعداء لله ﷻ، وما أهلك الله ﷻ من الأمم السابقة إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله.

قال العلامة الصنعاني –رحمه الله–: ((فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ما سواه، وتُبيِّن أن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل، وأن التقرب إليهم باطل، وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده؛ وهذا هو توحيد العبادة، وقد كانوا مقرين... بتوحيد الربوبية، وهو أن الله هو الخالق وحده، والرازق وحده.

ومن هذا تعرف أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل من أولهم؛ وهو نوح –عليه السلام–، إلى آخرهم؛ وهو محمد ﷺ: هو توحيد العبادة، ولذا تقول لهم الرسل: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ﴾[هود:٢٦]، ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [هود٨٤]))[2].

كما بيَّن العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: أن الله ﷻ قد نزَّه نفسه ((عن مطلق الإشراك؛ الأكبر، والأصغر))[3].

---

(١) ينظر: (ص٥٦٢).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٧).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٢).

ثم أورد –رحمه الله– جملة من النصوص الدالة على ذلك[1]؛ ومنها:

قول الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[آل عمران:٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[النساء:٣٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:١١٠].

وقوله ﷺ: «اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً»[2].

ثم بيّن –رحمه الله– أن الشرك بالله ﷻ من أنكر المنكرات التي ينبغي على العبد أن يتجنبها، وأعقب ذلك ببيان بعض أحكام الشرك؛ الأكبر، والأصغر، في الدنيا والآخرة؛ والتي فيها الدلالة الواضحة على عِظم خطر الشرك بالله ﷻ؛ فقال: ((من أحكام الشرك الأكبر: قتل المشرك، وسبي ذريته، ولا يُرجى له في الآخرة، ولم يجعل هذا الحكم في الشرك الأصغر؛ بل أبقاه على حكم الإسلام في الدنيا؛ فلا تُسبى ذريته، وأما في أحكام الآخرة فهو موقوف تحت مشيئة الله))[3].

ثم ضرب –رحمه الله– مثالاً على الشرك الأصغر: وهو الرياء، وذكر جملة من النصوص الدالة على بعض العقوبات الأخروية لبعض أهله؛ كالسحب على وجوههم وإلقائهم في النار[4] –نسأل الله السلامة من ذلك–، ثم قال بعد إيراده لتلك العقوبات لأهل الشرك الأصغر: ((فكيف ترى عقوبة من تعبَّد لغير الله بغاية

(١) ينظر: قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (١٢٢).

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: باب الأمر بالأيمان بالله تعالى، ورسوله ﷺ، وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه وتبليغه من لم يبلغه (٤٨/١) ح (٢٦)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٣).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص١٢٣-١٢٧)، وسيأتي الكلام على الرياء (ص٦٩٠).

الخضوع مع غاية الذل والحب!...))[1].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في بيان دعوة النبي ﷺ إلى التوحيد، والتحذير من الشرك: ((وقد تقرر أن شرك المشركين الذين بعث الله إليهم خاتم رسله ﷺ؛ لم يكن إلا باعتقادهم أن الأنداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم، وتقربهم إلى الله، وتشفع لهم عنده، مع اعترافهم بأن الله سبحانه هو خالقها وخالقهم، ورازقها ورازقهم، ومحييها ومحييهم، ومميتها ومميتهم، ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[الزمر:٣]، ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٢]، ﴿ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء:٩٧-٩٨]،﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[يوسف:١٠٦]... .

وإذا تقرر هذا؛ فلا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات، أو حي من الأحياء، أنه يضره أو ينفعه؛ إما استقلالاً، أو مع الله تعالى، أو ناداه، أو توجه إليه، أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق؛ فلم يُخلص التوحيد لله، ولا أفرده بالعبادة؛ إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه، ودفع الضر عنه، هو نوع من أنواع العبادة، ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه؛ حجراً، أو شجراً، أو ملكاً، أو شيطاناً؛ كما كان يفعل ذلك الجاهلية، وبين أن يكون إنساناً؛ من الأحياء، أو الأموات؛ كما يفعله الآن كثير من المسلمين، وكل عالم يعلم هذا ويُقر به، فإن العلة واحدة، وعبادة غير الله تعالى، وتشريك غيره معه؛ يكون للحيوان كما يكون للجماد، وللحي كما يكون للميت))[2].

كما أوضح -رحمه الله- في موضع آخر: أن إخلاص التوحيد لله ﷻ، وقطع علائق الشرك والتحذير منه؛ هو الأمر الذي بعث الله ﷻ إليه رسله، وأنزل فيه كتبه، كما أنه هو أعظم مقاصد القرآن الكريم، وأكبر موارده[3].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٧).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٦٨-٦٩).

(٣) ينظر: إخلاص التوحيد لله ﷻ (ص٨٤).

كما أوضح العلامة المعلمي –رحمه الله– خطورة الشرك؛ مستدلاً عليه بالعديد من النصوص في كتاب الله ﷻ؛ فقال: ((وأما الشرك –نعوذ بالله منه– فهلاك لا هوادة فيه لأحد؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:١١٦]...، وقال جل ذكره: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[لقمان:١٣]...، وقال تبارك اسمه: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨]... .

وقد عصم الله ﷻ ملائكته، وأنبياءه، وخاتمهم –عليهم الصلاة والسلام– من الشرك، ومما هو من دونه، ولكن نبه بما تقدم من الآيات المتعلقة بهم على عظم أمر الشرك، وخطره))[١].

ثم قال –رحمه الله–: ((ومما يُبين عِظم خطر الشرك؛ أن أعظم سورة في القرآن[٢]، والسورة التي تعدل ثلث القرآن[٣]، وإنما هي بضع عشرة كلمة...، وأعظم آية في القرآن[٤]؛ كل ذلك مبني على توحيد العبادة))[٥]، وأعقب ذلك ببيان دلالة هذه السُّور على توحيد العبادة؛ الذي هو: إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادة، والبراءة من الشرك[٦].

ثم ختم حديثه في بيان خطر الشرك؛ بقوله: ((هذا والآيات المبيِّنة لخطر الشرك

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص١٧٣-١٧٥).

(٢) ينظر: (ص١٢٧).

(٣) ينظر: (ص١٢٧).

(٤) ينظر: (ص١٢٨).

(٥) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص١٧٥).

(٦) ينظر: المصدر السابق (١/٣٧-٣٨).

كثيرة جداً، وفيما ذكرناه كفاية فيما قصدنا))[1].

وقال العلامة العبادي -رحمه الله- في بيان تحذير النبي ﷺ من الشرك؛ وذلك بعد بيانه لدعوة النبي ﷺ إلى التوحيد والعبادة؛ وبيانه لها أتم البيان[2]:

وحـذَّر النـاس مـن الإشـراكِ لأنــه مــن أكــبر الهــلاكِ

وهذا الذي ذكره العبادي -رحمه الله- عن النبي ﷺ: هو من جملة تبليغه وبيانه ﷺ لأمته، وحمايته لجناب التوحيد؛ أن بيَّن خطورة ضده؛ وهو الشرك بالله ﷻ، فقد كان ﷺ مع دعوته للتوحيد يحذر الناس من الشرك بالله ﷻ، صغيره، وكبيره، ويبيِّن فساده بشتى طرق أساليب الإقناع، ويبيِّن خطورته على أهله في الدنيا والآخرة؛ شفقة منه على أمته، وتحذيراً لهم من هذا الأمر الخطير.

ويُعد الشرك بالله ﷻ من أقبح الأشياء، وأخطرها، ويتمثل ذلك في عدة جوانب؛ كما بيَّنها وأوضحها علماء اليمن -رحمهم الله-:

١- الشرك محبط للعمل.

فالشرك بالله ﷻ من محبطات الأعمال؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:٨٨]، والحُبوط: هو البطلان[3]؛ أي: بطلت أعمالهم؛ لأن الشرك بالله ﷻ مُخرج من الملة.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥].

قال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ((هذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل؛ لأن الله سبحانه قد عصمهم عن الشرك، ووجه إيراده على هذا الوجه؛ التحذير، والإنذار للعباد من الشرك؛ لأنه إذا كان موجباً لإحباط

---

(١) المصدر السابق (ص١٨٥-١٨٦).

(٢) ينظر: هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (ص١٥).

(٣) ينظر: فتح القدير (٢/١٩٩).

عمل الأنبياء على الفرض والتقدير، فهو محبط لعمل غيرهم من أممهم بطريق الأولى ....، وهذه الآية مُقيَّدة بالموت على الشرك؛ كما في الآية الأخرى:﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[البقرة:٢١٧]))[1]، فقوله: ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾؛ أي: أنه ((لا يبقى له حكم المسلمين في الدنيا؛ فلا يأخذ شيئاً مما يستحقه المسلمون، ولا يظفر بحظ من حظوظ الإسلام، ولا ينال شيئاً من ثواب الآخرة الذي يوجبه الإسلام، ويستحقه أهله))[2].

وقال العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله–: ((فمن عبد الله بخلاف ما أمر به رسول الله ﷺ؛ فعمله من الهباء لا يُقبل))[3].

كما بيَّن العلامة الحسن عاكش –رحمه الله– أن معنى "حبط" في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[الأنعام:٨٨]: بطل وذهب ما كانوا يعملونه[4].

وأوضح –رحمه الله– أن قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[الزمر:٦٥]: فيه ((الإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه))[5].

٢– إن صاحبه خالد مخلد في النار إذا مات مصراً عليه، وإن الله ﷻ لا يغفر له إلا إذا تاب في وقت التوبة.

كذلك مما يبيِّن خطر الشرك بالله ﷻ، وعظم أمره، كما قال العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله– أنه هو: ((أكبر الكبائر؛ الذي لا يغفره

---

(١) فتح القدير (٤/٦٧٥).

(٢) المصدر السابق (١/٣٣١).

(٣) إيقاظ الوسنان (ص).

(٤) ينظر: فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (٢/٢٢١).

(٥) المصدر السابق؛ تحقيق :الشملان (ص٦٩٩).

الله))[1]؛ أي: إن مات عليه من غير توبة؛ كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة؛ ومنها:

قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[المائدة:٧٢]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[النساء:١١٦].

قال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((فقد ضل عن الحق ضلالاً بعيداً؛ لأن الشرك أعظم أنواع الضلال، وأبعدها من الصواب))[2].

وقال –أيضاً–: ((هذا الحكم [أي عدم الغفران] يشمل جميع طوائف الكفار؛ من أهل الكتاب، وغيرهم، ولا يختص بكفار أهل الحرب؛ لأن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالوا: ثالث ثلاثة.

ولا خلاف بين المسلمين[3] أن المشرك إذا مات على شركه؛ لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته، وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين؛ فداخلون تحت المشيئة؛ يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء))[4].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٠)، وينظر: المصدر نفسه (ص١٢١).

(٢) فتح القدير (٧٧٨/١).

(٣) هذا ما أجمع عليه أهل السلف أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك الخوارج والمعتزلة؛ حيث اتفقوا على تخليد صاحب الكبيرة في النار، واختلفوا في حكمه في الدنيا؛ فذهبت الخوارج إلى تكفيره، بينما قالت المعتزلة: هو في منزلة بين المنزلتين. ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٣٦٠-٣٦١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ للالكائي (١٦٢/١،١٧٥)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢٨١/٢)، ومجموع الفتاوى (١٥١/٣-٣٧٤،١٥٢)، (٤٧٥/٤،٣٠٧).

(٤) فتح القدير (٧١٧/١).

كما بيَّن الشيخ علي أحمد باصبرين -رحمه الله- أن هذا النوع من الشرك: ((يُخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويُوجب خلوده في النار))[1]، ومراده بذلك إن مات عليه من غير توبة.

وقال العلامة العبادي -رحمه الله-[2]:

يغفر غير الشرك ما يشاء	من الخطيَّات لمن يشاء

في هذا البيت يذكر -رحمه الله- أمراً مما يجب اعتقاده والإيمان به، وهو ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من أن الذنوب سوى الشرك بالله ﷻ إذا مات العبد ولم يكن قد تاب منها فهي راجعة إلى مشيئة الله ﷻ؛ إن شاء عفا عنها وغفر لصاحبها، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم مآله إلى الجنة إن كان من أهل التوحيد.

أما الشرك فإن الله ﷻ لا يغفره إلا بالتوبة منه، فمن تاب منه، وكذلك تاب من سائر الذنوب فإن الله ﷻ يتوب عليه ويغفر له؛ فالتوبة تجب ما كان قبلها، والإسلام يهدم ما كان قبله؛ كما دلت على ذلك النصوص الشرعية؛كقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر:٥٣].

وقال في موضع آخر[3]:

والكفر والإشراك بالإلهِ	من أعظم الذنوب والمناهي
ثم الخلود واجب في النارِ	للمشركين الكل والكفارِ

حيث بيَّن -رحمه الله- خطورة الكفر والشرك؛ وأنهما معدودان من جملة المنهيات العظام، ومن جملة الذنوب الموبقة، بل هما أعظم الذنوب على الإطلاق.

وهو كما قال -رحمه الله-؛ فأعظم ذنب عُصي الله به هو الكفر والشرك،

---

(١) المهمات الدينية (ص٦٦).

(٢) هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (ص١٨).

(٣) المصدر السابق (ص٢٣).

يدل لهذا قوله ﷺ في الصحيحين[1] لما سئل أي الذنب أعظم عند الله ؟ فقال ﷺ: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

ثم ذكر -رحمه الله- في البيت الثاني أمراً مما يبين خطورة الشرك والكفر؛ وهو أن أهله في النار خالدين فيها؛ وهذا الحكم بالخلود في النار؛ بيَّن -رحمه الله- أنه لجميع أصناف المشركين والكفار؛ كما في قوله: "للمشركين الكل والكفار"، فجميع أصناف المشركين والكفار؛ من وثنيين، أو ملحدين، أو مرتدين، أو من أهل الكتاب؛ الذين كفروا بالنبي الخاتم محمد ﷺ، أو بغيره من الأنبياء والرسل -عليهم السلام-؛ كلهم، أو بعضهم، قد أوجب الله لهم النار، وحرم عليهم الجنة ؛ كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[البينة:٦]، وقال النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار»[2].

فقوله ﷺ: ((«لا يسمع بي أحد من هذه الأمة»؛ أي: ممن هو موجود في زمنه وبعده إلى يوم القيامة، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما؛ وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى؛ والله أعلم))[3].

فالشاهد أن العلامة العبادي -رحمه الله- يريد بقوله: "الكل"؛ عموم الكفار، والمشركين، ولا يمكن أن يدخل في قوله: "الكل" من وقع منه شيء من الشرك

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة:٢٢]، (٢٧٣٤/٦) ح (٧٠٨٢)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده (٩٠/١) ح (١٤١)؛ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس... (١٣٤/١) ح (٢٤٠)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٦٥/٢).

الأصغر؛ لأنه لا يدخل تحت قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢]، ولا يدخل -أيضاً- تحت قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥]، فلا يُحبط الأعمال كلها إلا الشرك الأكبر، ولا يُخلَّد في النار إلا صاحب الشرك الأكبر، لكن وقع الخلاف بين العلماء في الشرك الأصغر لمن مات عليه؛ هل هو داخل تحت المشيئة؛ فقد يغفره الله ﷻ، أم أن صاحبه لا بد أن يُعذب على شركه الأصغر، ولا يغفر له ثم مآله إلى الجنة؟.

فمن قال إنه لا يُغفر ولابد أن يُعذب صاحبه؛ استدل بعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء:٤٨].

ومن قال إنه داخل تحت المشيئة؛ قال: إن هذه الآية في الشرك الأكبر، والشرك الأصغر لا يدخل تحت عمومها؛ لأنه لا يدخل بالإجماع في قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢]، ولا يدخل في قول الله تعالى : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥]؛ والله أعلم[(١)].

٣- الشرك أعظم الظلم على وجه الإطلاق.

كذلك -أيضاً- مما يُبيِّن عِظم خطر الشرك بالله ﷻ؛ أنه أعظم الظلم على وجه الإطلاق؛ كما قال الله ﷻ على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

وقد أوضح العلامة النعمي -رحمه الله-: أن شناعة دعاء غير الله من متفاحش الظلم، ومتبالغ الشرك، ونزاع في خالص حق الله، وخضوع وتذلل بخالص

---

(١) ينظر: الاستغاثة في الرد على البكري (ص١٤٦)، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/٥٩)، وقرة عيون الموحدين (ص٣٤)، والقول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٢٥)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١١٤،٤٣٧).

عبادته لسواه [1].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: ((أعظم العدل التوحيد، كما أن الشرك أعظم الظلم؛ وذلك لأنه تنقص لله ﷻ، ومساواة لغيره به؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام:١])) [2].

وقال في موضع آخر: ((الشرك أعظم الظلم؛ كما قال تعالى حاكياً عن لقمان:﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣])) [3].

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله– في تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام:٨٢]: ((ومعنى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: لم يخلطوه بظلم؛ والمراد بالظلم: الشرك؛ لما ثبت في الصحيحين [4] ...، من حديث ابن مسعود، قال: لما نزلت هذه الآية؛ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣]»)) [5].

وقال في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[هود:١٨]: ((أي: لا أحد أظلم منهم لأنفسهم؛ لأنهم افتروا على الله كذباً بقولهم لأصنامهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله)) [6].

---

(١) ينظر: معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٧٠).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤١).

(٣) المصدر السابق (ص٣٤).

(٤) أخرجه البخاري؛ كتاب: الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان:١٢] (٣/١٢٦٣) ح (٣٢٤٦)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: صِدق الإيمان وإخلاصه (١/١١٤) ح (١٩٧).

(٥) فتح القدير (٢/١٩٥).

(٦) المصدر السابق (٢/٧٠٨).

وفسر العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- الظلم في قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[طه:١١١]: بالشرك؛ كما فسره ابن عباس -رضي الله عنهما-[١].

ووجه كون الشرك أعظم ظلم؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وعبادة غير الله ﷻ وضع لها في غير موضعها، إذ العبادة حق خالص لله وحده دون غيره، فصرفها لغير مستحقها ظلم وكذب عليه.

٤- الشرك أعظم أنواع الفساد.

قال العلامة الحسن الحازمي -رحمه الله- في بيان كون الشرك بالله ﷻ هو أعظم أنواع الفساد: ((الشرك مع الله هو أعظم أنواع الفساد الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾[الأعراف:٥٦]، فالدعوة إلى غير الله، وإقامة معبود غيره؛ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود، وأن تكون الدعوة له لا لغيره، والطاعة والإتباع لرسوله ليس لغيره، وغيره إنما يُطاع إذا أمر بطاعة الله والرسول ﷺ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شرعه فلا سمع ولا طاعة، فالله سبحانه إنما أصلح الأرض برسوله، ودينه، وبالأمر بتوحيده، ونهى عباده عن إفسادها بالشرك ومخالفة رسوله))[٢].

كذلك فسر العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾[الأعراف:٥٦]: ((أي: لا تفسدوها بالكفر والمعاصي بعد إصلاحها ببعث الأنبياء وتشريع الأحكام))[٣].

فتبين لنا مما تقدم: عِظم أمر الشرك، وعظيم خطره؛ وإنما كان الشرك بهذه المثابة لأنه جناية على حق الله تعالى الخاص، وهو التوحيد، أما ما دونه من الذنوب والمعاصي؛ فقد يكون للإنسان فيها حظ نفس بما نال من شهوة، أو غيرها، أما

---

(١) ينظر: فتح المنان؛ تحقيق: المرشود (ص٤٠٥)؛ وينظر: تفسير البغوي (٣/٢٧٦).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٩٧).

(٣) فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (٢/٣٩٦).

الشرك فهو اعتداء على حق الله تعالى، وليس للإنسان فيه حظ نفس، من شهوةٍ، أو غيرها، يريد الإنسان أن ينالها، ولكنه ظلم -كما تقدم بيانه-.

وأيضاً: ومما يؤكد أن الشرك من أعظم الفساد: أن فيه تنقصاً لله ﷻ؛ ((فالشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضرورة، شاء المشرك أم أبى، ولهذا اقتضى حمدُه سبحانه وكمالُ ربوبيته أن لا يغفره، وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم، ويجعله أشقى البرية...، وأما نجاسة الذنوب والمعاصي؛ فإنها بوجه آخر، فإنها لا تستلزم تنقيص الربوبية، ولا سوء الظن بالله ﷻ، ولهذا لم يرتب الله سبحانه عليها من العقوبات والأحكام ما رتبه على الشرك))[1].

وأما الشرك الأصغر، فإنه -كما سيأتي بيانه-[2]: هو كل ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، ونهى عنه الشرع.

وهذا النوع من الشرك مما يُنافي كمال التوحيد في عبادة الله ﷻ ويُناقضه، وهو وإن كان لا يُخرِج من الملة؛ فإن صاحبه على خطر عظيم، ينقص من أجره شيء كثير، وقد يحبط منه العمل الذي وقع فيه هذا الشرك.

وقد بيَّن العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- أن الله ﷻ قد أبقى صاحب الشرك الأصغر ((على حكم الإسلام في الدنيا؛ فلا تُسبى ذريته، وأما في أحكام الآخرة: فهو موقوف تحت مشيئة الله))[3].

وكذلك ذكر الشيخ علي باصبرين -رحمه الله- أن هذا النوع من الشرك: ((لا يُخرج صاحبه من الدائرة [أي: دائرة الإسلام]، ولا يُوجب خلوده في النار))[4].

وسيأتي الكلام على أنواع الشرك بشيء من التفصيل في مبحث مستقل.

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٦٢-٦٣).

(٢) ينظر: (ص٥٦٢).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٣).

(٤) المهمات الدينية (ص٦٦).

وخلاصة الأمر: فإن الشرك بالله ﷻ؛ سواء كان أكبر، أو أصغر، فإنه كما بيَّن ذلك علماء اليمن: عظيم أمره، شديد خطره، فينبغي للعبد أن يتجنبه، ويحذر منه، والله أعلم.

المبحث الثالث: المقارنة بين شرك أهل الجاهلية وشرك عُبَّاد المقابر.

المطلب الأول: بيان التشابه بين شرك أهل الجاهلية وشرك عبَّاد المقابر.

بالمقارنة بين أحوال القبوريين؛ عبَّاد المقابر، بأحوال مشركي الجاهلية الأولى؛ عُبَّاد الأصنام والأوثان، نجد أن أحوالهما واحدة، إذ إن العلة واحدة، وهي أن عبادة غير الله ﷻ، وتشريك غيره معه؛ يكون للحيوان كما يكون للجماد، ويكون للحي كما يكون للميت، فلا فرق بين من اعتقد في وثن أو صنم أنه يضر أو ينفع، أو صرف له نوعاً من أنواع العبادة، وبين من اعتقد في ميِّت من بني آدم أو حي منهم؛ أنه يضر أو ينفع، أو صرف له نوعاً من أنواع العبادة، فإن الشرك: هو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله ﷻ، سواء أُطلق على ذلك الغير ما كانت تطلقه عليه أهل الجاهلية، أو أُطلق عليه اسماً آخر، فلا اعتبار بالاسم قط.

وهذا ما بيَّنه وقرره علماء اليمن –رحمهم الله–، في بيانهم لحال القبوريين:

فأما العلامة الصنعاني –رحمه الله– فقد أوضح أن ما يفعله القبوريون؛ بارتكابهم لأنواع من الشرك الأكبر؛ بعبادة القبور وأهلها، هو بعينه ما كان يفعله أهل الجاهلية الأولى لأصنامهم وأوثانهم؛ حيث قال: ((من اعتقد في شجر، أو حجر، أو قبر، أو ملك، أو جني، أو حي، أو ميت؛ أنه ينفع أو يضر، أو أنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا، بمجرد التشفع به، والتوسل إلى الرب تعالى ...، أو نحو ذلك، فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقد المشركون في الأوثان، فضلاً عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي، أو يطلب من ذلك الميت ما لا يُطلب إلا من الله تعالى من الحاجات؛ من عافية مريضه، أو قدوم غائبه، أو نيله لأي مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عُبَّاد الأصنام.

والنذر بالمال على الميت، ونحوه ، والنحر على القبر، والتوسل به، وطلب الحاجات منه؛ هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً))[١].

ثم بيَّن –رحمه الله– أن الأسماء لا أثر لها، ولا تغير المعاني[٢] ما دام المقصود واحداً، وأن ((تسمية القبر مشهداً، ومن يعتقدون فيه ولياً؛ لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونها استلامهم لأركان البيت...، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد، ونحوها))[٣].

ويؤكد أن لكل قوم في كل قرية؛ كأهل العراق، والهند، ومصر، واليمن، ونحوها من القرى؛ أمواتاً يهتفون بهم، وينادونهم، ويرجونهم؛ لجلب الخير، ودفع الضر؛ وهذا هو بعينه فعل المشركين في الأصنام[٤].

كذلك قرر العلامة النعمي –رحمه الله– ذلك؛ وبيَّن أن أفعال القبوريين عند المشاهد هي نفسها صنيع الجاهلية عند بيوت الأوثان، بل إنهم زادوا فيها غلواً؛ بأن دعوها في حال الشدة والرخاء، على خلاف أهل الجاهلية[٥] –كما سيأتي بيان ذلك في المطلب التالي–.

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص١٠).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص١٠-١١).

(٣) المصدر السابق (ص١١).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص١١).

(٥) ينظر: معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (١/ ٢٦٠).

بل أكد -رحمه الله- في موضع آخر ((أن صنع المقابرية... هو الذي سلكه الوثنيون حذو النعل بالنعل، والقُذَّة بالقُذَّة[1]، وتبعوا آثارهم فيه حرفاً بحرف، ودخلوا الجِحَرة التي دخلوها، والأبواب التي ولجوها؛ بحيث إن فصْل أحدهما من الآخر فصل الشيء من عَيْنِهِ، اللهم إلا على جهة مجاوزة المقابرية لحد أولئك في حالات[2]...))[3].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- مقرراً التشابه بين الفريقين، وذلك بعد بيانه لحال من دعا الناس إلى عبادته من دون الله ﷻ[4]، وإنكاره على ذلك؛ قال: ((لقد عمَّت البلوى بهذا؛ فترى المتبوع يُصرِّح لأتباعه بتفريج الكربات منه، وبدعوى اختصاص بعض صفات الرب؛ كعلم الغيب، وربما توعد من يراه مقصراً فيما يعتاده منه بانزال الضُّر الكوني القدري، وترى التابع يُعظِّم متبوعه بما لم يأذن الله به، ويُضيف إليه من العلم بالمغيبات، والقدرة على ما يختص بالرب؛ حتى يُقال: فلان مُتصرف في العالم، ويَسْمع له بغاية الخضوع؛ التي هي حقيقة العبادة، ويسأله الرزق، والنصر، وتفريج الكربات، وإجابة المضطر، وكشف السوء، ويتخذه نداً يحبونهم كحب الله أو أشد، ويعبدونه من دون الله ما لا يملك

---

(١) القُذَّة: هي الريشة التي تركب على السهم. ينظر: لسان العرب (٥٠٣/٣)، وقوله: حذو النَّعل بالنَّعل، والقُذَّة بالقُذة: مثل عربي يُضرب في التسوية بين الشيئين. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٨/٤)، ومجمع الأمثال؛ لأبي الفضل النيسابوري (١٩٥/١)؛ وفي الحديث عن شداد بن أوس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم؛ أهل الكتاب، حذو القُذَّة بالقُذَّة». أخرجه أحمد في مسنده (٣٥٩/٢٨) ح (١٧١٣٥)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩١٣/٧).

(٢) مراده بذلك: زيادة غلو عُبَّاد القبور في المقابر وأهلها؛ بأن دعوها في حال الرخاء والشدة، بخلاف أهل الأوثان؛ كما سيأتي بيان ذلك في المطلب التالي.

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٧١٠/٢-٧١١).

(٤) ينظر: قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٦٣-٦٨).

لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون؛ مما كان أهل الأوثان والأصنام يسألونه من أوثانهم وأصنامهم...))[1].

وأما العلامة الشوكاني –رحمه الله– فقد وصف عُبَّاد القبور بأنهم الذين ((عمدوا إلى جماعة من الأموات الذين لا يستطيعون توصية، ولا إلى أهلهم يرجعون؛ فقصدوهم في المهمات، وعكفوا على قبورهم، ونذروا لهم النذور، ونحروا لهم النحائر، وفزعوا إليهم عند المهمات، فتارة يطلبون منهم من الحاجات ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، وخَصُّوهم بالنداء، وأفردوهم بالطلب، وتارة ينادونهم مع الله ﷻ، ويصرخون بأسمائهم مع اسم الله سبحانه، فيأتون بكلمات تقشعر لها جلود من يعلم معنى: "لا إله إلا الله"، ويعرف مدلول: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١]، وتلاعب بهم الشيطان في ذلك، ونقلهم من مرتبة إلى مرتبة، ومن منزلة إلى منزلة، حتى استعظموا من جانب هؤلاء الأموات الذين خلقهم الله، ورزقهم، وأحياهم وأماتهم، ما لا يستعظمونه من جانب بارئ البرية، وخالق الخالق، جَلَّ اسمه، وتعالى قدره، ولا إله غيره.

وأفضى ذلك إلى أن أحدهم يحلف بالله تعالى فاجراً، ولا يحلف بمن يعتقده من الأموات، ويقدم على المعصية في المساجد التي هي بيوت الله، ولا يقدم عليها عند قبر من يعتقده.

وتزايد الشر، وعظمت المحنة، وتفاقمت المصيبة؛ حتى صار كثير منهم ينسبون ما أصابهم من الخير؛ في الأنفس، والأموال، والأهل؛ إلى ذلك الميت، وما أصابهم من الشر في ذلك إليه، وقد صارت تحت أطباق الثرى، وغُيِّب عن أعين البشر، وصار مشغولاً عاجزاً عن جر نفع إليه، أو دفع ضر عنه، منتظراً لما ينتظر له مثله من الأموات، لا يدري ما نزل به من هؤلاء النُّوكَاء[2]، ولا يشعر بما ألصقوه به، ولو علم بذلك لجالدهم بالسيف، ودفعهم بما يقدر عليه))[1].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٦٩).

(٢) النوكاء: جمع: النُّوكُ؛ بالضم أو الفتح: وهو الحُمْقُ، والأنْوَكُ: الأحمق، وجمعه: النَّوكى.

ثم قال –رحمه الله– مبيناً تشابه حال عُبَّاد القبور مع حال عُبَّاد الأصنام؛ مبينا أن الشرك: هو أن يفعل لغير الله ﷻ شيئاً يختص به سبحانه؛ سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسماً آخر: ((لا شك أن من اعتقد في ميت من الأموات، أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه، إما استقلالاً، أو مع الله تعالى، أو ناداه، أو توجه إليه، أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق؛ فلم يخلص التوحيد لله، ولا أفرده بالعبادة؛ إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه، ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة؛ ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حجراً، أو شجراً، أو ملكاً، أو شيطاناً، كما كان يُفعل ذلك في الجاهلية، وبين أن يكون إنساناً من الأحياء أو الأموات، كما يفعله الآن كثير من المسلمين.

وكل عالِم يعلم هذا ويُقر به، فإن العلة واحدة، وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد، وللحي كما يكون للميت، فمن زعم أن ثَّم فرقاً بين من اعتقد في وثن من الأوثان أنه يضر أو ينفع، وبين من اعتقد في ميت من بني آدم، أو حي منهم أنه يضر أو ينفع، أو يقدر على أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا تتقرب به إلا إليه.

ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكاً بالصنم، والوثن، والإله لغير الله، زيادة على التسمية بالولي، والقبر، والمشهد، كما يفعله كثير من المسلمين، بل الحكم واحد إذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن، إذ ليس الشرك هو مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات، بل الشرك: هو أن يفعل لغير الله شيئاً يختص به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما

ينظر: تهذيب اللغة (١٠/٢٠٨)، والصحاح (٤/١٦١٢)، والقاموس المحيط (ص٩٥٦).

(١) أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص٢١٣).

كان تطلقه عليه الجاهلية، أو أطلق عليه اسماً آخر، فلا اعتبار بالاسم قط، ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق أن يُخاطب بما يُخاطب به أهل العلم))[1].

وأكد -رحمه الله- هذا التشابه في موضع آخر؛ فقال: ((وقد علم كل عالِمٍ أن عبادة الكفار للأصنام لم تكن إلا بتعظيمها، واعتقاد أنها تضر وتنفع، والاستغاثة بها عند الحاجة، والتقريب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم، وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور، فإنهم قد عظموها إلى حد لا تكون إلا لله سبحانه، بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية إذا كان في مشهد من يعتقده، أو قريباً منه؛ مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها إذا كان في حرَم الله، أو في مسجد من المساجد، أو قريباً من ذلك، وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذباً، ولم يحلف بالميت الذي يعتقده.

وأما اعتقادهم أنها تضر وتنفع، فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد؛ لم يدْعُ أحد منهم ميتاً، أو حياً عند استجلابه لنفع، أو استدفاعه لضُّر؛ قائلاً: يا فلان افعل لي كذا وكذا، وعلى الله وعليك، وأنا بالله وبك))[2].

وقال -رحمه الله- في حديث أبي واقد الليثي[3] رضي الله عنه؛ وفيه: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حديثوا عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها، وينوطون بها أسلحتهم؛ يقال لها ذات أنواط[4]، فممرنا بسدرة، فقلنا: يا

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٦٩-٧٠).

(٢) المصدر السابق (ص٧٠-٧١).

(٣) هو: أبو واقد الحارث بن مالك، وقيل: ابن عوف الليثي، صحابي جليل، شهد بدراً، والفتح، وسكن مكة، وله عدة أحاديث، توفي سنة ٦٨هـ، وقيل: ٨٥هـ، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢٩٦/١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣٧٠/٧-٣٧١).

(٤) هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين، ينوطون بها سلاحهم؛ أي: يعلقونه بها، ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٨/٥).

رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: «قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا اسرائيل لموسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾[الأعراف:١٣٨]، لتركبُن سنن من كان قبلكم»[1]؛ قال: ((فهؤلاء إنما طلبوا أن يجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم؛ كما كانت الجاهلية تفعل ذلك، ولم يكن من قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة، أو يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور، فأخبرهم ﷺ أن ذلك بمنزلة الشرك الصريح، وأنه بمنزلة طلب آلهة غير الله تعالى))[2].

فكيف بحال هؤلاء القبوريين الذين يعكفون عند القبور والأضرحة والمشاهد، وينادون صاحبها، ويدعونه تارة على الاستقلال، وتارة مع ذي الجلال؟ إنهم بذلك ((قد جعلوا بعض خلق الله شريكاً له ومثلاً ونداً، فاستغاثوا به فيما لا يشتغاث فيه إلا بالله، وطلبوا منه ما لا يطلب إلا من الله مع القصد والإرادة))[3].

وأما الشيخ محمد باشميل –رحمه الله– فقد بيَّن أن الله ﷻ قد وصف المشركين الأولين وصفاً ((ينطبق –تماماً– على هؤلاء القبوريين؛ الذين يدعون الأموات، ويستغيثون بهم، ويتضرعون إليهم، ويشركونهم مع الله في النُّسك والنَّذر...))[4].

ثم أوضح –رحمه الله– أن المشركين الأولين إنما ((كانوا يدعون من دون الله عبادًا أمثالهم، ويعتمدون عليهم ليكونوا شفعاءهم عند الله، وهذا هو نفس

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/٢٢٥-٢٢٦) ح (٢١٨٩٧)، والترمذي؛ كتاب: الفتن، باب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٤/٤٥) ح (٢١٨٠)؛ وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح (٣/١٤٨٨).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٣٦-٣٧).

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٥٠).

(٤) كيف نفهم التوحيد (ص٩-١٠).

الشيء الذي يفعله القبوريون اليوم؛ يدعون الأولياء، ويستغيثون بهم؛ ليكونوا واسطتهم إلى الله...))[1].

وأكد ذلك بقوله: أن كُفر المشركين الأولين إنما كان في اتخاذهم الوسائط، والشفعاء، والتقرب إليهم بالدعاء، والذبح، والنذر لهم، وأن القبوريين اليوم إنما يسلكون نفس هذا الطريق، ويسيرون على هذا المنهج حذو القذة بالقذة[2].

ولأن فعل كلا الفريقين واحد جاء الحكم عليهم ((بالشرك دونما تمييز؛ لأنهم اتحدوا في القصد والعمل، التوجه إلى غير الله بالدعاء، والذبح، والنذر؛ ليكون شفعيهم عند الله...))[3].

وبناءً على ما سبق: نجد أنه لا فرق بين شرك القبوريين؛ عُبَّاد القبور، وشرك الوثنيين؛ عُبَّاد الأصنام والأوثان؛ فجميعهم يصرفون العبادة لغير الله ﷻ، وخالفوا ما نفته كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، بل إن شرك القبوريين أعظم وأغلظ من شرك الوثنيين، كما سيبينه علماء اليمن في المطلب التالي.

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٣) المصدر السابق (ص٣٢).

المطلب الثاني: بيان أن شرك القبوريين أعظم وأغلظ من شرك أهل الجاهلية.

تقدم في المطلب السابق بيان أن ما يفعله القبوريون تجاه المقابر وأهلها، هو عينه ما كان يفعله الوثنيون تجاه الأصنام والأوثان؛ بل إن شرك القبوريين أعظم وأغلظ من شرك الوثنيين؛ كما بيَّن ذلك علماء اليمن -رحمهم الله-.

فأما العلامة النعمي -رحمه الله- فقد بيَّن: أن «المشركين أهل الأوثان -تجدهم في بعض الأحوال- أقرب حالاً، وأخف من أصحاب المشاهد مجالاً، فانظر إلى ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾[الإسراء:٦٧]، ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[لقمان:٣٢]، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، أترى أصحاب القبور يرضون بتفريد الحميد المجيد، عن الشاذلي[1]، والحداد[2]، ....

والجيلاني[3]؟ كلا والله...، ومن زعم أن المشركين لا يدعونه تعالى، أو أنهم لا يُشركون به في الدعاء أحداً عند الشدائد، فقوله من أفسد القول، وأقبح الغلط؛ فكم

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم الضرير، المعروف بالشاذلي، من غلاة الصوفية، وإليه تُنسب الطريقة الشاذلية، توفي سنة ٦٥٦هـ. ينظر ترجمته: تذكرة الحفاظ (١٥٤/٤)، والوافي بالوفيات (١٤١/٢١-١٤٤).

(٢) هو: عبد الله بن علوي بن أحمد بن مهاجر، التريمي، الحداد، اليمني، وهو صوفي معروف، توفي سنة ١١٣٢هـ. ينظر ترجمته: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٩١/٣-٩٣)، وهدية العارفين؛ للباباني (٤٨٠/١).

(٣) هو: أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي الحنبلي، الإمام، العالم، الزاهد،

أتى أصحاب المقابر بدعاء شيخ الولاية عند التِطام الموج، والحال: أن هذه حالة تُنسي غيره تعالى، كما حكى عمن هو غريق في الضلالة: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾[الروم:٣٣-٣٤]، ومسُّ الضُّر أعظم من غَشيان الموج، وإذاقة الرَّحمة أعمُّ من النجاة إلى البرِّ، وأهل المقابر إذا مسهم الضُّر نادوها، وإذا مستهم الرَّحمة لم ينسوها، وكيف ينسونها؟ وهي كرامتهم، وبها نجوا ... .

وأهل التوحيد إنما يدعون الله وحده، لا يشركون به شيئاً في كل شدة وضر، وإذا نجَّاهم شكروه وحمدوه...، وأهل الأوثان يخلصون عند تلك الشدائد، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥]...))[1].

قال ابن كثير -رحمه الله- في "البداية والنهاية" (٢٥٢/١٢): ((سمع الحديث، وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي، وقد كان بنى مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر، فكان يتكلم على الناس بها، ويعظهم، وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وكان له سمت حسن، وصمت في غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه تزهد كثير، وله أحوال صالحة، ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً، وأفعالاً، ومكاشفات؛ أكثرها مغالاة، وقد كان صالحاً، ورعاً، وقد صنف كتاب "الغنية"، و"فتوح الغيب"، وفيهما أشياء حسنة، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ))، توفي سنة ٥٦١هـ. وينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٧٩/١٥-١٨٥)، وفوات الوفيات؛ لمحمد الكتبي (٣٧٣/٢-٣٧٤).

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٧٥٩/٢-٧٦٣)، وينظر: المصدر نفسه (٢٦٠/١-٢٦٣).

وبهذا البيان من العلامة النعمي –رحمه الله– يتبيَّن لنا قُبح وغِلظ شرك القبوريين؛ الذين أشركوا مع الله ﷻ في حال الرخاء والشدة، بخلاف أهل الجاهلية الأولى؛ الذين يلجؤون إلى الله ﷻ وقت الشدائد؛ كما حكى الله ﷻ ذلك عنهم في كتابه الكريم.

ومثله قال العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–؛ حيث أوضح أن عُبَّاد المقابر في هذا الزمن قد ازدادوا غلواً وشركاً ((على عُبَّاد الأصنام في زمان رسول الله ﷺ، فإن أهل الجاهلية يُخلصون الدعوة لله إذا عصفت بهم الريح في البحر؛ كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[العنكبوت:٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٦٧]... .

فأخبر أنهم عند الاضطرار يدعونه لا شريك له، وأنه يذهب عنهم كل ما يُعبد من دون الله؛ كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل[1] لما ذهب فاراً من رسول الله ﷺ حين فتح مكة، فذهب هارباً، فركب البحر ليدخل الحبشة، فجاءتهم ريح عاصف، فقال القوم بعضهم لبعض: إنه لن يُغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده، فقال عكرمة: والله لإن كان لا ينفع في البحر غيره، فإنه لا ينفع في البر غيره، اللهم عليَّ عهد لأن أخرجتني منه لأذهبن فأضعن يدي في يد محمد، فلأجدنه رؤوفاً رحيماً، فخرجوا من البر، فرجعوا إلى الرسول الله ﷺ، فأسلم وحسُن إسلامه[2]...، وهؤلاء الضُّلال في هذا الزمان إذا عصفت بهم الريح؛ تنادوا ليدع كل منكم شيخه...، لا تسمع منهم من يقول: يا الله، فيرتج المركب بالأصوات بذكر الشيوخ؛ وهذا هو الشرك الأكبر

(١) هو: أبو عثمان عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام القرشي، المخزومي، المكي، صحابي جليل، أسلم بعد الفتح وحسُن إسلامه، استشهد يوم اليرموك؛ سنة ١٣هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/١٠٨٢-١٠٨٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤/٤٤٣-٤٤٤).

(٢) أخرجه النسائي في الصغرى؛ كتاب: تحريم الدم، باب: الحكم في المرتد (٧/١٠٥) ح (٤٠٦٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (٩/١٣٩).

الذي لا يغفره الله، وأباح دم صاحبه، وماله، وذريته لأهل الإسلام؛ لأنه سأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، فقد عبده مع الله، واتخذه إله ورباً...))[1].

كذلك قرر العلامة الشوكاني -رحمه الله- أن شرك عُبَّاد القبور أعظم من شرك أهل الجاهلية الذين قاتلهم رسول الله ﷺ؛ حيث قال مبيناً حال القبوريين وما وصل بهم في الحال في اعتقادهم في القبور وأهلها، حيث فاقوا ما كان يفعله المشركون في اعتقادهم في أصنامهم: ((هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلى حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم، وهو أن أهل الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده، وإنما يدعون أصنامهم مع عدم نزول الشدائد في الأمور؛ كما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[الإسراء:٦٧]، وبقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[الأنعام:٤٠]، وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾[الزمر:٨]، وبقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[لقمان:٣٢]، بخلاف المعتقدين في الأموات؛ فإنهم إذا داهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات، ونذروا لهم النذور، وقلَّ من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحالة، وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم))[2].

ثم أورد -رحمه الله- مثالين في توضيح ذلك؛ حيث قال: ((ولقد أخبرني بعض من ركب البحر للحج أنه اضطرب اضطراباً شديداً، فسمع من أهل السفينة من الملاحين، وغالب الراكبين معه ينادون الأموات، ويستغيثون بهم، ولم يسمعهم يذكرون الله قط؛ قال: وقد خشيت في تلك الحال الغرق؛ لما شاهدته من الشرك بالله.

وقد سمعنا عن جماعة من أهل البادية أن كثيراً منهم إذا حدث له ولد؛ جعل

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٦٩-٧١).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص١١١-١٢١).

قسطاً من ماله لبعض الأموات المعتقدين، يقول إنه قد اشترى ولده من ذلك الميت الفلاني بكذا، فإذا عاش حتى يبلغ سن الاستقلال دفع ذلك الجعل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال))[1].

وعند قوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت:٦٥]؛ **قال –رحمه الله– في تفسير هذه الآية؛ مبيناً حال عُبَّاد الأصنام حال نزول الشدائد عليهم:** ((أي: إذا انقطع رجاؤهم من الحياة، وخافوا الغرق؛ رجعوا إلى الفطرة، فدعوا الله وحده؛ كائنين على صورة المخلصين له الدين بصدق نياتهم، وتركهم عند ذلك لدعاء الأصنام؛ لعلمهم أنه لا يكشف هذه الشدة العظيمة النازلة بهم غير الله سبحانه...))[2].

وقال في تفسير قول الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[يونس:٢٢]؛ **مبيناً –كذلك– حال عُبَّاد الأصنام عند الشدائد، ورجوعهم إلى الله ﷻ، بخلاف ما صار إليه حال عُبَّاد المقابر؛** قال: ((وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه؛ وإن كان كافراً.

وفي هذه الآية بيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة، وما يشابهها، فيا عجباً لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات!، فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة؛ دعوا الأموات، ولم يخلصوا الدعاء لله؛ كما فعله المشركون...، فانظر –هداك الله– ما فعلت هذه الاعتقادات الشيطانية، وأين وصل بها أهلها، وإلى أين رمى بهم الشيطان، وكيف اقتادهم

---

(١) المصدر السابق (ص١٢١-١١٣).

(٢) فتح القدير (٤/٣٠١).

وتسلط عليهم؟؛ حتى انقادوا له انقياداً ما كان يطمع في مثله، ولا في بعضه من عُبَّاد الأوثان، فإنا لله وإنا إليه راجعون))[1].

كما بيَّن الشيخ محمد باشميل -رحمه الله- أيضاً: ((أن توحيد المشركين الأولين، وإيمانهم بربهم، كان أقوى من توحيد القبوريين، وإيمانهم في هذا الزمن))[2]، واستدل -رحمه الله- على ذلك بنصوص من القرآن الكريم؛ ومنها[3]؛ كما تقدم بيانها.

ثم قال -رحمه الله-: ((فهذه الآيات تثبت أن أولئك المشركين إذا ركبوا في البحر، وتعرضوا للخطر، فتوقعوا نزول قارعة؛ نسوا آلهتهم من الأولياء وغيرهم، وكفروا بهم، وأخلصوا الدِّين لله وحده، وتوجهوا إليه بالدعاء، معلقين عليه وحده الرجاء؛ لأنهم كانوا يعرفون تماماً أن الذين يدعونهم من دونه هم أحقر وأضعف من أن يجلبوا لهم أية مساعدة، أو يقدموا لهم أي عون في تلك اللحظة الحرجة، بل لأنهم كانوا يدركون أن من يدعون من دون الله أعجز من أن يسمعوا لهم صوتاً، فضلاً عن أن يجيبوا لهم دعاء.

لذا فشريط المغالطات المعروض أمام بصائرهم يتمزق في تلك اللحظة الفاصلة، وتتجلى أمامهم الحقيقة جلية واضحة، وهي أن أحداً غير الله -مهما كان- لا يمكن الالتجاء إليه لإنقاذ الموقف في اللحظات العصبية... .

فهم لهذا يلجؤون إلى الله وحده، فيخلصون له الدِّين، ويدعونه، ويتضرعون إليه، ويطلبون منه العون والمدد دون سواه، وينسون الأولياء الذين اتخذوهم آلهة من دونه في الرخاء؛ لإيمانهم إيماناً جازماً أنه -سبحانه وتعالى- الوحيد الذي يقدر على إنقاذهم من الغرق، فهؤلاء المشركون -بشهادة القرآن- يظلون مخلصين لله الدِّين ما داموا في منطقة الخطر، ولكنهم إذا اجتازوا هذه المنطقة ونجوا إلى البر؛ عاودتهم

---

(١) فتح القدير (٢/٦٢٩).

(٢) كيف نفهم التوحيد (ص١٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص١٥).

العادة التي وجدوا عليها آباءهم، فيشركون مع الله غيره في الدعاء، والذبح، والنذر؛ وهذا هو الذي أنبهم الله عليه وسماهم بسببه مشركين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:٦٥].

هذا هو حال المشركين الأولين في إخلاصهم الدِّين لله، وتوجههم إليه وحده بالدعاء؛ عندما يحز بهم أمر أو يحدق بهم خطر))[١].

ثم قال -رحمه الله- مبيناً حال القبوريين : ((أما مشركوا هذا الزمن من القبوريين؛ فهم على النقيض من المشركين الأولين، فلا يدعون الله، ولا يتضرعون إليه إلا في الرخاء[٢].

أما إذا اشتد بهم كرب، أو ضاق بهم مسلك، أو تعذر عليهم مطلب، فإنهم ينسون الله تعالى، ويذكرون أولياءهم؛ فيجعلون منهم آلهة، فيتقربون إليهم في ضراعة وخشوع؛ بالدعاء، والذبح، والنذر، والخوف، والرجاء... .

والقبوريون إذا ركبوا البحر، وأحدق بهم الخطر؛ نسوا الله -سبحانه وتعالى-، وذكروا أولياءهم، وسارعوا بالابتهال والدعاء إليهم، مستغيثين ومستنجدين...، ولو رأيتهم في هلع وذلة كيف يتبارون في نذر النذور لهؤلاء القبوريين، ويتعهدون بتقديم القرابين عند قبورهم إن هم نجوا من الغرق؛ لأدركت مدى حقارة الشرك وخسة الكفر التي تمرغ كرامة الإنسان في مزابلها وأوحالها، حيث تنحدر به من مرتبة الإنسان العاقل إلى منزلة أحط من منزلة الأنعام السائمة.

وأي حقارة وخسة ومهانة أحط من أن ينصرف الإنسان بقلبه عن خالقه ورازقه، عن ربه الذي هو معه يسمع ويرى، ثم يتوجه في ضراعة وخشوع إلى عظام نخرة عجزت عن صد غارات الدود الذي اقتتل على التهام اللحم المحيط بها في القبر؛ يتوجه إليها، فيطلب منها العون والمدد داعيًا إياها ومستغيثًا بها لتسارع

---

(١) كيف نفهم التوحيد (ص١٥-١٦).

(٢) أي: أنهم في حال الرخاء يدعون الله ﷻ، ويدعون غيره، بخلاف حال الشدة؛ فإنهم يُفردونها لأوليائهم، فيلجؤون إليهم دون الله ﷻ.

لإنقاذه من الغرق؟ ...))[1].

ثم ذكر –رحمه الله– لتوضيح ذلك؛ تجربة وقعت له مع هؤلاء القبوريين في إحدى أسفاره في البحر؛ فقال: ((وقد حضرت كثيرًا من هؤلاء وهم يتضرعون إلى أوليائهم بالدعاء الحار في البحر... .

فقد كنا أكثر من ثمانين راكبًا في سفينة شراعية صغيرة، وعندما هاج علينا الموج، وغشينا من كل مكان؛ صارت السفينة تهبط بنا بين الأمواج الهائلة، وكأنها تنوي الاستقرار في قاع البحر، وترتفع مع المد وكأنها تريد الطيران من البحر.

وفي تلك الساعة العصيبة ضج القبوريون بالدعاء، وطلب العون والمدد، لا من الله الحي القدير على كل شيء، وإنما من الميت الذي لا يقدر على شيء... .

وعندما حاولت –على صغر سني حينذاك– إقناعهم بأن هذا موقف لا يصح أن يتوجه فيه مسلم إلى غير الله، ورجوت منهم –في شفقة وإخلاص– أن يلجؤوا إلى ربهم، ويخلصون له الدِّين؛ بالتضرع بالدعاء إليه وحده...، ثاروا وصاحوا جميعًا: "وهابي، وهابي!"، وكادوا يقذفون بي بين الأمواج الهائجة؛ لولا أن الله حماني منهم، ثم بعض الذين يكتمون إيمانهم في السفينة.

وعندما هدأت العاصفة ونجونا بعون الله تعالى وفضله وحده...، وأقبل بعضنا يهنئ بعضاً، أخذ هؤلاء القبوريون يؤنبونني، ويخوفونني من سوء الظن بالأولياء...))[2]، **ثم أطال –رحمه الله– في بيانه لمناقشته لهؤلاء القبوريين، وإيضاحه لخرافة حضور الأولياء عند الشدائد**[3].

وهكذا هي أحوال عُبَّاد القبور في كثير من بلدان المسلمين، أنهم يعتقدون في أمواتهم ما اعتقده مشركوا الجاهلية في أصنامهم، ويشركون في الرخاء والشدة على

---

(١) كيف نفهم التوحيد (ص١٦-١٧).

(٢) كيف نفهم التوحيد (ص١٨-١٩).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص١٩-٢٣).

حد سواء، في حين يشرك أهل الجاهلية في الرخاء، ويخلصون في الشدة؛ كما تقدم، والله أعلم.

المبحث الرابع: الرد على عباد المقابر ببيان شبههم وإبطالها.

لعبَّاد المقابر شبهات كثيرة لتبرير شركهم الأكبر بالله ﷻ، وعبادتهم القبور وأهلها؛ من الاستغاثة بهم عند الكروبات، والنذر لهم عند الملمات، وغيرها من أنواع العبادات.

وقد أورد علماء اليمن -رحمهم الله- جملة من الشبهات التي يُوردها عُبَّاد القبور، ثم أجابوا عليها؛ بما يُبطلها، ويدُحضها؛ حتى لا تنطلي هذه الشُّبه ونحوها على أهل التوحيد؛ ومنها ما يلي:

الشبهة الأولى: إن ما يفعله القبوريون هو من الكفر العملي؛ والرد عليها.

وبيان ذلك: أن كفر القبوريين الذين يعكفون على قبور من يعتقدونه من الأموات؛ فيدعونهم، ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ؛ من الكفر العملي، لا الكفر الاعتقادي؛ بدليل ما ورد في كفر تارك الصلاة: «بين العبد وبين الكفر؛ ترك الصلاة»[1]، وما ورد فيمن ترك الحج؛ من قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، ....

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (٨٨/١) ح (١٣٤)؛ من حديث جابر ﷺ؛ ولفظه: «إن بين الرجل، وبين الشرك والكفر؛ ترك الصلاة».

وما ورد في كفر من أتى حائضاً، أو كاهناً[(١)]، أو قال لأخيه يا كافر[(٢)]، ومن ذلك ما عقد البخاري في صحيحه؛ من كتاب الإيمان؛ في كفر دون كفر[(٣)]، وجعل هذا من الكفر الذي لا يُضاد الإيمان من كل وجه.

فهذه الأنواع من الكفر، وإن أطلقها الشارع على فعل هذه الكبائر، فإنه لا يخرج به العبد من الإيمان، فالذي يدعو الأولياء، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويُقبل جدرانها، وينذر لها، فإنه كفر عملي لا اعتقادي؛ لأنه مؤمن بالله وبرسوله ﷺ، وباليوم الآخر، لكن زين له الشيطان أن هؤلاء عباد الله الصالحين؛ ينفعون، ويشفعون، ويضرون، فاعتقدوا ذلك، كما اعتقد ذلك أهل الجاهلية في الأصنام.

وقد نسب العلامة الحازمي[(٤)]، والعلامة الشوكاني[(٥)] -رحمهما الله- هذا

---

(١) كما في حديث أبي هريرة ﷺ: «من أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ». أخرجه أحمد في مسنده (١٤٢/١٦) ح (١٠١٦٧)، وابن ماجه؛ كتاب: الطهارة وسننها، باب: النهي عن إتيان الحائض (٢٠٩/١) ح (٦٣٩)، وأبو داود؛ كتاب: الطب، باب: في الكاهن (١٥/٤) ح (٣٩٠٤)، والترمذي؛ كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض (٢٤٢/١) ح (١٣٥). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٦٨/٧).

(٢) كما في حديث أبي هريرة ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر؛ فقد باء به أحدهما». أخرجه البخاري؛ كتاب: الأدب، باب: من أكفر أخاه بغير تأويل؛ فهو كما قال (٢٦/٨) ح (٦١٠٣)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر (٧٩/١) ح (١١١).

(٣) ينظر: (١٥/١) ح (٢٩)، باب: كفران العشير، وكفر دون كفر.

(٤) ينظر: قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٧٤-٧٩).

(٥) ينظر: رسالة تتعلق بوجوب توحيد الله ﷻ (ص٧٩-٨٠)، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص١٠٢-١٠٦).

الكلام للعلامة الصنعاني –رحمه الله–[1].

فأما العلامة الحازمي –رحمه الله– فقد ردَّ على هذا الكلام؛ بقوله: أن هؤلاء القبوريين قد ((جمعوا بين كفر الاعتقاد؛ وهو اعتقاد النفع والضر في غير الله، وبين كفر العمل الناشئ عن كفر الاعتقاد؛ وهو تعظيم الأولياء؛ بدعائهم، والتقرب بالذبح إليهم، وغير ذلك من أنواع العبادة))[2].

كما بيَّن العلامة الشوكاني –رحمه الله– :أن هذا الكلام ليس ((بصحيح ولا مستقيم، فإن من يدعو الأموات، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، لا يصدر منه ذلك إلا عن اعتقاد؛ كاعتقاد أهل الجاهلية في أصنامهم، هذا إن أراد من الميت الذي يعتقده ما كان تطلبه أهل الجاهلية من أصنامهم؛ من تقريبهم إلى الله؛ فلا فرق بين الأمرين، وإن أراد استقلال من يدعوه من الأموات؛ بأن يطلبه ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، فهذا أمر لم تبلغ إليه أهل الجاهلية، فإنهم قالوا ما حكاه الله عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، ولم يدَّعوا لأصنامهم أنهم يستقلون بإيصالهم إلى ما يطلبونه دون الله ﷻ، فهذا هو شرك الجاهلية الذي بعث الله لأجله رسله، وأنزل فيه كتبه، وقاتلهم الأنبياء عليه، وأما الخلق، والرزق، والموت، والحياة، ونحو ذلك،

---

(١) ينظر: شرح الصنعاني لأبياته التي يرد بها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– مخطوط؛ رقم (٩٢٥)، ورقة (٨،٩)، مكتبة الجامعة الإسلامية. وكلام الصنعاني هنا مخالف لما قرره في كتابه: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد؛ حيث قرر: أن شرك القبوريين هو بعينه الشرك الذي كان عليه أهل الجاهلية، وإنما كان أهل الجاهلية يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما يسمونه ولياً، أو قبراً، أو مشهداً، وبيَّن –أيضاً–: أن القبوريين يأتون بشركيات ما بلغ إليها المشركون عُبَّاد الأصنام؛ كما تقدم بيان ذلك (ص٤٠٤) من هذا البحث، بل صرَّح –أيضاً–: أن هؤلاء لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولا ماهية التوحيد؛ فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً. ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص١٤).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٧٩)؛ وينظر: المصدر نفسه(ص٧٩–٨٨) في مناقشة العلامة الحازمي للعلامة الصنعاني حول هذه المسألة.

فالجاهلية يقرُّون في جاهليتهم، وقبل بعثة الرسول إليهم؛ بأن الله سبحانه هو المستقل بذلك: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[الزخرف:٨٧]، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الزخرف:٩]))[١].

وقال في موضع آخر: ((إنه لا شك أن الكفر ينقسم إلى كفر اعتقاد، وكفر عمل، لكن دعوى أن ما يفعله المعتقدون في الأموات من كفر العمل؛ في غاية الفساد...، فليت شعري ما هو الحامل لهم على الدعاء، والاستغاثة، وتقبيل الجدران، ونذر النذورات، هل هو مجرد اللعب والعبث من دون اعتقاد؟ فهذا لا يفعله إلا مجنون، أم الباعث عليه الاعتقاد في الميت؟ فكيف لا يكون هذا من كفر الاعتقاد الذي لولاه لم يصدر فعل من تلك الأفعال))[٢].

الشبهة الثانية: دعوى أن الالتجاء إلى الأولياء ليس شركاً، والرد عليها.

يقول القبوريون: نحن لا نشرك بالله ﷻ، ولا نجعل له نداً، والالتجاء إلى الأولياء ليس شركاً[٣].

وقد أجاب العلامة الصنعاني -رحمه الله- على هذه الشبهة: بأن هذا الذي يقولونه ((**جهل منهم بمعنى الشرك؛ فإن تعظيمهم الأولياء، ونحرهم النحائر لهم شرك؛ والله تعالى يقول:** ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[الكوثر:٢]؛ **أي: لا لغيره، كما يفيده تقديم الظرف، ويقول الله تعالى:**﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾**[الجن:١٨]...** .

فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون، وصاروا به مشركين، ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً؛ لأن فعلهم أكذبَ

---

(١) رسالة تتعلق بوجوب توحيد الله ﷻ (ص٨٠-٨٢).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص١١٠).

(٣) ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص١٣).

قولهم))[1].

الشبهة الثالثة: دعوى التفريق بين فعل القبوريين وبين فعل المشركين؛ لأن القبوريين يقولون: "لا إله إلا الله"، كما أنهم يصلون، ويصومون، ويذكرون، ويحجون، بخلاف المشركين، والرد عليها.

كذلك من الشبه التي يوردها عُبَّاد القبور: ضرورة التفريق بين فعل القبوريين وبين فعل المشركين، لأن هؤلاء القبوريين قد قالوا: "لا إله إلا الله"؛ وقد قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دمائهم، وأموالهم إلا بحقها»[2]، وقال ﷺ لأسامة بن زيد[3] رضي الله عنه: «قتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!»[4]، وهؤلاء يصلون، ويصومون، ويذكرون، ويحجون، بخلاف المشركين[5].

وقد أجاب العلامة الصنعاني -رحمه الله- على هذه الشبهة؛ بما يلي:

أولاً: أن النبي ﷺ قال: ((«إلا بحقها»، وحقها إفراد الإلهية والعبودية لله

---

(١) المصدر السابق (ص١٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص١١٢).

(٣) هو: أبو زيد أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبي، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ، توفي سنة ٥٤هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٧٥/١-٧٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢٠٢/١-٢٠٣).

(٤) أخرجه البخاري؛ كتاب: المغازي، باب: بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة (١٥٥٥/٤) ح (٤٠٢١)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله (٩٦/١) ح (١٥٩).

(٥) ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص١٧).

تعالى[1]، والقبوريون لم يفردوا الإلهية والعبادة، فلم تنفعهم كلمة الشهادة، فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها، كما لم ينفع اليهود قولها؛ لإنكارهم بعض الأنبياء[2]، كذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً؛ لم تنفعه كلمة الشهادة؛ ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون: أن "لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله"، ويصلون، ولكنهم قالوا: إن مسيلمة نبي؛ فقاتلهم الصحابة، وسبوهم، فكيف بمن يجعل للولي خاصية الإلهية ويناديه للمهمات؟، وهذا أمير المؤمنين على بن أبي طالب ﷺ حرّق أصحاب

---

(١) تقدم في (ص١٣٩) بيان أن قول: "لا إله إلا الله" لا بد أن يكون مصحوباً بمعرفة معناها، والعمل بمقتضاها، فهي لم تُوضع لتكون كلمة تُقال باللسان فقط؛ وإنما وُضعت لتحقيق العبودية الكاملة لله ﷻ بعد قولها، فمن قالها وجب عليه العمل بكتاب الله ﷻ، وسنة رسوله ﷺ، ووجب عليه أن يكون مؤمناً بالله بقلبه ولسانه وجوارحه، ومن ثم فإن فعل الواجبات، وترك المحرمات؛ تُعتبر من حق "لا إله إلا الله" الذي لا يجوز تضييعه، فمن اتخذ طريقاً يفضي إلى تضييع حق من حقوقها الواجبة، فإن الإسلام لا يقر ذلك عليه، بل يأمر بقتله؛ وإن قال بلسانه: "لا إله إلا الله"، لذلك أمر الصديق ﷺ بقتال مانعي الزكاة، وفهم من قوله ﷺ:«إلا بحقها»؛ أنه لا يمنع قتالهم إلا بأداء حقوقها؛ وقال: الزكاة حق المال، وهذا الذي فهمه الصديق ﷺ، قد رواه عن النبي ﷺ صريحاً غير واحد من الصحابة. ينظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها؛ لابن رجب (ص١٧-١٨).

(٢) نفى الله ﷻ الإيمان عن اليهود؛ بقوله: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[التوبة:٢٩]، حيث نفى الله ﷻ عنهم الإيمان؛ لأنهم لم يُقروا برسالة النبي ﷺ، فلم يُعتبر إيمانهم إيماناً بسبب هذا الإنكار؛ ((لأنهم لو كانوا مؤمنين بما بأيديهم إيماناً صحيحاً لقادهم ذلك إلى الإيمان بمحمد ﷺ؛ لأن جميع الأنبياء بشّروا به، وأمروا بإتباعه، فلما جاء كفروا به؛ وهو أشرف الرسل، عُلم أنهم ليسوا متمسكين بشرع الأنبياء الأقدمين؛ لأنه من عند الله، بل لحظوظهم وأهوائهم، فلهذا لا ينفعهم إيمانهم ببقية الأنبياء، وقد كفروا بسيدهم وأفضلهم)). تفسير ابن كثير (٢/٤٢٢).

عبد الله ابن سبأ[(١)]، وكانوا يقولون: نشهد أن "لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله"، ولكنهم غلوا في علي ﷺ، واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون، وأشباههم، فعاقبهم عقوبة لم يُعاقب بها أحداً من العصاة، فإنه حفر لهم الحفائر، وأجج لهم ناراً، وألقاهم فيها[(٢)]... .

وقد وقع إجماع الأمة على أن من أنكر البعث كفر، وقُتل[(٣)]، ولو قال: "لا إله إلا الله"[(٤)]، فكيف بمن يجعل لله نداً؟...))[(٥)].

ثانياً: أما استدلالهم بحديث أسامة ﷺ، والذي فيه إنكاره ﷺ على أسامة؛ لقتله من قال: "لا إله إلا الله"، فإنه لا حجة لهم فيه؛ لأنه ((لا شك أن من قال: "لا إله إلا الله"من الكفار؛ حُقن دمه، وماله ؛حتى يتبين منه ما يُخالف ما قاله، ولذا

---

(١) هو: عبد الله بن سبأ، الصنعاني، اليمني، المعروف بابن السوداء، كان يهودياً، ثم أظهر الإسلام، وهو رأس الطائفة السبئية، ادعى الأولهية في علي ﷺ، وهو أول من أظهر القول بالرفض، وبإمامة علي، والرجعة، ومنه تشعبت فرق الضلال. ينظر: تاريخ الأمم والرسل والملوك؛ للطبري (٦٤٧/٢)، والوافي بالوفيات (٣٩٣/٥).

(٢) أخرج حديث تحريقهم: البخاري (٢٥٣٧/٦) ح (٦٥٢٤)، واتفق الصحابة -رضي الله عنهم- على قتلهم، لكن ابن عباس -رضي الله عنهما- كان مذهبه أن يُقتلوا بالسيف بلا تحريق؛ وهو قول أكثر العلماء. ينظر: مجموع الفتاوى (٣٩٤/٣)، (٣٣/١٣-٣٤).

(٣) نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم؛ منهم ابن حزم، وابن عبد البر، والقاضي عياض، وابن تيمية، وغيرهم من أهل العلم. ينظر: المحلى؛ لابن حزم (٢٦/١)، والفصل في الملل والأهواء والنِّحل (٦٦/٤)، والتمهيد (١١٦/٩)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٨٣/٢)، ومجموع الفتاوى (٣١٤/٤).

(٤) لأنه فعل ناقضاً من نواقض الإسلام، وأنكر أصلاً من أصول الإيمان، فإذا كان الذي ينكر البعث يكفر؛ فإن الذي يجعل لله ﷻ نداً يدعوه من دون الله أشد كفراً.

(٥) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص١٧-١٨).

أنزل الله في قصة محلم ابن جثامة[1][2]؛ آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾[النساء:٩٤]، فأمرهم الله تعالى بالتثبت في شأن من قال كلمة التوحيد، فإن تبين التزامه لمعناها؛ كان له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، وإن تبين خلافه؛ فلم يحقن دمه، وماله بمجرد التلفظ.

---

(١) هو: يزيد بن قيس بن ربيعة الكناني، الليثي، قيل: أنه توفي في حياة النبي ﷺ؛ فدفنوه، فلفظته الأرض مرة بعد أخرى، فأمر به فألقي بين جبلين، وجعل عليه حجارة، وقيل: توفي في حمص في أيام ابن الزبير. ينظر: أسد الغابة (٩٧٨/١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧٨٥/٥).

(٢) وفيها: ((أن مُحلِّم بن جثَّامة الليثي قتل رجلاً من أشجعَ في الإسلام، وذلك أول غِيَرٍ قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلم عُيينة في قتل الأشجعي لأنه من غطفان، وتكلم الأقرع بن حابس دون مُحلِّم لأنه من خِنْدِف، فارتفعت الأصوات وكثرت الخصومة واللغط، فقال رسول الله ﷺ: «يا عيينة، ألا تقبل الغِيَرَ؟» فقال عيينة: لا، والله حتى أدخل على نسائه من الحرب والحزن ما أدخل على نسائي، قال: ثم ارتفعت الأصوات، وكثرت الخصومة واللغط، فقال رسول الله ﷺ: «يا عيينة ألا تقبل الغِيَرَ؟» فقال عيينة: مثل ذلك -أيضاً-، إلى أن قام رجل من بني ليث؛ يُقال له: مُكَيْتِلٌ عليه شِكَّةٌ، وفي يده دَرِقةٌ، فقال: يا رسول الله، إني لم أجد لما فعل هذا في غُرَّة الإسلام مثلاً إلا غنماً وردت، فُرمي أوَّلُها فنفر آخرُها، اسنُن اليوم وغير غداً، فقال رسول الله ﷺ: «خمسون في فورنا هذا، وخمسون إذا رجعنا إلى المدينة»، وذلك في بعض أسفاره، ومُحلَّم رجل طويل آدَمٌ، وهو في طرف الناس، فلم يزالوا حتى تَخلَّص، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ وعيناه تَدمعان، فقال: يا رسول الله، إني قد فعلت الذي بلغك، وإني أتوب إلى الله تبارك وتعالى، فاستغفرِ الله ﷻ لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «أقتلته بسلاحك في غُرَّة الإسلام، اللهم لا تغفر لمحلِّم» بصوت عال....)). أخرجها أحمد في مسنده (٥٥٨/٣٤) ح (٢١٠٨١)، وابن ماجه؛ كتاب: الديات، باب: من قتل عمداً فرضوا بالدية (٨٧٦/٢) ح (٢٦٢٥)، وأبو داود؛ كتاب: الديات، باب: الإمام يأمر بالعفو في الدم (١٧١/٤) ح (٤٥٠٣). وضعفها الألباني= =في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/١).

وهكذا كل من أظهر التوحيد؛ وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يخالف ذلك[1]، فإذا تبين؛ لم تنفعه هذه الكلمة بمجردها، ولذلك لم تنفع اليهود، ....

(١) هذه قاعدة شرعية معلومة عند أهل العلم؛ وهي: أن كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يُخالف ذلك، فتُجرى عليه أحكام الإسلام، فإن التزم بها؛ حُكم بإسلامه، وإن أتى بما يُناقض الإسلام، حُكم بكفره؛ وفق ما دلت عليه النصوص الشرعية، مع توفر الشروط، وانتفاء الموانع في حقه. ينظر: كشف الشبهات؛ لمحمد بن عبد الوهاب (ص٢٤)، وتيسير العزيز الحميد (ص١٩٧).

ولا نفعت الخوارج[1][2] مع ما انظم

(١) الخوارج: جمع خارجة؛ أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون، سموا بذلك لخروجهم عن الدِّين، وخروجهم على خيار المسلمين، وكان أول خروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بعد معركة "صفين"، وقبول علي تحكيم الحكمين، حيث كرهوا ذلك منه، وبسببه نقموا عليه، وقالوا قولتهم: لا حكم إلا الله، فانحازوا إلى بلدة "حروراء"، وأعلنوا البراءة من علي والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وكفَّروهم بسبب ذلك، وهم أصحاب تأويلات في القرآن، خالفوا فيها ما كان عليه السلف، وكفَّروا المسلمين بالمعاصي، واستحلوا بها دمائهم، ولهذا اتفق الصحابة – رضوان الله عليهم– على ذمهم وتضليلهم، وأنهم قوم سوء، حتى وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة، فحذَّروا منهم، ومن بدعهم، وكانوا يناظرونهم وينصحونهم، وكانوا يرونهم شرار الخلق، بل كانوا يقاتلونهم إذا حدث منهم قتال، أو تعرضوا لمصالح المسلمين. ينظر: التمهيد (٣٢٢/٢٣)، والملل والنحل (١/١١٤-١١٥)، وفتح الباري (١٢/٢٨٣-٢٨٥).

(٢) هذا يدل على أن العلامة الصنعاني –رحمه الله– يرى كفر الخوارج، وهو أحد قولي العلماء في شأن الخوارج؛ إلا أن الصواب –والله أعلم– هو القول الثاني؛ وهو المشهور عن أئمة السلف من الصحابة والتابعين؛ أن الخوارج فسَّاق عصاة بغاة، ولم يحكموا بكفرهم، فقد صرَّح الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ بعدم كفرهم، وذلك حين سُئل عن أهل النهروان؛ هل كفروا؟ قال: من الكفر فرُّوا، وهذا القول هو الذي صححه كثير من أئمة السلف في الخوارج، وفي غيرهم من أهل الأهواء والبدع. ينظر: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي؛ لابن العربي (٩/٣٨)، ومنهاج السنة النبوية (٥/٢٤١-٢٤٨)، ومجموع الفتاوى (٧/٢١٧-٢١٨)، (٢٨/٥٠٠)، والاعتصام؛ للشاطبي (٢/١٨٥-١٨٧)، وفتح الباري (١٢/٢٩٩-٣٠١).

إليها من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها[1]، بل أمر ﷺ بقتلهم؛ وقال: «لئن أدركتهم؛ لأقتلنهم قتل عاد»[2]؛ وذلك لما خالفوا بعض الشريعة، وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء، كما ثبتت به الأحاديث[3].

فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها؛ لارتكابه لما يخالفها من عبادة غير الله))[4].

الشبهة الرابعة: دعوى أن العبادة محصورة في الصلاة، والصوم، والحج، ونحوها من العبادات؛ وهذه لا تُصرف إلا لله ﷻ دون غيره، والرد عليها.

ومن الشبه التي يوردها عُبَّاد القبور؛ قولهم: نحن لا نعبد هؤلاء، ولا نعبد إلا الله وحده، ولا نصلي لهم، ولا نصوم، ولا نحج[5].

والرد على هذه الشبهة كما بيَّن ذلك العلامة الصنعاني -رحمه الله-: أن هذا الذي يقولونه إنما هو جهل بمعنى العبادة، فإنها ليست منحصرة في ما ذكروه، بل

---

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «يخرج فيكم؛ قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل؛ فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح؛ فلا يرى شيئاً، وينظر في الريش؛ فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفوق». تقدم تخريجه (ص١٩١).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٥٦).

(٣) كما في حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل من قتلوه»، أخرجه أحمد في مسنده (٥٤٢/٣٦) ح (٢٢٢٠٨)، وابن ماجه في مقدمة سننه، باب: في ذكر الخوارج (٦٢/١) ح (١٧٦)، والترمذي؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران (٧٦/٥) ح (٣٠٠٠)؛ وقال: هذا حديث حسن؛ وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (٢٤٨/١).

(٤) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص١٨-١٩).

(٥) ينظر: المصدر السابق (ص١٩).

رأسها وأساسها الاعتقاد، وقد حصل في قلوبهم ذلك، بل يسمونه معتقداً، ويصنعون له مما تفرع عن الاعتقاد؛ من دعائهم، وندائهم، والتوسل بهم، والاستغاثة، والاستعانة، والحلف، والنذر، وغير ذلك[1].

الشبهة الخامسة: الاحتجاج على صحة ما يفعلونه عند القبور؛ بحصول النفع، ودفع الضرر، في حال النذر للقبور، والرد عليها.

قالوا: أن الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر؛ بسبب إخراجه للنذر وبذله[2]؛ بمعنى: أن الناذر الذي يُنذر لأصحاب القبور، قد يجد مبتغاه؛ من حصول منفعة، أو دفع مضرة؛ كرد غائب له، أو شفاء مريض، فقد يحصل النفع في الظاهر في بعض الأحيان.

وقد رد العلامة الصنعاني –رحمه الله– على هذه الشبهة: بأن ((الأصنام، قد يُدرَك منها ما هو أبلغ من هذا؛ وهو الخطاب من جوفها، والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان، فإن كان هذا دليلاً على حقية القبور، وصحة الاعتقاد فيها؛ فليكن دليلاً على حقية الأصنام، وهذا هدم للإسلام، وتشييد لأركان الأصنام.

والتحقيق: أن لإبليس وجنوده من الجن والإنس؛ أعظم العناية في إضلال العباد، وقد مكَّن الله إبليس من الدخول في الأبدان، والوسوسة في الصدور، والتقام القلب بخرطومه، وكذلك يدخل أجواف الأصنام، ويلقي الكلام في أسماع الأقوام، ومثله يصنعه في عقائد القبوريين، فإن الله تعالى قد أذن له أن يجلب بخيله ورجله على بني آدم، وأن يشاركهم في الأموال والأولاد...))[3].

---

(١) ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص١٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٢٠).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٢٠-٢١).

الشبهة السادسة: دعوى انتشار القبور والمشاهد في عموم البلاد، من غير نكير؛ دليل على جوازها، والرد عليها.

ومن الشبه -أيضاً- دعوى: أن القبور والمشاهد قد عمَّ أمرها في ((البلاد، واجتمعت عليه سكان الأغوار[1] والأنجاد[2]، وطبق الأرض شرقاً وغرباً، ويمناً وشاماً، وجنوباً وعدناً، بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد، وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها وينذرون لها، ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها، ويطوفون بفناء القبور، ويسرجونها، ويلقون عليها الأوراد والرياحين، ويلبسونها الثياب، ويصنعون كل أمر يقدرون عليه؛ من العبادة لها، وما في معناها؛ من التعظيم، والخضوع، والخشوع، والتذلل، والافتقار إليها.

بل هذه مساجد المسلمين؛ غالبها لا يخلوا عن قبر أو قريب منه، أو مشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة؛ يصنعون فيها ما ذُكر، أو بعض ما ذُكر، ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة، ويسكت عليه علماء الإسلام؛ الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا))[3].

وقد رد العلامة الصنعاني -رحمه الله- على هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أن الحق ما قام عليه الدليل، لا ما اتفق عليه العوام، والجهلة منهم، الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل؛ حيث قال: ((إن أردت الإنصاف، وتركت متابعة الأسلاف، وعرفت أن الحق: ما قام عليه الدليل، لا ما اتفق عليه العوام جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل، فأعلم أن هذه الأمور التي ندندن حول إنكارها ونسعى في هدم منارها صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل، ومتابعتهم

---

(١) الأغوار: جمع غور؛ وهو: ما انخفض من الأرض. ينظر: المحيط في اللغة؛ للصاحب بن عباد (١٢٣/٥)، والمصباح المنير؛ للفيومي (ص٢٣٦)، والمعجم الوسيط (٦٦٦/٢)

(٢) الأنجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. ينظر: الصحاح (١٠٤/٣)، والمصباح المنير (ص٣٠٥)، والمعجم الوسيط (٩٠٢/٢).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٢١-٢٢).

لهم من غير فرق بين دني ومثيل، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يلقنونه في الطفولية أن يهتف باسم من يعتقدون فيه، ويراهم ينذرون عليه، ويعظمونه، ويرحلون به إلى محل قبره، ويلطخونه بترابه، ويجعلونه طائفاً على قبره، فينشأ وقد قرَّ في قلبه عظمة ما يعظمونه، وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه، فنشأ على هذا الصغير، وشاخ عليه الكبير، ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير))[1].

الثاني: أن سكوت العالِم، أو العَالم على وقوع منكر؛ ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر؛ حيث بيَّن –رحمه الله–: أنه قد ((ترى ممن يتَّسم بالعلم، ويدعي الفضل، وينتصب للقضاء، والفتيا، والتدريس، أو الولاية، أو المعرفة، أو الإمارة والحكومة؛ معظماً لما يعظمونه، مكرماً لما يكرمونه، قابضاً للنذور، آكلاً ما ينحر على القبور، فيظن العامة أن هذا دين الإسلام، وأنه رأس الدِّين والسنام، ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر، ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر؛ أن سكوت العالم على وقوع منكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر...))[2].

الشبهة السابعة: المعتقدون في الأموات ليسوا كالمشركين؛ لأنهم إنما يعتقدون بالصالحين والأولياء، والرد عليها.

كذلك ((من الشبه الباطلة التي يوردها المعتقدون في الأموات: أنهم ليسوا كالمشركين من أهل الجاهلية؛ لأنهم إنما يعتقدون في الأولياء والصالحين، وأولئك اعتقدوا في الأوثان والشياطين))[3].

وهذه الشبهة كما قال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((داحضة تُنادي على صاحبها بالجهل، فإن الله سبحانه لم يعذر من اعتقد في عيسى –عليه السلام– وهو نبي من الأنبياء، بل خاطب النصارى بتلك الخطابات القرآنية؛ ومنها:

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٢٢).

(٢) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٨٨).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ﴾[النساء:١٧١]، وقال لمن كان يعبد الملائكة: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ﴾[سبأ:٤٠-٤١]، ولا شك أن عيسى والملائكة أفضل من هؤلاء الأولياء والصالحين الذين صار هؤلاء القبوريون يعتقدونهم، ويغلون في شأنهم، مع أن رسول الله ﷺ هو أكرم الخلق على الله، وسيّد ولد آدم[١]، وقد نهى أمته أن تغلوا فيه؛ كما غلت النصارى في عيسى -عليه السلام-[٢]))[٣].

---

(١) يدل عليه قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع». أخرجه مسلم؛ كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا ﷺ (١٧٨٢/٤) ح (٢٢٧٨)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) كما جاء في قوله ﷺ: «لا تُطروني كما أَطرَتِ النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله». أخرجه البخاري؛ كتاب: الأنبياء، باب: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾[مريم:١٦] (١٢٧١/٣) ح (٣٢٦١)؛ من حديث عمر ﷺ، ومعنى الإطراء: مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٧١/٣)، فهذا الرسول ﷺ لم يرض أن يغلو في شأنه أحد من أمته، كما غلت النصارى في عيسى -عليه السلام- فادعوا فيه الإلهية، فكيف بمن غلا فيمن دونه من الأولياء، وغيرهم، ووصفه بالألوهية؟ إنه قد اتخذهم آلهة من دون الله ﷻ، وضاهى النصارى في شركهم.

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٨٨-٨٩).

الشبهة الثامنة: ومن الشبه -أيضاً- التي يوردها القبوريون؛ قولهم: نحن نعتقد أن الله ﷻ هو الضَّار النافع، والخير والشر بيده، وإن استغثنا بالأموات قصدنا انجاز ما طلبناه منه سبحانه وتعالى(١).

وقد رد العلامة الشوكاني -رحمه الله- على هذه الشبهة: بأن هذا هو ما كان عليه أهل الجاهلية، ((فإنهم يعلمون أن الله هو الضَّار النافع، وأن الخير والشر بيده، وإنما عبدوا أصنامهم لتقربهم إلى الله زلفى؛ كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز))(٢). وقد تقدم ذكر النصوص الدالة على ذلك(٣).

الشبهة التاسعة: دعوى جهل المعتقدين في الأموات بأن ما يفعلونه شرك؛ والرد عليها.

ومن الشبه الواردة -أيضاً- قول بعضهم: أن ((هؤلاء المعتقدين في الأموات لا يعلمون بأن ما يفعلونه شرك، بل لو عُرض أحدهم على السيف لم يُقر بأنه مشرك بالله، ولا فاعل لما هو شرك، بل ولو علم أدنى علم أن ذلك شرك لم يفعله))(٤).

وقد بيَّن العلامة الشوكاني -رحمه الله- أن الأمر قد يكون كذلك، إلا أنه ((تقرر في أسباب الردة؛ أنه لا يعتبر في ثبوتها العلم بمعنى ما قاله من جاء بلفظ كفري، أو فعل فعلاً كفرياً، وعلى كل حال فالواجب على كل من اطلع على شيء من هذه الأقوال والأفعال التي اتصف بها المعتقدون في الأموات،..................

---

(١) المصدر السابق (ص٩٥).

(٢) المصدر السابق (ص٩٥-٩٦).

(٣) ينظر: (ص٢٠٩).

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٨٢)، وينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص١٣).

أن يُبلغهم الحجة الشرعية، ويبين لهم ما أمره الله ببيانه لهم[1]، فيقول لهم: إن هذا الذي يفعلونه هو الشرك الذي كانت عليه الجاهلية، وهو الذي بعث الله رسوله بهدمه، وأنزل كتبه في ذمه، وأخذ على النبيين أن يبلغوا عباده؛ أنهم لا يؤمنون حتى يخلصوا له التوحيد، ويعبدوه وحده، فإذا علموا بهذا علماً لا يبقى معه شك ولا شبهة، ثم أصروا على ما هم فيه من الطغيان والكفر بالرحمن، وجب عليه أن يخبرهم بأنهم إذا لم يُقلعوا عن هذه الغواية، ويعودوا إلى ما جاءهم به رسول الله ﷺ من الهداية؛ فقد حلَّت دماؤهم، وأموالهم، فإن رجعوا، وإلا فالسيف هو الحكم العدل، كما نطق به الكتاب المبين، وسنة سيد المرسلين في إخوانهم المشركين))[2].

---

(١) ما ذهب إليه العلامة الشوكاني -رحمه الله- من تعليم الجاهل، وإقامة الحجة عليه؛ هو القول الصحيح الذي دلت عليه النصوص الشرعية؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الاسراء:١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾[الأنعام:١٩]، فليس ((لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ حتى تقام عليه الحجة، وتُبيَّن له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين، لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة)). مجموع الفتاوى (١٢/٤٦٦)، وعلى هذا الأساس فإن من وقع في الشرك جهلاً منه، ولم تُقم عليه الحجة؛ ببيان حقيقة التوحيد، وما يضاده من الشرك؛ ككونه حديث عهد بالإسلام، أو كونه في ديار ليس فيها من العلماء من يُبيِّن له أمر دينه، أو كان في ديار فيها من العلماء من لبَّس عليه أمر دينه، فزيَّن له الشرك، وأثار في قلبه الشبهات؛ فإنه يُعذر فيما وقع فيه من الأعمال الشركية، أما إن لم يكونوا حديث عهد بالإسلام، وكانوا في بلاد يكثر فيها العلماء، واستفاض العلم بأمور التوحيد؛ فإنهم لا يُعذرون بعد إقامة الحجة عليهم، وأصروا على ما هم فيه من الشرك، وقد بيَّن العلامة الشوكاني -رحمه الله- موقفه من هذه القضية بشيء من التفصيل؛ في مواطن أخرى من كتبه. ينظر: السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (٤/٥٧٨)، ورسالة تتعلق بوجوب توحيد الله ﷻ (ص٦٣،٥٣-٧٨).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٨٢-٨٣).

الفصل الثاني: بيان علماء اليمن لسبب الشرك والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الغلو في الصالحين.

المبحث الثاني: البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الثالث: توضيح مسألة زيارة القبور والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الرابع: توضيح مسألة الشفاعة والرد على المخالفين في ذلك.

تمهيد:

لما كان الشرك بالله ﷻ أمراً حادثاً، وأن الأصل هو التوحيد؛ كما قال الله ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[البقرة:٢١٣]؛ كان لا بد له من أسباب تُوصل وتؤدي إليه؛ كالغلو في الصالحين، ورفعهم فوق منزلتهم، وتعظيم قبورهم؛ بالبناء عليها، أو اتخاذها مساجد، وشد الرحال إليها، والاستشفاع بأهلها، ونحوها من الأمور، والإسلام جاء بسد منافذ الشرك، وحسم أسبابه، فقد حرَّم البناء على القبور، ونهى عن تشييدها، أو شد الرحال إليها، أو الاستشفاع بأهلها، لأنها السبيل إلى الغلو في أصحابها، ومن ثم عبادتها؛ كما وقع في الأمم السالفة.

وهذا الذي قرره علماء اليمن –رحمه الله– في بيان أسباب الشرك؛ كما سيتضح ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: الغلو في الصالحين.

الغلو: ((هو: التجاوز في الحد))[1] كما قال الشوكاني -رحمه الله-؛ وهو عام في جميع أمور الدِّين؛ القولية، والعملية، والاعتقادية[2]، والمقصود هنا الغلو في الصالحين، الذي هو من أكبر أسباب الانحراف عن التوحيد.

وقد كان أول انحراف عن التوحيد في تاريخ البشرية بسبب الغلو في محبة الصالحين، وهذا الذي قرره علماء اليمن؛ مستدلين على ذلك بما جاء في قصة قوم نوح -عليه السلام-.

قال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- في بيان ذلك: ((اعلم أن أصل عبادة الأصنام والأوثان ناشئ من تعظيم المخلوق بما لا يستحقه؛ قال الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣١]...، عن عدي بن حاتم[3]، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنهم حرَّموا الحلال عليهم، وحللوا لهم الحرام؛ فاتبعوهم، فتلك عبادتهم»[4]، ....

(١) فتح القدير (٨١٥/١). وينظر: تفسير الطبري (٤١٦/٩)، والمفردات في غريب القرآن (١٦١/٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٧١٩/٣).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم؛ لابن تيمية (٢٣٧/٤).

(٣) هو: أبو طريف عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي، كان جواداً، شريفاً في قومه، وله أحاديث، ثبت في أحداث الردة هو وقومه، وشهد صفين مع علي، توفي سنة ٦٧هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٧٥٩/١-٧٦١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤٦٩/٤-٤٧١).

(٤) أخرجه الترمذي؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة (١٢٩/٥) ح (٣٠٩٥)؛ وقال: هذا حديث غريب. وحسنه الألباني في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام (١٩/١).

وقال حذيفة[(١)]...؛ أي: اتبعوهم فيما حللوا وحرَّموا[(٢)].

ولما كان شرع الأحكام من خواص الإلهية، وعظموا بعض عباده بما لم يأذن به الله في ذلك؛ فاتبعوهم بلا هدي ولا كتاب منير؛ سماهم الله بهذا الإتباع متخذين أرباباً من دون الله))[(٣)].

ثم ذكر[(٤)] -رحمه الله- ما نقله البخاري في صحيحه[(٥)]، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: من أن الأوثان التي كانت في قوم نوح -عليه السلام- صارت في العرب بعد؛ وهي: وَدّ، وسُواع، ويغُوث، ويَعوق، ونسْر؛ وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون إليها أنصاباً وسموها بأسمائهم، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدت.

ثم قال -رحمه الله-: ((وقال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم.

فمفسدة الشرك التي هي أعظم المفاسد؛ أصلها تعظيم المخلوق بما لا

---

(١) هو: أبو عبد الله حذيفة بن حسل بن جابر بن عمرو بن ربيعة العبسي، واليمان لقب لوالده حسل، وهو صاحب سر رسول الله ﷺ، ومن كبار أصحابه، خيره النبي ﷺ بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وله أحاديث، شهد فتوح العراق، توفي سنة ٣٦هـ. ينظر ترجمته: أسد الغابة في معرفة الصحابة (١/٢٤٧-٢٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٤٤).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٨/١٢٠).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٧-١٢٨).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص١٢٨-١٢٩).

(٥) ينظر: صحيح البخاري (١٢/٢٦١) ح (٤٩٢٠).

يستحقه، وإعطاؤه فوق منزلته))[1].

كما أوضح -رحمه الله- أنه ((من تعظيم المخلوق بما لا يستحقه نشأت عبادة اللات))[2]، ونقل[3] ما ذكره البخاري[4]، وابن جرير[5]، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: ((أن اللات: كان رجلاً يلت[6] السويق[7] للحجاج في الجاهلية؛ فلما مات عكفوا على قبره؛ فعبدوه))[8].

ثم قال -رحمه الله- مقرراً أن تعظيم المخلوق بما لا يستحقه هو سبب الشرك؛ فقال: ((فقد رأيت أن سبب عبادة ود، ويغوث، ويعوق، ونسر، واللات؛ كان من تعظيمهم المخلوق بما لم يأذن به الله؛ حتى عظموا قبورهم، وجعلوا لها تماثيل...))[9].

وبعد هذا البيان منه -رحمه الله- لأصل الشرك، وسببه الأعظم، والذي هو تعظيم المخلوق والغلو فيه بما لا يستحقه؛ ذكر -رحمه الله- جملة من الأمور التي نهى

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٧-١٢٩).

(٢) المصدر السابق (ص١٢٩).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص١٢٩-١٣٠).

(٤) ينظر: صحيح البخاري (١٨٤١/٤) ح (٤٥٧٨).

(٥) ينظر: تفسير ابن جرير (٥٢٣/٢٢).

(٦) يلت: بمعنى: يخلط. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٣٠/٤).

(٧) السويق: هو دقيق الحنطة، أو الشعير، وهذا الرجل كان على صخرة بالطائف، وعليها له غنم، فكان يسلوا من رسلها، ويأخذ من زبيب الطائف، والأقط؛ فيجعل منه حيساً، ويُطعم من يمر به من الناس، فلما مات بنى الناس على تلك الصخرة بيتاً وعبدوها، وفي عام الفتح هدمها علي بن أبي طالب ﷺ بأمر من النبي ﷺ .ينظر: فتح الباري (٦١٢/٨).

(٨) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٩-١٣٠).

(٩) المصدر السابق (ص١٣٠).

الشارع الحكيم عنها حسماً منه لمادة الشرك، والتي منها: البناء على المقابر، أو اتخاذها مساجد؛ أو أعياداً؛ كما سيأتي بيان ذلك في المبحث التالي.

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[نوح:٢١-٢٣]: ((كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون؛ دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ثم عبدتهم العرب بعد ذلك، وقد حكى معنى هذا في صحيح البخاري عن ابن عباس -رضى الله عنهما-[(١)]، وقال قوم من السلف: إن هؤلاء كانوا قوما صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا؛ عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد؛ فعبدوهم.))[(٢)].

وبنحوه قال العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله-، وأطال في بيان ذلك[(٣)].

ومثله قال الشيخ البيحاني -رحمه الله- في كتابه "الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني"[(٤)].

كذلك بيَّن الشيخ محمد باشميل -رحمه الله- ذلك[(٥)]، وذكر الأدلة

---

(١) تقدم بيان ذلك قبل قليل.

(٢) شرح الصدور في تحريم رفع القبور (ص١١-١٢). وينظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٤٨-٤٩)، وفتح القدير (٥/٤٢٢).

(٣) ينظر: إيقاظ الوسنان (ص٥٩-٦٢).

(٤) (ص٢٦٥) .

(٥) كيف نفهم التوحيد (ص٤١-٤٢).

على أن أولئك كانوا رجالاً صالحين من قوم نوح –عليه السلام–[1]**؛ كما تقدم بيانها.**

ثم قال –رحمه الله– مقرراً أن الغلو في أولئك الصالحين هو أصل عبادة الأوثان: ((فابتداء عبادة الأوثان كان من ذلك، وسُمِّيت تلك الصور بهذه الأسماء؛ لأنهم صوَّروها على صور أولئك القوم من المسلمين))[2].

فتبين مما تقدم ذكره عن علماء اليمن –رحمهم الله– أن الغلو في الصالحين، وتعظيمهم بما لم يأذن به الله ﷻ؛ هو سبب الشرك الأكبر، وأصله الأول، والله أعلم.

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص٤٣-٤٤).

(٢) المصدر السابق، والموضع نفسه.

المبحث الثاني: البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد، والرد على المخالفين في ذلك.

البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد من أعظم أسباب الشرك، ووسائله المفضية إليه، كما أنه من أعظم الأمور التي ابتليت بها الأمة الإسلامية اليوم؛ فقد انتشرت المساجد المبنية على القبور، ورُفعت القباب فوق القبور، وزُخرفت وزُينت، وقصدها الناس؛ للتبرك بها، ولدعاء أهلها، والذبح عندها، والاستشفاع بأهلها، والاستشفاء بتربتها، وهذا أمر مشاهد في كثير من البلاد الإسلامية اليوم، ولا يحتاج إلى إقامة الدليل على وجوده، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد كان لعلماء اليمن -رحمهم الله- كبير اهتمام بهذه المسألة، فأطالوا النفس في الحديث عنها، وأفردوها بمصنفات مستقلة؛ وما ذلك إلا لِعظم أمرها، وكبير خطرها، واستفحالها في المجتمعات الإسلامية، ويتضح ذلك من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: بيان كيفية القبر المشروعة.

بيَّن العلامة المعلمي –رحمه الله– أن ((الذي يهمنا من كيفية القبر، الكيفية الظاهرة؛ لأنها موضع النزاع...))[١].

ثم أورد –رحمه الله– جملة من النصوص والآثار الواردة في ذلك[٢]؛ **ومنها:** قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾[المائدة: ٣١].

قال –رحمه الله–: ((الآية يُستدل بها على أن المقصود من شرع دفن الميت هو مواراة جثته، فالقدر الذي يحصل به تمام المواراة هو الأصل الثابت المقرر، وما زاد عن ذلك فإنه مفتقر إلى دليل))[٣].

ومنها: حديث ثمامة بن شُفي[٤] قال: كنا مع فَضَالة بن عبيد[٥] بأرض الروم، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسُوِّي، ثم قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– يأمر بتسويتها[٦].

---

(١) عمارة القبور في الإسلام؛ للمعلمي (ص١٦).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص١٦-٢٥).

(٣) المصدر السابق (ص٢٦).

(٤) هو: أبو علي ثمامة بن شفي الهمداني الأجروحي المصري، وثقه جمع من أهل العلم، توفي قبل سنة ١٢٠هـ. ينظر: التاريخ الكبير؛ للبخاري (١٧٧/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال؛ للمزي (٤٠٤/٤-٤٠٥).

(٥) هو: أبو محمد فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري العمري الأوسي، شهد غزوة أحد وما بعدها، وُلي قضاء دمشق في عهد معاوية رضي الله عنه، توفي سنة ٥٣هـ، وقيل غير ذلك. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٢٦٢/٣-١٢٦٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٥٨٣/٥-٢٨٤).

(٦) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبر (٦٦٦/٢) ح (٩٦٨).

ثم أوضح -رحمه الله-: أن هذا الحديث مداره على كلمة "التسوية"؛ ثم أطال في بيان معنى التسوية، وقرر أن المختار لديه في المراد بتسوية القبر: ((جعله سوياً قويماً على ما اقتضته الحكمة من غير إفراط ولا تفريط، وذلك على الهيئة التي ينبغي أن تكون القبور عليها، وبعد أن عقلوها وعلموا أنها هي الهيئة السوية القويمة أمرهم بلزومها في ما يطرأ من القبور، ورد ما خالفها إليها))[1].

ثم أوضح -رحمه الله-[2]: أن هذا هو معنى ما جاء عن فضالة بن عبيد: "سووا القبور على وجه الأرض إذا دفنتم الموتى"[3].

ثم قال: ((وإنما زاد قوله: "وجه الأرض" تنبيهاً على ما هو الأهم؛ لأن الغالب أن المخالفة إنما تقع في ظاهر القبور بالتجصيص[4] والإشراف والبناء وغيره، وهذه الأشياء منافية لكون القبر سوياً بالنسبة لما على وجه الأرض منه، فأمر بتسويتها على وجه الأرض))[5].

ومنها: حديث القاسم بن محمد[6]؛ قال: دخلت على عائشة؛ فقلتُ: يا

---

(١) عمارة القبور في الإسلام (ص٣١-٣٢).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٣٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣١٤/١٨) ح (٨١٢). وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٨٠/١).

(٤) التجصيص: هو بناؤها بالجص، والجص هو الجبس، وقيل: الجير، والمقصود تبييض القبر بالجص. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١١٣/٤).

(٥) عمارة القبور في الإسلام (ص٣٢).

(٦) هو: أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أبي قحافة القرشي، كان فقيهاً إماماً كثير كثير الحديث، روى عن جمع من الصحابة -رضي الله عنهم-، توفي سنة ١٠٨هـ، وقيل غير

أماه؛ اكشفي لي عن قبر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وصاحبيه -رضي الله عنهما-، فكشفت لي عن ثلاثة قبور، لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العَرْصة الحمراء[1].

قال -رحمه الله-: ((المشرف: المرتفع، واللاطئ: اللاصق بالأرض، فمعناه: أنها ناشزة عن الأرض قليلاً...))[2].

وبيَّن أن مقدار الرفع[3] يوضحه حديث جابر بن عبد الله ﷺ: "أن النبي ﷺ أُلحد له، ونُصِب عليه اللبن نصباً، ورُفع قبره من الأرض نحواً من شبر"[4].

قال -رحمه الله-: ((فيه أن من الهيئة المشروعة رفع القبر نحو شبر، وهذا من فعل الصحابة -رضي الله عنهم- وخيارهم فيهم، وهم مجتمعون، فلا يصنعون بقبر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إلا ما يعلمون أنه مشروع، ولم ينقل عن أحد منهم خلاف، ولا بأيدينا دليل يخالف فعلهم، وعليه فهو حجة))[5].

كما أوضح أن البطح يأتي على معان[6]؛ واختار: ((أن المراد بالبطحاء: الحصى، وبـ"مبطوحة": موضوع عليها الحصى...))[7].

ذلك. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى (١٤٢/٥-١٤٨)، والتاريخ الكبير (١٥٧/٧).

(١) أخرجه أبو داود؛ كتاب: الجنائز، باب: في تسوية القبر (٢١٥/٣) ح (٣٢٢٠)؛ وضعفه الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح (٥٣٦/١).

(٢) عمارة القبور في الإسلام (ص٣٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٠٢/١٤) ح (٦٦٣٥)، والبيهقي في الكبرى (٥٧٦/٣) ح (٦٧٣٦). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٠٧/٣).

(٥) عمارة القبور في الإسلام (ص٣٣).

(٦) ينظر: المصدر السابق (ص٣٤-٣٦).

(٧) المصدر السابق (ص٣٦).

وبيَّن -رحمه الله- أن مشروعية وضع الحصى على القبر مشروط بأن لا يزيد في رفعه؛ لأن قدر الرفع في حديث جابر ﷺ هو الحاصل من التراب والحصباء، فلا يُزاد عليه[1].

ومنها: أثر سفيان التمَّار[2]؛ قال: دخلتُ البيت الذي فيه قبر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، فرأيت قبره وقبر أبي بكر وعمر مسنَّمة[3].

قال -رحمه الله-: ((فيه أن من الهيئة المشروعة التسنيم، والظاهر أن تلك الحال هي التي وُضعت عليها القبور؛ لأنه لم يثبت أنها كانت مسطحة كما علمت...))[4]، ((فجَمعُ التراب على القبور بهيئة التسنيم مشروع))[5].

ومنها: حديث المطلب بن أبي وداعة[6]؛ قال: لما مات عثمان بن مظعون[7]

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص٣٧).

(٢) هو: أبو الورقاء سفيان بن دينار الأحمري الكوفي، من كبار التابعين، وثقه جمع من أهل العلم، توفي في حدود ١٦٠هـ. ينظر ترجمته: الجرح والتعديل؛ لابن أبي حاتم (٢٢٠/٤-٢٢١)، والوافي بالوفيات (١٧٧/١٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢/٣) رقم (١١٧٣٤)، وأخرجه البخاري؛ كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- (١٠٣/٢) ح (١٣٩٠)؛ من طريق أبي بكر بن عياش عن سفيان التمار أنه حدثه: «أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنماً».

(٤) عمارة القبور في الإسلام (ص٣٧).

(٥) عمارة القبور في الإسلام (ص٣٩).

(٦) هو: المطلب بن الحارث بن صبيرة بن سعيد القرشي السهمي، صحابي جليل، أسلم يوم الفتح، ونزل المدينة وروى عنه أهلها. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٤٠٢/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٠٤/٦-١٠٥).

مظعون[1] أُخرج بجنازته؛ فدفن، فأمر النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- رجلاً أن يأتيه بحجر، فلم يستطع حملها، فقام إليها رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- وحسر عن ذراعيه، قال المطلب: قال الذي يخبرني عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: كأني انظر إلى بياض ذراعي النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- حين حسر عنهما، ثم حملها، فوضعها عند رأسه؛ وقال: «أُعلِّم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي»[2].

(١) هو: أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي، صحابي جليل، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين سنة ٢هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٥٣/٣-١٠٥٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣٨١/٤-٣٨٢).

(٢) أخرجه أبو داود؛ كتاب: الجنائز، باب: في جمع الموتى في قبر والقبر يعلم (٢١٢/٣) ح (٣٢٠٦). وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦١/٧).

قال -رحمه الله-: ((فيه أن المشروع إعلام القبر إذا احتيج إلى معرفته بعد ذلك؛ لقصد شرعي...))[1].

وخلاصة: الهيئة المشروعة كما قررها العلامة المعلمي -رحمه الله-؛ هي:

رد تراب الحفرة إليها وجمعه عليها بهيئة التسنيم حتى ترتفع نحو شبر باعتبار الوسط، ولا يزاد على ذلك إلا ما ثبت؛ كوضع شيء من الحصى لا يزيد في الارتفاع، ووضع حجر عند رأس القبر علامة بشرط الاحتياج إليها لقصد شرعي[2].

---

(١) عمارة القبور في الإسلام (ص٣٩).

(٢) ينظر: عمارة القبور في الإسلام (ص٤٠).

المطلب الثاني: حكم البناء على المقابر.

البناء على المقابر من الأمور المحدثة والمحرمة؛ لتضافر النصوص الشرعية في النهي عن ذلك -كما سيأتي بيانها في المطلب التالي-؛ وذلك لما فيه من تعظيم أهل القبور، وكونه وسيلة وذريعة إلى أن تُعبد هذه القبور، وتُتخذ آلهة مع الله ﷻ؛ وهذا ما قرره علماء اليمن-رحمهم الله-.

وقد عد العلامة الصنعاني -رحمه الله- بدعة البناء على المقابر من البدع المحدثة التي أحدثها القبوريون، والتي هي من أعظم ما يُضاد الشَّريعه؛ حيث قال في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[الشعراء: ٧٠-٧٤]: ((فانظر كيف أجابوا بأنها لا تسمع ولا تضر ولا تنفع، بل أثبتوا عبادتها لأنهم ألفوا آباءهم ضالين، فهم على آثارهم يهرعون، فلقد عقل المشركون مالا يعقله الجاهلون من هذه الأمة، فإن هؤلاء الجهلة قالوا بنفع هؤلاء الأموات، وتقبيل القبور لما فيها من العظام النخرة الرفات؛ وهذا ليس وراءه ضلال، وليس لإبليس بعده في الغواية مجال، إذ ابتدع هؤلاء القبوريون هذه الابتداعات؛ من العمارة على القبور، وإضاعة الأموال في رصِّ الأحجار عليها والصخور، وتسميتها بالقباب والمشاهد، وإقرار عين إبليس بهذه البدع التي هي للشريعة أعظم مضادّة، ثم جعل عليه التابوت وكسوته بنفيس الثياب، وهذا هو والله بعينه الذي كانت تصنعه عُباد الأوثان والكلاب، ثم الكتْب عليه، وإيقاد الشموع والقنديل والمصباح؛ وهذا هو الذي لعن المصطفى فاعله في الأحاديث الصحاح[1]))[2].

---

(١) سيأتي بيان ذلك (ص٤٦٧).

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص١٣٢).

كما أوضح العلامة النعمي -رحمه الله-؛ أن في إحياء المشاهد على القبور ((كلِم للإسلام، وفقء عين شريعة المختار -عليه السلام-))[١].

وقرر -رحمه الله- حرمة البناء على المقابر؛ حيث قال في سياق بيانه لسبب تأليفه لكتاب:"معارج الألباب في مناهج الحق والصواب": ((وبعد فلما كان في شهر ربيع الآخر سنة (١١٧٧)؛ وقفتُ على صورة سؤال وغير ما جواب في شأن ما يسر الله افتقاده من المشاهد والقباب، وإزالة ما أُزيل منها بالتدمير والخراب؛ لما تفاحش خطوب مفاسدها في هذا الزمان، وضاهت رسوم الجاهلية الجهلاء المنافية للتوحيد والإيمان، مع كون وضع القباب أمراً صادم المأثور الصحيح من النهي الصريح، فهو بمجرده ممنوع شرعاً ...))[٢].

كما أوضح في موضع آخر: ((أن وضع القباب والبناء على القبور من أصله وتشريفها، والكتابة عليها، وتجصيصها، واتخاذها مساجد، وما يتصل بذلك: أمر تقرَّر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجازم بالنهي عنه، والكف عن ارتكابه، وبتَّت القضية في ذلك، ومضت كلمة الحق بسد ذريعته، ظنَّاً بنا أن نسلك سنن من قبلنا، مع قطع النظر عن المفاسد المترتبة على ذلك))[٣].

كذلك أوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- أن ((اتخاذ المساجد على القبور؛ تعظيم لها، ولذا حكى الله عن الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف؛ أنهم قالوا: لنتخذن عليهم مسجداً، وقد صار هذا التعظيم لها وسيلة إلى الفتنة بها، ولهذى نهى عنه ﷺ في آخر حياته، ولعن وهو في السياق فاعل ذلك[٤]؛ لأن هذه العلة هي التي أوقعت كثيراً من الأمم في الشرك الأكبر والأصغر، ولذا تجد أقواماً يتضرعون عندها، ويخشون بعبادة لا يفعلونها في مواضع العبادات،

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (١/٢٥٤).

(٢) المصدر السابق (١/١٩١-١٩٢).

(٣) المصدر السابق (٢/٤٢٥-٤٢٦).

(٤) ينظر: (ص٤٦٨).

ولا أوقات الإجابة، ويرجون من بركة ذلك ما لا يرجون في المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال[(١)]))[(٢)].

كما أوضح -أيضاً- أن البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد؛ من المفاسد والفتن التي نشأت من تعظيم المخلوق بما لم يأذن به الله ﷻ؛ حيث قال: ((فكم نشأ من تعظيم المخلوق من حي وميت بما لم يأذن به الله، والغلو فيه بما نهى الله عنه؛ من مفاسد وفتن، يغضب لأجلها من في قلبه بعض حياة وغِيرة على التوحيد؛ وذلك: كاتخاذها أعياداً، وقد نتج عن ذلك الصلاة عندها، وعبداتها؛ كالطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، والاستعانة بهم، وسؤالهم المطر، والنصر، والرزق، والعافية، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفان، وغير ذلك؛ كقولهم: على الله وعليك، وضادوا ما صح عن رسول الله ﷺ في ذلك؛ فإنه ﷺ نهى عن اتخاذها مساجد، ولعن على ذلك[(٣)]، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسموها المشاهد، ونهى عن إبقاء السرج عليها، ولعن من فعل ذلك[(٤)]، وهؤلاء ينفقون الوقوف على إيقادها؛ إعانة لمن لعنه الله، وأمر رسول الله ﷺ بتسويتها؛ كما صح ذلك من حديث علي بن أبي طالب[(٥)]...، وهؤلاء يرفعونها عن الأرض، ونهى عن تحصيصها، والبناء عليها؛ كما رواه مسلم عن جابر[(٦)]، ونهى عن الكتابة عليها[(٧)]...، وهؤلاء يتخذون الألواح يكتبون عليها القرآن وغيره، ويزينون عليها

---

(١) سيأتي بيان هذه المسألة في المبحث التالي.

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٣١).

(٣) ينظر: (ص٤٦٧).

(٤) ينظر: (ص٤٧٤).

(٥) ينظر: (ص٤٦٨).

(٦) ينظر: (ص٤٦٨).

(٧) ينظر: (ص٤٧٤).

التراب، والآجر، والأحجار؛ فحادوا الله ورسوله))[1].

وقرر -رحمه الله- تحريم ذلك؛ وذلك بعد إيراده لجملة من النصوص الواردة في بيان حرمة ذلك؛ حيث قال: ((فإذا علمتَ أن الرسول ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد، وعن الصلاة عندها، ولعن فاعل ذلك، ونهى عن اتخاذ القبور أعياداً؛ علمتَ تحريم العكوف عند القبور، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، إذ العكوف أشد قبحاً، وأعظم وسيلة إلى الكفر من اعتياد القبر، وليس العكوف عند القبر من دين أهل الإسلام؛ بل هو دين المشركين الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه؛ حيث قال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنبياء:٥١-٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾[الشعراء:٦٩-٧١]...، فهذا عكوف المشركين، ومن زعم أن العكوف عند القبور عبادة وقربة؛ فقد ابتدع في الدِّين ما ليس فيه، وكل بدعة ضلالة، وشَرع في الدِّين ما لم يأذن به الله، وقد تقدم أن أصل عبادة الأصنام: العكوف عند قبور الصالحين؛ حتى عبدوهم[2]، وأما عكوف المسلمين ففي المساجد؛ لعبادة الله وحده لا شريك له؛ في الصلاة، والدعاء، والذكر، والقرآن؛ كما قال تعال: ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾[البقرة:١٨٧]، وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى قبضه الله، فهذا عكوف المسلمين، وذاك عكوف المشركين...))[3].

كما قرر -رحمه الله- في موضع آخر وجوب هدم المشاهد؛ لدلالة النصوص الشرعية على تحريم البناء على المقابر[4].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٣٧-١٣٨).

(٢) تقدم بيان ذلك (ص٤٤٤).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٣٦-١٣٧).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص١٤٨).

وأما العلامة الشوكاني –رحمه الله– فقد بيَّن اتفاق أهل العلم –رحمهم الله– على النهي عن ذلك والتحذير منه؛ حيث قال: ((اعلم أنه اتفق الناس سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم، من لدن الصحابة ﷺ إلى هذا الوقت؛ أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها، واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها...، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين))[1].

ووصف –رحمه الله– هذه البدعة؛ بأنها أعظم ما أصيب به دين الإسلام من الدواهي الكبار، والمفاسد التي لا يوقف لها في الضرر على مقدار[2].

كما بيَّن –رحمه الله– ((**أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات؛ هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها، وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسن،** فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بُنيَت عليه قبة؛ فدخلها، ونظر على القبور الستور الرائعة، والسرج المتلألئة، وقد سطعت حوله مجامر الطيب؛ فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشد وسائله إلى ضلال العباد ما يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً، حتى يطلُب من صاحب ذلك القبر مالا يقدر عليه إلا الله سبحانه، فيصير في عداد المشركين.

وقد يحصل له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة، وعند أول زَوْرة له، إذ لابد أن يخطر بباله أن هذه العناية البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت؛ لا تكون إلا لفائدة يرجونها منه، إما دنيوية أو أخروية، فيستصغر نفسه بالنسبة إلى من يراه من أشباه العلماء زائراً لذلك القبر، وعاكفاً عليه، ومتمسحاً

---

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص٨).

(٢) ينظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص٢١٢).

بأركانه...))[1].

وقال -أيضاً- مبيناً عظيم خطرها على الإسلام والتوحيد: ((ومن أعظم الذرائع الشيطانية والوسائل الطاغوتية أنهم بالغوا في التأنق في عمارة قبور من يعتقدونه من الصالحين، ونصبوا عليها القباب، وجعلوا على أبوابها الحجاب، ووضعوا عليها من الستور العالية والآلات الرائعة ما يبهر الناظر إليه، ويدخل الروعة في قلبه، ويدعوه إلى التعظيم، كما جبلت عليه طبائع العوام؛ من دخول المهابة في قلوبهم، والروعة في عقولهم، بما يتعاطاه المريدون لذلك، كما يفعله غالب ملوك الدنيا؛ من المبالغة في تزيين منازلهم، وتعظيمها، والتأنق في بنائها، والاستكثار من الحجاب، والخدم، والصياح، والجلبة، وارتباط الأسود، ونحوها من الحيوانات، ولبس فاخر الثياب؛ قاصدين بذلك تربية المهابة لهم، والمخافة منهم، وصنع هؤلاء القبوريون كصنعهم، ففعلوا في الأموات من جوانب التعظيم، وأسباب الهيبة، ما يكون له من التأثير في قلوب من يزورهم من العامة ما لا يقادر قدره، ثم يزيد ذلك قليلاً قليلاً، حتى يحصل لهم من الاعتقاد في أولئك الأموات ما يقدح في إسلامهم، ويخدش في توحيدهم))[2].

ووصفها -أيضاً- بأنها: ((**ذريعة إلى الشرك، ووسيلة إلى الخروج عن الملة**))[3]، وأن النصوص قد تنوعت في الدلالة على التحذير من ذلك؛ إما بالمنع من ذلك والنهي عنه، أو لعن فاعله والدعاء عليه، أو بيان اشتداد غضب الله ﷻ على من فعل ذلك[4]؛ كما سيأتي بيان ذلك[5].

ولا شك أنَّ البناء على القبور محادّة لله ورسوله، ورغم أنه كذلك فقد صار في بعض بلدان المسلمين ديناً يُتقرب به إلى الله ﷻ؛ وذلك بسبب جهل الناس، وقلة من ينكر عليهم ذلك.

---

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص١٧-١٩).

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص٢١٤).

(٣) المصدر السابق (ص٢١).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص١٥-١٦).

(٥) ينظر: (ص٤٦٧).

ومن علماء اليمن –أيضاً– الذين أنكروا هذه البدعة، وبيَّنوا عِظَم خطَرِها على التوحيد، الشيخ البيحاني –رحمه الله–؛ حيث أوضح أن تعظيم القبور؛ ببناء القباب عليها، واتخاذ الأقفاص والتوابيت لها، وصرف أنواع من العبادات لأهلها؛ من الشرك الذي فُتن به المسلمون؛ حيث قال: ((ومن الشرك تعظيم القبور الذي فُتن به المسلمون في مختلف الجهات؛ حتى بنوا عليها القباب، واتخذوا لها الأقفاص والتوابيت، وطافوا بها، وحجوا إليها، ونذروا لأصحابها بجزء معلوم من أولادهم، وأقاموا لها الحفلات والمواسم، وجاءوا إليها متوسلين ومستغيثين، وهذا يطلب منهم الولدان، وثان يطلب منهم شفاء المريض، وثالث يريد منهم النصرة على الأعداء، وأن ينصفوا له من فلان الظالم، ونسبوا إليهم من الكرامات ما لا يصح أن يكون معجزة لنبي مرسل، وكتبوا عنهم الشَّطح، والكلام الذي لا يصدر إلا من ملحد في دين الله، أو مدعٍّ أنه شريك لله))[1].

كما استنكر الشيخ الوادعي –رحمه الله– هذه البدعة –أيضاً–، فقال: ((... أمَّا إذا ذهب الذاهب ووجد القبر قد زُخرف وزيِّن؛ فإنه يشتغل بالنظر في تلك الزينة، وفي تلك الزخارف، بل ربما يمتلئ قلبه خوفاً ورعباً من الميت، ويصبح يخاف من الميت أكثر مما يخاف من الله ﷻ بسبب تلكم الزخرفة، والرسول – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – قد مات في عهده عمه حمزة، وعثمان بن مظعون، وبنتاه –أي: بنتا الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم–؛ فهل أمر أن تُبنى قبة على عمه حمزة، أو على عثمان بن مظعون، أو على بنتيه، ما أمر بهذا بل أمر علي بن أبي طالب أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا صورة إلا طمسها[2]، ولو أن المال الذي يُبنى به القباب، وتُشيد به القباب كان لمدارس تحفيظ القرآن بدل هذه القباب التي أصبح منها ما يضاهي اللات والعزى وهُبَل، وأصبح كثير من الناس ينادون غير الله، ويعتقدون في صاحب القبة؛ بسبب زخرفتها وما حصل بها))[3].

---

(١) إصلاح المجتمع (ص٢١١-٢١٢).

(٢) سيأتي تخريجه (ص٤٦٨).

(٣) إجابة السائل على أهم المسائل (ص٣٤١-٣٤٢).

كما بيَّن في موضع آخر أن البناء على المقابر؛ مدعاة إلى الشرك، ووسيلة إليه؛ حيث قال: ((فإنه لم يزل أمر الأمة مستقيماً حتى فشى فيها الشرك، وبُنيت القباب على قبور الأموات، وزُخرفت القبور، وتشييدها وبناء القباب عليها؛ مدعاة للشرك، وحتى انتشر المنجمون الذين يزعمون أنهم يعلمون المغيبات، فقد كان كثير من الملوك والسلاطين يعتمدون على المنجمين، ولا يزال بعض الملوك والرؤساء يعتمدون على المنجمين))[(١)].

وأوضح –أيضاً– أن بناء المساجد على القبور منشؤه التقليد الأعمى؛ حيث قال: ((... حقاً إن بناء المساجد على القبور منشؤه التقليد الأعمى، قلّد المسلمون فيه أعداءهم من اليهود والنصارى، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق في الحديث الصحيح: «للتتبعنَّ سنن مَن كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[(٢)].

ثم قلَّد المسلمون المتأخرون آباءهم وأجدادهم في ذلك؛ كما قال تعالى: حاكياً عن الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[الزخرف:٢٣]، ولا ريب أن التقليد الأعمى داء عضال لا يرجع صاحبه إلا أن يشاء الله، كما أخبر تعالى عن الكفار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا﴾[البقرة:١٧٠].

فنصيحتي لمن يبنون المساجد على القبور بنيَّة حسنة؛ أن ينظروا هل فعلهم هذا موافق للشرع أم لا؟ والشرع: هو ما أتانا من عند الله في كتابه، أو على لسان نبيه محمد –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، لا ما جاء عن آبائنا وأجدادنا –رحمهم الله– من

---

(١) الصحيح المسند من دلائل النبوة (ص٤٩).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: الاعتصام، باب: قول النبي ﷺ: «لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم» (١٠٣/٩) ح (٧٣٢٠)، ومسلم، كتاب: العلم، باب: إتباع سنن اليهود والنصارى (٢٠٥٤/٤) ح (٢٦٦٩)؛ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

العادات السيئة، والتقاليد العمياء الجاهلية))[1].

ثم أوضح –رحمه الله– أنه لا عذر للمسلم عند الله بمخالفة شرعه سبحانه بحجة فعل العالِم لذلك؛ لأن العالم ليس بمعصوم، فقال: ((واعلم أيها المسلم أنه لا عذر لك عند الله في مخالفة شرع الله بحجة أن العالِم الفلاني عمل ذلك، فإن العالم ليس بمعصوم عن الخطأ.

وكم من جاهل اغتر بمن يظن أنهم من أهل العلم، وهم من أجهل خلق الله، ولذلك إذا نُهي الجهَّال عن بناء المساجد على القبور، أو التمسح بأتربة الموتى، أو غيرها من الشركيات؛ قالوا: هذا العالم الفلاني يفعله،كأنهم لا يعلمون أن الله ما أرسل إلينا إلا محمداً –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، فإنا لله وإنا إليه راجعون))[2].

كما نقل –رحمه الله– ما ذكره ابن القيم –رحمه الله– في بيان كيد الشيطان لعُبَّاد المقابر؛ حيث قال: ((ومن أعظم كيد الشيطان أن ينصب لأهل الشرك قبراً معظماً يعظمه الناس، ثم يجعله وثناً يُعبد من دون الله، ثم يوحي إلى أوليائه أنه من نهى عن عبادته واتخاذه عيداً وجعله وثناً، فقد تنقصه، وهضم حقه، فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته، ويكفرونه، وذنبه عند أهل الشرك: أمره بما أمر الله به ورسوله، ونهيه عمَّا نهى الله عنه ورسوله: مِن جعْله عيداً ووثناً، وإيقاد السراج عليه، وبناء المساجد والقباب عليه، وتجصيصه، وإشادته، وتقبيله واستلامه، ودعائه، أو الدعاء به، أو السفر إليه، أو الاستغاثة به من دون الله؛ مما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله؛ من تجريد التوحيد لله، وأن لا يُعبد إلا الله، فإذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون، واشمأزت قلوبهم؛ وقالوا: قد تنقص أهل الرتب العالية، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وسرى ذلك في نفوس الجهال والطغام وكثير ممن ينسب إلى العلم والدِّين؛ حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى

---

(١) حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٧٦).

(٢) المصدر السابق (ص٢٧٧).

الله ذلك، فما كانوا أولياءه، إن أولياؤه إلا المتبعون له، الموافقون له، العارفون بما جاء به، الداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا، لابسوا ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم، ويبغونها عوجاً، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً))[1].

ثم قال الشيخ الوادعي -رحمه الله- بعد نقله لكلام ابن القيم -رحمه الله-: ((نحن نُشهد الله أنَّا ندين الله بمحبة أوليائه الأحياء منهم والأموات، أمَّا القبور المشيدة، والقباب المزخرفة على القبور التي قد أشبهت اللات والعزى ومناة وهُبَل؛ فإنَّا نتضرع إلى الله أن يُعجِّل بهدمها، ويُريح أهل التوحيد منها؛ حتى يُعبد الله وحده))[2].

---

(١) المصدر السابق (ص٢٢٠)، وينظر: إغاثة اللهفان (٢٣١/١).

(٢) حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٢٠).

المطلب الثالث: ذكر النصوص الواردة في النهي عن البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد.

البناء على القبور من ذرائع الشرك الموصلة له، ووسائله المفضية إليه-كما تقدم بيان ذلك- ولهذا جاءت النصوص بالتحذير من ذلك، والأمر بإزالته.

وقد بيَّن العلامة النعمي -رحمه الله-: ((أن وضع القباب والبناء على القبور من أصله وتشريفها، والكتابة عليها، وتجصيصها، واتخاذها مساجد، وما يتصل بذلك: أمر تقرَّر في الشرع منعه، وسبق الحكم الجازم بالنهي عنه، والكف عن ارتكابه، وبتَّت القضية في ذلك، ومضت كلمة الحق بسد ذريعته، ظنَّاً بنا أن نسلك سنن من قبلنا، مع قطع النظر عن المفاسد المترتبة على ذلك.

وإذا تأمل الناظر أعيان ما صح فيه النهي من الشارع في هذا الباب، ثم نظر إحصاء هذه الأمم لارتكابها، وتلوُّثهم بأدرانها، وتهالكهم على مناقضة كل نهي من تلك المناهي بفعل عين المنهي عنه، وإتيانهم على كل فرد منها، مع الحرص والمبالغة في أن لا يشذَّ فرد طال تعجبه؛ تارة من كون الشارع سبقهم وتقدم إليهم في أمرها وكثَّر في شأنها بالنهي والتحذير، وأخرى من كون هذه الخلوف ضلَّت عن ذلك الرشد الأسعد، فعمدوا إلى كل ما نهى عنه فواقعوه، كأنهم كشفوا واستقصوا بالاستقراء والتتبع، حتى أتوا على مشخصات كل ما نهى عنه الشارع...))[١].

ثم أورد -رحمه الله- جملة من النصوص في بيان نهي الشارع عن البناء على القبور أو اتخاذها مساجد؛[٢] ومنها:

ما روي عن عائشة وعبد الله بن عباس -رضي الله عنهم- قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة[٣] له على وجهه؛ فإذا اغتم بها كشفها عن

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٢٥-٤٢٦).

(٢) ينظر: معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٢٧-٤٤٧).

(٣) الخميصة: هي ثوب من خَزٍّ أو صُوف، وقيل: لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلَّمة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/١٥١).

وجهه؛ فقال -وهو كذلك-: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يُحذِّر ما صنعوا[١].

ومنها: قوله ﷺ: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢].

ثم قال -رحمه الله- معلقاً: ((فتأمل هذه القباب، وما أُعدَّ فيها من المحارب والفرش، ومصاحف التلاوة، واعتياد الصلاة فيها، والتردد إليها في الأوقات؛ للذكر، والدعاء، والاعتكاف، وما يطول تعداده؛ هل لاتِّخاذ القبور مساجد معنى سوى هذا الذي تقتضي الضرورة بأنه عيْنُه؟ بل كثيراً ما وجدنا القباب والمشاهد أحيا من كثير من المساجد في جميع ما ذكرنا، فلا ريب تتابع الشر بأَهليه))[٣].

ومنها: قوله ﷺ: «إني أبرأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[٤].

ومنها: حديث أبي الهيَّاج الأسدي، قال: قال لي علي ؓ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؛ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في البيعة (١/١٦٨) ح (٤٢٥)، ومسلم؛ كتاب: المساجد، باب: النهى عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهى عن اتخاذ القبور مساجد (١/٣٧٧) ح (٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في البيعة (١/١٦٨) ح (٤٢٦)، ومسلم؛ كتاب: المساجد، باب: النهى عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهى عن اتخاذ القبور مساجد (١/٣٧٦) ح (٥٣٠)؛ من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٢٨).

(٤) أخرجه مسلم؛ كتاب: المساجد، باب: النهى عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهى عن اتخاذ القبور مساجد (١/٣٧٧) ح (٥٣٢)؛ من حديث جندب ؓ.

سويته[1].

ومنها: حديث جابر ﷺ؛ قال: نهى رسول الله ﷺ أن يجصَّص القبر، وأن يُبنى عليه، وأن يُقعد عليه[2].

ثم قال العلامة النعمي –رحمه الله– بعد إيراده لهذه الأحاديث، وغيرها: ((ولو ذهبنا نستقري ما ذكره أئمة السنة، وحُفَّاظ الحديث في هذه المسألة، وما رووه في المسانيد[3]، والمجاميع[4]، ....

والمعاجم[5]، والجوامع[1]، والسنن[2]، والأجزاء[3]، والتفاسير الأثرية[4]، لاتسع

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبر (٢/٦٦٦) ح (٩٦٩).

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجنائز، باب: النهي عن تجصيص القبر، والبناء عليه (٢/٦٦٧) ح (٩٧٠).

(٣) المسانيد: جمع مسند، وهي الكتب التي موضوعها جعل حديث كل صحابي على حدة؛ صحيحاً كان، أو حسناً، أو ضعيفاً، مرتبة على حروف الهجاء في أسماء الصحابة –رضوان الله عليهم–، أو على القبائل، أو السابقة في الإسلام، أو غير ذلك، وقد يقتصر في بعضها على أحاديث صحابي واحد؛ كمسند أبي بكر، أو أحاديث جماعة منهم؛ كمسند الأربعة، أو العشرة، أو طائفة مخصوصة جمعها وصف واحد؛ كمسند المقلين، و مسند الصحابة الذين نزلوا مصر، إلى غير ذلك، والمسند عند الإطلاق ينصرف إلى المسانيد الشاملة المرتبة على أسماء الصحابة –رضوان الله عليهم–؛ كمسند أحمد –رحمه الله–. ينظر: الرسالة المستطرفة؛ للكتاني (ص٦٠-٦١).

(٤) المجاميع أو الجوامع: جمع جامع، والجامع عند المحدثين: هو ما يوجد فيه من الحديث جميع الأنواع المحتاج إليها؛ من العقائد، والأحكام، والرقاق، وآداب الأكل والشرب والسفر والمقام، وما يتعلق بالتفسير والتاريخ والسير والفتن والمناقب والمثالب، وغير ذلك؛ مثل: الجامع الصحيح؛ للبخاري، وغيره. ينظر: الرسالة المستطرفة (ص٤٣).

(٥) المعاجم: جمع معجم، والمعجم عند المحدثين: هو ما تذُكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة، أو الشيوخ، أو البلدان، أو غير ذلك، والغالب أن يكونوا مرتبين على حروف

لاتسع النِّطاق، وضاق عن الاستيعاب الخناق...، وفيما ذكرنا وفاءٌ بالمقصود ووفاق، وأقل منه يكفي عند الفطناء الحذَّاق))[٥].

ثم بيَّن -رحمه الله- أن جميع ما نهى الله ﷻ عنه ورسوله ﷺ قد وقع بسبب تلك المشاهد والقباب؛ حيث قال: ((فإذا تصفحت ما سقناه وما في هذه القباب والمشاهد، ومصارع الموتى، وأهل دار البرزخ: من الأبنية، والتجصيص، والكتابة، والتشريف، واتخاذها مساجد، ووضع المحاريب والفراش، وإعداد الماء، والمصاحف، والتردد على الاعتكاف، والصلاة والتلاوة، وجدت جميع ما نهى عنه فرداً فرداً؛ قد أبرز في عالم التحصيل والإيجاد، وهذه كتب الإسلام، وعمدة الأعلام، ومعوَّل ذوي الأحلام، ومعاهد الشريعة -التي جاء بها خاتم الرسل الكرام؛ عليه

الهجاء؛ كمعجم الطبراني الكبير؛ المؤلف في أسماء الصحابة على حروف المعجم، ومعجم الطبراني الصغير، المؤلف في أسماء شيوخه. ينظر: الرسالة المستطرفة (ص١٣٧).

(١) الجوامع: يراجع تعريف المجاميع السابق.

(٢) السنن: وهي عند المحدثين: الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية؛ من الإيمان، والطهارة، والصلاة، والزكاة، إلى آخرها؛ مثل: السنن الأربعة المشهورة، والسنن الكبرى؛ للبيهقي، وغيرها.

وهناك كتب تُعرف بكتب السنة؛ وهي الكتب الحاضة على اتباعها، والعمل بها، وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء؛ مثل: كتاب السنة؛ للإمام أحمد، وغيره. ينظر: الرسالة المستطرفة (ص٣٢-٣٨).

(٣) الأجزاء: المراد بها الأجزاء الحديثية؛ وهي جمع جزء، والجزء عند المحدثين: هو ما أُلِّف في الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة، أو من دونه. ينظر: الرسالة المستطرفة (ص٨٧).

(٤) التفاسير الأثرية: هي الكتب التي ذُكرت فيها الأحاديث والآثار الواردة في التفسير بأسانيدها؛ مثل: تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم، وغيرها. ينظر: الرسالة المستطرفة (ص٧٨).

(٥) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٤٧-٤٤٩).

وعليهم أزكى صلاة وسلام- ناطقةٌ طافحةٌ مُناديةٌ بضلال من خالف ما رسمت، وتفارط غيِّه، وطغيان فساده، وليِّه[1].

هذا بالنظر إلى أعيان تلك المناهي، مع الإغماض عما ترتب على مخالفتها -أيضاً- مما لا يدان للأقلام بحصره وعده، ولا قدرة للبشر أن يقفوا على نهايته وحدِّه؛ كتوفر الجموع لهذه الزيارات، واقتحام أنواع المفاسد والمنكرات[2]، وما في طيِّ إحياء هذه المشاهد من القبائح المتوافرات، فإنه بمجرده مؤذنٌ بتحتُّم تدمير المشاهد والقباب، والأبنية التي صارت مُعتكف كل طامة، ومناخ فجور أهل الفسوق والعقوق من العامة، ومن لا يعرف ما ذكرنا، أو هو مرتاب في وقوع شيء منه، أو لا يستقبحه: فأمره أطرف من أن يُوصف))[3].

كما بيَّن العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- أن البناء على المقابر من أعظم المفاسد الناشئة عن تعظيم المخلوق بما لا يستحقه؛ ولأجل ذلك: ((نهى الشارع الحكيم عن اتخاذ المساجد على القبور، ولعن على ذلك؛ ففي الصحيح عن عائشة -رضي الله عنها- أن أم سلمة -رضى الله عنها- ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، فذكرت له ما رأت فيها من الصور؛ فقال رسول الله ﷺ: «أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح؛ بنوا على قبره مسجداً، أو صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»[4]... .

---

(١) ليِّه: بمعنى اعوجاجه. ينظر: القاموس المحيط (ص٥٨٦).

(٢) سيأتي ذكر المفاسد المترتبة على البناء على المقابر (ص٤٩٠).

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٤٤٩/٢).

(٤) أخرجه البخاري؛ كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في البيعة (١٦٧/١) ح (٤٢٤)، ومسلم؛ كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهى عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها، والنهى عن اتخاذ القبور مساجد (٣٧٥/١) ح (٥٢٨).

وفي الصحيح عن عائشة، وعبد الله بن عباس؛ قال: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه؛ فإذا اغتم كشفها؛ فقال -وهو كذلك-: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، يُحذِّر ما صنعوا[1]..

فاتخاذ المساجد على القبور؛ تعظيم لها، ولذا حكى الله عن الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف؛ أنهم قالوا: لنتخذن عليهم مسجداً، وقد صار هذا التعظيم لها وسيلة إلى الفتنة بها، ولهذا نهى عنه ﷺ في آخر حياته، ولعن وهو في السياق فاعل ذلك؛ لأن هذه العلة هي التي أوقعت كثيراً من الأمم في الشرك الأكبر والأصغر، ولذا تجد أقواماً يتضرعون عندها، ويخشعون بعبادة لا يفعلونها في مواضع العبادات، ولا أوقات الإجابة، ويرجون من بركة ذلك ما لا يرجون في المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال))[2].

ثم بيَّن -رحمه الله- أنه لأجل مفسدة البناء على المقابر الناشئة عن تعظيم المخلوق بما لا يستحقه؛ نهى النبي ﷺ عن جملة من الأمور؛ حسماً منه ﷺ لمادتها؛ مثل: الصلاة في المقبرة، أوتسريجها، أو تجصيصها، أو الكتابة عليها، أو اتخاذها أعياداً؛ حيث قال: ((ولأجل هذه المفسدة الناشئة عن تعظيم المخلوق بما لا يستحقه؛ حسم النبي ﷺ مادتها؛ حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً؛ وقال: «والأرض كلها مسجداً إلا المقبرة»[3]...، وأوضح من هذا أنه

---

(١) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٣٠).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣١٢/١٨) ح (١١٧٨٨)، وابن ماجه؛ كتاب: المساجد والجماعات، باب: المواضع التي تُكره فيها الصلاة (٢٤٦/١) ح (٧٤٥)، وأبو داود؛ كتاب: الصلاة، باب: المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة (١٣٢/١) ح (٤٩٢)، والترمذي؛ كتاب: الصلاة، باب: ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام (٤١٨/١) ح (٣١٧)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٣٦/١).

ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبر؛ فروى مسلم في الصحيح...، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصلوا على القبور، ولا تصلوا إليها»[1].

وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة فذاك في لعنة رسول الله ﷺ.

واعلم أن المنع من الصلاة عند القبر هو مما استقر عند الصحابة؛ سواء كان من قبور الأنبياء والصالحين، أو غيرهم، وعلموه من نهي رسول الله ﷺ عن الصلاة عند القبور...، فهذا النهي من الرسول ﷺ في القبور؛ من باب سد الذرائع الموصلة إلى الشرك بالله))[2].

وقال -أيضاً-: ((ولما كان التسريج وسيلة إلى تعظيم صاحب القبر، ومن هناك تنشأ مفسدة الشرك؛ "لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذات عليها السرج"[3]، ...؛ ومن ذلك: البناء على القبور، وتجصيصها؛ لما كان ذلك دالاً على

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجنائز، باب: النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه (٦٦٨/٢) ح (٩٧٢)؛ بلفظ: «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»؛ من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه.

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٣٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤٧١/٣) ح (٢٠٣٠)، وأبو داود؛ كتاب: الجنائز، باب: في زيارة النساء للقبور (٢١٨/٣) ح (٣٢٣٦)، والترمذي؛ كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً (٤٢٢/١) ح (٣٢٠)؛ وقال: حديث حسن، والنسائي في الصغرى (٩٤/٤) ح (٢٠٤٣)؛ من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٦٧٦/١).

التعظيم للميت، وذاك من وسائل الشرك؛ نهى رسول الله ﷺ عنه، حتى نهى عن الكتابة عليه؛ روى مسلم في الصحيح[1] عن جابر أن رسول الله ﷺ: «نهى عن تجصيص القبر، وأن يُكتب عليه، وأن يُبنى عليه»))[2].

وقال –أيضاً–: ((ولما كان اتخاذ القبور أعياداً عنوان التعظيم لها، وتعريضاً للفتنة لها؛ نهى الرسول ﷺ عنه؛ فقال: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[3]... .

فوجه الدلالة: أن قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذه عيداً، والعيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من مكان وزمان لعبادة أو غير عبادة، ولما كان اتخاذ القبور أعياداً وسيلة إلى الفتنة بها؛ نهى الرسول ﷺ عن ذلك؛ لأن الرُّسل –صلوات الله عليهم– بُعثت بالدعوة إلى الله، وإخلاص التوحيد للحميد المجيد، فسدت كل ذريعة تجر إلى الشرك بالله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ٨٠].

وتعظيم الرسل إنما هو بإتباعهم فيما جاءوا به؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ

---

(١) كتاب: الجنائز، باب: النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه (٢/٦٦٧) ح (٩٧٠)؛ بلفظ: «نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه»، دون لفظة: «وأن يكتب عليه»؛ وإنما وردت هذه اللفظة من طريق آخر؛ بلفظ: «نهى النبي ﷺ أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها، وأن يبنى عليها، وأن توطأ»؛ أخرجه الترمذي؛ كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها (٢/٣٥٩) ح (١٠٥٢)، وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/٢٠٧).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٣٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٤/٤٠٣) ح (٨٨٠٤)، وأبو داوود؛ كتاب: المناسك، باب: زيارة القبور (٢/٢١٨) ح (٢٠٤٢)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/١٢١١).

تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٣١]))[١].

كذلك أوضح العلامة الشوكاني –رحمه الله– أنه قد ((صح عن رسول الله ﷺ في غير حديث؛ من النهى عن رفع القبور، والبناء عليها، ووجوب تسويتها، وهدم ما ارتفع منها))[٢].

ثم أورد –رحمه الله– جملة من الأحاديث؛ منها ما سبق ذكره، ومنها[٣]: **قوله ﷺ**: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»[٤].

كما أورد –رحمه الله– حديث أبي الهياج الأسدي؛ قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرا مشرفاً إلا سويته[٥].

ثم قال معلقاً: ((وفي هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة على القدر المشروع؟ واجبة متحتمة، فمن إشراف القبور: أن يرفع سمكها، أو يجعل عليها القباب أو المساجد؛ فإن ذلك من النهي عنه بلا شك ولا شبهة، ولهذا فإن النبي ﷺ بعث لهدمها أمير المؤمنين علياً، ثم أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدي في أيام خلافته))[٦].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٣٣-١٣٦).

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص١١).

(٣) ينظر: شرح الصدور في تحريم رفع القبور (ص١٢-١٦)، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٤٤-٤٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/٣٩٤) ح (٣٨٤٤)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وصحح الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص٢٣).

(٥) تقدم تخريجه (ص٤٦٨).

(٦) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص١٤).

كذلك أورد -رحمه الله- حديث جابر ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر، وأن يُبنى عليه، وأن يوطأ»[1].

ثم قال معلقاً: ((وفي هذا التصريح بالنهى عن البناء على القبور، وهو يصدق على ما بُني على جوانب حفرة القبر؛ كما يفعله كثير من الناس من رفع قبور الموتى ذراعاً فما فوقه؛ لأنه لا يمكن أن يجعل نفس القبر مسجداً، فذلك مما يدل على أن المراد بعض ما يقربه مما يتصل به، ويصدق على من بنى قريباً من جوانب القبر كذلك؛ كما في القباب والمساجد والمشاهد الكبيرة، على وجه يكون القبر في وسطها أو في جانب منها، فإن هذا بناء على القبر، لا يخفى ذلك على من له أدنى فهم...))[2].

ثم قال -رحمه الله- بعد إيراده لهذه النصوص وغيرها؛ في النهي عن رفع القبور والبناء عليها: ((وإذا تقرر لك هذا؛ علمتَ أن رفع القبور، ووضع القباب والمساجد والمشاهد عليها؛ قد لعن رسول الله ﷺ فاعله تارة كما تقدم، وتارة قال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[3]، فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية، وذلك ثابت في الصحيح، وتارة نهى عن ذلك، وتارة بعث من يهدمه، وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى...، وتارة قال: «لا تتخذوا قبري عيداً»[4]؛ أي: موسماً يجتمعون فيه؛ كما صار يفعله كثير من عُبَّاد القبور، يجعلون لمن يعتقدون من الأموات أوقاتاً معلومة يجتمعون فيها عند قبورهم؛ ينسكون لها المناسك، ويعكفون عليها، كما يعرف ذلك كل أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين، الذين تركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم، ثم يميتهم ويحييهم، وعبدوا عبداً من عباد الله، صار تحت أطباق الثرى، لا يقدر على

---

(١) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص١٤-١٥).

(٣) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل.

أن يجلب لنفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضراً؛ كما قال رسول الله ﷺ فيما أمره الله أن يقول: ﴿ لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الأعراف:١٨٨]، فانظر كيف قال سيد البشر، وصفوة الله من خلقه بأمر ربه: أنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وكذلك قال فيما صح عنه: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً»[(١)].

فإذا كان هذا قول رسول الله ﷺ في نفسه، وفي أخص قرابته به وأحبهم إليه، فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين، ولا رسلاً مرسلين؟ بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية، وواحد من أهل هذه الملة الإسلامية؟ فهو أعجز وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضرراً))[(٢)].

وقال في موضع آخر: ((والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وفيها التصريح بلعن من اتخذ القبور مساجد؛ مع أنه لا يعبد إلا الله، وذلك لقطع ذريعة التشريك، ودفع وسيلة التعظيم))[(٣)].

كذلك من علماء اليمن الذين أسهبوا في ذكر النصوص الدالة على النهي عن البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد؛ الشيخ البيحاني –رحمه الله–؛ حيث أورد جملة من الأحاديث الواردة في ذلك[(٤)] –كما تقدم بيان بعضها–؛ ثم قال: ((ومن هذه الأحاديث تعلم أيها المنصف شدة الإنكار على من يُعظِّم القبور؛ ببناء المساجد، واتخاذ السرج عليها، وتعلم عظيم النهي عن جعلها

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب (١٠١٢/٣) ح (٢٦٠٢)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[الشعراء:٢١٤] (١٩٢/١) ح (٢٠٦)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص٢٠).

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٤٥).

(٤) ينظر: الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٥٧-٤٥٩).

أوثاناً تُعبد من دون الله أو معه تعالى؛ بالصلاة إليها وعليها...))[1].

ومنهم -أيضاً- الشيخ الوادعي -رحمه الله-؛ حيث قسمها في مجموعات، تحت عناوين بارزة؛ منها ما يدل على النهي عن البناء على المقابر عموماً، ومنها ما يدل على النهي عن اتخاذها مساجد، ومنها ما يدل على أن البناء عليها من سنن اليهود والنصارى، ومنها ما يدل على النهي عن الصلاة إليها وعليها وفي المقبرة[2]؛ وما تقدم ذكره من النصوص الدالة على ذلك، يغني عن إعادتها هنا.

وخلاصة الأمر: فإن النصوص الشرعية الدالة على النهي عن البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد متوافرة، وصحيحة صريحة في ذلك؛ كما تقدم بيان علماء اليمن لذلك؛ والله أعلم.

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٥٩).

(٢) ينظر: حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٦٥-٢٧٤)، وصعقة الزلزال؛ للوادعي (٣٩٩/٢-٤١١).

المطلب الرابع: ذكر الآثار الواردة عن أئمة السلف في النهي عن البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد.

كما تضافرت النصوص الشرعية في النهي عن البناء على المقابر أو اتخاذها مساجد؛ كذلك تضافرت الآثار الواردة عن أئمة السلف في النهي عن ذلك.

وقد أوضح العلامة النعمي -رحمه الله- أن تحريم البناء على المقابر ((أمر مشهور في كتب المذاهب الأربعة))[1].

ثم قال -رحمه الله-: ((ومن ذلك: ما ذكره الهيتمي[2] في كتابه "الزواجر عن اقتراف الكبائر" في تفصيل الكبائر الظاهرة؛ فيما لفظه: "الخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السُّرج عليها، واتخاذها أوثاناً والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها"[3]. انتهى. ثم ذكر ما عنده في هذا الباب[4]... .

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٥٥).

(٢) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي المصري ثم المكي، الملقب بشهاب الدين، من فقهاء الشافعية، وله عدة مصنفات؛ منها: تحفة المحتاج شرح المنهاج، والصواعق المحرقة لإخوان الابتداع والضلال، توفي سنة ٩٧٣هـ. ينظر ترجمته: شذرات الذهب (٨/٣٦٧-٣٣٦٨)، ومعجم المؤلفين (٢/١٥٢).

(٣) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٢٨٥).

(٤) ينظر: المصدر السابق (١/٢٨٥-٢٨٧).

وأما صاحب "إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان" فأوعب في هذا الموضع، ونقل عن الشافعي، وأحمد وكبار أتباعهم، كأبي الوفاء ابن عقيل[(١)]، وأبي محمد المقدسي[(٢)]، وغيرهم، وعن أصحاب أحمد، وغيرهم من أصحاب الشافعي، ومالك... .

ولا بأس بنقل كلامه أو جمهوره في ذلك، والاكتفاء به عن نقل نصوص أئمة المذاهب الأربعة...))[(٣)].

ثم قال –رحمه الله–: ((قال صاحب "إغاثة اللهفان" –رحمه الله–، وقدس روحه، ما حاصله، مع أكثر لفظه واختصاره–: "إن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه: أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجرة، ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً يتضرعون عندها، ويخضعون ويخشعون، ويعبدونهم بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله، ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها ما لا يرجون في المساجد؛ فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ مادتها، حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً[(٤)]، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة.

وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور تبرُّكاً بتلك البقعة فهذا عين المحادة لله

---

(١) هو: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي، المتكلم، من فقهاء الحنابلة، وكان خارق الذكاء مبرِّزاً في كثير من العلوم، له عدة مصنفات؛ منها: الفنون في فروع الفقه، والانتصار لأهل الحديث، توفي سنة ٥١٣هـ. ينظر ترجمته: طبقات الحنابلة؛ لابن أبي يعلى (٢/٢٥٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٧/٤١٥-٤٢١).

(٢) هو: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي، الملقب بموفق الدِّين، كان إماماً في العلم والزهد والورع، له عدة مصنفات؛ منها: المغني، والمقنع، وذم التأويل، توفي سنة ٦٢٠هـ. ينظر ترجمته: ذيل طبقات الحنابلة؛ لابن رجب الحنبلي (٢/٨١-٨٩)، وسير أعلام النبلاء (٤٢/١٧٤-١٨٢).

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٥٥-٤٥٧).

(٤) تقدم بيان جملة من النصوص الواردة في ذلك (ص٤٧٣).

ولرسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله.

فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله ﷺ: أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لُعن من اتخذها مساجد[١].

فمِن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها؛ وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه[٢].

وقد صرَّح عامة الطوائف بالنهي عن البناء عليها[٣]؛ متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة، وصرحَّ أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك، وطائفة أطلقت الكراهة؛ والذي ينبغي: حملها على كراهة التحريم، إحساناً للظن بالعلماء أن يُجوِّزوا ما تواتر عن رسول الله ﷺ النهي عنه، ولعن فاعله[٤].

وبالجملة: فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه، وفهم عن رسول الله ﷺ مقاصده؛ جزم جزماً لا يحتمل النقيض: أن هذه المبالغة منه باللعن والنهي...، ليست إلا لأجل الشرك اللاحق بمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، وقل نصيبه أو عدم من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحمى

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٣٤).

(٢) تقدم بيان جملة من النصوص في ذلك (ص٤٦٧).

(٣) قال ابن تيمية -رحمه الله- في "مجموع الفتاوى" (٣١/١١): ((وقد اتفق الأئمة على أنه لا يشرع بناء هذه المشاهد على القبور، ولا الإعانة على ذلك بوقف ولا غيره، ولا النذر لها، ولا العكوف عليها، ولا فضيلة للصلاة والدعاء فيها على المساجد الخالية عن القبور، فإنه يُعرف أن هذا خلاف دين الإسلام المعلوم بالاضطرار المتفق عليه بين الأئمة)).

(٤) حذَف العلامة النعمي -رحمه الله- ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- هنا من الأحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر واتخاذها مساجد؛ حيث ذكر جملة منها سابقاً، واستغنى عن ذكرها هنا. ينظر: المطلب السابق من هذا المبحث.

التوحيد، فأبى المشركون إلا معصية لأمره، وارتكاباً لنهيه، وغرهم الشيطان؛ فقال: هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم أشد لها تعظيماً، وفيها غلواً، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد[1].

فجمع المشركون بين الغلو فيهم، والطعن في طريقتهم، وهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها: من العبودية، وسلب خصائص الإلهية.

قال الشافعي -رحمه الله-: "أكره أن يُعظَّم مخلوق؛ حتى يُجعل قبره مسجداً؛ مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس"[2]... .

وهكذا اتخاذ القبور أعياداً؛ والعيد: ما يُعتاد مجيئه وقصده، فإن ذا الاتخاذ من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الإسلام، وقد نهى رسول الله ﷺ في سيِّد القبور منبهاً به على غيره، فأخرج أبو داود[3] بسند رواته ثقات مشاهير، عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»... .

قال شيخ الإسلام: "ووجه الدلالة: أن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نُهي عن اتخاذه عيداً، فغيره أولى"[4]... .

---

(١) لعل المقصود هنا: ومن عِدائهم أبعد.

(٢) بنحوه في كتاب الأم؛ للشافعي (٣١٧/١)، ونقله الشيرازي بلفظه في المهذب (١٣٩/١-١٤٠).

(٣) كتاب: المناسك، باب: زيارة القبور (٢١٨/٢) ح (٢٠٤٢)، والحديث أخرجه -أيضاً- أحمد في مسنده (٤٠٣/١٤) ح (٨٨٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٢١١/٢).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٢٣/١).

ورأيتُ في ذلك لأبي الوفاء بن عقيل -رحمه الله- فصلاً حسناً، ذكرته بلفظه؛ قال: "لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام: عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم؛ فسهلت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم عندي كفار بهذه الأوضاع؛ مثل: تعظيم القبور، وإكرامها بما نهى عنه الشرع؛ من إيقاد النيران، وتقبيلها، وتخليقها[١]، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع؛ فيها: يا مولاي افعل بي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخِرَق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى"[٢].

ونهى عمر بن عبدالعزيز[٣]: أن يُبنى القبر بآجرٍّ[٤]، وأوصى: أن لا يُفعل ذلك بقبره[٥].

وأوصى الأسود بن يزيد[٦]: "أن لا تجعلوا على قبري آجراً"[١].

---

(١) تخليقها؛ أي: تدهينها بالخلوق، وهو نوع من الطيب، يُتخذ من الزعفران وغيره، وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وهو من طيب النساء. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٤٤/٢).

(٢) نقله ابن الجوزي عن ابن عقيل في كتابه "تلبيس إبليس" (ص٤٨٣).

(٣) هو: أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الإمام، الحافظ، العلامة، الملقب بأشج بني أمية، تولى الخلافة سنة ٩٩هـ، وتوفي سنة ١٠١هـ. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى (٣٣٠/٥-٤٠٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣٠/٩-١٦٩).

(٤) الآجر: هو طبيخ الطين الذي يُبنى به. ينظر: لسان العرب (١٠/٤).

(٥) رواه ابن الجوزي عن الحصيني في "سيرة عمر بن عبد العزيز" (ص٢٠٤).

(٦) هو: أبو عمرو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي، الإمام، الفقيه، المخضرم، من خيار التابعين، كان يضرب به المثل في العبادة، توفي سنة٧٥هـ. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى (٧٠/٦-٧٥)، وسير أعلام النبلاء (٥٢/٧-٥٤).

وقال إبراهيم النخعي[٢]: "كانوا يكرهون الآجر على قبورهم"[٣].

والمقصود: أن هؤلاء المعظِّمين للقبور، المتخذينها أعياداً، الموقدين عليها السُّرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب: مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادُّون لما جاء به، وأعظم ذلك: اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر[٤].

وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي: "ولو أُبيح اتخاذ السرج عليها: لم يُلعن من فعله[٥].

قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر؛ ولأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[٦]"[٧]... .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٣٨/٦).

(٢) هو: أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي، فقيه العراق، ومن خيار التابعين، وكان كثير الإرسال عن الصحابة، توفي سنة ٩٦هـ. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى (٢٧٠/٦-٢٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٨٦/٨-٩٥).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥/٣)، وأورده الكاساني في بدائع الصنائع (٣١٨/١)؛ وقال: ((لأن الآجر مما يستعمل للزينة، ولا حاجة إليها للميت، ولأنه مما مسته النار؛ فيُكره أن يجعل على الميت تفاؤلاً، كما يُكره أن يتبع قبره بنار تفاؤلاً)).

(٤) وممن نص على أنه من الكبائر ابن حجر الهيتمي -رحمه الله-؛ كما تقدم بيان ذلك قبل قليل.

(٥) يشير إلى حديث: «لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»، وقد تقدم تخريجه (ص٤٧٤).

(٦) تقدم تخريجه (ص٤٦٧).

(٧) ينظر: المغني؛ لابن قدامة (٣٨٢/٢).

وأعظم الفتنة بالأنصاب: فتنة أنصاب القبور، وهي أصل فتنة عُبَّاد الأصنام ؛كما قاله السلف من الصحابة والتابعين[1].

فمن أعظم كيد الشيطان: أنه ينصب لأهل الشرك قبراً معظماً معبوداً، ثم يوحي إلى أوليائه: أن من نهى عن عبادته، واتخاذه عيداً ووثناً؛ فقد تنقَّصه، وهضمه، فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته، ويكفرونه، وذنبه عندهم: هو أمره بما أمر الله به ورسوله، والنهي عما نهى الله ورسوله؛ من جعله وثناً، وعيداً، وإيقاد السرج عليه، وبناء القباب والمساجد عليه، وتجصيصه، وإشادته، وتقبيله، واستلامه، ودعائه، والدعاء به، والسفر إليه، والاستغاثة به من دون الله؛ بما قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام: أنه مضادٌّ لما بعث الله به رسوله ﷺ: من تجريد التوحيد... .

ولا تحسب أيها المنعم عليه باتباع صراط الله المستقيم: أن النهي عن اتخاذ القبور مساجداً، وأعياداً، وإيقاد السرج عليها، والسفر إليها، والنذر لها، واستلامها، وتقبيلها، ونحو ذلك: غضٌّ من قدْر أصحابها، ولا تنقيص لهم، ولا تنقص لها؛ كما يحسبه الضُّلال؛ بل ذلك من إكرامهم، ومتابعتهم فيما يحبونه، وتجنب ما يكرهونه، فأنت والله وليهم ومحبهم، وناصر طريقتهم وسنتهم، وعلى هديهم ومنهاجهم... .

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم: إنما هي بإتباع ما دعوا إليه من العلم النافع، والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم، دون عبادة قبورهم، والعكوف عليها، واتخاذها أعياداً...))[2].

ثم قال العلامة النعمي -رحمه الله- مقرراً لما ذكره ابن القيم -رحمه الله-: ((ومع تأملك أيها العبد الأرشد، لما ذكره صاحب "إغاثة اللهفان"، واستيضاحك صحة ما ألم به من التحقيق: تعرف أهل صفاء البصائر، والإجلال

---

(١) أصل الشرك ومنشؤه، هو الافتتان بالقبور؛ وقد تقدم بيان ما يدل على ذلك (ص٤٤٤).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٥٧-٥٠٦)، وينظر: إغاثة اللهفان (١/١٨٤-٢١٣).

لأمر القوي الظاهر، واحترام شأن الله ورسوله، وأصحاب الطرائق المثلى، الناصحين لله ورسوله وكتابه، وعامة المسلمين، فبالحق يُعرف الرجال، لا أنه يُعرف بهم... .

وما ذكرنا هذه النقول عمن أشرنا إليه -من أهل المذاهب الأربعة، وأنها في كتبهم المسماة، وأعلن بها من سميناه منهم، ومن فاتنا ذكره أكثر- إلا لندلك على أن هذه المسألة... مسألة شهيرة، معروفة الشناعة والقبح بين الفضلاء، من أهل المذاهب الأربعة خاصة -دع غيرهم- متداولة في كتبهم، موضَّح فيها: أن بناء القباب والمشاهد، واتخاذ القبور مساجد: من صريح القبيح، وشنيع المنكر...))[1].

ومثله قال العلامة الشوكاني -رحمه الله-؛ حيث بيَّن اتفاق أهل العلم -رحمهم الله- على النهي عن ذلك والتحذير منه؛ قال: ((اعلم أنه اتفق الناس سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم، من لدن الصحابة ﷺ إلى هذا الوقت؛ أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها، واشتد وعيد رسول الله ﷺ لفاعلها...، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين))[2].

كذلك أوضح العلامة المعلمي -رحمه الله-: أن ((كتب فقهاء المذاهب من أصغر مختصر إلى أكبر مطول؛ متفقة على النهي عن البناء، وتحريمه في المقابر والمسبلة، ونص بعضهم على حرمته حتى في المِلك، ومن لم يقل بالحرمة في المِلك أطلق الكراهية، ومراد كثير منهم الكراهة التحريمية، وسيأتي عقد فصل مستقل لنقل كلام الفقهاء -إن شاء الله تعالى-))[3].

ولم يعقد المعلمي -رحمه الله- هذا الفصل الذي أشار إليه.

كذلك أورد الشيخ البيحاني -رحمه الله- جملة من أقوال العلماء في النهي على البناء على المقابر[4]؛ ومنها: قوله: ((قال شيخ الإسلام في كتابه

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٥٠٦-٥٠٧).

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص١٠٢).

(٣) البناء على القبور؛ للمعلمي (ص٥٦-٥٨).

(٤) ينظر: الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٦٠-٤٦٦).

"اقتضاء الصراط المستقيم"[١]... ما نصه: " إن النصوص عن النبي ﷺ تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقاً، وعن اتخاذها مساجداً وبناء المساجد عليها"... .

وقال ابن القيم -رحمه الله- في "زاد المعاد"[٢]: " نص الإمام أحمد وغيره على أنه إذا دُفن الميت في المسجد نبش"، وقال ابن القيم -أيضاً-: "لا يجتمع في دين الإسلام قبر ومسجد، بل أيهما أطرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق"[٣].

وقال الإمام النووي في "شرح المهذب"[٤]... ما نصه: "اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء المسجد على القبر، سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح، أو غيره؛ لعموم الأحاديث، قال الشافعي والأصحاب: وتُكره الصلاة إلى القبور؛ سواء كان الميت صالحاً، أو غيره...")[٥].

وكما قال الشيخ الوادعي -رحمه الله- فإن أهل العلم -في مسألة البناء على القبور- مجمعون ((على أنه بدعة من البدع المنهي عنها؛ كما ذكره الشوكاني في "شرح الصدور في تحريم رفع القبور"[٦]، فمن يرد الاطلاع على شيء من ذلك فعليه بمراجعة "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد"، و "معارج الألباب"؛ للنعمي، و "شرح الصدور"؛ للشوكاني، و "تطهير الاعتقاد"؛ للصنعاني، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الحافظ ابن القيم، رحم الله الجميع))[٧]، والله أعلم.

---

(١) (١٨٤/٢).

(٢) (٥٠١/٣).

(٣) زاد المعاد (٥٠١/٣).

(٤) (٣١٦/٥-٣١٧).

(٥) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٦٢-٤٦٣).

(٦) تقدم بيان ذلك (ص٤٥٩).

(٧) حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٧٧).

المطلب الخامس: ذكر المفاسد المترتبة على البناء على المقابر.

مفاسد البناء على القبور كثيرة تربو على الحصر؛ **وقد أوضح العلامة النعمي –رحمه الله– أن في إحياء المشاهد على القبور** ((كلم للإسلام، وفقء عين شريعة المختار –عليه السلام–))[1].

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((وكم قد سرى من تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام))[2].

ومن تلك المفاسد العظيمة المترتبة على البناء على المقابر؛ ما يلي:

أن البناء على المقابر مخالف للنصوص الصحيحة والصريحة في الأمر بتسويتها، والنهي عن البناء عليها؛ وقد تقدم بيان علماء اليمن لجملة من النصوص الواردة في ذلك[3].

ومنها: أن البناء على المقابر مشابهة لليهود والنصارى في اتخاذها أعياداً ومساجد؛ وقد لعن النبي ﷺ من فعل ذلك؛ كما تقدم بيان علماء اليمن لذلك[4].

ومنها: أن البناء على المقابر من الذرائع الموصلة إلى الشرك والمفضية إليه؛ حيث إن كثيراً من عامة الناس يعتقدون أن الأموات الذين تُبنى على قبورهم القباب والمشاهد؛ إنما هم صالحون وأولياء؛ فيعتقدون فيهم النفع والضر، ويصرفون لهم العبادات من دون الله ﷻ أو معه ﷻ.

قال العلامة الصنعاني –رحمه الله–: ((فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (١/٢٥٤).

(٢) نيل الأوطار (٤/١٣١).

(٣) ينظر: (ص٤٦٨).

(٤) ينظر: (ص٤٦٧).

بنيانه، غالب بل كل من يُعمِّرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ أو كبير، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولا هتف باسمه، بل يدعون ويستغفرون، حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شُيِّد عليه البناء، وسُرِّجت عليه الشموع، وفُرش بالفراش الفاخر، وأُرخيت عليه الستور، وألقيت عليه الأوراد والزهور، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضر، ويأتي السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع، حتى يغرسوا في جبلته كل باطل؛ ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية اللعن على من سرَّج القبور، وكتب عليها، وبنى عليها، وأحاديث ذلك واسعة معروفة، فإن ذلك في نفسه منهي عنه، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة))[1].

كما أوضح العلامة النعمي –رحمه الله– أن من أعظم المخالفات والمفاسد التي نتجت عن هذه المشاهد؛ أن صُرفت لها أنواع من العبادات، مشابهة لحال أهل الجاهلية الأولى عند بيوت الأوثان، بل زادوا عليهم في شركهم وغيِّهم بأن دعوها في السراء والضراء، على عكس أولئك الذين كانوا يدعونها في السراء، ويُخلصون في الضراء؛ كما نطق بذلك الكتاب العزيز[2]؛ فقال –رحمه الله–: ((وليتهم اقتصروا على هذه المخالفات، بل جاوزوا فيما يُنسيها إلى أضعاف مضاعفات، واقتدت العامة بمن تخيَّلوا عنده علماً، وهو في العدد منهم، لا يملك رأياً، ولا عقلاً للحقائق، ولا فهماً، فهو معهم في باطل لغوهم، وشاهد مجالس إفكهم وإثمهم ولهوهم، لا يهدي ولا يهتدي، ولا تراه في طلب العلم صِدقاً يروح ولا يغتذي،

حتى إنا وجدنا في أفعالهم لدى هذه المشاهد صنيع الجاهلية عند بيوت الأوثان، وزيادة غلوٍّ على من ضادَّ الله ورسوله باتخاذ إلهٍ ثانٍ، فإنا سمعنا في كتابه إذ سجل على أولئك الأقوام: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٨٣).

(٢) تقدم بيان ذلك (ص٤١٣).

﴾[الإسراء:٦٧]؛ أي: هو تعالى ذو الجلال والإكرام، وشاهدنا أرباب القباب إذا الْطمَّت عليهم أمواج البحر العباب[(١)]...، كل يدعو شيخه عند ذلك الاضطراب...))[(٢)].

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((كم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام؛ منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظُم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر؛ فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا؛ وبالجملة: إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون))[(٣)].

وأكد ذلك في موضع آخر؛ فقال: ((فلاشك ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات؛ هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها، وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسن، فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بُنيت عليه قبة؛ فدخلها، ونظر على القبور الستور الرائعة، والسرج المتلألئة، وقد سطعت حوله مجامر الطِّيب؛ فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشد وسائله إلى ضلال العباد ما يزلزله عن الإسلام قليلاً قليلاً؛ حتى يطلب من صاحب ذلك القبر مالا يقدر عليه إلا الله سبحانه، فيصير في عداد المشركين، وقد يحصل له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة، وعند أول زورةٍ له؛ إذ لابد أن يخطر بباله أن هذه العناية البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا تكون إلا لفائدة يرجونها منه؛ إما دنيوية

---

(١) العباب: أي الكثير الماء. ينظر: لسان العرب (٥٧٢/١).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢٦٠/١-٢٦٣).

(٣) نيل الأوطار (١٣١/٤).

أو أخروية، فيستصغر نفسه بالنسبة إلى من يراه من أشباه العلماء زائراً لذلك القبر، وعاكفاً عليه ومتمسحاً بأركانه))[1].

وقال في موضع آخر: ((ومن المفاسد البالغة إلى حد يرمى بصاحبه إلى وراء حائط الإسلام، ويلقيه على أم رأسه من أعلى مكان الدِّين: أن كثيراً منهم يأتي بأحسن ما يملكه من الأنعام، وأجود ما يحوزه من المواشي؛ فينحره عند ذلك القبر، متقرباً به إليه، راجياً ما يضمر حصوله له منه؛ فيُهلُّ به لغير الله، ويتعبد به لوثن من الأوثان؛ إذ أنه لا فرق بين نحر النحائر لأحجار منصوبة يسمونها وثناً، وبين قبر لميت يسمونه قبراً، ومجرد الاختلاف في التسمية لا يغني من الحق شيئاً، ولا يؤثر تحليلاً ولا تحريماً، فإن من أطلق على الخمر غير اسمها وشربها؛ كان حكمه حكم من شربها وهو يسميها باسمها، بلا خلاف بين المسلمين أجمعين.

ولاشك أن النحر نوع من أنواع العبادة التي تعبَّد الله العباد بها؛ كالهدايا، والفدية، والضحايا، فالمتقرب بها إلى القبر والناحر لها عنده لم يكن له غرض بذلك إلا تعظيمه وكرامته، واستجلاب الخير منه، واستدفاع الشر به، وهذه عبادة لاشك فيها...))[2].

ومن مفاسد البناء على المقابر –أيضاً–: أن البناء عليها من أسباب وقوع الفساد والفجور؛ كاختلاط النساء بالرجال، والرقص، والغناء، وغير ذلك من المنكرات.

قال العلامة النعمي –رحمه الله–: ((... وهذا كله بالنظر إلى نفس البناء على القبر لا إلى ما ترتب عليه، وعلى إحياء هذه المشاهد من كلْمِ الإسلام، وفقء عين شريعة المختار –عليه السلام–، وما يقع في الزيارة من أنواع المفاسد والمنكرات؛ كترك الصلوات المكتوبه، ويقولون أو يقول قائلهم: قد حمَّلوا الوليَّ، أو حملها

---

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص١٩).

(٢) المصدر السابق (ص٢١).

عنهم[(١)]، واختلاط الرجال والنساء وأرباب الملاهي، واتِّخاذ الزينات، والمجاهرات، والمخالفات لله التي لا طمع في حصرها في الرقاع، وكيف وقد امتدت في أقطار البسيطة على ما فيها من الاتساع؟ فما ترى هنالك من نسيان ونبذ عهوده، وتعدي حدوده))[(٢)].

ثم بيَّن –رحمه الله– أن من رضي ببناء هذه المشاهد على القبور فهو مشارك فيما يترتب عليها من المفاسد والمنكرات؛ إلا من تبرأ منها، وغار على دين الله ﷻ مما حلَّ به جراء هذه المشاهد؛ حيث قال: ((ولعمر الله من رضي

---

(١) والمراد: أن الولي يتحمل عنهم ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي بسبب الزيارة لمشهده! وقد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام: أنه لا يتحمل أحد ذنب أحد غيره؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[النجم:٣٨].

قال ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره (٧/٤٦٥): ((أي: كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب، فإنما عليها وزرها، لا يحمله عنها أحد؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ﴾[فاطر:١٨])).

والسبب الذي جعلهم يعتقدون ذلك: هو اعتقادهم أن الولي يعلم ذنوبهم وحوائجهم، وإن لم يذكروها، وأنه يقدر على غفران ذنوبهم، وقضاء حوائجهم، ويقدر على ما يقدر عليه الله ﷻ. ينظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (ص٩٤).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (١/٢٥٤-٢٥٥).

بقاء هذه الرسوم شارك[١] في ذلك الخطب المشوم[٢]، إلا متبرِّم لله من هذه الأحداث، وغائر لله مما حل بدينه من خطوب هذه الأبنية، وزوَّار الأجداث الذين أعطوها حقَّ من هو أحقُّ أن يُدعى ويُستغاث، وانهمكوا في صنوف من نُكْرِ الأعمال، وجسائم الأخباث))[٣].

وقال في موضع آخر: ((... هذا بالنظر إلى أعيان تلك المناهي، مع الإغماض عما ترتب على مخالفتها -أيضاً- مما لا يدان للأقلام بحصره وعده، ولا قدرة للبشر أن يقفوا على نهايته وحده؛ كتوفر الجموع لهذه الزيارات، واقتحام أنواع المفاسد والمنكرات، وما في طيِّ إحياء هذه المشاهد من القبائح المتوافرات، فإنه بمجرده مُؤذنٌ بتحتم تدمير المشاهد والقباب، والأبنية التي صارت معتكف كل طامة، ومناخ فجور أهل الفسوق والعقوق من العامة، ومن لا يعرف ما ذكرنا، أو هو مرتاب في وقوع شيء منه، أو لا يستقبحه؛ فأمره أطرف من أن يُوصف))[٤].

---

(١) وذلك لأن الراضي بالمنكر يستوي مع فاعله في الإثم والعقوبة؛ كما دلت على ذلك النصوص الشرعية؛ مثل قوله ﷺ: «ستكون أمراء، فتعرفون وتُنكرون، فمن عرف برىء، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع». أخرجه مسلم؛ كتاب: الأمارة، باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك (١٤٨٠/٣) ح (١٨٥٤)؛ من حديث أم سلمة -رضي الله عنها-.

قال النووي -رحمه الله- في شرحه على مسلم (٢٤٣/١٢).: ((وقوله ﷺ: «ولكن من رضي وتابع»؛ معناه: ولكن الإثم والعقوبة على من رضي وتابع، وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت؛ بل إنما يأثم بالرضى به، أو بأن لا يكرهه بقلبه، أو بالمتابعة عليه)).

(٢) المشوم: بمعنى: الأسود، يُقال: شوم الإبل؛ أي: سُودها. ينظر: لسان العرب (٣٢٩/١٢)، والمحيط في اللغة (٣٩٩/٧).

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢٥٥/١).

(٤) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٤٤٩/٢).

ثم أوضح –رحمه الله– براءته من هذه المشاهد، وما يترتب عليها من المفاسد والمنكرات؛ فقال: ((اللهم فهذه براءة إليك مما تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخرُّ الجبال هدًّا، أتتنا المناهي عن رسولك في هذا الباب كأنها رأي عين في سد ذرائعه، وهدِّ شرائعه، وطمس رسومه وشنائعه، ثم عمد قوم أضاعوا عهد التحقيق، ولم يُراعوا مشاعر تأديبك وتعليمك التي تهدي إلى سواء الطريق، فانتصبوا لرفع رآيات سوء هي مخفوضة معزولة بحكمك الوثيق، وإلا فكل من آمن بك، وعقل عنك، وتحقق بمعرفة دينك، لا يجهل ما في طيِّها من عظيم المشاقَّة لك ولرسولك.

اللهم فمن زعم عليك أنك رفعت شأن القباب والمشاهد والزيارات المعروفة من هذه الطوائف، ومواطن الأموات، وجعلتها ترياقاً[1] لقضاء ......

الحوائج، ومثابة[2] للناس، وأعياداً لهم، وزعم على سلفنا الصالح من أمة نبيك الأكرم أنهم دانوا بذلك، أو بذرة منه...، فاحكم بيننا وبينه بالحق، وأنت خير الحاكمين.

فإن القوم قد أبدلوا –وأنت أعلم– رسوم شرعك بسواها، واستولى اللعين

---

(١) التِّرياق: بكسر التاء، كلمة فارسية معربة، وهو دواء السموم. ينظر: لسان العرب (٣٢/١٠)، ومختار الصحاح (٨٣/١).

ومعلوم أنه من خرافات الصوفية، واعتقاداتهم الباطلة في أهل القبور: تحري الدعاء عند القبور، الذي هو من البدع المذمومة التي كرهها السلف الصالح، حيث اشتهر عند هؤلاء القبوريون القول بأن قبر فلان "الترياق المجرَّب"؛ ومعنى ذلك: أي أنه مجرَّب قبول الدعاء عند قبره، وانتفاع من يتبرك به. ينظر: مجموع الفتاوى (١٧١/٢٧،١١٥)، واقتضاء الصراط المستقيم (ص٣٤٢)، وتيسير العزيز الحميد (ص٢٩٠).

(٢) المثابة: الموضع الذى يُثاب إليه؛ أي: يُرجع إليه مرة بعد أخرى، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[البقرة:١٢٥]. ينظر: لسان العرب (٢٤٣/١)، والصحاح (١٠٩/٢).

على فطرهم؛ فثناها عن الهدى ولواها، وسوَّل لهم أن يبدلوا الزيارة التي شرعتها؛ للإذكار، والاستغفار، والاعتبار[1]، بضدِّها؛ من التضرع عند القبر، والرقص واللهو، وإبداء الفاقة والافتقار، وأنواع الفجور، والهتف والتملق، والتأدب مع الرمم[2]، والحكم لها بنفع وإضرار... .

ثم اللهم إن القوم أبدلوا مناهي رسولك، الذي جعلته العصمة من الضلال؛ عن البناء على القبور، وتشريفها، وتجصيصها، والكتابة عليها، وجعلها مساجد، وما جاء من النهي عن اتخاذ قبره عيداً بأضدادها؛ فبنوا، وشرَّفوا، وجصَّصوا، وكتبوا، وجعلوها أعياداً ومساجد، كأنه ﷺ أغراهم بذلك لا سوى، بل لو كانوا مأمورين بذلك لما حفظوه، ورعوه كما هم الآن بشهادة المناهي في هذه المسألة، إذ أضيعت، وشهادة غيرها في غير هذا الباب مما لا يحوج إلى شرح))[3].

كذلك أوضح الشيخ عبد الله عوض بكير -رحمه الله-: أن هذه الزيارات للمشاهد قد اشتملت على ((كل فعل قبيح، وعلى موبقات كثيرة، وضلالات شهيرة؛ تأباها العقول فضلاً عن النقول))[4].

ثم ذكر -رحمه الله- بعض المفاسد؛ والتي منها: ((اختلاط الرجال بالنساء؛ مع ما يرتب عليه من المفاسد والقبائح؛ مثل: الزنا واللواط، ونظر الأجنبيات، ونشوز الزوجات، وخروج النساء متزينات، وترك الصلوات، ومخالفة

---

(١) هذه هي الزيارة الشرعية للقبور، وسيأتي بيان ذلك (ص٥٠٩).

(٢) المقصود بالتأدب مع الرمم هنا: الأدب الممنوع شرعاً؛ من تعظيم أصحاب القبور، والغلو فيهم؛ وذلك بإظهار الخشوع والخضوع عند قبورهم، كما هو صنيع كثير من الجهال؛ حيث ترى أحدهم يخشع أمام القبر، ويخضع بين يدي صاحبه أشد من خشوعه وخضوعه في الصلاة بين يدي خالقه، والله أعلم.

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (١/٢٥٦-٢٦٠).

(٤) رفع الخمار عن مثالب المزار؛ لعبد الله بكير (ص١٩).

الآباء، وغير ذلك من القبائح الظاهرة والباطنة))[1].

ومن مفاسد البناء على القبور -أيضاً-: كثرة الأوقاف والنذور للمشاهد، وما أفضت إليه من الشرك، وأكل أموال الناس بالباطل.

قال العلامة الشوكاني -رحمه الله-: ((وقد يجعل الشيطان طائفة من إخوانه من بني آدم يقفون على ذلك القبر، يخادعون من يأتي إليه من الزائرين، يهولون عليهم الأمر، ويصنعون أموراً من أنفسهم، وينسبونها إلى الميت على وجه لا يفطن له من كان من المغفلين، وقد يصنعون أكاذيب مشتملة على أشياء يسمونها كرامات لذلك الميت، ويبثونها في الناس، ويكررون ذكرها في مجالسهم، وعند اجتماعهم بالناس؛ فتشيع وتستفيض، ويتلقاها من يحسن الظن بالأموات، ويقبل عقله ما يروى عنهم من أكاذيب، فيرويها كما سمعها، ويتحدث بها في مجالسه، فيقع الجهال في بلية عظيمة من الاعتقاد الشركي، وينذرون على ذلك الميت كرائم أموالهم، ويحبسون على قبره من أملاكهم ما هو أحبها إلى قلوبهم؛ لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً وأجراً كبيراً، ويعتقدون أن ذلك قربة عظيمة، وطاعة نافعة، وحسنة متقبلة، فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم على ذلك القبر.

فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل، وهولوا على الناس بتلك التهاويل، وكذبوا تلك أكاذيب، لينالوا جانباً من الحطام من أموال الطغام الأغتام، وبهذه الذريعة الملعونة، والوسيلة الإبليسية تكاثرت الأوقاف على القبور، وبلغت مبلغاً عظيماً؛ حتى بلغت غلات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه لبلغ ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين، ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة؛ لأغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء، وكلها من النذر في معصية الله؛ وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا نذر في معصية الله»[2]، وهي -أيضاً- من النذر الذي لا يبتغي به وجه

---

(١) المصدر السابق (ص٢٤-٢٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه؛ كتاب: الكفَّارات، باب: النذر في المعصية (٦٨٦/١) ح (٢١٢٤)، والنسائي في الصغرى؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: النذر فيما لا يملك (١٩/٧) ح

الله، بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه؛ لأنها تفضي بصاحبها إلى ما يفضي به اعتقاد الإلهية في الأموات من تزلزل قدم الدِّين؛ إذ لا يسمح بأحب أمواله وألصقها بقلبه إلا وقد زرع الشيطان في قلبه من محبة وتعظيم ذلك القبر وصاحبه، والمغالاة في الاعتقاد فيه ما لا يعود به إلى الإسلام سالماً، نعوذ بالله من الخذلان.

ولاشك أن غالب هؤلاء المغرورين المخدوعين لو طلب منهم طالب أن ينذر بذلك الذي نذر به لقبر ميت على ما هو طاعة من الطاعات وقربة من القربات؛ لم يفعل ولا كاد.

فانظر إلى أين بلغ تلاعب الشيطان بهؤلاء؟ وكيف رمى بهم هوة بعيدة القعر، مظلمة الجوانب؟ فهذه مفسدة من مفاسد، القبور وتشييدها، وزخرفتها وتجصيصها))[1].

ومن المفاسد -أيضاً-: رعاية المشاهد وإعمارها، وهجر المساجد وإهمالها.

قال العلامة النعمي -رحمه الله-: ((ومن أذيال مصيبة المشاهد -التي أُصيب بها الإسلام وشعائره- ما ظهر وانتشر في العامة في جهات كثيرة -كما هو معلوم مُشاهد-: أن المساجد ربما تكون متروكة مهجورة، وفيها من التراب والعيدان والأوساخ، وزِبل الأنعام، وحِراق التنباك، وغير ذلك مالا يقل، ومشاهد الأموات: محترمة مكرَّمة، مجمرة منظفة...))[2].

فهذه جملة من المفاسد المترتبة على البناء على المقابر؛ التي ذكرها علماء اليمن

(٣٨١٢)؛ من حديث عمران ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٢٥٣/٢).

(١) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص٢٨).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٦٣٤/٢).

-رحمهم الله-، وغيرها كثير مما لم يذكروه[1]، وكلها تدل دلالة واضحة على عِظم خطر البناء على المقابر، أو تحسينها، أو تجصيصها، ونحوها من الأمور، والله أعلم.

(١) للمزيد من التفصيل في مفاسد البناء على المقابر؛ ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٣٤) وما بعدها.

المطلب السادس: الرد على المخالفين في البناء على المقابر ببيان شبههم وإبطالها.

ذكر الشيخ الوادعي -رحمه الله- شبهة للقبوريين على جواز اتخاذ المساجد على القبور ثم أجاب عنها، فقال: ((للقبوريين شبهة؛ وهي قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾[الكهف:٢١]؛ قالوا: فاتخاذ المساجد على القبور جائز في شرع من قبلنا؛ وهو شرع لنا ما لم يُنسخ.

والجواب على هذه الشبهة من أوجه:

الأول: أن هذا فعل قوم أصحاب الكهف؛ وقد قال أصحاب الكهف: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ ﴾[الكهف:١٥]، فمن ادعى أنهم قد أسلموا بعد اعتزال أهل الكهف فإنما يعتمد على قصص إسرائيلية، ومن الأدلة على أن قومهم باقون على كفرهم: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ ﴾[الكهف:٢١]، والذي لا يعلم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ليس بمسلم.

الثاني: لو سلَّمنا أنهم مسلمون؛ فمن أين لنا أن شرعهم يُبيح لهم ذلك، ألا يجوز أنهم اجتهدوا وأخطئوا.

الثالث: لو سلَّمنا أنه شرع لمن قبلنا؛ فهو منسوخ هنا بشرعنا، فقد تواترت الأحاديث عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فاعله؛ كما في الصحيحين[1] من حديث عائشة -رضي الله عنها-))[2].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في الرّد على من استدلَّ بقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾[الكهف:٢١]، نقلاً عن

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٦٧).

(٢) حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٧٤-٢٧٥)، وينظر: صعقة الزلزال (٢/٤١٠-٤١١).

الطبري -رحمه الله-: ((وقد اختلف في قائلي هذه المقالة[1]: أهم الرهط المسلمون، أم هم الكفار؟ فإذا علمت ذلك؛ فاعلم أنهم على القول بأنهم كفار؛ فلا إشكال في أنَّ فعلهم ليس بحجة؛ إذ لم يقل أحد بالاحتجاج بأفعال الكفار كما هو ضروري.

وعلى القول بأنهم مسلمون كما يدلّ له ذكر المسجد؛ لأن اتخاذ المساجد من صفات المسلمين، فلا يخفى على أدنى عاقل أن قول قوم من المسلمين في القرون الماضية أنهم سيفعلون كذا لا يُعارَض به النصوص الصحيحة عن النبي ﷺ إلا من طمس الله بصيرته؛ فقابل قولهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، بقوله ﷺ في مرض موته قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بخمس: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» الحديث[2]؛ يظهر لك أنَّ من اتبع هؤلاء القوم في اتخاذهم المسجد على القبور؛ ملعون على لسان الصادق المصدوق ﷺ كما هو واضح...))[3].

وبذلك يتضح أنَّ هذه الآية لا تدل على جواز البناء على القبور كما زعم بعضهم، كما أنه ((كيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من الشرائع المتقدمة، مع ما سمعت من لعن اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))[4]؛ إذ لو كان شرعاً لمن قبلنا لما لعن رسول الله ﷺ فاعله من الأمم الماضية، فدل على أنه من الأمور المحرمة عند جميع الأمم؛ لأنه من وسائل الشرك، وكما هو معروف فإن الأنبياء جميعهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويسدون الذرائع الموصلة إلى عبادة غيره ﷻ.

كذلك من الشبه التي يستدل بها القبوريون على جواز البناء على

---

(١) يقصد: الذين قالوا: لنتخذن عليهم مسجداً -كما حكى الله ﷻ عنهم ذلك-.

(٢) تقدم تخريجه (ص٤٦٧).

(٣) أضواء البيان (٣/١٧٧)، وينظر: تفسير الطبري (١٧/٦٤٠-٦٤١).

(٤) روح المعاني (١٥/٢٣٩).

المقابر؛ الاستدلال بالقبة الموجودة على قبر النبي ﷺ[1].

وقد أوضح العلامة الصنعاني -رحمه الله- أن الاستدلال بهذه الشبهة ((جهل عظيم بحقيقة الحال، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه ﷺ، ولا من أصحابه، ولا من تابعيهم، ولا تابعي التابعين، ولا من علماء أمته وأئمة ملته، بل هذه القبة المعمولة على قبره ﷺ من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين؛ وهو قلاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور، في سنة ثمان وسبعين وستمائة...، فهذه أمور دولية لا دليلية، يتبع فيها الآخر الأول))[2].

وقال العلامة النعمي -رحمه الله- في الرد على هذه الشبهة، بعد قول بعض المخالفين: ((ومن المعلوم أنه ﷺ له قبة، وأولياء المدينة وأولياء سائر البلدان، وأنها تزار كل وقت، ويعتقد بها حلول البركة))[3].

قال -رحمه الله-: ((أقول: الأمر كذلك فكان ماذا بعد أن حذّر -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وأنذر، وبرأ جانبه المقدس الأطهر -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فصنعتم له عين ما تقدم بالنهي عنه، أفلا كان هذا كافياً لكم عن أن تجعلوا -أيضاً- مخالفتكم لأمره حجة عليه وتقدماً بين يديه؟ فهل أشار بشيء من هذا أو رضيه أو لم ينه؟ وأمّا اعتقادكم حلول البركة فمن عندكم لا من عند الله فهو رد عليكم))[4].

وأما الشيخ الوادعي -رحمه الله- فقد أطال في الرد على هذه الشبهة؛ وفيما يلي بيان لذلك في الأوجه التالية باختصار:

الأول: بيانه أن النبي ﷺ دُفن في بيته؛ لدلالة النصوص على ذلك[5]؛ والتي منها:

---

(١) ينظر: معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٥٤٠/٢)، وتطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٨٤)، وحكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٥٠)

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٨٤).

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٥٤٠/٢).

(٤) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٥) ينظر: حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٥٥-٢٦٠).

حديث أبي بكر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يُحب أن يُدفن فيه»؛ ادفنوه في موضع فراشه(١).

ثم قال: ((فعلمنا من هذه الأحاديث أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- دُفن في بيته؛ كما أمر بذلك، فعلى هذا فلا حجة للقبوريين في البناء على القبور؛ إذ لم يُبن قبره -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وإنما دُفن في بيته))(٢).

الثاني: بيانه أن حجرته ﷺ والتي دُفن فيها إنما أُدخلت في المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك(٣)، بعد موت عامة الصحابة.

حيث نقل ما ذكره ابن تيمية -رحمه الله- من أنه ((ﷺ مدفون في حجرة عائشة وكانت حجرة عائشة وسائر حجر أزواجه من جهة شرقي المسجد وقبلته لم تكن داخلة في مسجده، بل كان يخرج من الحجرة إلى المسجد، ولكن في خلافة الوليد وسع المسجد، وكان يحب عمارة المساجد، وعمَّر المسجد الحرام، ومسجد دمشق، وغيرهما، فأمر نائبه عمر بن عبد العزيز أن يشتري الحجر من أصحابها الذين ورثوا أزواج النبي ﷺ ويزيدها في المسجد.

فمن حينئذ دخلت الحجر في المسجد؛ وذلك بعد موت الصحابة؛ بعد موت ابن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وبعد موت عائشة؛ بل بعد موت عامة الصحابة، ولم يكن بقي في المدينة منهم أحد.

وقد روي أن سعيد بن المسيب كره ذلك، وقد كره كثير من الصحابة والتابعين ما فعله عثمان ﷺ من بناء المسجد بالحجارة والقصَّة والسَّاج، وهؤلاء لما فعله الوليد أكره.

وأما عمر ﷺ فإنه وسَّعه، لكن بناه على ما كان من بنائه من اللَّبِن، وعُمُدُه

---

(١) أخرجه الترمذي؛ كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في دفن النبي ﷺ حيث قُبض (٣٢٩/٢) ح (١٠١٨)؛ وقال: حديث غريب. وصححه الألباني في أحكام الجنائز (ص١٣٧).

(٢) حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٦٠).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٢٦٠-٢٦٢).

جذوع النخل، وسقفه الجريد، ولم ينقل أن أحداً كره ما فعل عمر؛ وإنما وقع النزاع فيما فعله عثمان... .

فإن الوليد بن عبد الملك تولى بعد موت أبيه عبد الملك سنة بضع وثمانين من الهجرة، وكان قد مات هؤلاء الصحابة كلهم، وتوفي عامة الصحابة في جميع الأمصار، ولم يكن بقي بالأمصار إلا قليل جداً؛ مثل أنس بن مالك بالبصرة؛ فإنه توفي في خلافة الوليد سنة بضع وتسعين، وجابر بن عبد الله مات سنة ثمان وسبعين بالمدينة؛ وهو آخر من مات بها.

والوليد أدخل الحجرة بعد ذلك بمدة طويلة نحو عشر سنين، وبناء المسجد كان بعد موت جابر، فلم يكن قد بقي بالمدينة أحد))[1].

الثالث: بيانه أن القبة إنما بُنيت في عهد الملك المنصور قلاوون الصالحي سنة ٦٧٨هـ؛ حيث نقل ما ذكره صاحب كتاب "عمدة الأخبار في مدينة المختار"؛ حيث قال: ((ومن ذلك أنه لما كان عام ثمان وسبعين وستمائة هجرية، أمر السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحي والد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ببناء قبة على الحجرة الشريفة ولم يكن قبل هذا التاريخ عليها قبة ولها بناء مرتفع، وإنما كان حظير حول الحجرة الشريفة فوق سطح المسجد، وكان مبنياً بالآجر مقدار نصف قامة؛ حيث يُميز سطح الحجرة الشريفة على سطح المسجد، فعُملت هذه القبة الموجودة اليوم...))[2].

الرابع: بيانه لإنكار أهل العلم لهذه القبة؛ حيث قال: ((لا شك أن أهل العلم يُنكرون ما ورد الشرع بتحريمه، فبعضهم قد يُصرح بالإنكار، وبعضهم قد يسكت لما يعلم من عدم جدوى الكلام.

وربما استأنسوا لجواز السكوت بقوله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لعائشة -رضي الله عنها-: «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم»؛ متفق

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٤١٧-٤١٨).

(٢) حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٦٢)، وينظر: عمدة الأخبار في مدينة المختار؛ لأحمد العباسي (ص١٢٤).

عليه[1].

ومن المعلوم أن الذين صرحوا بالإنكار قد أدوا ما أوجب الله عليهم من النصح للإسلام والمسلمين، فإليك بعض من أنكر ذلك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم": "ولهذا لما بنيت حجرته على عهد التابعين - بأبي هو وأمي صلى الله عليه وعلى آله وسلم- تركوا في أعلاها كوة إلى السماء وهي إلى الآن باقية فيها، موضوع عليها شمع على أطرافه حجارة تمسكه، وكان السقف بارزاً إلى السماء، وبني كذلك لما احترق المسجد والمنبر سنة بضع وخمسين وستمائة، وظهرت النار بأرض الحجاز، التي أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، وجرت بعدها فتنة التتار ببغداد وغيرها، ثم عمر المسجد والسقف كما كان، وأحدث حول الحجرة الحائط الخشبي، ثم بعد ذلك بسنين متعددة بنيت القبة على السقف، وأنكرها من أنكرها"))[2].

كما ذكر -رحمه الله- كلام العلامة الصنعاني والعلامة النعمي -رحمهما الله- السابق ذكره في الإنكار[3].

الخامس: ذِكره -رحمه الله- لجملة من النصوص الشرعية الواردة في النهي عن البناء على القبور[4]، وقد تقدم بيان جملة منها.

ثم قال -رحمه الله-: ((وكم للقبوريين من دعاوى باطلة، إذا دُعوا إلى إزالة تلك القباب التي أشبه بعضها اللات والعزى وهُبَل...))[5].

ولذلك لا يوجد -ولله الحمد- أدلة يتمسك بها من أجاز البناء على القبور؛ لأن مبدأ عبادة الأوثان أصلها من الفتنة بالمقبورين؛ لذلك نهى رسول الله ﷺ عن

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الحج، باب: فضل مكة وبنيانها (١٤٦/٢) ح (١٥٨٣)، ومسلم؛ كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها (٩٦٩/٢) ح (١٣٣٣).

(٢) حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٦٣-٢٦٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٢٦٤-٢٦٥).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص٢٦٥-٢٧٣).

(٥) المصدر السابق (ص٢٦٥).

البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، وحذّر أمته من ذلك، وكل ذلك من نصحه ﷺ لأمته، ومن حرصه على حماية جناب التوحيد؛ فالفتنة بالمقبورين من الوسائل الموصلة إلى عبادتها من دون الله ﷻ، وهذا ما يريده الشيطان من المؤمنين؛ يريد أن يضلهم ضلالاً بعيداً.

وقد بيّن الشيخ الوادعي -رحمه الله- أن بناء المساجد على القبور منشؤه التقليد الأعمى؛ فقال: ((... حقاً إن بناء المساجد على القبور منشؤه التقليد الأعمى، قلّد المسلمون فيه أعداءهم من اليهود والنصارى، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق في الحديث الصحيح: «لتتبعنَّ سنن مَن كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[1].

ثم قلَّد المسلمون المتأخرون آباءهم وأجدادهم في ذلك، كما قال تعالى: حاكياً عن الكفار: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣]، ولا ريب أن التقليد الأعمى داء عضال لا يرجع صاحبه إلا أن يشاء الله، كما أخبر تعالى عن الكفار: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[البقرة:١٧٠].

فنصيحتي لمن يبنون المساجد على القبور بنية حسنة أن ينظروا هل فعلهم هذا موافق للشرع أم لا؟ والشرع هو ما أتانا من عند الله في كتابه أو على لسان نبيه محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، لا ما جاء عن آبائنا وأجدادنا -رحمهم الله- من العادات السيئة والتقاليد العمياء الجاهلية))[2].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٦٣).

(٢) حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٧٦).

المبحث الثالث: توضيح مسألة زيارة القبور والرد على المخالفين في ذلك.

المطلب الأول: حكم زيارة القبور ببيان أنواعها.

قسَّم أهل العلم زيارة القبور في حق الرجال إلى ثلاثة أقسام(١):

١- زيارة شرعية مستحبة؛ وهي التي شُرعت لمقصدين رئيسيين(٢):

الأول: تذكر الآخرة، والاعتبار والاتعاظ بأهل القبور.

الثاني: الدعاء للميت، والترحم عليه، وطلب المغفرة له.

وهذه الزيارة أجمع أهل العلم على مشروعيتها واستحبابها(٣)؛ وذلك لدلالة النصوص الشرعية عليها -كما سيأتي بيانها-.

٢- زيارة بدعية؛ وهي التي يقصد أصحابها القبور لأجل عبادة الله ﷻ عندها، لاعتقادهم بفضل هذه الأماكن.

٣- زيارة شركية؛ وهي التي يقصد أصحابها القبور لأجل دعاء الميت، والتبرك

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٣٨)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٤٢٧/١). وأما النساء فقد اختلف أهل العلم في حكم زيارتهن للقبور على ثلاثة أقوال:

الأول: تحريم زيارة النساء للقبور.

الثاني: كراهة زيارة النساء للقبور؛ كراهة لا تصل إلى التحريم.

الثالث: جواز زيارة النساء للقبور.

والصواب -والله أعلم- هو القول الأول، وهو تحريم زيارة النساء للقبور. ينظر: المغني (٢٢٦/٢)، والمجموع (٢٧٧/٥)، ومجموع الفتاوى (٣٦٠/٢٤-٣٦١)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٤٣٠/١).

(٢) ينظر: أحكام الجنائز (ص١٨٨-١٨٩).

(٣) ينظر: المجموع (٢٧٦/٥-٢٧٧).

بقبره، وسؤاله الشفاعة، وتفريج الكربات، ونحوها من الأمور الشركية.

وقد سلك علماء اليمن –رحمهم الله– مسلك غيرهم من أهل العلم في بيان ذلك.

فأما العلامة الصنعاني –رحمه الله– فقد أوضح: أن ((الزيارة النبوية التي كان يفعلها –صلى الله عليه وآله وسلم– عند زيارة الصالحين؛ كعمه حمزة، وسائر الشهداء، وغيرهم؛ أن يقولوا: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين ورحمة الله وبركاته»، وفي بعضها: «نسأل الله لنا ولكم العافية»[١]...))[٢].

إلى أن قال: ((والحاصل أن زيارة الأموات التي شرعها الله لعباده؛ تكون بثلاثة أمور:

الأول: تذكر الآخرة، والاعتبار، والاتعاظ؛ كما أفاده قوله –صلى الله عليه وآله وسلم–: «زوروا القبور؛ فإنها تُذكر بالآخرة»[٣].

والثاني: الإحسان إلى الميت كما يُحسَن إلى الحي؛ بزيارته، فإنه إذا زاره، وأهدى إليه هدية؛ من صدقة، أو دعاء، واستغفار؛ سُرَّ به وفرِح، ولذا كان –صلى الله عليه وآله وسلم– يسلم عليهم، ويدعوا لهم بالعافية والرحمة، كما يُسَر الحي ويفْرَح به؛ إذا زاره، وأهدى إليه هدية.

الثالث: إحسان الزائر إلى نفسه؛ باتباع السنة، والمتابعة له –صلى الله عليه وآله وسلم– فيما فعله، واقتداؤه به فيما قاله؛ فهذه الزيارة النبوية بلا زيادة))[٤].

---

(١) سيأتي تخريجه بعد قليل.

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف (ص١١٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه؛ كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في زيارة القبور (١/٥٠٠) ح (١٥٦٩)؛ بلفظ: «زوروا القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة»؛ من حديث أبي هريرة ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٦٦٨).

(٤) الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف (ص١١٥-١١٦).

ثم قال –رحمه الله– منكراً على من خالف ذلك : ((وأما طواف الزائر بقبر الميت، وتقبيله الأركان، وسؤال الحاجات منه وعنده؛ فهي عبادة المشركين لأصنامهم))[١].

وفي شرحه لقوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها»[٢]، وفي لفظ: «فإنها تذكر الآخرة»[٣]؛ **قال –مبيناً شرعية زيارة القبور، وبيان الحكمة فيها–** : ((والكل دال على مشروعية زيارة القبور، وبيان الحكمة فيها؛ وأنها للاعتبار...))[٤].

ومثله قال –أيضاً– في شرحه لقوله ﷺ عند زيارته للمقابر: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[٥]؛ قال: ((والحديث دليل على شرعية زيارة القبور، والسلام على من فيها من الأموات؛ وأنه بلفظ السلام على الأحياء...، وسؤاله العافية؛ دليل على أنها من أهم ما يُطلب، وأشرف ما يُسأل، والعافية للميت؛ بسلامته من العذاب، ومناقشة الحساب.

ومقصود زيارة القبور: الدعاء لهم، والإحسان إليهم، وتذكر الآخرة، والزهد

---

(١) المصدر السابق (ص١١٦).

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجنائز، باب: استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه (٦٧٢/٢) ح (٩٧٧)؛ من حديث بريدة بن الحصيب ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي؛ كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في الرخصة في زيارة القبور (٣٦١/٢) ح (١٠٥٤)؛ بلفظ: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها؛ فإنها تذكر الآخرة»؛ من حديث بريدة بن الحصيب ﷺ؛ وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٨٠٨/٢).

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام (١٥٩/٣).

(٥) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور، والدعاء لأهلها (٦٧١/٢) ح (٩٧٥)؛ من حديث بريدة ﷺ.

في الدنيا.

وأما ما أحدثه العامة من خلاف هذا؛ كدعائهم الميت، والاستصراخ به، والاستغاثة به، وسؤال الله بحقه، وطلب الحاجات إليه تعالى به؛ فهذا من البدع والجهالات...))[1].

كذلك أوضح العلامة النعمي -رحمه الله- أن الزيارة الشرعية للقبور: إنما تكون لتذكر الآخرة، والاستغفار، والاعتبار، **وأن أهل القبور استبدلوها بضدها**؛ من التضرع عند القبر، والرقص واللهو، وإبداء الفاقة والافتقار، وأنواع الفجور[2].

كما نقل -رحمه الله- على وجه التقرير والاحتجاج؛ ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- في كتابه: "إغاثة اللهفان"؛ في بيان الزيارة الشرعية، والزيارة الشركية للقبور؛ وأطال في بيان ذلك؛ حيث قال في سياق بيانه لجملة من ضلالات عُبَّاد المقابر: ((وقد آل الأمر بهؤلاء الضُّلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجَّاً، ووضعوا له مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً؛ سماه "مناسك حج المشاهد"[3]، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عبادة الأصنام.

وقد وقع من المفاسد في زيارة القبور: ما يعجز العبد عن حصره.

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام (١٧٥/٣).

(٢) ينظر: معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢٥٧/٢-٢٥٨)

(٣) "مناسك حج المشاهد": وهو لأبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري، المعروف: بابن المعلم، أحد شيوخ الرافضة الإمامية، توفي سنة ٤١٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٣٣/٣٣)، ومعجم المؤلفين (٣٠٦/١١)، وقد ذكر ابن تيمية -رحمه الله- هذا الكتاب في مواضع مختلفة من كتبه. ينظر: مجموع الفتاوى (٣٣٨/٢٧)، ومنهاج السنة (٤٧٦/١)، واسم الكتاب كاملاً هو: "مناسك حج مشاهد الأبرار لمن عنى إليهم من المقيمين والزوار". ينظر: التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لسليمان بن عبد الله (ص٤١٩).

والمشروع فيها: إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء، والترحم، والاستغفار، وسؤال العافية، فقلبوا الأمر، وعكسوا وعاكسوا مقاصد الشرع، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، والدعاء له وبه، وسؤال الحوائج، واستنزال البركات، والنصر على الأعداء، فأساءوا إلى أنفسهم، وإلى الميت، ولو لم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه الله؛ من الدعاء له، والترحم.

واسمع الآن زيارة أهل الإيمان التي شرعها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ، ثم وازن بينها وبين زيارة أهل الشرك، التي شرعها لهم الشيطان، واختر لنفسك))[1].

قال العلامة النعمي –معلقاً ومقرراً–: ((فذَكر أحاديث زيارة القبور...، وهي معروفة مشتملة على الاستغفار للميت وغيره، ومن أحب الاطلاع عليها فهذه محالها[2].

ثم قال –أي: ابن القيم–: فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمده أهل الشرك والبدع، أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟... .

والفرق بين زيارة الموحدين والمشركين: أن المقصود بالزيارة عند أهل التوحيد: تذكر الآخرة والاعتبار. والإحسان إلى الميت؛ بالدعاء له، والاستغفار، واتباع السنة.

ولم يُشرع الله سبحانه دعاء الميت، ولا الدعاء به، ولا الصلاة عنده.

وزيارة المشركين: أصلها مأخوذ من عُبَّاد الأصنام؛ قالوا : الميت المعظَّم، الذي لروحه قرب ومزية عند الله، لا تزال تأتيه الألطاف من الله، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علَّق الزائر روحه به، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية، والماء ونحوه؛ على الجسم المقابل له.

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٧٣-٤٧٤)، وينظر: إغاثة اللهفان (١/١٩٧-١٩٩).

(٢) تقدم ذكر شيئ من هذه النصوص، وسيأتي بيان المزيد منها.

قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت، لا يبقى فيه التفات إلى غيره.

وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به.

وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه؛ ابن سينا[١]، والفارابي[٢]، وغيرهما[٣]، وصرح بها عُبَّاد الكواكب[٤] في عبادتها.

وقالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية، فاض عليها منها النور.

ولهذا السر عُبِدت الكواكب، واتُّخِذت لها الهياكل، وصُنِّفت لها الدعوات، واتُّخِذت الأصنام المجسدة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعُبَّاد القبور: اتخاذها أعياداً، وتعليق الستور عليها، وإيقاد السرج عليها، وبناء المساجد عليها، وهو الذي

---

(١) هو: أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي، الفيلسوف المعروف بابن سينا، والملقب بالشيخ الرئيس، له عدة مصنفات؛ منها: القانون في الطب، والمبدأ والمعاد، توفي سنة ٤٢٨هـ. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان (١٥٧/٢-١٦٢)، وسير أعلام النبلاء (٣٥/٣٤-٣٩).

(٢) هو: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان التركي الفارابي، شيخ الفلسفة والمنطق، ومن زهاد الفلاسفة، كان يطلق عليه المعلم الثاني، ((له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهدى منها ضل وحار، منها تخرج ابن سينا))؛ قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٢/١٢)، ومن مصنفاته: آراء المدينة الفاضلة، وإحصاء العلوم، وغيرها، توفي سنة ٣٣٩هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٣٢/١٢-٣٣)، والأعلام؛ للزركلي (٢٠/٧).

(٣) وممن ذكرها أيضاً ابن تيمية -رحمه الله- في "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"؛ (ص٥٠-٥١)؛ وبيَّن أن فيها من أنواع الكفر ما لا يخفى على من تدبره.

(٤) عُبَّاد الكواكب: هم الذين يعتقدون تأثير النجوم في الكون؛ فيتوجهون إليها بالعبادة، ومن فرقهم: الصابئة. ينظر: الملل والنحل (٢٥٧/٢)، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان؛ للسكسكي (ص٩٣)، وروح المعاني؛ للألوسي (٢٧٩/١).

قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية، وسد الذرائع المفضية إليه؛ فوقف المشركون في طريقه، وناقضوه في قصده، وكان في شق وهؤلاء في آخر...))[1].

كذلك أوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- المقصد الشرعي من زيارة القبور؛ فقال: ((الذي شرعه رسول الله ﷺ عند زيارة القبور؛ إنما هو لِذِكْر الآخرة، والاستغفار للميت، والتَّرحم له، وسؤال العافية))[2]، **ثم بيَّن -رحمه الله- أن أهل الضَّلال قلبوا الأمر**، ((وعكسوا الدِّين؛ وجعلوا المقصود بالزيارة: الشرك بأهل القبور، وسؤالهم حوائجهم؛ كالمطر، والرزق، والنصر على الأعداء، عكس ما كان عليه ﷺ))[3].

ثم أورد -رحمه الله- جملة من النصوص الدالة على الزيارة الشرعية والمستحبة، والتي تبيِّن صفتها؛ حيث قال:((كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع؛ فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»؛ رواه مسلم في الصحيح[4] عن عائشة... .

وفي مسلم[5]؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «زوروا القبور؛ فإنها تُذكر الموت».

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٧٤-٤٩٦)، وينظر: إغاثة اللهفان (١/١٩٩-٢١٩).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٣٩).

(٣) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٤) كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور، والدعاء لأهلها (٢/٦٦٩) ح (٩٧٤)؛ ولفظه: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

(٥) كتاب: الجنائز، باب: استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه (٢/٦٧١) ح (٩٧٦)، ولفظه: زار النبي ﷺ قبر أمه؛ فبكى، وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها؛ فلم يُؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها؛ فأذن لي، فزوروا القبور؛ فإنها تذكر الموت».

وعن بريدة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزُر، ولا تقولوا هجراً[(١)]»؛ رواه أحمد، والنسائي[(٢)].

فقد كان ﷺ نهى الرجال عن زيارة القبور سداً للذريعة، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم؛ أذن لهم في زيارتها على الأمر الذي شرعه لهم، ونهاهم أن يقولوا هجراً))[(٣)].

ثم قال –رحمه الله– بعد إيراده لهذه النصوص الدالة على الزيارة الشرعية: ((فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلمهم إياها؛ لأن الميت محتاج إلى من يدعوا له بالمغفرة، ولم يفعل السلف عند القبور إلا ما أذن لهم رسول الله ﷺ فيها؛ من السلام على أصحابها، والاستغفار لهم، والترحم عليهم))[(٤)].

ثم قال –رحمه الله– في معرض رده على أهل الزيارة الشركية، والتي يقصد أصحابها القبور؛ للطواف بها، والتبرك بها، والتقرب إليها بالذبائح، والنذور، ونحوها من العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ؛ قال: ((فهذه سنة رسول الله ﷺ في زيارة القبور، وسنة أصحابه، حتى جاء الخلف في الدِّين، يفعلون ما لا يُؤمرون، فقصدوا القبور للطواف بها، والتمسح، وهتفوا بها عند الشدائد، وعكفوا عندها، ورتَّبوا لها السَّدنة، وتقربوا إليها بالذبائح، والنذور، وسلكوا ما سلكه المشركون في عبادة أصنامهم؛ أنها تشفع عند الله، وأنها تنفعهم، وتقربهم إلى الله زلفى؛ كما قال تعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[الزمر:٣]...، فسلك

---

(١) الهجر: ((الكلام الباطل، وكان النهي أولاً لقرب عهدهم من الجاهلية، فربما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل، فلما استقرت قواعد الإسلام، وتمهدت أحكامه، واشتهرت معالمه؛ أبيح لهم الزيارة، واحتاط ﷺ؛ بقوله: «ولا تقولوا هجراً»)). المجموع (٥/٢٧٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/١٥٦) ح (٢٣٠٥٢)، والنسائي في الصغرى؛ كتاب: الجنائز، باب: زيارة القبور (٤/٨٩) ح (٢٠٣٣)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٤٨٦).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٣٩-١٤٠).

(٤) المصدر السابق (ص١٤٠).

هؤلاء الجهال الضلال في هذه الأمة ما سلكه المشركون في عبادة الأصنام؛ فتقربوا بالذبائح، والنذور، ولم يزل الشر يتزايد...))[1].

وقال العلامة العبادي -رحمه الله- في سياق بيانه لبعض المحرمات التي استحبها مشايخ الطرق للزائرين بقصد التكسب من الزيارة[2]:

وحببوا زيارة القبورِ	بالشمع والأدهان والبُخورِ
ولو سمعتَ الزائر المغرورا	يدعو بصدقِ النيةِ المقبورا
يا سيدي عجِّل لنا بغارهْ	وجُد على من جاء للزيارهْ
لازددتَ من دعائه تحسرا	وذاب قلب المتقي مما يرى
فما لكم يا علماء الدِّينِ	وخلفاء المصطفى الأمينِ
لا تنكروا هذه المناكرا	فقد فشتْ ضارةً بين الورى
فبيِّنوا الزيارة المشروعهْ	وانهوا عن الزيارة الممنوعهْ

حيث ذكر -رحمه الله- بعض المنهيات التي يفعلها عُبَّاد المقابر عند زيارة القبور؛ والتي منها جلب الشمع وسائر الدهانات والبخور إلى القبور؛ وهي محرمة شرعاً[3]، وكذلك دعاء أصحاب القبور دعاءً صادقاً من قلوبهم يطلبون منهم النصر على الأعداء والرزق ونحوها من الأمور التي لا تُطلب إلا من الله ﷻ.

ثم وجَّه -رحمه الله- اللوم إلى علماء الشرع في زمنه الساكتين عن هذه الشركيات والمحرمات، وقد انتشرت في بلاد المسلمين؛ مذكراً إياهم بأنهم خلفاء الرسول ﷺ في النصح؛ وطالباً منهم بيان الزيارة الشرعية للقبور، والنهي عن الزيارة الممنوعة؛ وقد تقدم بيانها.

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٤٠-١٤٢).

(٢) هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد (ص٥٣-٥٤).

(٣) ينظر: جامع المسائل؛ لابن تيمية (٤/٤٦٧)، والفنون؛ لابن عقيل (٢/٢٨٣).

المطلب الثاني: حكم شد الرحال[١] إلى القبور.

تقدم بيان استحباب زيارة القبور على الوجه المشروع؛ لدلالة النصوص الشرعية على ذلك، إلا أنه لا بد من التفريق بين زيارة القبور، والسفر إليها؛ وهو ما يعبر عنه بشد الرحال.

فالسفر إلى قبور الأنبياء والصالحين وغيرهم وشد الرحال إليها لا يجوز[٢]، وأجاز بعض أهل العلم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ[٣]، والصواب هو عموم المنع لقوله ﷺ: ««لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[٤].

---

(١) قال العلامة الصنعاني -رحمه الله- في التنوير شرح الجامع الصغير (١١/١١٢): ((والرِّحال: جمع رحل، بفتح الراء وحاء مهملة: وهو للبعير بقدر سنامه أصغر من القتب، كنى بشدها عن السفر؛ إذ لا فرق بين كونه براحلة، أو فرس، أو حمار)).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٩/١٠٦)، ومجموع الفتاوى (١/٣٤٠)، وفتح الباري (٣/٦٥)، وفيض القدير؛ للمناوي (٦/١٤٠). قال ابن تيمية -رحمه الله-: ((فمن قال إنه يستحب شد الرحال إلى غير الثلاثة؛ كزيارة القبور، فهذا هو الذي خالف الإجماع بلا ريب، مع مخالفته للرسول ﷺ، فهو ممن خالف الرسول والمؤمنين واتبع غير سبيلهم)) إلى أن قال: ((كما أجمعوا أنه لا تشد الرحال لمجرد زيارة القبور)). الرد على الأخنائي؛ لابن تيمية (ص٢٠٧).

(٣) منهم: ابن قدامة، والنووي، وابن حجر العسقلاني، وابن حجر الهيتمي -رحمهم الله-. ينظر: المغني (٣/٤٧٧)، وشرح النووي على مسلم (٩/١٠٦)، والإيضاح له (١/٤٤٧)، وفتح الباري (٣/٦٦)، وحاشية الهيثمي على شرح الإيضاح في مناسك الحج؛ للهيثمي (ص٤٨٨).

(٤) أخرجه البخاري؛ كتاب: الصلاة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة من أبواب التطوع (١/٣٩٨) ح (١١٣٢)، ومسلم؛ كتاب: الحج، باب: سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (٢/٩٧٥) ح (٨٢٧).

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله- في شرحه لحديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: ...»: ((الحديث دليل على فضيلة المساجد هذه، ودل بمفهوم الحصر: أنه يحرم شد الرحال لقصد غير الثلاثة ؛كزيارة الصالحين؛ أحياء، وأمواتاً؛ لقصد التقرب، ولقصد المواضع الفاضلة؛ لقصد التبرك بها، والصلاة فيها))[1].

وقال في موضع آخر منكراً على من خالف ذلك: ((وقد خالف الناس هذا النهي؛ فما يزالون في شدٍّ للرحال إلى القبور والمشاهد، واجتماعٍ لذلك على المحرمات لا تحل، فإنا لله وإنا إليه راجعون))[2].

وقال -أيضاً-: ((ولا يشد الرحال إليها؛ وعليه يحمل ما في "شرح مسلم"[3] من منع شد الرحال لزيارة القبور، وكذا لقصد التبرك، إلا لزيارة الأنبياء -صلوات الله عليهم-))[4].

والصواب هو: عدم جواز شد الرحال إلى القبور؛ أيا كانت، سواء كانت قبور أنبياء أو غيرهم، والأصل في ذلك قوله ﷺ في الحديث السابق ذكره: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: ...» الحديث، وقوله ﷺ: «من عمل عملاً؛ ليس

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٥٩٨/١)، وينظر: التنوير شرح الجامع الصغير (١١٢/١١).

(٢) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٠٦/٩)؛ حيث قال: ((واختلف العلماء في شد الرحال وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة؛ كالذهاب إلى قبور الصالحين، وإلى المواضع الفاضلة، ونحو ذلك، فقال الشيخ أبو محمد الجويني من أصحابنا: هو حرام، وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره، والصحيح عند أصحابنا وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون: أنه لا يحرم ولا يكره؛ قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة؛ والله أعلم)).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (٢٤٦/٨).

عليه أمرنا؛ فهو رد»[1]، وأما زيارتهم دون شد الرحال فسنة؛ للأحاديث الواردة في استحباب زيارة القبور على الوجه الشرعي؛ كما تقدم بيان ذلك.

وبين العلامة الشوكاني -رحمه الله-: أن زيارة القبور مشروعة على الوجه الشرعي؛ ((بشرط أن لا يشد راحلة، ولا يعزم على سفر، ولا يرحل؛ كما ورد تقييد الإذن بالزيارة للقبور بحديث: «لا تُشد الرحال إلا لثلاث...»))[2].

وقال في موضع آخر: ((وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام؛ منها: اعتقاد الجهلة لها؛ كاعتقاد الكفار للأصنام؛ وعظُم ذلك؛ فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر؛ فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا...))[3].

كذلك قرر الشيخ البيحاني -رحمه الله- حُرمة شد الرحال إلى القبور، وأشار إلى ما قرره ابن تيمية في ذلك؛ فقال: ((لا تشد الرحال إلى أي قبر، ولا ينبغي السفر لأي عبادة كانت، إلا المساجد الثلاثة: الحرمين الشريفين، والمسجد الأقصى الذي بورك حوله، للحديث الصحيح... عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[4].

(١) تقدم تخريجه (ص١٨٧).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٨٤)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) نيل الأوطار (٤/١٠٢).

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل.

وقد خرج أبو هريرة ﷺ إلى الطور، فلما رجع إلى المدينة؛ قال له بعض أصحابه: والله لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت، وذكر له الحديث محتجاً به عليه[(١)].

وقد اشتد ابن تيمية -رحمه الله- في الإنكار على من يشد رحله إلى المدينة المنورة لقصد زيارة القبر الشريف فقط؛ وقال: إنه لا يجوز ذلك إلا مع قصد زيارة المسجد النبوي، والصلاة فيه، مع أنه يقول باستحباب زيارة جميع القبور، وقبر محمد ﷺ أحق وأولى بذلك، وله من الأدلة على مذهبه ورأيه في المسألة ما لا يحصى كثرة، وما لا يؤتى عليه بالرد[(٢)]...))[(٣)].

ثم قال -رحمه الله- في بيان اختلاف الناس في مسألة شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ خاصة: ((واختلف الناس في هذه المسألة اختلافاً شديداً، فمن قائل بقول ابن تيمية، ومن مخالف له ورادٍ عليه، أو معتذرٍ له بما نصب من أدلة السنة، وما أقام من شواهد المعقول والمنقول، على محل الخلاف))[(٤)].

كما أوضح -رحمه الله- بعض ما ذكره صاحب "درر المعاني" في استدلاله على جواز شد الرحال إلى القبور؛ ومنها:

- قوله: إن شد الرحال لزيارة القبور مما يقره العقل والنقل[(٥)].

وقد رد عليه -رحمه الله- بقوله: ((ولكنه ولا شك يريد العقل الذي في رأسه، والنقل الذي لا يقوم على أساس متين، ولا يستند إلى دليل مبين، بل جعل شد الرحال إلى قبور الصالحين مقيساً على جواز السفر للتجارة، وزيارة الوالدين

---

(١) أخرجه النسائي في الصغرى؛ كتاب: الجمعة، باب: ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة (١١٣/٣) ح (١٤٣٠). وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٤٢/٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٤/٢٧-٣٦، ٧٠-٧١).

(٣) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٨٥-٤٨٦).

(٤) المصدر السابق (ص٤٨٦).

(٥) ينظر: درر المعاني (ص١٠٤)، والصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٨٦).

والأقربين، فهو لا يفرق بين واجب، وحرام، ومندوب، ومكروه، ومباح، وليته انتصر لجواز شد الرحال إلى قبر النبي ﷺ، وسكت عن سائر القبور التي يقصدها الناس من الأقطار البعيدة، والبلدان النائية؛ للتبرك بأصحابها، وطرح الذنوب عندهم، وسوق الهدايا والفدايا إليهم، وهو يعلم غلوهم في زيارة الأولياء... .

ومن العامة من يعتقد أن زيارة الشيخ فلان، سبع مرات، تساوي حجة مبرورة، وقد وضع بعض الناس لزيارة القبور مناسك كمناسك الحج(١)، ورغبوا في السفر إليها، وعدوا ذلك من أفضل العبادات، وأشرف الطاعات، وجعلوا شدَّ الرحال إليها مقيساً على الرحلة في طلب العلم، والغزو في سبيل الله، وكان ما صنعوه سبباً في ترويج البدعة، وانتشار الضلالة، وتعظيم القبور بما لا يكون إلا لبيت الله الحرام، فكم من ضريح أقام عليه السادن، والحاجب، والبواب، والمطوف، وجيء إليه بما يكفي القائمين عليه، ويسد حاجاتهم؛ من شموعٍ وزيوتٍ وبخورٍ وكسوةٍ وطيبٍ وأشياءَ كثيرة، من مختلف القرابين والنذور، وجعلت لهذه الزيارة مواسم وأعياد سنوية، يأتون إليها من كل فج عميق...))(٢).

---

(١) قال ابن تيمية –رحمه الله– في منهاج السنة (٤٧٦/١): ((كما يفعله أهل الضلال؛ من المشركين، وأهل الكتاب، ومن ضاهاهم؛ حيث يتخذون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، ويصلون إليها، وينذرون لها، ويحجون إليها، بل قد يجعلون الحج إلى بيت المخلوق أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام، ويسمون ذلك الحج الأكبر، وصنف لهم شيوخهم في ذلك مصنفات؛ كما صنف المفيد بن النعمان كتاباً في مناسك المشاهد؛ سماه "مناسك حج المشاهد")).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (٤٨٦-٤٨٧).

- كذلك مما ذكره صاحب "درر المعاني"؛ كما نقل ذلك عنه البيحاني -رحمه الله-: ((أن أول من قال بحرمة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين هو شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حتى قال: "والحق جواز ذلك كما قاله العلماء كافة؛ إلا من شذ عنهم؛ كابن تيمية، وتابعيه"[1]))[2].

ثم رد -رحمه الله- عليه بقوله: ((وجهِل أن أبا محمد الجويني[3] من أهل القرن الخامس؛ قد قال بذلك[4]، وتبعه القاضي عياض[5]، ونقل كلام النووي في الرد عليهما[6]، وقد مات شرف الدِّين النووي قبل موت ابن تيمية بثنتين وخمسين سنة، وكذا قال أبو عبد الله بن بطة[7]، وجماعة من أهل القرون الرابع، والخامس، والسادس، فهل القائلين بذلك من أتباع ابن تيمية، الذي يعده الخصم من أتباع محمد بن عبد

---

(١) درر المعاني (ص١٠٤).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٨٨).

(٣) هو: أبو محمد عبد الله بن يوسف عبد الله بن يوسف الجويني، الفقيه الشافعي، كان إماماً في التفسير، والفقه، والأصول، والعربية، والأدب، توفي سنة ٤٣٨هـ. ينظر: طبقات الفقهاء؛ لأبي إسحاق الشيرازي (ص٢٢٨)، وطبقات الفقهاء الشافعية؛ لابن الصلاح (١/٥٩٠).

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم (٩/١٠٦، ١٦٨).

(٥) ينظر: الشفا (٢/١٩٦)، وشرح النووي على مسلم (٩/١٠٦)

(٦) ينظر: شرح النووي على مسلم (٩/١٦٨،١٠٦)؛ وقد نقل كلام الجويني، والقاضي عياض بالمنع من شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، ورد عليهم، وذكر أن معنى الحديث أنه لا فضيلة تامة في زيارة غيرها من المساجد، ومع أنه ذكر عدم وجود فضيلة تامة في الذهاب إلى تلك المساجد التي توجد بها القبور، إلا أنك ترى حرص كثير من الناس على الذهاب إليها، واعتقاد فضلها، بل وتعظيمها أكثر من الثلاثة المساجد المشروع شدُّ الرحال إليها، فانظر مقدار ما وصل إليه هؤلاء من الغلو في تلك المشاهد التي يرى النووي -رحمه الله- وغيره؛ جواز شد الرحال إليها؛ مع النهي الصريح من النبي ﷺ عن ذلك، وقد تكون فتوى العالم مُهلِكةٌ لخلق كثير؛ والله المستعان.

(٧) ينظر: الرد على الأخنائي (ص١٨٣).

الوهاب[1]، وقاتله الله ما أجهله بالتاريخ وبوفيات الأعيان ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الزخرف:٣٦-٣٧]))[2].

ونقل الشيخ الوادعي -رحمه الله- كلام العلامة الشوكاني -السابق بيانه- في كون شد الرحال إلى القبور من منكرات ومفاسد البناء على المقابر واتخاذها مساجد؛ حيث قال: ((وللعلَّامة الشوكاني في كتابه نيل الأوطار كلام حسن في شرحه لهذا الحديث قال -رحمه الله-: "...، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام؛ منها: اعتقاد الجهلة كاعتقاد الكفار للأصنام وعظم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر؛ فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدّوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا، وبالجملة: أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون...))[3].

وخلاصة الأمر: فإن القول بحرمة شد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين وغيرهم دون استثناء هو القول الصواب كما تقدم بيانه؛ والله أعلم.

---

(١) ومن هذا الباب الذي يوضح جهل أعداء التوحيد؛ ما ذكره الشيخ سليمان بن سحمان -رحمه الله- في كتابه "الأسنة الحداد" عن المردود عليه علوي الحداد؛ أنه قال: "وقد ردَّ عليه- أي شيخ الإسلام- الإمام الغزالي في الإحياء" وبين وفاة الغزالي ومولد شيخ الإسلام قريب من مائتي سنة. ينظر: الأسنة الحداد (ص٢٧٢-٢٧٣).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٨٨-٤٨٩).

(٣) حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ (ص٢٦٦-٢٦٧)، وينظر: صعقة الزلزال (٢/٤٠٠-٤٠١).

المبحث الرابع: توضيح مسألة الشفاعة والرد على المخالفين في ذلك.

المطلب الأول: معنى الشفاعة.

أولاً: الشفاعة في اللغة:

الشفاعة في اللغة: تدل على الانضمام والازدواج إلى الغير لحصول مقصود؛ سواء كان ذلك المقصود خيراً، أو شراً[١].

قال العلامة الشوكاني -رحمه الله-: ((أصل الشفاعة، والشُّفْعةِ، ونحوهما: من الشَّفْعِ، وهو الزوج، ومنه: الشَّفيع، لأنه يصير مع صاحب الحاجة شَفْعاً...، والشَّفْعُ: ضم واحد إلى واحد، والشُّفْعةُ: ضمُّ مِلكِ الشريك إلى ملكك، فالشفاعة: ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك، فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشَّفيع عند المشفَّع، وإيصال منفعة إلى المشفوع له))[٢].

وقال العلامة المعلمي -رحمه الله-: ((الشفاعة في اللغة: مأخوذة من الشَّفع، وهو مقابل الوتر، ويقال: "شَفعَه"؛ أي: انضم إليه، فصار معه شفْعاً[٣].

قال الراغب: "والشفاعة الانضمام إلى آخر، ناصراً له، وسائلاً عنه، وأكثر ما يُستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى"[٤].

أقول: وكأن "شفع" ضُمِّن معنى سأل ورغب، فقولهم: "شفعتُ لزيد إلى فلان" كأن تقديره: شفعتُ زيداً سائلاً له قضاء حاجة راغباً إلى فلان، وقولهم:

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٢٧٨/١)، والمفردات في غريب القرآن (ص٤٥٧-٤٥٨)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤٨٥/٢)، ولسان العرب (١٨٣/٨)، والقاموس المحيط (ص٤٣٣).

(٢) فتح القدير (٥٦٩/١).

(٣) ينظر: الصحاح (١٢٣٨/٣)، ولسان العرب (١٨٣/٨).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٤٥٧-٤٥٨).

"شفعتُ إلى زيد في فلان" كأن أصله: شفعتُ فلاناً راغباً إلى زيد في شأنه...))[1].

وقال الشيخ الوادعي -رحمه الله- في بيان معنى الشفاعة في اللغة:
((قال ابن الأثير في "النهاية"[2]: "قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة؛ وهي: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، يقال: شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً، فَهُوَ شَافِعٌ وشَفِيعٌ، والْمُشَفِّعُ: الَّذِي يَقْبل الشَّفاعةَ، والْمُشَفَّعُ الَّذِي تُقْبَل شفاعتُه".

وفي «القاموس»[3]، و«تاج العروس»[4]: "والشفيع: صاحب الشفاعة، والجمع: شُفعَاء، وهو: الطالب لغيره يتشفَّع به إلى المطلوب".

وفيهما[5] -أيضاً-: "وشفَّعتُه فيه تشْفيعاً حين شفَع -كمنَع- شفاعةً؛ أي: قبلتُ شفاعته" ... .

والمعاني الشرعية موافقة للمعاني اللغوية؛ فمن الشفعاء من يشفع ابتداء، ومنهم من يشفع بعد الطلب...))[6].

ثانياً: الشفاعة في الشرع:

أما المعنى الشرعي للشفاعة: فهو موافق للمعنى اللغوي، فمن الشفعاء من يشفع ابتداء، ومنهم من يشفع بعد الطلب؛ **كما ذكر ذلك الشيخ الوادعي -رحمه الله-، وأشار -كما تقدم- إلى قول ابن الأثير**؛ بأنها: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم.

---

(١) بحث "الشفاعة" ضمن مجموع رسائل العقيدة؛ للمعلمي (ص٣٠٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٤٨٥).

(٣) ينظر: القاموس المحيط (ص٧٣٤).

(٤) ينظر: تاج العروس (٢١/٢٨٢-٢٨٣).

(٥) ينظر: القاموس المحيط (ص٧٣٤)، وتاج العروس (٢١/٢٨٥).

(٦) الشفاعة؛ للوادعي (ص١٣-١٤).

وأوضح العلامة الشوكاني –رحمه الله– بأنها: طلب وسؤال الخير للغير[1].

وبتأمل هذين التعريفين يظهر لنا أن الأول حصر طلب الشفاعة بدرء المفاسد، والثاني حصره بجلب المصالح، لذلك عرَّفها البعض بقوله: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[2]، وهذا تعريف جيد للشفاعة؛ حيث إنه يشمل الأمرين معاً، وتكون في أمور الدنيا أو الآخرة.

وحقيقتها: أن الله ﷻ بلطفه وكرمه يأذن يوم القيامة لبعض الصالحين من خلقه؛ من الملائكة، والأنبياء، والمؤمنين؛ أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب من أهل التوحيد؛ إظهاراً لكرامة الشافعين عنده، ورحمة بالمشفوع فيهم.

قال العلامة النعمي –رحمه الله– فيما نقله عن ابن القيم في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ﴾[الزمر:٤٤]: ((فأخبر باختصاصه بالشفاعة إليه؛ ليرحم عبده، وأذن هو لمن شاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له، وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته رحمة عبده))[3].

---

(١) ينظر: فتح القدير (٩٧/١).

(٢) ينظر: شرح لمعة الاعتقاد؛ للعثيمين (ص١٢٨).

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٤٩٨/٢)، وينظر: إغاثة اللهفان (٢٢٠/١).

المطلب الثاني: شروط الشفاعة.

سيأتي في المطلب التالي بيان أن الشفاعة تنقسم إلى قسمين: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية؛ كما دلت على ذلك النصوص الشرعية، وأن الشفاعة المثبتة؛ عامة، وخاصة.

والذي يعنينا في هذا المطلب بيان شروط الشفاعة المثبتة؛ وهما شرطان[(١)]:

الشرط الأول: إذن الله ﷻ للشافع أن يشفع؛ كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

الشرط الثاني: رضى الله ﷻ عن المشفوع له؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨].

ويجمع هذين الشرطين قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[النجم:٢٦].

وقد بيَّن علماء اليمن -رحمهم الله- هذين الشرطين:

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[الزمر:٤٣-٤٤]، فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض؛ وهو الله وحده، والشفاعة له، والذي يشفع إنما يشفع بإذنه له، وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه؛ وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم؛ وهي التي أبطلها سبحانه وتعالى في كتابه؛ بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾[البقرة:١٢٣]، وقوله: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِىَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾[البقرة:٢٥٤]، وقوله: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٥١]، وقال تعالى:

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/١٥٠-١٥٢) (١٤/٣٨٨-٣٩٣)، ومدارج السالكين (٢/٣٤٩)، وتيسير العزيز الحميد (ص٢٣٠-٢٣٨).

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾[السجدة:٤]، فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه، بل إذا أراد تعالى رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه؛ كما قال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾[يونس:٣]، وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فالشفاعة بإذنه ليست شفاعته من دونه، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك، والشفاعة التي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول: اشفع في فلان؛ إذا كان المشفوع له ممن ارتضاه سبحانه؛ لقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨]، وقال: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾[طه:١٠٩]، فأخبر تعالى أنها لا تحصل يؤمئذٍ شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع فيه، وسر هذا كله أن الأمر كله بيده وحده، فليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيد لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئاً إلا بعد إذنه وأمره))[1].

وقال في موضع آخر: ((ليس للعبد تصرف مع مولاه، ولا له تقدم بين يديه، ولا شفاعة، ولا غيرها إلا بإذنه ورضاه))[2].

وأوضح العلامة النعمي –رحمه الله– في قوله تعالى:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨]، وقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾[طه:١٠٩]: ((أن الله علّق الشفاعة بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع))[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ

---

(١) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص١١٤-١١٦).

(٢) المصدر السابق (ص٣٩).

(٣) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٩٩).

﴿ تُرْجَعُونَ ﴾[الزمر:٤٣-٤٤]؛ **قال بمثل ما قاله العلامة الصنعاني –رحمه الله–؛** من أن الله ﷻ ((أخبر باختصاصه بالشفاعة إليه؛ ليرحم عبده، وأذن هو لمن شاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذي يقع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته رحمة عبده، وهذا ضد الشافعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهي التي أبطلها الله في كتابه بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[البقرة:١٢٣]...، بل إذا أراد سبحانه رحمة عبده؛ أذن هو لمن يشفع؛ كما قال: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[يونس:٣]، ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥]، فالشفاعة بإذنه: ليست شفاعة من دونه))[1].

وقال العلامة الحسين بن خالد الحازمي –رحمه الله–: ((فأخبر أن ليس للعباد شفيع من دونه، بل إذا أراد سبحانه أذن في الشفاعة في أهل الإخلاص؛ كما أخرج البخاري[2] عن أبي هريرة ؓ قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال له: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله؛ مخلصاً من قلبه، ونفسه»، فهؤلاء هم الذين ارتضى الله سبحانه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨]، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[طه:١٠٩]، وكقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة:٢٥٥]، وأخبر أنه يومئذ لا تحصل الشفاعة ولا تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع، وإذنه للشافع، فأما أهل الشرك فإنه لارتضاهم ولا رضي قولهم، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيهم، وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[النجم:٢٦]، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون بشفاعة الأفراد عند الله، فسلك هؤلاء الجهال الضلال في هذه الأمة ما سلكه المشركون في عبادة الأصنام...))[3].

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٩٨).

(٢) في صحيحه؛ كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث (١/٣١) ح (٩٩).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٤١-١٤٢).

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾[سبأ:٢٣]: ((وقوله: ﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾: استثناء مفرغ من أعم الأحوال: أي لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أن يشفع، من الملائكة، والنبيين، ونحوهم؛ من أهل العلم والعمل، ومعلوم أن هؤلاء لا يشفعون إلا لمن يستحق الشفاعة، لا للكافرين))[1].

وفي قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[البقرة:٢٥٥]؛ قال: ((في هذا الاستفهام من الإنكار على من يزعم أن أحداً من عباده يقدر على أن ينفع أحداً منهم بشفاعة أو غيرها، والتقريع والتوبيخ له ما لا مزيد عليه، وفيه من الدفع في صدور عُبَّاد القبور، والصد في وجوههم، والفتَّ في أعضادهم، ما لا يُقَادَرُ قدْرُه ولا يُبْلغُ مَدَاه))[2].

ويجمع الشرطين قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[النجم:٢٦]؛ **حيث قال العلامة الشوكاني –رحمه الله–:** ((والمعنى: التوبيخ لهم بما يتمنون ويطمعون فيه من شفاعة الأصنام، مع كون الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتها على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له، فكيف هذه الجمادات الفاقدة للعقل والفهم؛ وهو معنى قوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ﴾ لهم بالشفاعة، ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أن يشفعوا له، ﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾ بالشفاعة له؛ لكونه من أهل التوحيد، وليس للمشركين في ذلك حظ، ولا يأذن الله بالشفاعة لهم، ولا يرضاها؛ لكونهم ليسوا من المستحقين لها))[3].

وأوضح أن الشفاعة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾: ((لأهل التوحيد؛ لمن رضي عنه))[4].

---

(١) فتح القدير (٣٧٢/٤).

(٢) المصدر السابق (٣١١/١-٣١٢).

(٣) المصدر السابق (١٣٢/٥).

(٤) فتح القدير (٤٨٠/٣).

وقال العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله-: ((وأما الشفاعة: فإن الله تعالى يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[البقرة:٢٥٥]، ورسول الله ﷺ لا يشفع يوم القيامة حتى يأذن الله له بالشفاعة))[1].

وفسر العلامة الحسن عاكش قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾: ((أي: هو مالك لها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه))[2].

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[النبأ:٣٨]؛ قال: ((أي: لمن أذن له؛ من النبيين، والملائكة، فتبيَّن حرمان الكفرة منها بالكلية))[3].

كذلك قرر الشيخ الوادعي -رحمه الله-: أن ((الشفاعة المثبتة لا تُقبل إلا بشروط:

١- قدرة الشافع على الشفاعة؛ كما قال تعالى في حق الشافع الذي يُطلب منه وهو غير قادر على الشفاعة: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]؛ فعُلم من هذا أن طلب الشفاعة من الأموات طلب ممن لا يملكها؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٍ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[سبأ:٢٢].

---

(١) إيقاظ الوسنان (ص٩٣).

(٢) فتح المنان؛ تحقيق: عبد الكريم الشملان (ص٩٥٤).

(٣) المصدر السابق (ص٦٧٧).

٢- إسلام المشفوع له؛ قال الله تعالى :﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨]؛ والمراد بالظالمين هنا: الكافرون، بدليل الأحاديث المتواترة في الشفاعة لأهل الكبائر(١)... .

قال الحافظ البيهقي-رحمه الله- في "الشعب"(٢): "فالظالمون هاهنا: هم الكافرون، ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هي في ذكر الكافرين". أهـ.

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسير الآية: "أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير"(٣). أهـ.

ويُستثنى من المشركين أبو طالب، فإن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم -يشفع له حتى يصير في ضحضاح من نار(٤)... .

٣- الإذن للشافع؛ كما قال تعالى :﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٤- الرضا عن المشفوع له؛ كما قال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦]، ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[الأنبياء:٢٨]))(٥).

وأوضح الشيخ محمد باشميل -رحمه الله-: أن عُبَّاد المقابر ابتدعوا ((بدعة اتخاذ الوسائط والشفعاء، يتوكلون عليهم ويلجأون إليهم؛ ليكونوا بابهم إلى الله دون أن يأذن لهم سبحانه وتعالى بذلك: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا

---

(١) سيأتي بيانها بعد قليل.

(٢) شعب الإيمان (١/٤٧١).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/١٣٧).

(٤) سيأتي بيان ذلك بعد قليل.

(٥) الشفاعة (ص١٩-٢١).

بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾[البقرة:٢٥٥]))[1].

وهذا بيان منه أن الشفاعة المقبولة لا تكون إلا بإذنه سبحانه وتعالى.

---

(١) كيف نفهم التوحيد (ص٢٩).

المطلب الثالث: أنواع الشفاعة.

أهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب والسنة في الشفاعة، فيثبتون جميع أنواعها؛ سواء ما كان منها خاصاً بالنبي ﷺ، أو شفاعات غيره؛ من الأنبياء، والملائكة، والمؤمنين، وينفون الشفاعة التي نفتها النصوص الشرعية، **وهذا ما قرره وبيَّنه علماء اليمن –رحمهم الله–؛ حيث قسموا الشفاعة إلى قسمين:**

القسم الأول: الشفاعة المثبتة: وهي التي أثبتها الله ﷻ لمن شاء من خلقه؛ من الملائكة، والأنبياء، والمؤمنين، وهي التي توفر فيها الشرطان السابق ذكرهما في المطلب السابق.

وهذه الشفاعة المثبتة تنقسم إلى قسمين؛ عامة، وخاصة.

فالعامة: هي التي أثبتها الله لمن شاء من خلقه؛ من الملائكة، والأنبياء، والمؤمنين.

والخاصة: التي تختص بالنبي ﷺ.

وهذه الشفاعة قد توافرت النصوص الشرعية على إثباتها؛ من الكتاب والسنة والإجماع[1]، ....

---

(١) حكى الإجماع على إثبات الشفاعة غير واحد من أهل العلم؛ ومنهم أبو الحسن الأشعري –رحمه الله–؛ حيث قال في سياق بيانه للأصول التي أجمع عليها السلف في "رسالة إلى أهل الثغر" (ص١٦٤): ((وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يخرج من النار قوماً من أمته بعد ما صاروا حمماً...))، ومنهم ابن تيمية –رحمه الله–؛ حيث قال في "مجموع الفتاوى" (١٤٨/١).: ((وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته، فمتفق عليها بين الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع)).

وقد ذكر العلماء أنواع هذه الشفاعة واستقصوها في ثمانية أنواع[1]؛ منها ما هو خاص بالنبي ﷺ، ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره.

القسم الثاني: الشفاعة المنفية: وهي الشفاعة التي نفتها النصوص الشرعية، وهي التي تُطلب من غير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله، وكذلك الشفاعة التي تُطلب فيمن لا تُقبل فيه، فالكافر والمشرك لا تقبل فيهما الشفاعة.

أولاً: الشفاعة المثبتة.

ذكر العلامة الصنعاني –رحمه الله–: أن ((أحاديث الشفاعة مسطورة في أمهات الإسلام وكتب السنة))[2].

ثم تحدث –رحمه الله– عن أنواع شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة؛ وأنها ستة؛ حيث قال: ((اعلم أن للرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– في الآخرة ست شفاعات:

---

(١) ينظر: التوحيد؛ لابن خزيمة (٢/٥٨٨)، والشريعة؛ للآجري (ص٣٣٨-٣٥١)، وشرح النووي على مسلم (٣/٣٥)، والبداية والنهاية (٢/٢٠٢-٢٤٨)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٢٥٣-٢٦٠)، وفتح الباري (١١/٤٣٥-٤٣٦)، ولوامع الأنوار البهية (٢/٢١١).

(٢) إيقاظ الفكرة (ص٤٤٣).

أولُها الكبرى: التي يتأخر عنها أولوا العزم، وآدم، ويذكر كلٌّ منهم خطيئته[(١)]... .

وثانيها: شفاعته -صلى الله عليه وآله وسلم- لأهل الجنة في دخولها، وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه[(٢)]: أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أُتي يوماً بلحم، فرُفِع إليه الذراع، وكان يعجبه، فنهش منها نهشة؛ وقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة»، إلى أن قال: « فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى ما قد بلغنا، ألا ترى ما نحن فيه، فأَنْطلق فآتي إلى تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله علي من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يُفتح لأحد قبلي، ثم يُقال: يا محمد ارفع رأسك؛ سل تعطه، اشفع تشفع؛ فأرفع رأسي، فأقول: يارب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من باب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»... .

وثالثها: شفاعته -صلى الله عليه وآله وسلم- لقوم من أمته قد استوجبوا النار، فيشفع لهم أن لا يدخلوها...؛ ويدل عليها حديث: «شفاعتي لأهل الكبائر

---

(١) وهي أعظم الشفاعات، فهي شفاعة عامة لجميع أهل الموقف، وهي الشفاعة الأولى الخاصة بالنبي ﷺ من بين سائر الأنبياء والمرسلين، وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى -عليهم الصلاة والسلام- من أجل الشفاعة عند الله ﷻ ليقضي بين خلقه، ويريحهم من شدة الكرب الذي يعتريهم في ذلك الموقف، فيتدافع الشفاعة بعد آدم أولو العزم -عليهم الصلاة والسلام-؛ حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ، فيشفع عند ربه لأهل الموقف، وهي المقام المحمود الذي الذي وعد الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ في قوله تعالى:﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء:٧٩]، على قول أثر أهل العلم. ينظر: فتح الباري (٤٢٦/١١).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[الإسراء:٣] (٨٤/٦) ح (٤٧١٢)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٤/١) ح (٣٢٧).

من أمتي»[1]، ومن المعلوم أن أهل الكبائر قسمان: منهم من يدخل النار، ومنهم من لا يدخلها... .

ورابعها: شفاعته -صلى الله عليه وآله وسلم- في قوم من العصاة من أهل التوحيد، الذين دخلوا النار بذنوبهم، والأحاديث بها متواترة[2]...، وأجمع عليها الصحابة، فالعجب من نافيها[3]!.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٣٩/٢٠) ح (١٣٢٢٢)، وأبو داود؛ كتاب: السنة، باب: في الشفاعة (٢٣٦/٤) ح (٤٧٣٩)، والترمذي؛ كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ما جاء في الشفاعة (٢٠٣/٤) ح (٢٤٣٥)؛ وقال: حديث حسن صحيح؛ من حديث أنس بن مالك ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٩١/١).

(٢) قال ابن أبي العز -رحمه الله- في شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٠٦): ((النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته؛ ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث...)).

(٣) ومنها: حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك ﷺ، والذي فيه: «...، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، واشفع تُشفَّع، وسل تُعط، فأقول: يارب أمتي أمتي، فيُقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل...، فيُقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل...، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل». أخرجه البخاري؛ كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (١٤٦/٩) ح (٧٥١٠)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١٨٢/١-١٨٢) ح (٣٢٦).

وخامسها: شفاعته -صلى الله عليه وآله وسلم- لقوم من أهل الجنة؛ في زيادة ثوابهم، ورفع درجاتهم، وهذه مما لم ينازع فيها أحد، وقد دل عليها دعاء النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- لأبي سلمة[١] بعد موته: «اللهم ارفع درجته في المهديين»[٢]... .

وسادسها: شفاعته -صلى الله عليه وآله وسلم- في بعض الكفار من أهل النار؛ حتى يخفف عنه عذابه، وهذه شفاعة خاصة بأبي طالب وحده، ففي الصحيحين[٣] عن أبي سعيد أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ذكر عمه أبو طالب؛ فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة؛ فيُجعل في ضحضاح[٤] من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»...))[٥].

ثم قسم -رحمه الله- الشفاعة إلى قسمين؛ عامة، وخاصة؛ حيث قال: ((اعلم أن الشفاعة:

---

(١) هو: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله القرشي المخزومي، كان أخا النبي ﷺ من الرضاعة، وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً، توفي سنة ٣هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٣٩/٣-٩٤٠)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٣١/٤-١٣٢).

(٢) أخرجه مسلم؛ كتاب: الجنائز، باب: في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر (٦٣٤/٢) ح (٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب: مناقب الأنصار، باب: قصة أبي طالب (٥٢/٥) ح (٣٨٨٥)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١٩٥/١) ح (٢١٠).

(٤) الضحضاح: ما رق من الماء على وجه الأرض نحو الكعبين، واستعير في النار. ينظر: لسان العرب (٥٢٥/٢).

(٥) إيقاظ الفكرة (ص٤٤٣-٤٤٦).

عامة؛ يُعطاها الأنبياء، والمؤمنون، والشهداء؛ لمن شاؤوا، وخاصة؛ لا يشفع فيها إلا النبي -صلى الله عليه وآله وسلم.

والخاصة: هي الشفاعة الكبرى التي تدافعها الأنبياء، وكذلك الشفاعة في دخول الجنة، وكذلك في التخفيف من عذاب الكفار، فهذه ثلاثة أنواع مختصة به -صلى الله عليه وآله وسلم- من الشفاعة.

وأما شفاعة الإخراج من النار؛ فعامة؛ تكون له -صلى الله عليه وآله وسلم- وللأنبياء، والملائكة -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، وللمؤمنين؛ كما في حديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته[١]، أن ناساً قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربنا؟ -وفيه-: «...حتى خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله تعالى في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار؛ يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا، ويُصلون، ويحجون، فيُقال لهم: أخرجوا من عرفتم -الحديث- فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين» -وذكر الحديث-، والأحاديث فيه كثيرة))[٢]. **ثم أورد -رحمه الله- جملة من الأحاديث الواردة في ذلك**[٣].

كذلك من الشفاعات التي ذكرها أهل العلم؛ إضافة إلى ما ذكرها العلامة الصنعاني -رحمه الله-:

- شفاعته ﷺ في قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة، وهم أهل الأعراف على قول جمع من أهل العلم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة:٢٢-٢٣] (١٢٩/٩) ح (٧٤٣٩)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (١٦٧/١) ح (١٨٣).

(٢) إيقاظ الفكرة (ص٤٤٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٤٤٧-٤٤٨).

(٤) ينظر: فتح الباري (٤٢٨/١١)، وتفسير ابن كثير (٤١٨/٣).

- شفاعته ﷺ في دخول بعض المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ كشفاعته ﷺ في عكاشة بن محصن[1] رضي الله عنه، حيث دعا له النبي ﷺ أن يكون من السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب[2].

وهاتان الشفاعتان يشارك النبي ﷺ فيها غيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين.

وقال العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله- في شرحه لحديث: «فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي»[3]: ((جعل حل الشفاعة جزاء سؤال الوسيلة؛ كأنه سبب موجب للشفاعة بخصوصه، وإلا فشفاعته -صلى الله عليه وآله وسلم- لأمته معلومة موعود بها في قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى:٥] ...))[4].

---

(١) هو: أبو محصن عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس الأسدي، من خيار الصحابة، شهد بدراً وأُحداً والخندق وسائر المشاهد مع النبي ﷺ، توفي في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/١٠٨٠-١٠٨٢).

(٢) كما جاء في حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب»، فقال رجل: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «اللهم اجعله منهم»، ثم قام آخر، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم قال: «سبقك بها عكاشة». أخرجه البخاري؛ كتاب: الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب (٨/١١٣) ح (٦٥٤٢)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/١٩٧) ح (٢١٦)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب: الصلاة، باب: القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة (١/٢٨٨) ح (٣٨٤)؛ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-.

(٤) تيسير اليسرى؛ تحقيق: مسلم عبد الستار (ص٥٣٤).

كذلك أشار العلامة الشوكاني –رحمه الله– إلى بعض أنواع الشفاعة[1] السابق ذكرها.

ورجَّح –رحمه الله– القول بأن المقام المحمود الوارد في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء:٧٩]؛ هو الشفاعة العظمى؛ حيث قال: ((اختلف في تعيين هذا المقام على أقوال: الأول أنه المقام الذي يقومه النبي ﷺ للشفاعة يوم القيامة للناس؛ ليريحهم ربهم سبحانه مما هم فيه، وهذا القول هو الذي دلت عليه الأدلة الصحيحة في تفسير الآية، وحكاه ابن جرير[2] عن أكثر أهل التأويل...))[3]، **ثم ذكر –رحمه الله– جملة من الأحاديث الدالة على ذلك**[4].

وقال في شرحه لحديث: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قالها خالصاً من قلبه»[5]: ((فيه دليل على أن قائل هذه الكلمة هو أسعد الناس بالشفاعة النبوية؛ لكن مقيداً بأن يقول ذلك خالصاً، لا إذا قالها من دون خلوص، وفيه أنه أراد بالشفاعة بعض أنواعها، وأما الشفاعة العظمى؛ فأسعد الناس من يدخل الجنة بغير حساب))[6].

وقال: ((لا خلاف بين المسلمين أنه يجوز طلب الشفاعة من المخلوقين فيما

---

(١) ينظر: نيل الأوطار (٢٧٠/٧)، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٣٤٧/١)؛ ضمن الفتح الرباني، وكشف الأستار في إبطال قول من قال بفناء الجنة والنار ضمن الفتح الرباني (٨٠٥/٢-٨٠٦)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥٢٦/١٧).

(٣) فتح القدير (٢٩٩/٣).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٣٠٣/٣).

(٥) أخرجه البخاري؛ كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث (٣١/١) ح (٩٩)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) تحفة الذاكرين (ص٣٧٤).

يقدرون عليه من أمور الدنيا، وثبت بالسنة المتواترة، واتفاق جميع الأمة أن نبينا -صلى الله عليه وآله وسلم- هو الشافع المشفع، وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربه))[١].

كذلك فسر العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- المقام المحمود بالشفاعة الكبرى؛ وأشار إلى الخلاف في الشفاعة لمن مات من أهل الكبائر؛ حيث قال في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء:٧٩]: ((المراد به مقام الشفاعة...، أحاديثها متواترة، واتفق على ذلك المسلمون، وإنما وقع الخلاف في الشفاعة لمن مات من أهل الكبائر من الموحدين من غير توبة هل له شفاعة أم لا[٢]؟ والصحيح ثبوتها بدليل: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[٣]، وهو حديث صحيح...))[٤].

كما ألف الشيخ الوادعي -رحمه الله- كتاباً في الشفاعة؛ حيث ذكر أنواع الشفاعات السابق ذكرها، وأطال في تقريرها بذكر الأحاديث المسندة الواردة فيها[٥]، وما سبق ذكره يغني عن إعادته هنا.

---

(١) الدر النضيد في إخلاص التوحيد (١/٣١٠-٣١١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) سيأتي بيان ذلك في المطلب التالي.

(٣) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٤) فتح المنان؛ تحقيق: المرشود (ص٢٦٤).

(٥) ينظر: الشفاعة (ص٢٥-٢٣٩).

ثانياً: الشفاعة المنفية:

وهي الشفاعة التي نفتها النصوص الشرعية، وهي التي تطلب من غير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله، وكذلك الشفاعة التي تطلب فيمن لا تُقبل فيه، فالكافر والمشرك لا تُقبل فيه الشفاعة؛ كقوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[غافر:١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾[البقرة:١٢٣].

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله- في بيان الشفاعة الشركية وبطلانها: ((وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان، ولم يعبدوها، ولم يتخذوا المسيح وأمه، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى؛ لأجل أنهم أشركوهم في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم؛ بل اتخذوهم؛ لأنهم يقربونه إلى الله زلفى، كما قالوه، فهم مقرون بالله في نفس كلمات كفرهم، وأنهم شفعاء عند الله، قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[يونس:١٨]؛ فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركاً، ونزه نفسه عنه؛ لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة، ولا هم أهل لها، ولا يغنون عنهم من الله شيئا؟!))[1].

كما أوضح -رحمه الله- أن الشفاعة الشركية التي يتشبث بها المشركون ويظنون نفعها لهم عند الله ﷻ؛ هي السر في عبادة القبور وتعظيمها؛ حيث قال مقرراً: ((قال ابن القيم في "إغاثة اللهفان"[2]: "أصل تعظيم القبور مأخوذ من عُبَّاد الأصنام؛ فإنهم قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب من الله تعالى ومزية؛ لا تزال تأتيه الألطاف من الله، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به، وأدناها منه؛ فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها؛ كما

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥١).

(٢) (١/٢١٨-٢١٩).

ينعكس الشعاع من المرآة الصافية، والماء، ونحوه على الجسم المقابل له.

قالوا: فحق الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وبقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجه قصده كله، وإقباله عليه؛ بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جمع الهمة، والقلب عليه؛ كان أعظم لانتفاعه به... .

وبهذا السر عبدت الكواكب، واتخذت لها الهياكل، وصنعت لها الدعوات، واتخذت الأصنام المتخذة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياداً، وتعليق الستور عليها وإيقاد السرج عليها، وبناء المساجد عليها، وهذا هو الذي قصد -صلى الله عليه وآله وسلم- إبطاله بالكلية، وسد الذرائع المفضية إليه، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه من قصده، وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في شق، وهؤلاء في شق، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور؛ هي الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله؛ قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله، وتوجه بهمته إليه، وعكف قلبه عليه؛ صار بينهم وبينه اتصال؛ يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان؛ فهو شديد التعلق به، فما حصل لذلك من السلطان من الإفضال والإنعام، فإنه ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه"))[1].

وأوضح العلامة النعمي -رحمه الله- نقلاً عن ابن القيم -رحمه الله- أن الشفاعة الشركية: ((هي التي أبطلها الله في كتابه؛ بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾[البقرة:١٢٣]، ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾[البقرة:٢٥٤]، ﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:٥١]...))[2].

وقال: ((وقد بيَّن سبحانه أن المتخذين شفعاء مشركون؛ قال الله تعالى:

(١) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص١١٣-١١٤).

(٢) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٤٩٨)، وينظر: إغاثة اللهفان (١/٢٢٠).

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[يونس:١٨]. . . .

فكل من طلب شفاعة من الأموات، أو الغائبين؛ ممن لا يملكها أو لا يستطيعها؛ يُعد من الشرك بالله))[١].

وأوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: أن الخلف ((سلكوا ما سلكه المشركون في عبادة الأصنام؛ أنها تشفع عند الله، وأنها تنفعهم وتقربهم إلى الله؛ كما قال تعالى: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾[الزمر:٣]))[٢].

وقال العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله– في الرد على من اتخذ شفيعاً من دون الله ﷻ: ((ثم إن هؤلاء الذين اعتقدوهم الخلق، ونصبوا على قبورهم الأعواد المنقوشة، ووضعوا في محلاتهم الفرش النفيسة، ونحروا عند قبورهم، لا يُدرى هل لهم شفاعة أم لا؟؛ قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾[الزمر:٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾[الأنبياء:٢٨]، ولما قال ﷺ لجبريل –عليه السلام–: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا»؛ فنزلت: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ ﴾ [مريم:٦٤]، أخرجه البخاري[٣]، فإذا كان نزول جبريل –عليه السلام– لزيارة خير الأنام لا يكون إلا بأمر ذي الجلال والإكرام؛ الذي يقول فيه في الكتاب: ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴾[التكوير:٢٠]، فكيف يُطلب منه شيء؟، وبالأولى من ليس بأمين وحي رب العالمين، وهذا المعنى تعرفه العرب...، والعقول مفطورة على هذا المقدار،

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٥٠٠)، وينظر: إغاثة اللهفان (١/٢٢٢).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٥).

(٣) كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا ﴾[مريم:٦٤] (٦/٩٤) ح (٤٧٣١)؛ من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–.

وإنما غُيِّرت الفطرة؛ باتباع خطوات الشيطان، ومخالفة أمر المختار))[1].

(١) إيقاظ الوسنان (ص٩٣-٩٤).

المطلب الرابع: الرد على المخالفين في الشفاعة ببيان شبههم وإبطالها.

تقدم في المطلب السابق بيان أنواع الشفاعة؛ المثبتة، والمنفية؛ والتفصيل في ذلك ببيان الحق فيها وتقريرات علماء اليمن لذلك.

ولأهل الباطل شبه وحجج يستدلون بها على تقرير باطلهم؛ سواء فيما يتعلق بالشفاعة المثبتة، أو المنفية.

فالشفاعة المثبتة؛ بقسميها: العامة والخاصة، والتي أثبتها الله ﷻ لمن شاء من خلقه؛ من الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وهي التي لا بد من توفر شرطين فيها؛ كما تقدم بيان ذلك[1]؛ أهل السنة والجماعة -ومنهم علماء اليمن- يؤمنون بها، ويثبتونها لثبوت أدلتها في الكتاب والسنة؛ كما تقدم.

وقد خالف أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في بعض أنواع هذه الشفاعة؛ فأنكروا الشفاعة في أهل الكبائر؛ سواء من استحق منهم أن يدخل النار أن لا يدخلها، أو فيمن دخلها منهم أن يخرج منها[2].

وردوا الأحاديث المتواترة الواردة في ذلك؛ وحجتهم في ذلك أنها أخبار آحاد، ولا يحتج بها[3]؛ وقولهم هذا من أبطل الباطل؛ والنصوص الواردة في بطلانه أشهر من

---

(١) ينظر: (ص٥٣١).

(٢) ينظر: شرح الأصول الخمسة؛ للقاضي عبد الجبار (ص٦٨٩،٦٨٨)، والإرشاد؛ للجويني (ص٣٩٣-٣٩٥)، والمواقف؛ للإيجي (ص٣٨٠)، ومجموع الفتاوى (١/١١٤، ١٤٨-١٥٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٢٦٠). وذلك بناء على معتقدهم في حكم مرتكب الكبير؛ حيث يعتقدون أن أهل الكبائر لا يغفر الله لهم، ولا يخرجهم من النار بعد أن يدخلوها، لا بشفاعة ولا بغيرها، ومن دخلها فهو خالد فيها. ينظر: مجموع الفتاوى (١/٣١٨)، والملل والنحل (١/١١٤،٤٥-١١٥)، ولوامع الأنوار البهية (٢/٢١٧).

(٣) ينظر: شرح الأصول الخمسة (ص٦٩٠).

أن تُذكر.

واستدلوا على باطلهم بحجج واهية، وشبه باطلة؛ وفيما يلي بيان لبعضها، وتفنيد علماء اليمن -رحمهم الله- لها:

الشبهة الأولى: استدلالهم بالآيات التي فيها نفي الشفاعة؛ ((كقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر:١٨]، والفاسق ظالم، وبقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[البقرة:٢٧٠]، وغيرها مما هو شامل للفساق بعمومه))[١].

والجواب عنها: كما قال الصنعاني -رحمه الله-: بأنها ((تختص بالكفار؛ جمعاً بين الأدلة على أن الظالم على الإطلاق هو الكافر...))[٢].

وهو كما قال -رحمه الله- فهذه النصوص واردة في الكفار؛ كما قرر ذلك أهل العلم؛ قال القرطبي -رحمه الله-: ((هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين، وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عُذبوا بذنوبهم، ثم شفع فيهم، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة؛ فأُخرجوا من النار، وليس للكفار من يشفع فيهم))[٣].

الشبهة الثانية: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾[غافر:٧].

قالوا: شفاعة الملائكة هنا لا تشمل صاحب الكبيرة، ولا فرق بين شفاعتهم وشفاعة الأنبياء[٤].

والجواب عنها: كما قال الصنعاني -رحمه الله-: ((بأنا لا نسلم أن من ارتضى لا يتناول الفاسق؛ فإنه يُرتضى من جهة الإيمان والعمل الصالح، وإن كان

---

(١) إيقاظ الفكرة (ص٤٨١).

(٢) المصدر السابق (ص٤٨٢).

(٣) تفسير القرطبي (٨٨/١٩).

(٤) ينظر: إيقاظ الفكرة (ص٤٨١).

مبغوضاً من جهة المعصية، بخلاف الكافر المتصف بِمثل العدل والجود، فإنه ليس بمرتضى عند الله أصلاً؛ لفوات أصل الحسنات، وأساس الكمالات، ولا نُسلم أن الذين تابوا لا يتناول الفساق، فإن المراد تابوا عن الشرك...))[1].

الشبهة الثالثة: استدلالهم بالآيات المشعِرة بخلود الفساق؛ قالوا: ولو كانت شفاعة لما كان خلوداً[2].

ويريدون بذلك آيات الوعيد؛ كالتي فيها الحكم على مرتكب الكبيرة بدخول النار، والخلود فيها، ونحو ذلك[3].

والجواب عنها: بما ورد من الأدلة الشرعية الدالة على انقطاع العذاب عن صاحب الكبيرة؛ **كما قال العلامة الصنعاني –رحمه الله–**[4].

ومما يجاب به عن هذه الشبهة –أيضاً–:

– أن الوعيد الوارد في أهل الذنوب بالخلود في النار أو الحرمان بالجنة؛ إنما هو محمول على من استحل ذلك؛ حيث يكون كافراً باستحلاله، بخلاف ما لو فعلها عن غير استحلال، فلا يلحقه الوعيد، وإن لحقه فلا يُخلد في النار[5].

– أن الوعيد بعدم دخول الجنة؛ المراد به عدم استحقاق دخولها ابتداءً إن عوقب على ذنبه، بل يعذب بقدر ذنبه ثم يدخلها، وقد يعفا عنه؛ فلا يُعذب[6].

– أنه ليس ((في الشريعة توعد بالعقاب مطلق، بل مقيد بشرط ألا يتوب

---

(١) إيقاظ الفكرة (ص٤٢٨).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٤٨١).

(٣) ينظر: الجامع الصحيح؛ للربيع بن حبيب (ص١٩٨-٢٠١)، وشرح الأصول الخمسة (ص٧٢١-٧٢٧).

(٤) ينظر: إيقاظ الفكرة (ص٤٨٢).

(٥) ينظر: مدارج السالكين (٣٩٥/١)، وفتح الباري (٢٢٧/٣).

(٦) ينظر: التوحيد؛ لابن خزيمة (٨٦٨/٢-٨٦٩).

المكلف، ولا يعفى عنه))[1]، وقد بيَّن ابن تيمية -رحمه الله-: بأن الجواب ((السديد للوعيدية...، أن الوعيد في آية وإن كان عاماً مطلقاً، فقد خصص وقيد في آية أخرى))[2]؛ كما عد رحمه الله عشرة أسباب لعدم لحقوق الوعيد[3].

الشبهة الرابعة: ومن الشبه العقلية التي يستدلون بها؛ استدلالهم بالإجماع على الدعاء بقولنا: اللهم اجعلنا من أمة شفاعة محمد ﷺ؛ قالوا: ولو خصت الشفاعة بأهل الكبائر، لكان ذلك دعاء بجعل الداعي منهم[4].

والجواب عنها: كما قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: بأن ((المراد اجعلنا من أهل الشفاعة على تقدير المعاصي، كما في قولنا: اجعلنا من أهل المغفرة، ومن أهل التوبة...))[5].

وأوضح -رحمه الله- كذلك: أن الشفاعة ليست مقتصرة على أهل الكبائر، فقد يدعو الداعي المؤمن ويريد رفع درجات لم يستحقها، بل الخلق أجمعون يحتاجون إلى شفاعته العظمى، ومن ثم يجوز أن يكون الداعي مريداً وطالباً لتلك الشفاعة[6].

وهو كما قال -رحمه الله-، فلا يلتفت إلى شبهتهم، فإن الشفاعة ((قد تكون لتخفيف الحساب، وزيادة الدرجات، ثم كل عاقل معترف بالتقصير، ومحتاج إلى العفو، غير معتد بعمله، مشفق منه أن يكون من الهالكين))[7].

وأما الشفاعة المنفية (الشركية): فإن للمخالفين من عُبَّاد المقابر شبهًا يستدلون بها على باطلهم وما هم عليه من الشركيات واستشفاعهم بغير الله ﷻ؛ وهي أصل ما هم عليه من الضلال.

---

(١) البحر المحيط (١/١٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٤٤١).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٧/٤٨٧-٥٠١).

(٤) ينظر: إيقاظ الفكرة (ص٤٨٢).

(٥) المصدر السابق (ص٤٨٢).

(٦) ينظر: المصدر السابق (ص٤٨٢-٤٨٣).

(٧) تفسير القرطبي (١٠/٣١٠).

ومن تلك الشبه: استدلالهم بالقياس الباطل على المخلوق؛ حيث قاسوا رب العالمين بالملوك والأمراء في الشفاعة، فشبهوا الخالق المالك المدبر بالملوك من الخلق الذين لا يُتوصل إليهم إلا بالأمراء والوزراء، فظنوا أن الشفاعة عند الله ﷻ كالشفاعة عند غيره.

وقد أورد علماء اليمن -رحمهم الله- هذه الشبهة لعبَّاد المقابر، وبينوا بطلانها، وفساد القياس الذي ذهبوا إليه.

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((قال ابن القيم في "إغاثة اللهفان"[(1)]: "أصل تعظيم القبور مأخوذ من عباد الأصنام؛ فإنهم قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب من الله تعالى ومزية؛ لا تزال تأتيه الألطاف من الله، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به، وأدناها منه؛ فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها؛ كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية، والماء، ونحوه على الجسم المقابل له.

قالوا: فحق الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وبقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجه قصده كله، وإقباله عليه؛ بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جمع الهمة، والقلب عليه؛ كان أعظم لانتفاعه به... .

وبهذا السر عبدت الكواكب، واتخذت لها الهياكل، وصنعت لها الدعوات، واتخذت الأصنام المتخذة لها، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعياداً، وتعليق الستور عليها وإيقاد السرج عليها، وبناء المساجد عليها، وهذا هو الذي قصد -صلى الله عليه وآله وسلم- إبطاله بالكلية، وسد الذرائع المفضية إليه، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه من قصده، وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في شق، وهؤلاء في شق، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور؛ هي الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله؛ قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله، وتوجه بهمته إليه، وعكف قلبه عليه؛

---

(1) (١/٢١٨-٢١٩).

صار بينهم وبينه اتصال؛ يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان؛ فهو شديد التعلق به، فما حصل لذلك من السلطان من الإفضال والإنعام، فإنه ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه"[1]))[2].

ثم قال –رحمه الله– في بيان بطلان الشفاعة الشركية، نقلاً عن ابن القيم –أيضاً–: ((فهذا سر عبادة الأصنام؛ وهو الذي بعث الله رسله، وأنزل كتبه؛ بإبطاله، وتكفير أصحابه، ولعنهم، وأباح أموالهم، ودماءهم، وسبى ذراريهم، وأوجب لهم النار، والقرآن من أوله إلى آخره مملؤ من الرد على أهله وإبطال مذهبهم.

قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤]، فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض؛ وهو الله وحده، والشفاعة له، والذي يشفع إنما يشفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه؛ وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم؛ وهي التي أبطلها سبحانه وتعالى في كتابه؛ بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة:١٢٣]، وقوله: ﴿ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾[البقرة:٢٥٤]، وقوله: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:٥١]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة:٤]؛ فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه؛ بل إذا أراد تعالى رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه؛ كما قال تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾ [يونس:٣]، وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾[البقرة:٢٥٥]؛ فالشفاعة بإذنه ليست شفاعته من دونه، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك، والشفاعة التي

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٢١٨-٢١٩).

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص١١٣-١١٤).

أثبتها شفاعة العبد المأمور؛ الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه؛ حتى يأذن له؛ ويقول: اشفع في فلان؛ إذا كان المشفوع له ممن ارتضاه سبحانه؛ لقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨]، وقال:﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾[طه:١٠٩]؛ فأخبر تعالى أنها لا تحصل يؤمئذ شفاعة تنفع؛ إلا بعد رضاه قول المشفوع له، وإذنه للشافع فيه، وسر هذا كله؛ أن الأمر كله بيده وحده، فليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون، وهم عبيد لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون بين يديه، ولا يفعلون شيئاً؛ إلا بعد إذنه وأمره))[1].

ثم قال -رحمه الله- في بيان بطلان القياس الفاسد الذي بنوا عليه الشفاعة الشركية؛ نقلاً عن ابن القيم -رحمه الله-: ((وأما قياس رب العالمين على الكبراء؛ حيث يتخذ الرجل من خواصه وأوليائه من يشفع عنده في الحوائج؛ فهذا قياس فاسد، والفرق بينهما: هو الفرق بين الخلق والخالق، والرب والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة له إلى أحد قط، والمحتاج من كل وجه إلى غيره))[2].

ثم قال -رحمه الله-: ((فأي قياس أبطل في الوجود من هذا القياس؛ مع مخالفته للنصوص القرآنية، والسنة الإلهية، والطريقة الإيمانية))[3].

---

(١) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص١١٤-١١٦)، وينظر: إغاثة اللهفان (١/٢١٩-٢٢١).

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص١١٦)، وينظر: إغاثة اللهفان (١/٢٢١).

(٣) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص١١٦).

وقال العلامة النعمي -رحمه الله- نقلاً عن ابن القيم -أيضاً- في بيان الشفاعة الشركية؛ والقياس الذي ذهبوا إليه وبطلانه : ((وقد بيَّن سبحانه أن المتخذين شفعاء مشركون؛ قال الله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[يونس:١٨]... .

فكل من طلب شفاعة من الأموات، أو الغائبين؛ ممن لا يملكها أو لا يستطيعها؛ يُعد من الشرك بالله، وقد قاس من جهل الشرك أن من اتخذ ولياً، أو شفيعاً يشفع له عند الله؛ كمن يكون لخواص الملوك تنفع من والهم، وتشفع لهم، دون إدراك الفرق الشاسع بين الفرق بين طلب الشفاعة من المخلوق إلى الخالق، وبين طلبها من المخلوق إلى المخلوق))[1].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر نقلاً عن ابن القيم -أيضاً- في بيان سبب الشفاعة الشركية: ((قياس الرب على الملوك والكبراء حيث يتخذ من خواصهم وأوليائهم من يشفع عندهم في قضاء الحوائج، وبهذا القياس الفاسد عُبدت الأصنام، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي))[2].

وقال في بيان السر في الفرق بين الشفاعة عند الخالق والشفاعة عند المخلوق: ((وسر الفرق بين الشفاعتين: أن شفاعة المخلوق إلى المخلوق، وسؤاله للمشفوع عنده: لا يفتقر فيها إلى إذن، ولا أمر من المشفوع عنده، بل هي سبب خارجي قد توافق رغبة من المشفوع عنده، أو رهبة خاليتين من المعارض؛ فيحصل المقصود، وقد يعارضها معارض؛ فيقع الترجيح أو التوقف.

والشفاعة عند الخالق: امتثالاً لأمره وطاعة له؛ فالرب سبحانه هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع، والشفيع عند المخلوق: هو الذي يحرك المشفوع إليه حتى يقبل، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره، وهو في الحقيقة شريكه لحاجة

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٥٠٠).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٩٩).

المشفوع عنده في نصر ومعاونة وغيرها، كما أن الشافع محتاج -أيضاً- في رزق، أو نصر، أو غيرهما، فكل منهما محتاج إلى الآخر))[1].

وقال: ((والشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم؛ فإن قيام مصالحهم بهم، وهم أعوانهم، وأنصارهم؛ الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس؛ فلحاجتهم إليهم؛ يحتاجون إلى قبول شفاعتهم، وإن لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع؛ لأنهم يخافون من ردها تشوش أحوالهم، ولا كذلك الغني سبحانه وتعالى))[2].

وأوضح -أيضاً-: ((أنه لا يصلح توسيط من يجهل، إلى من لا يضل ولا ينسى، ثم قال أيضاً: فأين الشفيع منك؟ ومتى يعلم ما أنت فيه، حتى تأتيك نتائج شفاعته، فالله المستعان: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[الصافات:١٢٥]))[3].

كذلك أوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: أن الخلف ((سلكوا ما سلكه المشركون في عبادة الأصنام؛ أنها تشفع عند الله، وأنها تنفعهم وتقربهم إلى الله؛ كما قال تعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، وشبهوا ذلك بمن له جاه عند سلطان ما لتعلق به ينفعه عند السلطان لحاجة السلطان إلى الشافع فيحتاج إلى قبول شفاعته؛ كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[يونس:١٨]، ولم تعبد الأصنام إلا بالمقاييس، وقد أخبر سبحانه أن الشفاعة له جميعاً؛ فقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[الزمر:٤٣-٤٤]، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٥٠١).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٩٩).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٢/٧٨٨-٧٨٩).

إِذْنِهِۦ ﴾[يونس:٣]، ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الأنعام:٥١]))[١].

وخلاصة الأمر: فإن قياس عباد المقابر لله ﷻ على الملوك قياس من أفسد الأقيسة ، إذ هو قياس مع الفارق؛ الذي استلزم عدة من أنواع الكفر[٢]:

١- أن الملوك لأجل جهلهم وعدم علمهم بأحوال رعيتهم؛ يحتاجون إلى الوسائط من الأمراء ونحوهم؛ ليبلغوهم أحوال رعيتهم، ويرفعوا إليهم حوائجهم، بخلاف عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية، فمن ظن أن الله ﷻ مثل الملوك؛ فهو كافر.

٢- أن الملوك في حاجة إلى أعوان وأنصار من الأمراء والوزراء ونحوهم؛ ليعينوهم في تدبير مملكتهم، وسياسة رعاياهم، وحفظ بلدانهم، وأوطانهم، بخلاف الله ﷻ؛ الخالق، المالك، القادر، الغني؛ فمن ظن أن الله تعالى مثل الملوك؛ فهو كافر.

٣- أن الملوك ليسوا مريدين لنفع الرعية والإحسان إليهم ورحمتهم؛ إلا بمحرك يحركهم من خارج، فاحتاجوا في ذلك إلى شفعاء ونصحاء؛ ينصحوهم ويشفعوا عندهم للمضطرين والمكروبين من رعاياهم، ليقوموا بقضاء حوائجهم بهذا الترغيب والنصيحة والشفاعة ، بخلاف الله رب العالمين؛ الذي هو أرحم الراحمين، وأرحم بخلقه من أية والدة بولدها، ومن ظن أن الله تعالى مثل الملوك؛ فهو كافر.

٤- أن الملوك مضطرون إلى قبول شفاعة أمرائهم ووزرائهم؛ لحاجتهم إليهم في حفظ البلاد وسياسة العباد؛ فالملوك يقبلون شفاعتهم بإذنهم وبدون إذنهم، لمن يرضون عنه ولمن يسخطون عليه، بخلاف الله تعالى؛ الغني، فهو سبحانه وتعالى لا يقبل الشفاعة إلا لمن أذن له، ورضي له قولاً، ومن ظن أن الله تعالى مثل الملوك؛ فهو كافر.

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٤٥).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١/١٢٧-١٣٠).

فتبين من هذا أن قياس خالق الملوك على الملوك قياس في غاية الفساد؛ إذ هو قياس مع الفارق؛ الذي يستلزم عدة من أنواع الكفر البواح.

وبهذا القياس الفاسد عُبدت الأصنام، وهذا أصل شرك عُبَّاد المقابر؛ كما تقدم بيان ذلك، والله أعلم.

الفصل الثالث: بيان علماء اليمن لأنواع الشرك والرد على المخالفين في ذلك.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان أنواع الشرك.

المبحث الثاني: الأعمال الشركية المنافية للتوحيد والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الثالث: الأعمال الشركية المنافية لكمال التوحيد والرد على المخالفين في ذلك.

المبحث الأول: بيان أنواع الشرك.

ينقسم الشرك إلى قسمين[1]:

الأول: الشرك الأكبر: وهو أن يتخذ العبد نداً وشريكاً لله ﷻ في العبادة، فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله ﷻ؛ فقد أشرك شركاً أكبر.

الثاني: الشرك الأصغر: وهو كل وسيلة يتوصل بها إلى الشرك الأكبر، ما لم يبلغ بها درجة العبادة، وهو غير مخرج من الملة، وصاحبه لا يخلد في النار، بل هو تحت المشيئة.

ولقد اهتم علماء اليمن -رحمهم الله- ببيان أقسام الشرك وتوضيحها، وذِكر أحكام كل منهما في الدنيا والآخرة؛ وبيان ذلك كما يلي:

فأما العلامة الصنعاني -رحمه الله- فقد أشار إلى أقسام الشرك؛ الأكبر والأصغر، في مواضع متفرقة من كتبه، وبيَّن جملة من أنواعهما؛ كما سيأتي بيان جملة منها في ثنايا البحث.

وأما العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- فقد قرر أن الشرك ينقسم إلى قسمين؛ شرك أكبر، وشرك أصغر، وبيَّن الفرق بينهما؛ بذكر أحكامهما في الدنيا والآخرة؛ فقال: ((لسعة رحمة الله جعل بعض تعبد العبد شركاً لا يغفره؛ كالشرك الأكبر، وجعل بعضه موقوفاً تحت مشيئة الله، وهو المسمى: بالشرك الأصغر، فقد ورد إطلاق الشرك والكفر على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غير الله، وخوفه، أو رجائه، أو التوكل عليه، أو العمل لأجله، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء، وعلى التوكل على غير الله؛ كالرقى المكروهة، وعلى من

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/٢٣٩)، ومدارج السالكين (١/٣٣٩)، والكواشف الجلية (ص٣٢١)، والقول السديد شرح كتاب التوحيد (ص٣١-٣٢).

سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة؛ مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، ومثله: ما لي إلا الله وأنت، ولولا أنت لم يكن كذا، أو كالطيرة...، وكذا إطلاق الشارع على كثير من الذنوب التي منشأها من إتباع الهوى؛ أنها كفر وشرك؛ كقتال المسلم، ومن أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، وهذه الأعمال هي التي قال السلف فيها: كفر دون كفر، وشرك دون شرك، وقد تكون هذه الأمور شرك أكبر بحسب حال قائلها أو فاعلها، فجعل من أحكام الشرك الأكبر: قتل المشرك، وسبي ذريته، ونحو ذلك، ولا يُرجى له في الآخرة، ولم يجعل هذا الحكم في الشرك الأصغر، بل أبقاه على حكم الإسلام في الدنيا، فلا تُسبى ذريته، وأما في أحكام الآخرة: فهو موقوف تحت مشيئة الله))[1].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[النساء:٣٦]: ((أي: لا تشركوا به شيئاً من الأشياء؛ من غير فرق بين حي وميت، وجماد وحيوان، وإما مصدر؛ أي: لا تشركوا به شيئاً من الإشراك؛ من غير فرق بين الشرك الأكبر والأصغر، والواضح والخفي))[2].

كذلك أوضح في موضع أخر أن الشرك؛ شركان؛ جلي، وخفي؛ فالجلي: هو ما عناه الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[الكهف:١١٠]، والخفي: الذي هو الرياء[3].

كذلك قرر العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله- تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر؛ حيث ذكر أقسام الشرك نقلاً عن ابن القيم -رحمه الله-؛ فقال: ((وأما الشرك، فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يتخذ من دون الله نداً؛ يحبه كما يحب الله، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أكثر من محبة الله، ويغضبون لمنتقص معبودهم -من المشايخ- أعظم مما يغضبون إذا

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢١-١٢٢).

(٢) فتح القدير (١/٥٣٥).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٣/٣٧٥).

انتقص أحد رب العالمين...، وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والحلف بغير الله، وقوله: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر، بحسب قائله ومقصده))[1].

ثم قال –رحمه الله– في بيان بعض أنواع الشرك الأكبر؛ نقلاً عن ابن القيم: ((ومن أنواع الشرك: سجود المريد للشيخ، ومن أنواعه: التوبة للشيخ؛ فإنها شرك عظيم، والنذر لغير الله، والتوكل على غير الله، والعمل لغير الله، والإنابة، والخضوع، والذل؛ لغير الله، وابتغاء الرزق من عند غير الله، وإضافة نعمته إلى غيره، ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم...))[2].

وذكر العلامة الحسن عاكش –رحمه الله–: أن الشرك درجات ((فأدناه: أقل الرياء، وأعلاه: أن تجعل لغير الله شركاً في الربوبية، ومن أوساطه: أن تجعل لله تعالى ما يختص الله تعالى به؛ كعلم الغيب، والآثار التي لم يعطها الله سبحانه المخلوق؛ كقول بعضهم: فلان يتصرف في العالم، ومنه الذبح لغير الله، وما لا يُحصى من الصّور))[3].

ثم ذكر –رحمه الله– الفرق بين تلك الدرجات؛ بذكر أحكامها في الدنيا والآخرة؛ فقال: ((لكن الله ﷻ بحكمته ورحمته؛ فصَّل بين أدنى الشرك وأعلاه؛ بأن جعل لأعلاه أحكام الكفر في الدنيا والآخرة؛ فيُقتل المشرك، وتُسبى ذريته، ونحو ذلك، وخفف في أدناه؛ بأن لم يجعل له في الدنيا أحكام الكفر، بل أبقاه على حكم الإسلام، ويرجى له في الآخرة، وذلك لما ورد أنه يقال لصاحب العمل الذي دخله الرياء: أطلب جزاء هذا؛ يعني كله ممن أشركته، فإني أغنى الأغنياء عن الشرك، وأما الدرجات المتوسطة: فما وضع إلحاقه بالأعلى ألحق به، أو بالأدنى كذلك، وما

---

(١) إيقاظ الوسنان (ص٣٥-٣٧)، وينظر: مدارج السالكين (١/٣٤٣-٣٥٢).

(٢) إيقاظ الوسنان (ص٣٧-٣٨)، وينظر: مدارج السالكين (١/٣٥٢-٣٥٣).

(٣) فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (٣/٩٨٢-٩٨٣).

التبس توقف فيه؛ مثل قولهم: مطرنا بنوء كذا؛ من غير اعتقاد أثر لغير الله، بل مجرد القول والإخبار أنه وقع المطر في وقت مخصوص))[1].

وقال الشيخ البيحاني -رحمه الله-: ((والشرك: خفي، وجلي؛ ومن الخفي أن تعمل رياء، أو تترك العمل لأجل الناس، ومن الجلي: ما يقع عند قبور الأنبياء والصالحين، من جهلة المسلمين المتأصلة فيهم الجاهلية الأولى؛ من عبادة الأوثان والطواف بالقبور، ودعوة أصحابها في المهمات، والعكوف عليها، والتمسك بها لطلب البركات))[2].

وقال في موضع آخر: ((الشرك بالله نوعان: أصغر: وهو الرياء...، وأكبر: وهو اتخاذ آلهة من دونه؛ ترجى بفعل الطاعة، أو تُخاف بترك المعصية...))[3].

هذا وكما بيَّن وأوضح علماء اليمن -رحمهم الله- أنواع الشرك وبيان خطرهما؛ كذلك فصلوا القول في بيان جملة من أنواعهما؛ كما سيأتي بيان بعض ذلك في المبحثين التاليين.

وخلاصة الأمر: فإن الإسلام قد حرم الشرك بأنواعه، وجميع مظاهره؛ القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة، الصغيرة والكبيرة؛ حتى ولو لم يقصد صاحبها حقيقة الشرك؛ فكما حرم الإسلام دعاء غير الله ﷻ، والاستغاثة بهم، والذبح لهم، والنذر لهم، ونحوها مما يُعد من الشرك الأكبر الجلي الظاهر، حرم كذلك ما يُوصل إليه من الشرك الأصغر؛ مثل: الرياء، وقول: لولا الله وفلان، وما شاء الله وشئت، ومطرنا بنوء كذا وكذا، ونحو ذلك من الألفاظ التي قد لا يقصد قائلها ما هو شرك في الحقيقة.

وما سبق قوله في بيان أنواع العبادة، يُقال هنا؛ حيث سأذكر بحول الله ﷻ في المبحثين التاليين نماذج لأنواع من الشرك؛ سواء ما كان منها منافياً للتوحيد، أو منافياً

---

(١) فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (٩٨٢/٣-٩٨٣).

(٢) إصلاح المجتمع (ص٦٨).

(٣) المصدر السابق (ص٢١٠).

لكماله، وذلك على سبيل التمثيل والإشارة لا على سبيل الحصر؛ إذ الحصر في مثل هذا المقام أمر متعذر، نظراً لسعة باب الأنواع، لذلك سأكتفي بذكر الأهم منها – إشارة به إلى غيره– لئلا أخرج عن الغاية المقصودة بالبحث.

ويعنينا في كلام علماء اليمن ما لا بد من ذكره لاستبانة أصل كل مسألة، فأما ما يتفرع عنها مما لا صلة له بذلك فلا أطيل بذكره.

المبحث الأول: الأعمال الشركية المنافية للتوحيد والرد على المخالفين في ذلك.

المطلب الأول: شرك الدعاء.

تقدم في بيان أنواع العبادة؛ الحديث عن الدعاء بكونه عبادة عظيمة وجليلة، حتى عُدَّ هو العبادة؛ كما دلت على ذلك النصوص الشرعية[1]، والعبادة حق لله ﷻ وحده، وعلى هذا فإن من دعا غير الله ﷻ فقد أتى أمراً خطيراً، ينقض إيمانه وتوحيده؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[الجن:١٨].

وقد عنى علماء اليمن ببيان هذا النوع من الشرك، وحذروا منه من خلال ما يلي:

أولاً: بيان أن دعاء غير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ شرك أكبر مخرج من الملة.

فقد قرر العلامة الصنعاني –رحمه الله– أن ((إفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده...))[2]، وأن ((من فعل شيئاً من ذلك لمخلوق؛ حي، أو ميت، أو جماد، أو غيره؛ فقد أشرك في العبادة، وصار من تُفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه، سواء كان ملَكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجراً، أو قبراً، أو جنّياً، أو حياً، أو ميتاً، وصار العابد بهذه العبادة، أو بأي نوع منها؛ عابداً لذلك المخلوق، مشركا بالله، وإن أقر بالله وعبده))[3].

وأوضح في موضع آخر: أن ((من نادى الله ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، وخوفاً وطمعاً، ثم نادى معه غيره؛ فقد أشرك في العبادة، فإن الدعاء من العبادة، وقد سماه الله تعالى عبادة؛ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى

---

(١) ينظر: (ص٢٧٣).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٧).

(٣) المصدر السابق (ص٥٨).

سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠]، بعد قوله: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾))[1].

كما أوضح –رحمه الله– أن لعُبَّاد المقابر ((في كل قرية أموات يهتفون بهم، وينادونهم، ويرجونهم؛ لجلب الخير، ودفع الضر، وهذا هو بعينه فعل المشركين في الأصنام...))[2].

كذلك قرر رحمه الله– أنه لا شك في جواز ((طلب دعاء الله تعالى من بعض عباده لبعض، بل قد قال ﷺ لعمر رضي الله عنه لما خرج معتمراً: «لا تنسنا يا أخي من دعائك»[3].

وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين، ونستغفر لهم؛ في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الحشر:١٠]، وقد قالت أم سليم –رضي الله عنها–: "يا رسول الله، خادمك أنس، ادع الله له"[4].

وقد كان الصحابة –رضي الله عنهم– يطلبون الدعاء منه ﷺ وهو حي، وهذا أمر متفق على جوازه، والكلام في طلب القبوريين من الأموات، أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً؛ أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا عن حبلاهم، وأن يسقوا زرعهم، ويدروا ضروع مواشيهم، ويحفظوها من العين، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها أحد إلا الله تعالى.

هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾[الأعراف:١٩٧]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ [الأعراف:١٩٤]...))[5].

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٦٦).

(٢) المصدر السابق (ص٦٣).

(٣) تقدم تخريجه (ص٣١٨).

(٤) تقدم تخريجه (ص٣١٩).

(٥) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٦٧-٦٨).

كذلك أوضح العلامة النعمي -رحمه الله- شناعة دعاء غير الله ﷻ؛ فقال: ((...دعاء المخلوق، وقصده بذلك: من متفاحش الظلم، ومتبالغ الشرك، ونزاع في خالص حق الله، وخضوع وتذلل بخالص عبادته لسواه؛ إذ روح كونك عبداً له تعالى: هو هذا المقام... .

وظهر لك وتبين محل دعاء غيره تعالى من السخف والبطالة، وضلال منتحيه، وغلوه في الإضرار بنفسه، وتحميلها ظلماً كثيراً بوضع الشيء في غير محله، وصرفه في غير أهله، والتباعد ممن لا يسوغ ويصلح إلا التقرب منه والتذلل له، وله الخلق، والأمر، والملك، والملكوت، والقهر، والعزة، وصفات الكمال ونعوت الجلال، وأما غيره: فلا يملك ضراً، ولا نفعاً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا غيرها...))[1].

كذلك بيَّن -رحمه الله- أن الله ﷻ قد قرر في كتابه الكريم النهي عن دعاء غيره أكثر من تقريره النهي عن السجود لغيره؛ وما ذاك إلا لعظم شأن الدعاء، وأنه معنى جامع لمتفرق أنواع العبادة؛ حتى جاءت النصوص ببيان أنه هو العبادة[2]- كما تقدم بيان ذلك[3]-.

كما استشهد -رحمه الله- بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ﴾[الأعراف:١٩٤]: على أن وصف العبَديَّة هو المانع من التأهل للاستدعاء منهم، وإسناد الطلب إليهم[4].

وأنكر العلامة عبد الرحمن بن حسن البهكلي -رحمه الله- ما عليه العوام والجهلة؛ من قصد القبور والمشاهد؛ لسؤالها، والتبرك بها؛ فقال: ((وما درى المسكين هو ومن أرسله أنه لا يكشف الضر إلا اللطيف الخبير، ولا يُدعى في مثل هذه الأمور إلا هو؛ فهو السميع البصير؛ قال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ ﴾[يونس:١٠٧]، وقد ورد: أن

---

(١) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٧٠-٦٧١).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/٦٥٤-٦٥٥).

(٣) ينظر: (ص٢٧٣).

(٤) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٦٧٨).

«الدعاء مخ العبادة»[(١)]...))[(٢)].

كذلك أوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- بعد بيانه لأهمية الدعاء، وكونه من أجل العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ: أن الله ﷻ قد أنكر غاية الإنكار على من دعا من دونه من لا يستجيب له، وأن من دعا مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ؛ فقد أشرك في العبادة، وصار بذلك مباح الدم، والمال، والذرية؛ حيث قال: ((أنكر الله غاية الإنكار على من دعا من دونه من لا يستجيب له؛ فقال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾[الأحقاف:٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[يونس:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣-١٤]، وكان أهل الشرك يدعون مع الله غيره، فإذا جاءت الحاجات والشدائد أخلصوا الدعاء لله تعالى؛ كما قال: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[العنكبوت:٦٥]؛ أي: في الدعوة وغيرها... ، فتوحيد الله لا يتم إلا بأن يكون النداء في الشدائد والرخاء له وحده، فمن دعا مع الله غيره؛ فقد جعله معه شريكاً، واتخذه إلهاً؛ لأن الدعاء عبادة، بل هو مخها ولبها، والإله: المألوه، أي: المعبود، فمن طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد عبده مع الله، وصار بذلك مباح الدم، والمال، والذرية؛ لدعاء من لا يملك ضراً ولا نفعاً، وقد عُلم بالضرورة تفرد الله بملك الضر والنفع...))[(٣)]، ثم ذكر -رحمه الله- جملة من النصوص الدالة على ذلك[(٤)].

وقال في موضع آخر: ((من سأل غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، وأثبت

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٧٧).

(٢) نزهة الظريف في حوادث دولة أولاد الشريف (لوح٤٩).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٩٥-٩٦).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص٩٦-٩٧).

ملك الضر والنفع لغير الله؛ كما يقول بعضهم: فلان متصرف في العالم، وكل عبارة أخبث من أختها؛ فقد رد ما ثبت بالضرورة عن الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-، ومن كذَّب بالقرآن؛ فهو كافر، مُباح الدم، والمال، والذرية، وقد حرَّم الله عليه الجنة، ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار، وإذا لم يكن هذا الكفر فما الكفر سواه...))[1].

وقال -أيضاً-: ((من طلب من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً؛ شبيهاً بمن له الأمر كله، وبيده أزمة الأمور، فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الرب؛ وهذا شرك في الربوبية))[2].

كذلك بيَّن -رحمه الله- بطلان دعاء غير الله ﷻ؛ لعجزهم، وكونهم لا يملكون ما يُطلب منهم، ولا يقدرون على تحصيله[3].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله-: ((من اعتقد في ميت من الأموات، أو حي من الأحياء؛ أنه يضره أو ينفعه، إما استقلالاً، أو مع الله تعالى، أو ناداه، أو توجَّه إليه، أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق؛ فلم يُخلص التوحيد لله، ولا أفرده بالعبادة؛ إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه، ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة، ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله، أو معه؛ حجراً، أو شجراً، أو ملَكاً، أو شيطاناً، كما كان يُفعل ذلك في الجاهلية، وبين أن يكون إنساناً؛ من الأحياء، أو الأموات، كما يفعله الآن كثير من المسلمين.

وكل عالم يعلم هذا ويُقر به، فإن العلة واحدة، وعبادة غير الله تعالى، وتشريك غيره معه؛ يكون للحيوان، كما يكون للجماد، وللحي كما يكون للميت، فمن زعم أن ثمَّ فرقاً بين من اعتقد في وثن من الأوثان؛ أنه يضر أو ينفع، وبين من اعتقد في ميت من بني آدم، أو حي منهم؛ أنه يضر أو ينفع، أو يقدر على أمر لا

---

(١) المصدر السابق (ص٧٣).

(٢) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٣) ينظر: المصدر السابق (ص٤٣).

يقدر عليه إلا الله تعالى؛ فقد غلط غلطاً بيناً، وأقر على نفسه بجهل كبير؛ فإن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يُتقرب به إلا إليه))[1].

وقال في موضع آخر بعد بيانه لوجوب توحيد الله بالعبادة: ((وفي الحديث أن: «الدعاء هو العبادة»[2]، ... والدعاء له معنيان[3]: أحدهما دعاء الطلب، بل قد سمى الله ذلك دِيناً في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وصرف هذه العبادة لغير الله شرك وكفر؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾[الأحقاف:٥-٦]...))[4].

كما ذكر -رحمه الله- جملة من النصوص الدالة على النهي عن دعاء غير الله[5] ﷻ.

وقال في موطن آخر: ((من دعا غير الله ﷻ طالباً منه أمراً من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه؛ فقد عبد غير الله، ولم يبعث الله رسله، ولا أنزل كتبه إلا لإخلاص توحيده، وإفراده بالعبادة؛ ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[الأعراف:٥٩]، ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[هود:٢]...، وبالجملة فرسل الله -صلوات الله عليهم-، وكذلك جميع كتبه المنزلة؛ متفقة على هذه الدعوة، وقد تكفل القرآن الكريم بحكاية جميع ذلك لمن تتبعه، وإذا تقرر هذا؛ فاعلم أن من دعا غير الله؛ طالباً منه أمراً لا يقدر عليه إلا الله سبحانه؛ فقد عبد غيره وشرَّكه معه؛ ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف:١١٠]...))[6].

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٧٩-٧٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٧٣).

(٣) تقدم بيان ذلك (ص٢٨٨).

(٤) رسالة في وجوب توحيد الله ﷻ (ص٥٢-٥٣).

(٥) ينظر: المصدر السابق (ص٥٦-٥٧).

(٦) المصدر السابق (ص٥٩-٦٢).

كذلك قال: ((من يدعو الأموات، ويهتف بهم عند الشدائد، ويطوف بقبورهم، ويطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه؛ لا يصدر منه ذلك إلا عن اعتقاد كاعتقاد أهل الجاهلية في أصنامهم...))[1].

ثم قال -رحمه الله- في الرد على من أنكر حصول الدعاء على وجه الاستقلال لغير الله ﷻ: ((من أنكر حصول النداء للأموات، والاستغاثة بهم استقلالاً؛ فليخبرنا ما معنى ما نسمعه في الأقطار اليمنية من قولهم: ...، يا فلان يا فلان.

وهل يُنكر هذا مُنكر؟ أو يشك فيه شاك؟ وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم، ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه، وفي كل مدينة جماعة منهم.

أين معنى من يعقل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ﴾[الأعراف:١٩٤]، ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾[الجن:١٨]، ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾[الرعد:١٤]، وقد أخبرنا الله سبحانه: أن الدعاء عبادة في محكم كتابه؛ بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر:٦٠]...))[2].

وقال العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله- مبيناً تحريم دعاء غير الله ﷻ: ((فإذا رددنا ما تنازعنا فيه، وقلنا بتحريم دعوة غير الله، والاستعانة به، وما ألحق في ذلك، فالقرآن ينادي بالنهي عن دعوة غير الله تعالى، ويختمها بالوعيد الشديد لمن فعل ذلك...، والسنة كذلك تنادي في النهي عن أن يدعى مع الله غيره؛ كما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار»[3]، ... فمن استغاث بغير الله؛ من ميت أو غائب،

---

(١) المصدر السابق (ص٨٠-٨١).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٧٣-٧٤).

(٣) أخرجه البخاري؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ

أو دعاه؛ فقد شبَّهه بالله الذي يصمد إليه كل مخلوق في كل ما يحتاجونه إليه؛ في دنياهم، وأخراهم))[1].

وعند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، **بيَّن –رحمه الله–:** أن ((من دعا غير الله تعالى؛ فقد عبد سواه...، ومن عبد غير الله؛ فقد أشرك))[2].

ويصف –رحمه الله– حال بعض الجهلة في غيِّهم وسؤالهم الأموات؛ حيث قال: ((من سأل غير الله شيئاً؛ غضِب عليه؛ لأنه أنزل حاجته بمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، هذا إذا كان المسئول حياً، وأما إذا كان ميتاً فبهتان عظيم، وقال رسول الله ﷺ: لابن عباس: «إذا سألت فاسأل الله»[3]، وصار الحال إلى أن الرَّجل قُدَّام الكعبة، وفي روضة رسول الله ﷺ إذا أراد القيام والقعود؛ قال: يا ابن عباس، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولقد ذكر بعض العلماء أن بعض طلبة مكة سأل بعض المدرسة في الحرم؛ فقال له: يا مولانا بعض أهل الطائف لا يعرفون الله تعالى، لا نسمعهم يدعون إلا ابن عباس، فقال: ما كنت أظن أن الجهل بلغ بك إلى هذا الحد، ابن عباس يعرف الله وأهل الطائف يعرفون ابن عباس، فتكفيهم معرفة ابن عباس عن معرفة الله، فانظر إلى هذا الغلو البالغ، حسَّنه له من طبع الله على قلبه، وختم على سمعه وبصره))[4].

كذلك أوضح الشيخ البيحاني –رحمه الله–: ((أن من دعا غير الله، أو ناداه في مهماته، أو طلب منه ما لا يقدر عليه إلا صاحب القدرة المطلقة؛ فقد

اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥] (٢٣/٦) ح (٤٤٩٧).

(١) إيقاظ الوسنان (ص٨٦-٨٧).

(٢) المصدر السابق (ص١٤٩-١٥٠).

(٣) تقدم تخريجه (ص٢٧٣).

(٤) إيقاظ الوسنان (ص٨٨-٨٩).

أشرك...، ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٢]))[(١)].

وبنحوه قال الشيخ الوادعي -رحمه الله-؛ حيث أوضح أن دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله يعتبر شركاً؛ مستدلاً على ذلك بجملة من الآيات القرآنية؛ فقال:

((... ودعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله يعتبر شركاً؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[فاطر:١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦]...))[(٢)].

وقال -أيضاً-: ((نعتقد: أن نداء الأموات، والاستعانة بهم، وكذا الأحياء؛ فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ شرك بالله))[(٣)].

كما سُئل -رحمه الله-: حول دعاء الأموات؟

فأجاب -رحمه الله- بأن دعاء ((الأموات يعتبر شركاً؛ لأن الله ﷻ يقول في كتابه الكريم: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[المؤمنون:١١٧]، ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾[الأحقاف:٥-٦]، وقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾[الرعد: ١٤].

المقبور...، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؛ يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾[النمل:٦٢]، ويقول سبحانه

---

(١) إصلاح المجتمع (ص٢١٢).

(٢) حاشية الشيخ الوادعي على الرسالة الوازعة؛ ليحيى بن حمزة (ص١٨٦-١٨٧).

(٣) هذه دعوتنا وعقيدتنا (ص٨).

وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣]، ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ﴾[الزمر:٣٨]...))[(١)].

كذلك بيَّن -رحمه الله- أن الذي يدعو الأموات؛ لرجاء جلب نفع، أو دفع ضر؛ بُيِّن له أن هذا شرك، فإن أصر على دعاء غير الله؛ فهو مشرك حلال الدم؛ حيث قال -رحمه الله-: ((الذي يدعو الأموات لرجاء جلب نفع أو دفع ضر؛ بُيِّن له أن هذا شرك وكفر؛ كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[فاطر:١٣-١٤]، فإن أصر على دعاء غير الله؛ فهو مشرك حلال الدم، وتَبِيْن منه امرأته المسلمة، ولا يرث المسلم، ولا يرثه المسلم))[(٢)].

كذلك أوضح الشيخ محمد باشميل -رحمه الله-: أن الذي عليه عُبَّاد القبور؛ من دعاء الأموات، والاستغاثة بهم؛ كفر وشرك مخرج من الملة؛ كما دلت على ذلك نصوص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[(٣)]، وأن المتدبر لهذه النصوص يجد أن ما ((وصف الله به المشركين الأولين، ينطبق -تماماً- على هؤلاء القبوريين؛ الذين يدعون الأموات، ويستغيثون بهم، ويتضرعون إليهم...))[(٤)].

---

(١) إجابة السائل على أهم المسائل (ص١٩٤-١٩٥).

(٢) المخرج من الفتنة (ص١٩٦)، وينظر: صعقة الزلزال (٢/٤١٢).

(٣) ينظر: كيف نفهم التوحيد (ص٨-٩).

(٤) المصدر السابق (ص٩).

كما بين أيضاً: أن ((الذين يدعون الأولياء من الميتين؛ هم بين أمرين: إما أنهم يعتقدون أن هؤلاء الميتين يسمعونهم -على بعد المسافة-، ويجيبونهم، ويعملون على إنقاذهم، أو لا يعتقدون، فإن اعتقدوا هذا -وهو ما يعتقدونه فعلاً-؛ فهو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لهم.

وأما أن يعتقدوا أن هؤلاء المدعوين لا يسمعون ولا يجيبون، وهذا هو الجنون، والمجنون قد سقط عنه التكليف، فهؤلاء القبوريون إذاً؛ إما مشركين وإما مجانين، وعليك أن تضعهم حيث شئت.

والحقيقة أن هؤلاء القبوريين ليسوا بمجانين، ولكنهم مفتونون؛ فتنهم الشيطان، وزين لهم هذه الأعمال الشركية، وحببها إلى قلوبهم.

فلو لم يثقوا في قدرة أوليائهم على إنقاذهم أكثر من ثقتهم في الله العلي القدير؛ لما أعرضوا عنه -جل وعلا- وتوجهوا إلى الميتين، خاشعين متضرعين متذللين.

فأي كفر وضلال بعد هذا، وماذا أبقوا بعد هذا لله الذي خلقهم وصورهم))[١]، ثم أورد رحمه الله جملة من النصوص الدالة على ذلك[٢].

فتبين مما سبق: أن الدعاء خالص حق الله ﻷ، فلا يُصرف لغير الله ﻷ، ومن صرفه لغيره سبحانه فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، والله أعلم.

---

(١) كيف نفهم التوحيد (ص٢٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٣١).

ثانياً: شبهات حول الدعاء:

الشبهة الأولى: قولهم: أننا نسألهم لقربهم من الله ﷻ، وهذا القرب جعل دعوتهم مستجابة.

أورد هذه الشبهة -مع تفنيدها والجواب عليها- العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله-؛ حيث أورد ما قاله صاحب كتاب "صلح الإخوان"[(١)]، ونصه: ((نحن نعلم هذا، لكنهم يسألون الله تعالى، وهم أقرب الخلق إليه، ودعوتهم مستجابة))[(٢)].

فأجاب -رحمه الله- بقوله: ((وأما أنهم أقرب إلى الله منكم، فود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا؛ أسماء رجال صالحين أقرب إلى الله ﷻ من قوم نوح، وقد قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، فقد ساويتموهم في طلب غير الله تعالى ما لا يقدر عليه إلا الله، وأعمالكم الصالحة مردودة متروكة...، فالكل يطلب رضى رب العالمين، ولم يكن من شرع الله تعالى ولا ملة إبراهيم طلب شيء من غير الله تعالى، وغاية ما يُطلب من العبد الدعاء لله، وهذا إنما يُطلب من الحي، ولا يدري الطالب ما يكون))[(٣)].

وأوضح العلامة النعمي -رحمه الله-: بأنه قد اتفقت شبهتهم مع شبهة مشركي العرب، ((وأن التوسيط وقع بجاهل إلى عالِم، أو بمن لا نسبة بينه وبين المتوسَّل إليه في جميع الوجوه...))[(٤)].

الشبهة الثانية: أن دعاء المخلوقين ليس من العبادة، إنما هو مجرد نداء وسبب لقضاء الحاجة.

ومن الشبه التي أوردها من يُجوِّز دعاء الموتى: إخراج دعاء المخلوقين من العبادة، فيُعتبر نداء لا دعاء، أو سبباً لقضاء الحاجة؛ فقالوا: ((أن الدعاء الذي

---

(١) المراد به داود بن جرجيس في كتابه صلح الإخوان.

(٢) إيقاظ الوسنان (ص٩١).

(٣) المصدر السابق (ص٩١-٩٢).

(٤) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب (٢/٧٨٥).

يُسمى عبادة أنه دعاء الله ﷻ، وأما دعاء المخلوقين فلا يدخل في ذلك، بل هو من باب ترتيب الأسباب على المسببات؛ كمن يطلب المعاش بالزراعة، فدعاء المخلوقين هو سبب لقضاء الحاجة))[1].

ورد العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله- على هذا: بأنه تحريف لمعنى الدعاء، وإخراجه عن مدلوله لغة وشرعاً[2].

وقال -أيضاً-: ((ومن قال إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم والنذر لهم عبادتهم، فقل له: فلأي مقتضى صنعتَ هذا الصنيع؟ فإن دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبَّر عنه لسانك، فإن كنت تهذي بذكر الأموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد لك منهم؛ فأنت مصاب بعقلك))[3].

الشبهة الثالثة:[4]: الاستدلال: بحديث عمر ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجلٌ يُقال له: أُويْسٌ[5]، وله والدةٌ، وبه بياضٌ، فمروه فليستغفر لكم»[6].

---

(١) إيقاظ الوسنان (ص٩٢-٩٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص٩٣).

(٣) المصدر السابق (ص٢٩-٣٠).

(٤) ينظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٧٧٣).

(٥) هو: أبو عمرو أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن مسعدة القرني المرادي اليماني، الزاهد المشهور، أدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، وسكن الكوفة، وهو من كبار تابعيها، توفي يوم صفين مع علي بن أبي طالب ﷺ. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى (٦/٢٠٤-٢٠٧)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة (١/٣٣١).

(٦) أخرجه مسلم؛ كتاب: الفضائل، باب: من فضائل أويس القرني ﷺ (٤/١٩٨٦) ح (٢٥٤٢).

وقد أوضح العلامة المعلمي –رحمه الله–: أن ((هذا أمر من النبي ﷺ لأُويسٍ مصداقه من كتاب الله ﷻ؛ قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾[الحشر:١٠]، فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يُبلِّغوا أُويْساً هذا الحكم.

ومما يشدُّ هذا قوله: «فمروه فليستغفر لكم»، ولم يقل: "فاسألوه"، أو نحو ذلك، وكأنه إنما خصَّ أُويساً تنبيهاً على مزيد فضله؛ لأن الناس كانوا يسخرون منه ويحتقرونه، والله أعلم))[(١)].

الشبهة الرابعة: الاستدلال بسؤال الصحابة –رضوان الله عليهم– من النبي ﷺ أن يستغفر لهم[(٢)].

وقد فند العلامة المعلمي –رحمه الله– هذه الشبهة من عدة أوجه؛ ومنها:

الأول: بيانه أن ((سؤال الصحابة من النبي ﷺ أن يستغفر لهم...؛ لأن الله تعالى قد أمر رسوله بذلك؛ قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾[محمد:١٩]، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ ﴾ [النور:٦٢]... .

وقال ﷻ:... ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾[النساء:٦٤]... .

وقوله: ﴿ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾؛ أي: إظهاراً للتوبة، وقوله: ﴿ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾؛ أي: كما أمره ربه ﷻ بالاستغفار للمؤمنين؛ لأن أولئك النفر إنما يرجعون إلى الإيمان بتوبتهم، ومن توبتهم المجيء إلى الرسول...، والله أعلم))[(٣)].

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٧٧٣).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/٧٧٣).

(٣) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٧٧٣-٧٧٥).

الثاني: إيضاحه لهدي الصحابة -رضوان الله عليهم- في طلب الدعاء من النبي ﷺ أو عدمه، مع علمهم بأن الله ﷻ أمر نبيه أن يستغفر لهم؛ حيث قال: ((مع أن كبار الصحابة كان غالب أحوالهم عدم سؤال الدعاء لأنفسهم من النبي ﷺ، وإنما كانوا يُسارعون في الخيرات من الأعمال الصالحة، عالمين بأن ذلك هو السبب الحقيقي لأن يستغفر لهم النبي ﷺ؛ كما أمره الله ﷻ...))[١].

الثالث: تقريره أن ((طلب الدعاء من الأنبياء بما فيه صلاح الدِّين أمر مرغوبٌ فيه في الجملة إذا كان بحضرتهم؛ إلا أن ما قدَّمناه من صنيع كبار الصحابة يدل أن الأولى عدم الطلب والاكتفاء بفعل الخيرات؛ لأنه يبعث الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- على الدعاء والاستغفار للعامل بدون سؤال منه، والله أعلم.

وقد روى مسلم في صحيحه[٢] عن ربيعة بن كعب[٣]: كنت أبيتُ مع رسول الله ﷺ فأتيته بوَضوئه وحاجته، فقال لي: «سلْ»، فقلتُ: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «أوْ غير ذلك»، قلتُ: هو ذاك، قال: «فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود»...، فالنبي ﷺ أراد أن يُكافئ ربيعة لخدمته إياه، فأمره بسؤال حاجته، فسأله الدعاء له بمرافقته في الجنة...، فكأن النبي ﷺ تردد في استحقاق ربيعة للمرافقة حينئذ؛ فقال له: «أوْ غير ذلك»؛ أي: سلْ شيئاً غير ذلك، فلما أبى؛ قال النبي ﷺ: «إني فاعل، فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود»؛ أي: حتى تستحق ذلك أو تقارب الاستحقاق، وذلك أنه ﷺ لم يكن يدعو لأحدٍ بما لا يستحقه أصلاً وإن سأله...))[٤].

---

(١) المصدر السابق (٧٧٦/٢).

(٢) كتاب: الصلاة، باب: فضل السجود والحث عليه (٣٥٣/١) ح (٤٨٩).

(٣) هو: أبو فراس ربيعة بن كعب بن مالك الأسلمي، صحابي جليل، من أهل الصفة، أسلم ولازم النبي ﷺ، توفي سنة ٦٣هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٧٢٧/٤-١٧٢٨)، والإصابة في معرفة الصحابة (٣٩٤/٣-٣٩٥).

(٤) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٧٧٦/٢-٧٧٧).

الرابع: بيانه أن ((سؤال الدعاء بالمغفرة ونحوها من غير النبي ﷺ فقد كرهه بعض الصحابة وغيرهم))[(١)]، ثم أورد -رحمه الله- جملة من الآثار الدالة على ذلك[(٢)].

الخامس: أما ((سؤال الدعاء في أمر دنيوي؛ فقد جاء عن بعض الصحابة أنهم سألوا النبي ﷺ؛ فمن ذلك ما هو في مصلحة عامة تتناول السائل وغيره، وهذا قد وقع من بعض أكابر الصحابة؛ كما رُوي عن أبي هريرة...، قال: لما كانت غزوة تبوك أصاب الناسَ مجاعةٌ، قالوا: يا رسول الله، لو أذِنت لنا فنحرنا نواضحنا[(٣)]، فأكلنا وادَّهنَّا، فقال رسول الله ﷺ: «افعلوا»، قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله، إن فعلتَ قل الظَّهْرُ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، لعل الله أن يجعل في ذلك... الحديث[(٤)].

ومنه ما هو لبعض أقارب السائل، كقول أم أنس للنبي ﷺ: يا رسول الله، خادمك أنسٌ؛ فادع الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته»[(٥)]...، على أنها لم تُصرح بسؤال الدعاء لمصلحة دنيوية، ولكن النبي ﷺ دعا له لدينه، ودنياه.

ومنه: ما هو للسائل نفسه، وعامة ما ورد من ذلك كان لحاجة أو ضرورة...))[(٦)].

---

(١) المصدر السابق (٢/٧٧٨).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/٧٧٨-٧٧٩).

(٣) النواضح من الإبل التي يُستقى عليها. ينظر: شرح النووي على مسلم (١/٢٢٥).

(٤) أخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/٥٦) ح (٢٧).

(٥) تقدم تخريجه (ص٣١٩).

(٦) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٧٧٩-٧٨١).

والدعاء من المسلم لأخيه المسلم لا بأس به إذا أمنت الفتنة من السائل والمسؤول؛ وعلى هذا عمل السلف، وإن كان الأولى عدم طلب الدعاء من الغير؛ كما هو فِعل كبار الصحابة، والله أعلم.

المطلب الثاني: شرك الطواف.

تقدم بيان أن الطواف بالبيت الحرام من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ، وقد صَرف عُبَّاد القبور هذه العبادة لضرائح الموتى؛ فيطوفون حول قبور من يقدسونهم ويعظمونهم، وهذا العمل لا يجوز باتفاق المسلمين، وذلك معلوم من الدِّين بالضرورة، وليس لهم أي دليل على ذلك، بل هو بدعة باتفاق المسلمين إن لم يكن شركاً[(١)].

وقد قرر العلامة الصنعاني –رحمه الله–: ((أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم في العبادة، ولا يغني عنهم من الله شيئاً، وأن عبادتهم: هي اعتقادهم فيهم؛ أنهم يضرون وينفعون، وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النحائر، وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم...))[(٢)].

وأوضح: أن ((الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور، والنحائر، والطواف بالقبور؛ شرك محرم، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم...))[(٣)].

وبين في موضع آخر: أن عُبَّاد المقابر يعاملون القبور ((معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية؛ من قولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها...))[(٤)].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: ((ومن أنواع العبادة: الطواف؛ فهو عبادة لا تصلح إلا لله؛ كالسجود، والركوع، والصيام؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[الحج:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٦/٢٥٠،١٢١).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٨).

(٣) المصدر السابق (ص٦٦).

(٤) المصدر السابق (ص٦٢).

وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[البقرة:١٢٥]، فهذه الأنواع من العبادة من خالص حق الله على عباده، الذي لا يصلح لغيره منه شيء، فمن طاف بغير بيته تعبداً؛ قد تعبد غير الله))[١].

وأوضح العلامة الشوكاني -رحمه الله- جملة من البدع التي أحدثها عُبَّاد المقابر في بعض الأقطار التهامية؛ والتي منها بناء عمارة من حجارة ((يجتمعون إليه صغيرهم والكبير، والأنثى والذكر، والشريف والوضيع، يطوفون حوله كطوافهم بالبيت المعمور طول تلك الليلة، من دون إنكار ولا شناعة من ولاة أمرهم وحكامهم، ويقبلونه كتقبيل الحجر الأسود، وصارت هذه البدع كأنها سنن شرعية))[٢].

كذلك قرر العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله-: ((أن الطواف والعكوف على القبور شرك محرم، وأنه عين ما كانت تفعله المشركون لأصنامهم))[٣].

وقال العلامة العبادي -رحمه الله- في سياق بيانه لأنواع الشرك[٤]:

وحلقةُ للرأس عند القبرِ ... مثلُ الطواف حوله والنحرِ

فأوضح -رحمه الله- أن الطواف حول القبر من جملة الشركيات المنهي عنها.

وقرر الشيخ البيحاني -رحمه الله- أن الطواف بالقبور من الشرك الجلي؛ حيث قال: ((ومن الجلي: ما يقع عند قبور الأنبياء والصالحين، من جهلة المسلمين المتأصِّلة فيهم الجاهلية الأولى؛ من عبادة الأوثان، والطواف بالقبور، ودعوة أصحابها في المهمات، والعكوف عليها، والتمسح بها لطلاب البركات))[٥].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٠٧-١٠٨).

(٢) بحث في حكم المولد (١٠٨٥/٢)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) إيقاظ الوسنان (ص٣٤).

(٤) ينظر: هداية المريد (ص٢٥).

(٥) إصلاح المجتمع (ص٦٨).

وقال في موضع آخر: ((ومن الشرك: تعظيم القبور الذي فتن به المسلمون في مختلف الجهات؛ حتى بنوا عليها القباب، واتخذوا لها الأقفاص والتوابيت، وطافوا بها، وحجوا إليها، ونذروا لأصحابها بجزء معلوم من أولادهم، وأقاموا لها الحفلات والمواسم، وجاءوا إليها متوسلين ومستغيثين، وهذا يطلب منهم الولد، وثان يطلب منهم شفاء المريض، وثالث يريد منهم النصرة على الأعداء، وأن ينصفوا له من فلان الظالم...، وكتبوا عنهم الشطح، والكلام الذي لا يصدر إلا من ملحد في دين الله، أو مدع أنه شريك له... .

ومن دعا غير الله أو ناداه في مهماته، أو طلب منه ما لا يقدر عليه إلا صاحب القدرة المطلقة؛ فقد أشرك، وكذلك من ركع ، أو سجد، أو ذبح، أو نذر، أو حلق لغير الله، أو حلف بأي مخلوق؛ ولو نبياً، أو ملكاً: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]))(١).

ثم أوضح -رحمه الله-: أن ((تعظيم القبور؛ باستلامها، والطواف بها؛ صادر من الذي يعتقد تصرف المقبور في الكون، وأنه يضر من يشاء، وينفع من يشاء...))(٢).

وقرر الشيخ الوادعي -رحمه الله-: أن ((الغالب على الذي يجلس عند القبور، ويطوف بها، ويتمسح بأتربة الموتى؛ أنه يفعل ذلك عن عقيدة))(٣).

ثم حكى -رحمه الله- عن بعض مشاهداته في بلاد "الهند"، وما رآه فيها من الشركيات التي تناقض الإسلام؛ ومنها الطواف حول القبور؛ حيث قال: ((ثم ذهبتُ إلى قبر إمام شاه عبد العظيم، ولعله جهة الجنوب من وسط العاصمة؛ فرأيت عنده أشياء تتناقض مع دين الإسلام، فمما رأيته عند هذا القبر: رأيت إنساناً جاء وسجد إلى القبر، ورأيت رجلاً آخر؛ جاء وركع إلى القبر، ثم عند

---

(١) المصدر السابق (ص٢١١-٢١٢).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٥٨٨).

(٣) تحفة المجيب (١/٦٥).

خروجه، رجع القهقرى، أي: رجع إلى الخلف، ولم يعط القبر ظهره، من أجل احترام صاحب القبر، ورأيت القبر وهو في غاية من الزينة والزخرفة، والناس هنالك يطوفون من جانبين، والنساء يطفن من الجانبين الآخرين، وهنالك زحام شديد، والناس ما بين طائف وممرغ خده، حتى أنهم يرفعون الأطفال الصغار، ويمرغون خدودهم على جدار القبر، وبعض الناس هنالك معه بعض الكتب الصغيرة؛ يقرأ أدعية منها، ومنهم المصلي، ومنهم الخاشع الباكي.

ثم ذهبتُ إلى قبر إمام عبد الله، وليس هنالك زحام شديد، وهم يطوفون طوافا كاملاً عند ذلك القبر؛ أي: حول ذلك القبر، كأنهم يطوفون حول الكعبة، والذي يظهر لي أن الذي يمنعهم من الطواف كاملاً عند القبور التي عندها زحام؛ من أجل أن لا يختلط الرجال بالنساء..، فهؤلاء قد وقعوا في الشرك الأكبر؛ من الطواف، والركوع، والسجود إلى القبر، ودعاء صاحب القبر))[1].

---

(١) الإلحاد الخميني في أرض الحرمين (ص٤٥).

المطلب الثالث: شرك الذبح.

تقدم بيان أن الذبح من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ، فمن صرفه لغير الله فقد أشرك في عبادته؛ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]، **وهذا ما قرره وأوضحه علماء اليمن -رحمهم الله-:**

فأما العلامة الصنعاني -رحمه الله- فقد قرر حرمة الذبح لغير الله تعالى؛ وأنه ((**مبني على أصلين ثابتين:**

الأول: أنه لا يخفى أن الله -سبحانه- جعل إراقة دماء الأنعام التي خلقها لانتفاع الأنام؛ عبادة يعبدونه بها، ويتقربون إليه بنحرها؛ فشرع لهم التضحية بإراقة دمائها؛ قربة يتقربون إليه بها...، فالتضحية عبادة؛ سواء أكانت سنة أو واجبة، ولذلك كان الرسول ﷺ يقول عند نحره الضحية: ﴿ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾، والنُّسك: العبادة...، والأدلة واسعة في كون إراقة دماء الأنعام قربة وعبادة))[1].

الثاني: ((أن العبادة لا يجوز أن تكون إلا لله وحده لا شريك له؛ بنص قوله: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣]، ونص: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[البينة:٥]، وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، وبه بعث أعداد رسله الأولين والآخرين، فكل نبي يقول لأمته: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[هود:٥٠]))[2].

ثم قال: ((وإذا تقرر هذان الأصلان عرفت أنه يتخرج منهما قياس قطعي من الشكل الأول؛ بأن يُقال: إراقة دماء الأنعام عبادة، وكل عبادة لا تكون إلا لله، فينتج: إراقة دماء الأنعام لا يكون إلا لله))[3].

---

(١) مسألة في الذبح على القبور وغيرها (ص٣٢-٤١).

(٢) المصدر السابق (ص٤١).

(٣) المصدر السابق، والموضع نفسه.

ثم خلص –رحمه الله– إلى القول: ((أن كل دم يراق لغير الله فهو عبادة، وكل عبادة لغير الله محرمة...))[(١)].

وأوضح –رحمه الله– أن الذابح على القبور يكون مرتداً[(٢)]؛ وعلل ذلك: بأنه لا يكون إلا عن ((اعتقاد أنه يضر وينفع، ويعطي ويمنع، ويشفي المريض، ويُذهب عن الأبدان العليلة الأدواء، وهذا بعينه هو الذي كان عليه عباد الأوثان، وأتباع الشيطان، فإنهم كانوا ينحرون لها، ويهتفون بأسمائها، ويدعونها، ويخافونها، ويرجونها، ويطوفون بها، وينادونها؛ بمثل: "على الله وعليك"؛ كما يفعله الآن عُبَّاد القبور والمشاهد؛ التي يجب هدمها، ويجعلونها لله أنداداً))[(٣)].

كذلك قرر العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: أن: ((من تقرب لغير الله بشيء من الذبائح؛ كمن تقرب لحجر، أو شجر، أو جني، أو قبر؛ فقد عبد مع الله غيره، وأشرك مع الله غيره في ما هو خالص حقه))[(٤)].

وقال –رحمه الله– في موضع آخر، بعد تقريره لعبودية الذبح لله ﷻ: ((فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام، ويذبحون لها، فأمره الله بالانحراف عما هم فيه، والإقبال لقصده ونيته على الإخلاص لله تعالى، والنسك: العبادة، والناسك: العابد، وقد سمى الله الذبيحة نسكاً في قوله تعالى: ﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة:١٩٦]...، فجعله عوضاً عن الصيام، والإطعام؛ وكلها عبادات، قد جعل الله إراقة الدماء له تقوى؛ فقال: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج:٣٧]؛ وذلك لأن التقرب بالذبح عبادة، وهي لا تصلح إلا لله تعالى وحده لا شريك له؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣]،

---

(١) مسألة في الذبح على القبور وغيرها (ص٤١).

(٢) المصدر السابق (ص٤٤).

(٣) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٠٤)

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة:٥]))[١].

كذلك فسر العلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي -رحمه الله- قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾[الكوثر:٢] ، بقوله: ((أنحر البدن ونحوها على اسمه وحده، لتخالف المشركين بذبحهم لغير اسم الله))[٢].

كذلك قرر العلامة الشوكاني -رحمه الله-: أن التقرب إلى غير الله مما لا يُتصرف به إلا إلى الله؛ أنه من الشرك، ومن أمثلة هذا التقرب: بأن يتقرب لأصحاب القبور؛ بنحر الذبائح، ونذر النذور لهم؛ لأنه يعتبر عبادة لهم، حيث قال: ((كذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك، وإخراج صدقة المال، والخضوع، والاستكانة عبادة لله ﷻ -بلا خلاف- ومن زعم أن ثم فرقاً بين الأمرين؛ فليهده إلينا، ومن قال إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم، والنذر عليهم عبادتهم؛ فقل له: فلأي مقتض صنعت هذا الصنع؟ فإن دعائك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبر عنه لسانك، فإن كنت تهذي بذكر الأموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد منك لهم؛ فأنت مصاب بعقلك، وهكذا إن كنت تنحر لله، وتنذر لله، فلأي معنى جعلت ذلك))[٣].

ثم حكم -رحمه الله- على من نحر للأموات، أو صرف لهم نحوها من العبادات؛ بأنه: ((قد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال، فهو لم يعتقد معنى "لا إله إلا الله"، ولا عمل بها، بل خالفها اعتقاداً، وعملاً، فهو في قوله: لا إله إلا الله؛ كاذب على نفسه، فإنه قد جعل لها إلهاً غير الله؛ يعتقد أنه يضر وينفع، وعبده بدعائه عند الشدائد، والاستغاثة به عند الحاجة، وبخضوعه له وتعظيمه إياه، ونحر له النحائر، وقرب إليه نفائس الأموال، وليس مجرد قول "لا إله

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٠٣-١٠٤).

(٢) تيسير اليسرى؛ تحقيق: محمود أحمد حفيظ الله (ص٢٤٤).

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٣٤٤/١)؛ ضمن الفتح الرابي.

إلا الله"، من دون عمل بمعناها؛ مثبتاً للإسلام، فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية، وعكف على صنمه يعبده؛ لم يكن ذلك إسلاماً))[1].

وأورد جملة من النصوص في الدلالة على النهي عن الذبح لغير الله ﷻ[2]؛ **ومنها**: حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض»[3].

قال -رحمه الله-: ((«لعن الله من ذبح لغير الله»؛ المراد به: أن يذبح لغير الله تعالى؛ كمن ذبح للصنم، أو الصليب، أو لموسى، أو لعيسى -عليهما السلام-، أو للكعبة، ونحو ذلك؛ فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة؛ سواء كان الذابح مسلماً، أو كافراً...، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى، والعبادة له؛ كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك؛ صار بالذبح مرتداً))[4].

وقال في موضع آخر: ((فانظر لعنه -صلى الله عليه وآله وسلم- لمن ذبح لغير الله...، وليس في ذلك إلا مجرد كون ذلك مظنة للتعظيم الذي لا ينبغي إلا لله، فما ظنك بما كان شركا بحتاً))[5].

كذلك نقل العلامة محمد بن ناصر الحازمي -رحمه الله- مقرراً كلام الشوكاني السابق ذكره في "الدر النضيد": من أن التقرب إلى غير الله مما لا

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٤٥)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) ينظر: نيل الأوطار (٨/١٥٧)، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٢١-٣٢٢)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) أخرجه مسلم؛ كتاب: الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله (٣/١٥٦٧) ح (١٩٧٨).

(٤) نيل الأوطار (٨/١٥٨).

(٥) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٢٢)؛ ضمن الفتح الرباني.

يُتصرف به إلا إلى الله؛ أنه من الشرك، ومن أمثلة هذا التقرب: بأن يتقرب لأصحاب القبور بنحر الذبائح، ونذر النذور لهم؛ لأنه يعتبر عبادة لهم، ، وأن من فعل ذلك فقد نزل الأموات منزلة الآلهة التي كان المشركون يعبدونها من دون الله عَزَّلَ[1].

وقال العلامة الحسن عاكش في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الأنعام:١٦٢]: ((﴿ وَنُسُكِي ﴾: وذبحي؛ أي: ذبيحتي، فهو مصدر بمعنى: النسيكة، وهي الذبيحة، ﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾؛ أي: خالصة لا أشرك فيها غيره))[2].

كما أوضح الشيخ البيحاني –رحمه الله– أن المسلمين متفقون ((على: أن النذر، والذبح لغير الله كفرٌ به، وأن من يفعل شيئاً من ذلك يكون مشركاً؛ إذا صدر منه عامداً عالماً بحرمته، أو أصرَّ عليه بعد نهيه عنه؛ لأنه عبادة، لا يجوز صرفها لأي معبود غير الله تعالى، وقد قال عَزَّلَ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾[الكوثر:٢]))[3].

وقال –رحمه الله–: ((قال الله –جل ذكره–: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾[البقرة:١٧٣]... .

وفي معالم التنزيل[4] قال:"﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾؛ أي: ما ذُبح للأصنام، والطواغيت، وأصل الإهلال: رفع الصوت، وكانوا إذا ذبحوا لآلهتهم يرفعون أصواتهم بذكرها، فجرى ذلك من أمرهم، حتى قيل لكل ذابح وإن لم يجهر بالتسمية مُهِل..."))[5].

---

(١) ينظر: إيقاظ الوسنان (ص٣٦).

(٢) فتح المنان؛ تحقيق السحيباني (١/٣٢٦).

(٣) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٢٧١).

(٤) (١/٢٠١).

(٥) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٢٧٤).

ثم ذكر -رحمه الله- الحديث -السابق ذكره- في النهي عن الذبح لغير الله ﷻ[1]**، ثم قال:** ((...وبذلك تعلم أن ما يصنعه الناس عند قبور الصالحين؛ من حلق رؤوس أولادهم، وسَوْقِ تلك الذبائح إلى أصحاب القبور، يتقربون بها إليهم، هو من أعظم الذنوب، وإنكاره فرض على كل مسلم موحِّد...))[2].

كذلك قرر الشيخ الوادعي -رحمه الله-: أن ((الذبح عبادة، وصرف العبادة لغير الله يعتبر شركاً، والذبيحة التي ذُبحت عند القبر تعتبر محرمة لا يجوز الأكل من لحمها، وهكذا -أيضاً- الذبيحة التي ذبحت عند شخص؛ من أجل طيبة نفسه الذي يسمى عند أناس: بالهَجَر...، إذا أخطأ على شخص؛ قالوا: اذهب واذبح عنده ثوراً، أو كبشاً، أو اذبح كذا وكذا من الغنم؛ هذه -أيضاً- ذبيحة تعتبر محرمة، ولا يجوز الأكل من لحمها))[3].

وبيَّن الشيخ محمد باشميل -رحمه الله- أن جهل الناس ((وعدم معرفتهم بحقيقة الشرك الذي كان عليه المشركون الأولون، هو الذي أوقعهم فيما لا يظنونه شركاً، وهو الشرك بعينه))[4]، ولو وقف الناس عنده وقفة تبصر، وتفهم، وتدبر، لما وُجد منتسباً إلى الإسلام ((يتوجه بدعاء، أو استغاثة، أو ذبح، أو نذر، أو غير ذلك؛ مما هو حق الله وحده، إلى غيره سبحانه وتعالى؛ من الأنبياء، ومن دونهم من الأولياء، وغيرهم))[5].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص٢٧٤-٢٧٥).

(٢) المصدر السابق (ص٢٥٧-٢٧٧).

(٣) إجابة السائل على أهم المسائل (ص٢٧٧).

(٤) كيف نفهم التوحيد (ص٢٧).

(٥) كيف نفهم التوحيد (ص٢٧).

المطلب الرابع: شرك النذر.

تقدم بيان أن النذر من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ، فصرفه لغير الله ﷻ شرك؛ كالنذور الواقعة من عُبَّاد المقابر، لمن يعتقدون فيهم من الأموات؛ تقرباً إليهم، ليقضوا لهم حاجاتهم، وليشفعوا لهم.

وقد أشار العلامة الصنعاني –رحمه الله– إلى ذلك؛ فقال: ((بل أعجب من هذا أن القبوريين، وغيرهم من الأحياء من أتباع من يعتقدون فيه، قد يجعلون له حِصَّة من الولد إن عاش، ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش لهم، ويأتون بمنكرات ما بلغ إليها المشركون الأولون.

ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور: أنه جاءه إنسان بدراهم، وحلية نسائية، وقال هذه لسيده فلان –يريد صاحب القبر– نصف مهر ابنتي؛ لأني زوجتها، وكنت ملَّكت نصف مهرها فلاناً –يريد صاحب القبر–.

وهذه النذور بالأموال، وجعل قسط منها للقبر؛ كما يجعلون شيئاً من الزرع يسمونه "تلماً" في بعض الجهات اليمنية، وهذا شيء ما بلغ إليه عُبَّاد الأصنام، وهو داخل تحت قول الله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ [النحل:٥٦]))[(١)].

وفي بيان حكم هذه النذور للمقابر؛ قال –رحمه الله–: ((قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها، يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل معصية، ويقطعون الفيافي من أدنى الأرض والأقاصي، فلا يبذل أحد من ماله شيئاً إلا معتقداً لجلب نفع أكثر منه، أو دفع ضر، فالناذر للقبر؛ ما أخرج ماله إلا لذلك، وهذا اعتقاد باطل، ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهماً، فإن الأموال عزيزة عند أهلها؛ قال تعالى: ﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ [محمد:٣٧]، فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله، وأنه لا ينفعه ما

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٦٨).

يخرجه، ولا يدفع عنه ضرراً، وقد قالﷺ: «إن النذر لا يأتي بخير، وإنما يُستخرج به من البخيل»[1]، ويجب رده إليه.

وأما القابض للنذر فإنه حرام عليه قبضه؛ لأنه أكل لمال الناذر بالباطل، لا في مقابلة شيء؛ وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[البقرة:١٨٨]؛ ولأنه تقرير للناذر على شركه، وقبح اعتقاده، ورضاه بذلك، ولا يخفى حكم الراضي بالشرك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[النساء:٤٨]... .

فأي تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت؟ وأي تدليس أعظم؟ وأي رضا بالمعصية العظمى أبلغ من هذا؟ وأي تصير لمنكر معروفاً أعجب من هذا؟ وما كانت النذور للأصنام والأوثان إلا على هذا الأسلوب، يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم، ودفع الضرر، فينذر له جزوراً من ماله، ويقاسمه في غلات أطيانه، ويأتي به إلى سدنة الأصنام فيقبضونه منه، ويوهمونه حقيقة عقيدته، وكذلك يأتي بنحيرته فينحرها بباب بيت الصنم؛ وهذه الأفعال هي التي بعث الله الرُّسل لإزالتها، ومحوها، وإتلافها، والنهي عنها))[2].

وقال في موضع آخر: ((وأما النذور المعروفة في هذه الأزمنة؛ على القبور، والمشاهد، والأموات، فلا كلام في تحريمها؛ لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع ويضر، ويجلب الخير، ويدفع الشر، ويعافي الأليم، ويشفي السقيم؛ وهذا هو الذي كان يفعله عُبَّاد الأوثان بعينه، فيحرم كما يحرم النذر على الوثن، ويحرم قبضه؛ لأنه تقرير على الشرك، ويجب النهي عنه، وإبانة أنه من أعظم المحرمات، وأنه الذي كان يفعله عُبَّاد الأصنام، لكن طال الأمد؛ حتى صار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وصارت تُعقد اللواءات لقُبَّاض النذور على الأموات، ويُجعل للقادمين إلى محل الميت الضيافات، وينحر في بابه النحائر من الأنعام، وهذا هو بعينه الذي كان

(١) تقدم تخريجه (ص٣٠٢).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٧٧-٧٨).

عليه عُبَّاد الأصنام))[1].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- في بيان النذور الشركية وحكمها: ((من نذر لغير الله؛ فقد أثبت له من خواص الإلهية لملك الضر والنفع ما لا يكون إلا لله، فإنه ما نذر شيئاً من ماله إلا معتقداً أن يجلب معه نفعاً، أو يدفع عنه ضراً، وهذا إنما هو بيدي الله، ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج له درهماً، وقد صارت النذور المحرمة في الشرع عوناً لسدنة القبور، ومن دُعاةُ الكفر، والمجاورين العاكفين عند قبور بعض المشاهد، أو غيرها؛ من المشابهين الذين قال لهم الخليل -عليه السلام-: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[الأنبياء:٥٢]، وبالذين اجتاز بهم موسى -عليه السلام- وقومه؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾[الأعراف:١٣٨]، فيأكل هؤلاء أموال الناس بالباطل، ويصدون عن سبيل الله، وقد وقر في قلوب الناذرين أن هذه النذور سبب في حصول قضاء حوائجهم، فهذا النذر هو من الإنفاق في الصد عن سبيل الله؛ لتوفير أوقات السدنة للقبور، والعاكفين عندها إلى الدعاء إلى سبيل الشيطان، وإذا كان النذر بالذبح لله بمحل أوثانهم وأعيادهم ممنوعاً[2]...؛ هذا والنذر بالذبح لله، فكيف بمن يصرف الأموال إلى من يدعوا إلى غير الله، وبمن يقبض النذور المحرمة مقرراً لأهل الكفر على كفرهم، وموهماً لهم إنما اعتقدوه حقاً، أليس هذا ممن أراد العلو في الأرض والفساد فيها))[3].

---

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٥٥٨/٢).

(٢) يدل على ذلك حديث ثابت بن الضحاك ﷺ أن رجلاً أتى النبي ﷺ؛ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال: «هل بها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟»، قالوا: لا، قال: «فهل كان بها عيد من أعيادهم»، قالوا: لا، قال: «فأوف بنذرك، فإنه لا وفاء بالنذر في معصية الله». أخرجه أبو داود؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: ما يُؤمر به من الوفاء بالنذر (٢٣٨/٣) (٢)ح (٣٣١٣). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨٧٤/٦-٨٧٥).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٠٩-١١٠).

كذلك أوضح العلامة الشوكاني -رحمه الله- أن الشيطان قد يجعل طائفة من إخوانه من بني آدم، يقفون على المقابر، فيصنعون أكاذيب مشتملة على شيء يسمونها كرامات لذلك الميت، فيخدعون من أتى إليها من جهلة الناس؛ فيقعون ((في بليَّة عظيمة من الاعتقاد الشركي، وينذرون على ذلك الميت بكرائم أموالهم، ويحبسون على قبره من أملاكهم ما هو أحبها إلى قلوبهم؛ لاعتقادهم أنهم ينالون بجاه ذلك الميت خيراً عظيماً، وأجراً كبيراً، ويعتقدون أن ذلك قربة عظيمة، وطاعة نافعة، وحسنة متقبلة، فيحصل بذلك مقصود أولئك الذين جعلهم الشيطان من إخوانه من بني آدم على ذلك القبر، فإنهم إنما فعلوا تلك الأفاعيل، وهولوا على الناس بتلك التهاويل، وكذبوا تلك الأكاذيب؛ لينالوا جانباً من الحطام من أموال الطغام الأغتام، وبهذه الذريعة الملعونة، والوسيلة الإبليسية، تكاثرت الأوقاف على القبور، وبلغت مبلغاً عظيماً؛ حتى بلغت غَلَّات ما يوقف على المشهورين منهم ما لو اجتمعت أوقافه لبلغ ما يقتاته أهل قرية كبيرة من قرى المسلمين، ولو بيعت تلك الحبائس الباطلة لأغنى الله بها طائفة عظيمة من الفقراء، وكلها من النذر في معصية الله، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا نذر في معصية الله»[1]، وهي -أيضاً- من النذر الذي لا يُبتغى به وجه الله...، بل كلها من النذور التي يستحق بها فاعلها غضب الله وسخطه؛ لأنها تفضي بصاحبها إلى ما يفضي به اعتقاد الإلهية في الأموات من تزلزل قدم الدِّين؛ إذ لا يسمح بأحب أمواله وألصقها بقلبه، إلا وقد زرع الشيطان في قلبه من محبة وتعظيم وتقديس ذلك))[2].

وقال -أيضاً- عن هذه النذور: ((ومن جملة هذه الوصايا الطاغوتية، والنذور الشيطانية: ما يفعله كثير من الناس؛ من النذور، والوصايا، على قبور الأموات؛ فإنه لا مقصد لهم بذلك إلا استجلاب الخير، واستدفاع الشر من صاحب القبر، وهو

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: النذر، باب: لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد (١٢٦٢/٣) ح (١٦٤١)؛ من حديث عمران بن حصين ﷺ.

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص١١٨-١١٩).

قد صار بين أطباق الثرى، يعجز عن نفع نفسه، فضلاً عن نفع غيره، فلا يصح شيء من ذلك، بل يتوجه على أهل الولايات صرفه في مصالح المسلمين، ويُعرِّفون الناس بقبح ما يصنعونه من ذلك، وأنه من الأمور التي لا يحل اعتقادها، وأن الضر والنفع، واستجلاب الخير، واستدفاع الشر؛ بيد الله ﷻ، ليس لغيره فيه حكم ،ولا له عليه اقتدار؛ فإن رجعوا عن ذلك وتابوا، وإلا انتقل صاحب الولاية معهم إلى ما هو أشد من ذلك، ولا يدعهم حتى يتوبوا))[1].

وقال في موضع آخر: ((وأما التقرب للأموات؛ فانظر ما يجعلونه من النذور لهم، وعلى قبورهم في كثير من المحلات، ولو طلب الواحد منهم أن يسمح بجزء من ذلك لله ﷻ لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء... .

وكذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك، وإخراج صدقة المال، والخضوع، والاستكانة؛ عبادة لله سبحانه وتعالى بلا خلاف، ومن زعم أن ثم فرقاً بين الأمرين فليهده إلينا، ومن قال إنه لم يقصد بدعاء الأموات، والنحر لهم، والنذر عليهم عبادتهم؛ فقل له: فلأي مقتض صنعت هذا الصنع؟ فإن دعائك للميت عند نزول أمر بك؛ لا يكون إلا لشيء في قلبك عبَّر عنه لسانك، فإن كنت تهذي بذكر الأموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد لك منهم؛ فأنت مصاب بعقلك، وهكذا إن كنت تنحر لله تعالى، وتنذر لله، فلأي معنى فعلت ذلك للميت، وحملته إلى قبره؟ فإن الفقراء في ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الأرض، وفعلك وأنت عاقل لا يكون إلا لمقصود قد قصدته، وأمر قد أردته، وإلا فأنت مجنون قد رفع عنك القلم، ولا نوافقك على دعوى الجنون إلا بعد صدور أفعالك وأقوالك في غير هذا على نمط أفعال المجانين، فإن كنت تصدرها مصدر أفعال العقلاء فأنت تكذب على نفسك في دعواك الجنون في هذا الفعل بخصوصه؛ فراراً أن يلزمك ما لزم عُبَّاد الأوثان؛ الذين حكى الله عنهم في كتابه العزيز ما حكاه بقوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص٢٠٣-٢٠٤).

[النعام:١٣٦]، وبقوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾[النحل:٥٦]))[١].

ثم حكم على من نذر للأموات بجزء من الأموال، أو نحر لهم بأنه: ((قد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال، فهو لم يعتقد معنى "لا إله إلا الله"، ولا عمل بها، بل خالفها اعتقاداً وعملاً، فهو في قوله: "لا إله إلا الله"؛ كاذب على نفسه، فإنه قد جعل لها إلهاً غير الله؛ يعتقد أنه يضر وينفع، وعبده بدعائه عند الشدائد، والاستغاثة به عند الحاجة، وبخضوعه له، وتعظيمه إياه، ونحر له النحائر، وقرب إليه نفائس الأموال، وليس مجرد قول: "لا إله إلا الله" من دون عمل بمعناها مثبتاً للإسلام، فإنه لو قالها أحد من أهل الجاهلية، وعكف على صنمه يعبده؛ لم يكن ذلك إسلاماً))[٢].

ونقل العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله– كلام الشوكاني –السابق ذكره– وقرره: وهو أن التقرب إلى غير الله مما لا يتصرف به إلا إلى الله ﷻ؛ أنه من الشرك، ومن أمثلة هذا التقرب: بأن يتقرب لأصحاب القبور بالنذر لهم؛ لأنه يعتبر عبادة لهم، ثم حكم على من نذر للأموات بجزء من الأموال، أو نحر لهم بأنه: قد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الأفعال[٣].

كما بيَّن الشيخ البيحاني –رحمه الله–: أن ((المسلمين متفقون على: أن النذر، والذبح لغير الله كفرٌ به، وأن من يفعل شيئاً من ذلك يكون مشركاً، إذا صدر منه عامداً عالماً بحرمته، أو أصرَّ عليه بعد نهيه عنه؛ لأنه عبادة لا يجوز صرفها لأي معبود غير الله تعالى))[٤].

وأوضح في موضع آخر: أن ((من ذبح، أو حلق، أو قصَّر، أو نذر، أو ركع، أو سجد لغير الله، أو حلف بمخلوق يعظمه، أو سأل حاجاته من الميت؛ كأن

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٤٠-٣٤٥)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) المصدر السابق (١/٣٤٥).

(٣) ينظر: إيقاظ الوسنان (ص٣٦).

(٤) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٢٧١).

يطلب منه الولد، أو دعاه، أو ناداه، أو استغاث، أو استعان به في أمر لا يقدر عليه؛ فقد أشرك، وجعل لله نداً: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١١٦]))[١].

وأن النبي ﷺ: ((نهى الناس عن عبادة الأوثان، والتقرب إليها بالنذر، والذبح، ومختلف أنواع العبادة))[٢].

وقال -رحمه الله- في موضع آخر: ((من نذر نسيكة يذبحها، أو أن يحلق رأس ابنه بين يدي ولي الله فلان بن فلان؛ فنذره معصية، ولا يجوز الوفاء به، ولا شيء عليه بتركه.

ومن الشر ما يقع من النذور لأصحاب القبور بالزيت والبخور، وكسوة التابوت، وعمارة القبة إذا أسبغ الله على عبده النعمة، أو صرف عنه النقمة، والنذر لا يكون إلا لله، ومصرفة الفقراء والمساكين وجهات الخير))[٣].

وأوضح في موضع آخر: أنه ((لو علم الناذر أن نذره سيُصرف في شيء من معصية الله؛ كان حراماً عليه، و لا يلزمه الوفاء به؛ كالنذر للقبور التي يقع في أيدي السدنة يتمتعون به في معاصي الله، ويصرفونه في الحانات، وبيوت الدعارة، وعلى المطربين، وفي شراء الملاهي، أما إذا كان لسدِّ حاجة الفقراء، وعلاج المرضى، ومساعدة البؤساء، وعمارة المساجد بالماء، والنور، والفرش، والإنفاق على الأئمة والمؤذنين، وبناء المدارس، والمنقطعين للعلم والتعليم، فأمرٌ حسنٌ، وعبادةٌ مرضيةٌ...، ولو أن تلك الأموال الكثيرة، والنذور التي تساق إلى صناديق القبور، وبيوت السدنة؛ لتسريج القباب، وزخرفة التوابيت، والثياب الملونة الغالية، وجلود الطبول، ونواقيس

(١) إصلاح المجتمع (ص٦٨).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٦٧).

(٣) إصلاح المجتمع (ص٣٥٣).

الأعلام؛ تُصْرَفُ في مساعدة المنكوبين، وعمارة المساجد، وبناء المستشفيات والمدارس، وملاجئ العجزة؛ لكان ذلك عند الله أفضل، وإليه أحب))[1].

كذلك قرر الشيخ الوادعي –رحمه الله–: أن النذر للقبور: ((نذر باطل، معصية لا يجوز الوفاء به، ولا يحل أن يستلمه أحد؛ لأن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–: نهى عن النذر؛ وقال: «إنه لا يأتي بخير، ولكن يستخرج به من البخيل»[2]، وإن كان هذا أعم من الدعوى، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾[البقرة:٢٧٠]، ويقول في مدح الموفين بالنذر –مما يدل على أنه عبادة–: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧]، وامرأة عمران تقول: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾[آل عمران:٣٥]، فنذرت لله، ... النذر يكون لله ﷻ، وأما النذر، وكذلك الخوف من الميت إذا لم ينذر له، أو إذا ظن أنه إذا نذر له سيعطيه الأولاد أو يفرج عنه الكرب؛ هذا يعتبر شركاً))[3].

وبيَّن الشيخ محمد باشميل –رحمه الله–: أن جهل الناس ((وعدم معرفتهم بحقيقة الشرك الذي كان عليه المشركون الأولون، هو الذي أوقعهم فيما لا يظنونه شركاً، وهو الشرك بعينه))[4]، ولو وقف الناس عنده وقفة تبصر وتفهم وتدبر، لما وُجد منتسباً إلى الإسلام ((يتوجه بدعاء، أو استغاثة، أو ذبح، أو نذر، أو غير ذلك مما هو حق الله وحده إلى غيره سبحانه وتعالى؛ من الأنبياء، ومن دونهم؛ من الأولياء، وغيرهم))[5].

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٩٢-٤٩٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٠٢).

(٣) إجابة السائل على أهم المسائل (ص١٩٥).

(٤) كيف نفهم التوحيد (ص٢٧).

(٥) المصدر السابق (ص٢٧).

المطلب الخامس: شرك السحر.

السحر من الأعمال المحرمة التي تنافي التوحيد، وهو محاداة لله ورسوله ﷺ.

والسحر في اللغة: يطلق على ما لطف ودق وخفي سببه.

وأصل السحر: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، وسحره؛ بمعنى: خدعه، وسحره بكلامه: استماله برقته، وحسن تركيبه[(١)].

وأما في الاصطلاح: فإن ((السحر اسم جامع لمعان مختلفة))[(٢)]، فهو ((لا يمكن حده بحد جامع مانع؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها، مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متبايناً))[(٣)].

ومن التعريفات التي ذكرها أهل العلم:

ما ذكره ابن قدامة -رحمه الله- بقوله: ((السحر: عزائم، ورقى، وعقد؛ تؤثر في الأبدان والقلوب؛ فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه))[(٤)].

وعرفه ابن العربي[(٥)] -رحمه الله- بقوله: ((وحقيقته أنه كلام مؤلف، يعظم به

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٤/١٦٩-١٧١)، والصحاح (٢/٦٧٩)، ولسان العرب (٤/٣٤٨)، والقاموس المحيط (ص٤٠٥).

(٢) الأم (١/٢٩٣).

(٣) أضواء البيان؛ للشنقيطي (٤/٤١).

(٤) الكافي؛ لابن قدامه (٤/٦٤).

(٥) هو: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، الأندلسي، الأشبيلي، المشهور بابن العربي، الإمام، الحافظ، له مصنفات؛ منها: أحكام القرآن، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة ٥٤٣هـ. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان (٤/٢٩٦- ٢٩٧)، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (١١/٨٣٤).

غير الله تعالى، وتنيب إليه فيه المقادير والكائنات))[١].

وقد تطرق علماء اليمن -رحمهم الله- لبيان معنى السحر:

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((في النهاية[٢]: "السِّحر في كلامهم: صرف الشيء عن وجهه"، وفي "الكشاف": "علم السحر: مزاولة النفوس الخبيثة لأقوال وأفعال؛ ترتب عليها أمور خارقة للعادة"...))[٣].

كذلك أوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- أن السحر: عزائم وعقد يُنفث فيها؛ حيث قال: ((باب من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر؛ قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾[الفلق:٤]، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من عقد عقدة ثم نفث فيها؛ فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه»[٤]...))[٥].

كذلك أوضح العلامة الشوكاني -رحمه الله-: أن السِّحر: ((مشتق: من سحرت الصبي؛ إذا خدعته، وقيل: أصله الخفاء، فإن الساحر يفعله خِفية، وقيل أصله الصَّرف؛ لأن السِّحر مصروف عن جهته، وقيل: أصله الاستمالة؛ لأن من سحرك؛ فقد استمالك.

وقال الجوهري[٦]: "السِّحر: الأُخذَة، وكل ما لطُف مأخذه ودقَّ فهو سحر. سحر. وقد سَحَره يَسحَرُه سِحْراً، والساحر: العالم، وسَحره -أيضاً- بمعنى: خدعه"[١]))[٢].

---

(١) أحكام القرآن (٤٨/١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٤٦/٢).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٣٤٣/١).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى؛ كتاب: المحاربة، باب: الحكم في السحرة (٤٤٩/٣) ح (٣٥٢٨). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٨٢٢/١).

(٥) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٦١).

(٦) هو: أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي الأُتراري، إمام اللغة، مصنِّف "الصحاح"، توفي سنة

وقال في بيان معناه: ((والسحر: هو ما يفعله الساحر؛ من الحيل، والتخيلات؛ التي تحصل بسببها للمسحور ما يحصل من الخواطر الفاسدة، الشبيهة بما يقع لمن يرى السراب؛ فيظنه ماء، وما يظنه راكب السفينة، أو الدابة؛ من أن الجبال تسير))[3].

وفسر العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾[الفلق:٤]: ((أي: من شر النفوس، أو النساء السواحر؛ اللاتي يعقدن في خيوط، وينفثن عليها...))[4].

وقال في تعريف النَّفث: ((نفخ لطيف يصحبه شيء من الريق يسير، وقيل: لا ريق معه))[5].

كذلك تطرق علماء اليمن -رحمهم الله- لمسألة السحر من جوانب أخرى؛ ومنها:

أولاً: بيان حقيقة السحر.

سنة ٣٩٣هـ، وقيل: سنة ٤٠٠هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٥٢٦/١٢).

(١) الصحاح (٦٧٩/٢).

(٢) فتح القدير (١٣٩/١).

(٣) المصدر السابق (١٣٩/١).

(٤) فتح المنان؛ تحقيق: وفاء الزعقاني (ص١٢٢٠).

(٥) المصدر السابق، والموضع نفسه.

قرر العلامة الصنعاني -رحمه الله-: أن ((للسحر حقيقة؛ وإليه ذهب أئمة التحقيق، وخالف فيه جماعة، وقالوا: لا حقيقة له))[(١)].

وأوضح: أن ((ما عُرف من الآثار أنه حقيقة، فإنه يجب أن يعلم أنه بإذن الله وخلقه، لا بسحر الساحر))[(٢)].

وذكر في موضع آخر: أن السحر ((أنواع، وتعلمه ليس بالعسير، بل بابه الأعظم هو الكفر بالله، وإهانة ما عظمه الله؛ من جعل مصحف في كنيف، ونحوه، فلا يغتر من يشاهد ما يعظم في عينيه؛ من أحوال المجاذيب من الأمور التي يراها خوارق، فإن للسحر تأثيراً عظيماً في الأفعال، وهكذا الذين يقلبون الأعيان بالأسحار، وغيرها، وقد ملأ سحرة فرعون الوادي بالثعابين والحيات، حتى أوجس في نفسه خيفة موسى -عليه السلام-، وقد وصفه الله بأنه سحر عظيم))[(٣)].

ثم ذكر -رحمه الله- بعض الوقائع التي تؤكد حقيقة السحر[(٤)]؛ ومنها: ما أخرجه البيهقي[(٥)] في "السنن الكبرى"[(١)]: ((أن الوليد بن عقبة[(٢)] كان في العراق

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١/٣٠٠).

(٢) المصدر السابق (٥/٢٢١).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٨٧-٨٨).

(٤) ينظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٨٨-٩٠).

(٥) هو: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الخراساني، الحافظ، العلامة،

يلعب بين يديه ساحر، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به، فيقوم صارخاً، فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله! يحيي الموتى! ورآه رجل من صالحي المهاجرين(٣)، فلما كان من الغد اشتمل على سيفه، فذهب يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه، وقال: إن كان صادقاً فليحي نفسه! فأمر به الوليد ديناراً صاحب السجن فسجنه"...))(٤)

ثم قال: ((والأحوال الشيطانية لا تنحصر، وكفى بما يأتي به الدجال، والمعيار إتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما))(٥).

الفقيه، له مصنفات؛ منها: السنن الكبرى، ودلائل النبوة، توفي سنة ٤٥٨هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٨/١٦٣-١٧٠)، والوافي بالوفيات (٦/٢١٩-٢٢٠).

(١) (٨/٢٣٤) برقم (١٦٥٠٢).

(٢) هو: أبو وهب الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، أسلم يوم الفتح، ووُلي الكوفة في عهد عثمان ﷺ، ثم أقام بالرقَّة حتى توفي بها. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى (٦/١٠١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٥٥٢-١٥٥٦).

(٣) هو جندب بن عبد الله ﷺ؛ كما سيأتي بيانه بعد قليل.

(٤) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٨٩-٩٠).

(٥) المصدر السابق (ص٩٠).

وقال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((وقد اختلف هل له حقيقة أم لا؟ فذهبت المعتزلة[1]، وأبو حنيفة[2]؛ إلى أنه خدع، لا أصل له، ولا حقيقة، وذهب من عداهم؛ إلى أن له حقيقة مؤثرة، وقد صح[3] أن النبي ﷺ سُحر، سَحره ....

لبيد بن الأعصم[1] اليهودي، حتى كان يخيل إليه أنه يأتي الشيء، ولم يكن قد أتاه، ثم شفاه الله سبحانه))[2].

---

(١) ينظر مثلاً: الكشاف (١/١٧٣).

(٢) لم أقف على كلام لأبي حنيفة في ذلك، وقد قال الملا علي القاري أحد أعلام الحنفية في شرحه لكتاب الفقه الأكبر (ص٢٢٠): ((إن السحر والعين حق عندنا خلافاً للمعتزلة))، ومن المنكرين لحقيقة السحر: أبو جعفر الأستراباذي من الشافعية، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم الظاهري، وطائفة. ينظر: فتح الباري (١٠/٢٣٣).

(٣) يُشير إلى حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان»، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: «يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء، أو كأن رءوس نخلها رءوس الشياطين»، قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شراً» فأمر بها فدفنت. أخرجه البخاري؛ كتاب: الطب، باب: السحر (٧/١٣٦) ح (٥٧٦٣)، ومسلم؛ كتاب: السلام، باب: السحر (٤/١٧١٩) ح (٢١٨٩).

ثم قرر –رحمه الله– أن للسحر حقيقة وتأثير بإذن الله ﷻ؛ حيث قال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ﴾[البقرة:١٠٢]: ((إسناد التفريق إلى السحرة، وجعل السحر سبباً لذلك؛ دليل على أن للسحر تأثيراً في القلوب؛ بالحب، والبغض، والجمع والفرقة، والقرب والبعد، وقد ذهبت طائفة من العلماء: إلى أن الساحر لا يقدر على أكثر مما أخبر الله به من التفرقة؛ لأن الله ذكر ذلك في معرض الذم للسحر، وبين ما هو الغاية في تعليمه، فلو كان يقدر على أكثر من ذلك لذكره، وقالت طائفة أخرى: إن ذلك خرج مخرج الأغلب، وأن الساحر يقدر على غير ذلك المنصوص عليه.

وقيل: ليس للسحر تأثير في نفسه أصلاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾، والحق أنه لا تنافي بين قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ﴾، وبين قوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾، فإن المستفاد من جميع ذلك: أن للسحر تأثيراً في نفسه، ولكنه لا يؤثر ضرراً إلا فيمن أذن الله بتأثيره فيه، وقد أجمع أهل العلم على أن له تأثيراً في نفسه، وحقيقة ثابتة، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة وأبو حنيفة))[٣].

كما استدل –رحمه الله– بحديث عائشة رضي الله عنها المتقدم ذكره على إثبات حقيقة السحر؛ حيث قال معلقاً عليه نقلاً عن المازري[٤] على وجه التقرير:

---

(١) هو لبيد بن الأعصم، من يهود بني زُريق، وقيل: هو حليف لبني زريق ولم يكن يهودياً بل كان منافقاً، وبنو زريق بطن من الأنصار مشهور من الخزرج، وكان بينهم وبين اليهود قبل الإسلام حلف وإخاء. ينظر: فتح الباري (١٠/٢٢٦).

(٢) فتح القدير (١/١٣٩).

(٣) المصدر السابق (١/١٤٠-١٤١)، وينظر: نيل الأوطار (٧/٢١١).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي، الإمام، العلامة، له مصنفات؛ منها: المعلم بفوائد شرح مسلم، وإيضاح المحصول في الأصول، توفي سنة

((مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة: إثبات السحر، وأن له حقيقة؛ كحقيقة غيره من الأشياء، خلافاً لمن أنكر ذلك، وأنكر حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له، وهذا الحديث -أيضاً- مصرح بإثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت، وهذا كله يبطل ما قالوه، فإحالة كونه من الحقائق محال.

ولا يُستنكر في العقل أن الله سبحانه يخرق العادة عند النطق بكلام، أو تركيب أجسام، أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها: قاتلة؛ كالسموم، ومنها: مسقمة؛ كالأدوية الحادة، ومنها: مضرة؛ كالأدوية المضادة للمرض؛ لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة، أو كلام مهلك، أو مؤد إلى التفرقة.

قال: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر، فزعم أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع.

قال: وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل، لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل))[1]. **كذلك قرر العلامة الحسن عاكش -رحمه الله-** حقيقة وتأثير السحر؛ واستدل على ذلك بقصة سحر النبي ﷺ بما ثبت في حديث عائشة -رضي الله عنها- المتقدم ذكره[2].

وما أصاب رسول الله ﷺ من السحر، وانحلال العقد منه، -وإن كان ما أصابه على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده- دليل على حقيقته وتأثيره.

وفسر -رحمه الله- قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ

٥٣٦هـ. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان (٤/٢٨٥)، وسير أعلام النبلاء (١٤/٤٨٢).

(١) نيل الأوطار (٧/٢١١)، وينظر: المعلم بفوائد مسلم؛ للمازري (٣/١٥٨-١٥٩).

(٢) ينظر :فتح المنان؛ تحقيق: وفاء الزعقاني (ص١٢٢٠).

﴿ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾[البقرة:١٠٢]؛ بقوله: ((بأنه يحدث بينهما التباغض والفرقة والنشوز عندما فعلوا ما فعلوا من السحر؛ حسبما جرت به العادة الإلهية ابتلاءً))[١]، مما يدل على أن له حقيقة وتأثيراً بعد إذن الله وقضائه.

كذلك أورد الشيخ الوادعي -رحمه الله- اختلاف الناس في السحر: هل هو حقيقة، أم خيال؛ فذكر -رحمه الله-[٢] أن المعتزلة وغيرهم: ذهبوا إلى أنه لا حقيقة للسحر[٣]، وأنهم أحتجوا بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[طه:٦٦]، وبقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف:١١٦].

وذهب أهل السنَّة إلى أن السّحر له حقيقة وله تأثير بإذن الله ورجح الشيخ الوادعي-رحمه الله- ما ذهب إليه أهل السنَّة، واستدلَّ على ذلك بالقرآن، ونقل كلام الإمام القرطبي في ذلك، فبعد ما ساق الإمام القرطبي-رحمه لله- أدلة المعتزلة التي استدلوا بها على أن السّحر خيال لا حقيقه؛ مثل قوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾، **وقوله تعالى:** ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾، **قال:** ((وهذا لا حجة فيه؛ لأنا لا ننكر أن يكون التخييل، وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوَّزها العقل،

وورد بها السمع؛ فمن ذلك ما جاء في هذه الآية[٤] من ذكر السّحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة؛ لم يمكن تعليمه ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس فدل على أن له حقيقة، وقوله تعالى في قصة سحرة فرعون: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ

---

(١) المصدر السابق؛ تحقيق: الدريبي (١/٣٥٥).

(٢) ينظر: ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر؛ للشيخ الوادعي (ص٩-١٠).

(٣) قال ذلك الزمخشري المعتزلي في الكشاف (٢/١٠٣) وقد رد عليه ابن المنير في حاشية الكتاب المذكور، وبين خطأ هذا القول، وأوضح معتقد أهل السنة والجماعة. وينظر: بدائع الفوائد (٢/٢٢٧).

(٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢].

﴾[الأعراف:١١٦]، وسورة الفلق مع اتفاق المفسرين[١] على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم، وهو مما خرّجه البخاري ومسلم...، عن عائشة – رضي الله عنها– قالت: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زُريق، يقال له لبيد بن الأعصم... الحديث، وفيه أن النبي ﷺ لما حل السحر قال: «إنَّ الله شفاني»[٢]؛ والشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض، فدل على أن له حقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه، وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحُثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق.

ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان، وتكلَّم الناس فيه ولم يُبْدَ من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله...))[٣].

قلت: ولفظ حديث السِّحر، تقدم ذكره.

أمَّا ما زعمه المنكرون للحديث[٤] من أن سحر النبي ﷺ يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، فهو زعم باطل؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل؛ كما تقدم بيان العلامة الشوكاني –رحمه الله– لذلك.

ولأن السحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً –أصابه في بدنه– شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك، ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز

---

(١) ينظر مثلاً: تفسير البغوي (٣٣٣/٥)، وتفسير القرطبي (٢٥٣/٢٠).

(٢) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٣) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص٩-١٠)، وينظر: تفسير القرطبي (٣٢/٢-٣٣).

(٤) من المنكرين من أهل السنة: أبو بكر الجصاص في تفسيره "أحكام القرآن" (٦٠/١) ومن المعاصرين سيد قطب في كتابه ظلال القرآن" (٤٠٠٨/٦)، ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا. ينظر: ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص٥-٨).

على الأنبياء[1]؛ لأنهم بشر، وجانب البشرية فيه عرضة للسقم والمرض والمحن والشدائد كما لا يخفى.

وقد جمع الشيخ الوادعي -رحمه الله- في كتابه "ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر" طرق الحديث؛ وذكر رواته وشواهده وتكلم عليه بما فيه الكفاية، ونقل فيه ردود أهل العلم على هذا الزعم الباطل، ، وفيما يلي بيان لبعض ما نقله باختصار:

نقل الشيخ -رحمه الله- عن الإمام ابن قتيبة[2] قوله في منكر السِّحر: ((ونحن نقول: إن الذي يذهب إلى هذا، مخالف للمسلمين واليهود والنصارى، وجميع أهل الكتب ومخالف للأمم كلها))[3].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/٢٥٠).

(٢) هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، خطيب أهل السنة وأحد أئمة السلف، له عدة مصنفات؛ منها: تفسير غريب القرآن، وتأويل مختلف الحديث، وغيرها، توفي سنة ٢٧٦هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٦)، وشذرات الذهب (٢/١٦٩).

(٣) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص١١٤)، (ص١١٥-١٢٢)، وينظر: تأويل مختلف الحديث؛ لابن قتيبة (ص١٧٩).

ونقل -رحمه الله- أيضاً عن القاضي عياض[1] قوله في مَنْ رد حديث السِّحر: ((... فاعلم -وفقنا الله وإياك- أنَّ هذا الحديث صحيح، متفق عليه، وقد طعنت فيه الملحدة وتذرَّعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها، إلى التشكيك في الشرع، وقد نزَّه الله الشرع والنبي عما يُدخل في أمره لبساً، وإنما السحر مرضٌ من الأمراض وعارضٌ من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته.

وأمَّا ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه لقيام الدليل، والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طُرُوْءُهُ عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها، ولا فُضِّل من أجلها، وهو فيها عرضةٌ للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها مالا حقيقة له، ثم ينجلي عنه كما كان...، وقد قيل: إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله، لكنه تخييل لا يعتقد صحته، فتكون اعتقاداته كلها على السداد، وأقواله على الصحة... .

فقد استبان لك... أن السّحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله، وأنه إنما أثَّر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه، وأضعف جسمه وأمرضه...))[2].

وقد نقل الشيخ -رحمه الله- نقولات كثيرة عن أهل العلم في الرد على الطاعنين في حديث السحر وأكتفي بما ذكرته طلباً للاختصار.

كما ذكر الشيخ -رحمه الله- شبهة للمنكرين حديث السِّحر، فقال:

---

(١) هو: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، المشهور بالقاضي، من أئمة المالكية وعلمائهم، له عدة مصنفات؛ منها: إكمال المعلم بفوائد مسلم، الشفا في حقوق المصطفى، وغيرها، توفي سنة ٥٤٤هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠)، وشذرات الذهب (١٣٨/٤).

(٢) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص١٢٣-١٢٥)، (ص١٢٦-١٤٠)، وينظر: الشفاء (٨٦٤/٢-٨٦٦).

((هذه الشبهة أن بعض المعاصرين ممن جمع بين بدعة الخوارج وبدعة المعتزلة، سمعته يستدل على دفع حديث السحر بقوله الله ﷻ: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[الإسراء:٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[الفرقان:٨].

قال: فلو قلنا بصحة الحديث لوافقنا المشركين في هذه الدعوى))[1].

ثم أجاب الشيخ -رحمه الله- عن هذه الشبهة، فقال: ((وليست هذه بأول انهزامية للمعاصرين أمام أهل الباطل، وما أكثر المعجزات التي أنكروها؛ لأن عقول أعداء الإسلام لا تتقبلها، وما أكثر الأحكام التي حرفوها أو ردوها؛ لأنها لا تتمشى مع ما عليه المجتمع، وما أُتي هذا القائل المسكين إلا من قبل نفسه، إذ قد نبذ المسكين كلام الصحابة، وكلام أهل التفسير، وكلام الفقهاء، وكلام المحدثين، وزعم أنه يعتمد على نفسه وهو جاهل باللغة العربية وبغيرها من الوسائل، ولسنا ندعوه إلى تقليد هؤلاء الأئمة -رحمهم الله-، ولكن إلى الاستفادة من فهمهم، وإلا فالتقليد في الدِّين محرم...))[2].

ثم شرع -رحمه الله- في ذكر كلام بعض المفسِّرين حول هذه الآية كالحافظ ابن كثير والإمام الشوكاني -رحمهما الله جميعاً-، فقال -رحمه الله-: ((قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في الكلام على قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[الفرقان:٨]، قال الله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟﴾[الفرقان:٩]: "أي: جاءوا بما يقذفونك به، ويكذبون به عليك من قولهم: ساحر، مسحور، مجنون، كذاب، شاعر، وكلها أقوال باطلة، كل أحد ممن له أدنى فهم وعقل؛ يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك"[3]))[4].

ونقل -رحمه الله- كلام الإمام الشوكاني حول هذه الآية، فقال: ((وقال

---

(١) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص٤٦-٤٧).

(٢) المصدر السابق (ص٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٣١٠).

(٤) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص٤٧).

الشوكاني –رحمه الله–: "أي: ما تتبعون إلا رجلاً مغلوباً على عقله بالسِّحر، وقيل: ذا سحر، وهي الرئة؛ أي: بشر له رئة لا ملك"[1]))[2].

ثم قال الشيخ الوادعي –رحمه الله– بعد ذلك: ((وهذا الحديث الصحيح يهدم على المبتدعة عقيدتهم؛ أن السحر ليس بحقيقة، ولكنه تخيُّل، فلذلك هم يحاولون التشكيك فيه وفي غيره من السنن التي تخالف أهواءهم، فباءوا بالخزي، وتمت كلمة ربك هي العليا، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩]))[3].

وقال أيضاً –رحمه الله–: ((واحتج بعضهم بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[المائدة:٦٧].

وهذا شأن من لا يرجع إلى كتب التفسير، ولا يدري المتقدم من المتأخر فهذه الآية من آخر ما أُنزل، كما ذكره الحافظ ابن كثير[4]، فقد سُحر النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم –، وكُسرت رَبَاعِيَتُه، وشُج رأسه[5] قبل نزولها، ثم إن المراد: يعصمك من القتل والأسر والتلف، وإلا فهو –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– بأبي وأمي– بشر يجري عليه ما يجري على البشر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الكهف:١١٠]))[6].

---

(١) فتح القدير (٦٣/٤).

(٢) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص٤٨).

(٣) المصدر السابق (ص٤٨).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (١٥٤/٣).

(٥) كما جاء في حديث أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ كُسرت رَبَاعِيَته يوم أحد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلُتُ الدم عنه، ويقول: «كيف يُفلح قوم شَجُّوا نبيهم، وكسّروا رَبَاعِيَتَهُ، وهو يدعوهم إلى الله»؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨]. أخرجه مسلم؛ كتاب: الجهاد والسِّير، باب: غزوة أحد (١٤١٧/٣) ح (١٧٩١).

(٦) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر (ص٤٩).

ثانياً: بيان حكم الساحر وتعلم السحر وتعليمه:

قال العلامة الشوكاني –رحمه الله– في بيان حكم الساحر: ((لا شك أن من تعلم السحر بعد إسلامه؛ كان بفعل السحر كافراً مرتداً))[1].

وفصَّل العلامة المعلمي –رحمه الله– القول في حكم السِّحر، وحكم تعليمه وتعلمه، فقال: ((إذا كان في السحر عبادة لغير الله تعالى، أو كذب عليه ﷻ، أو تكذيب بآياته؛ فلا شبهة في التكفير، وربما لا يخلو السِّحر عن ذلك... .

وتعليمه وتعلُّمه؛ إن كانا بمباشرة الشرك، أو مع اعتقاد الكفر؛ فكلاهما كفر، وذلك كأن يباشر المعلم والمتعلم الأعمال الشركية، كأن يلبسا اللباس الخاص بزُحل، ويبخِّرا ببخوره، ويقْعُدا يدعوانه ويعظمانه، أو يقرِّبا القربان المخصوص بالجنِّ، ويقعدا يدعوان الجنِّ، أو اعتقدا أن تعظيم الكواكب جائز، أو أن تعظيم الملائكة يحملهم على نفع المعظِّم، وقِس على ذلك.

وإن لم يكن إلا ذكر الصفة وسماعُها؛ فليس في ذلك كفر، لكن إذا عَلِم الواصف أن السامع يريد العمل فلا شك أنه لا يجوز له حينئذٍ الوصف، بل ربما يكفر به، فإن كان راضياً بأن يعمل السامع؛ فلا شك في كفره، والله أعلم.

وكذلك إذا خاف الإنسان من نفسه أنه إذا علم الصفة نازعته نفسه إلى العمل بها؛ فإنه لا يجوز له استماع الصفة، فأما إذا كان عازماً على العمل، فهذا العزم كفر، ويظهر لي أن مجرد ذكر الصفة مع ظنِّ الواصف أن السامع لا يريد العمل لا يصْدُقُ عليه أنه تعليم، وكذلك مجرد استماع الصفة مع عدم إرادة السامع العمل لا يُسمى تعلماً، فتدبر.

وأما السحر الذي ليس فيه عبادة لغير الله تعالى ولا كذب عليه سبحانه ولا تكذيب بآياته ففيه نظر))[2].

ثم بيَّن –رحمه الله–: أنه ((قد أطلق الإمام مالك وجماعة سواه الكفر على

---

(١)

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٩٨٠-٩٨١).

الساحر، وأن السحر كفر، وأن تعلمه وتعليمه كفر كذلك، وأن الساحر يُقتل ولا يستتاب؛ سواء سحر مسلماً، أم ذمياً؛ كالزنديق[1]... .

وقالت الحنفية[2]: إن اعتقد أن الشياطين تفعل له ما شاء؛ فهو كافر، وإن اعتقد أنه تخييل وتمويه لم يكفر.

وقال الشافعية[3] -رضي الله عنهم-: يصفه؛ فإن وجدنا فيه كفراً؛ كالتقرب للكواكب، ويعتقد أنها تفعل فيلتمس منها؛ فهو كفر، وإن لم نجد فيه كفراً، فإن اعتقد إباحته؛ فهو كفر...))[4].

وقال الشيخ علي أحمد باصبرين -رحمه الله-: ((العلم؛ منه المحرم قطعاً؛ كتعلم السحر، والكهانة، وكل موهم الاطلاع على الغيب))[5].

وقال -رحمه الله-: ((تعلم السحر، والكهانة، والتنجيم، والرمل، وما يُوهم الاطلاع على الغيب؛ حرام ممنوع العمل به والاحتراز عنه))[6].

وقال الشيخ البيحاني -رحمه الله-: ((وفي السحر جمع بين الكفر والإضرار بالناس؛ لما يتوهم بسببه العامة، والدهماء من قدرة الساحر على ما يريد، واستطاعته أن يتصرف في ملك الله بغير إذنه، ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾[البقرة:١٠٢].

وقد يتأثر الضعيف بهذه التخيلات؛ فيمرض، أو يموت؛ متى قيل له أن فلاناً قد سحرك، أو خبأ لك الزرع... .

---

(١) ينظر: النوادر والزيادات؛ للقيرواني (١٤/٥٣٢).

(٢) ينظر: فتح القدير؛ لابن الهمام (٦/٩٩).

(٣) ينظر: روضة الطالبين؛ للنووي (٩/٣٤٦).

(٤) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٩٧٥-٩٧٦).

(٥) المهمات الدينية (ص٤٤).

(٦) المصدر السابق (ص٩٥).

وأمر عمر بن الخطاب ﷺ بقتل السحرة[(١)]، وقتلت أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها– جارية لها ساحرة[(٢)]، وقتل جندب بن عبد الله[(٣)] ساحراً كان يلعب عند الوليد بن عقبة، يقطع رأس الرجل، ثم يدعوه فيأتيه حياً[(٤)]، وأكثر من يتعلم السحر، السحر، ويشتغل به اليهود وكفار الهنود، ويأتون من ذلك بالأعاجيب، والقصص والأخبار عن السحرة كثيرة، ويعرفها الناس في الشرق والغرب، وهي وإن كانت موجودة بكثرة في أوروبا وأمريكا، فالمصدقون بها هنالك قليلون، ونحن هنا ما نزال مشغولون بالتخيلات والخرافات الوهمية، ومن أتى كاهناً أو ساحراً؛ فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد، وللسحر تأثير لا يُنكر، ولكنه في الضعفاء أكثر وأظهر.

قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢].

والله خالق الخير والشر، والشقي من تسبب في الضرر، وجرى على يديه،

---

(١) حيث جاء عن بجالة بن عبدة أنه قال: ((كتب عمر بن الخطاب ﷺ أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر)). أخرجه أحمد في مسنده (١/١٩٠-١٩١) ح (١٦٥٧)، وأبو داود؛ كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: في أخذ الجزية من المجوس (٣/١٦٨) ح (٣٠٤٣). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢/٥٨٩).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/١٣٦)، ومالك في الموطأ (٢/٨٧١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢٨٠-٢٨١): ((رواه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين، وهي ضعيفة، وبقية رجاله ثقات)).

(٣) هو: أبو عبد الله جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، صحابي جليل، سكن الكوفة ثم البصرة، وله عدة أحاديث، توفي في حدود سنة ٧٠هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/٢٥٦-٢٥٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/٦٣١-٦١٤).

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل.

والعبد مسؤول عن أفعال نفسه؛ لأنه مختار، والله تعالى هو الفاعل المطلق))[(١)].

كما أوضح الشيخ الوادعي –رحمه الله– أن السّحر من أكبر الكبائر، وأن الصحيح هو القول بكفر الساحر؛ واستدلّ بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢]، وأن الإمام الشافعي –رحمه الله– فصَّل في هذه المسألة فقال: ((إذا تعلم السِّحر قلنا له: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يوجب الكفر؛ مثل ما في سحر أهل بابل من التقرب للكواكب، وأنها تفعل ما يطلب منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر؛ فإن المعتقد إباحته فهو كافر، وإلا فلا))[(٢)].

وسئل –رحمه الله– في موضع آخر عن حجة الشافعي في عدم تكفير الساحر؟

فأجاب –رحمه الله–: ((لعله يحتج بنحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء:١١٦]، وهو لم يقل هذا مطلقاً، يقول: صف لنا سحرك، فإن كان وصف كفراً كفره، وإن كان غير كفر لا يكفره[(٣)]، لكنه لا يستطيع أن يتعلم السحر إلا بالكفر، والله المستعان))[(٤)].

وقد سلك الشيخ الوادعي –رحمه الله– مسلك الجمهور القائلين بأن السحر كفر مطلقاً، وأن الساحر كافر خارج عن الملة[(٥)].

---

(١) إصلاح المجتمع (٦٩–٧٠).

(٢) قمع المعاند؛ للوادعي (٣٧/١)، وينظر: المخرج من الفتنة (ص١٩٧)، وينظر أيضاً: كلام الشافعي مفصلاً في الأم (٢٥٦/١-٢٥٧)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١٧٦/١٤)، والمغني (٣٠٠/١٢)، وتيسير العزيز الحميد (ص٣٨٤)، وكتاب الدين الخالص (٣٢٢/٢).

(٣) ينظر: كلام الشافعي مفصلاً في الأم (٢٥٦/١-٢٥٧).

(٤) قمع المعاند (٣٨/١)، وينظر: غارة الأشرطة (٣٩٧/١).

(٥) ينظر: قمع المعاند (٣٧/١)، وينظر: حاشية ابن عابدين (٢٤٠/٤)، وحاشية الخرشي على مختصر خليل (٨٣/٨)، وشرح منتهى الإرادات؛ للبهوتي (٣٩٤/٣).

والحق أنه لا منافاة بين القولين؛ إذ الجمهور حينما حكموا على السحر بأنه كفر، وقالوا بكفر الساحر مطلقاً دون تفصيل؛ نظروا إلى السحر بمعناه الشرعي، والشافعية حينما فصلوا في حكم السحر، وجعلوا منه ما هو كفر ومنه ما هو كبيرة، وفصلوا في حكم الساحر بناء على ذلك؛ نظروا إلى السحر بمعناه اللغوي.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله -رحمه الله-: ((عند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يكفر؛ لظنه أنه يتأتى بدون الشرك، وليس كذلك، بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشياطين والكواكب، ولهذا سماه الله كفراً في قوله: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[البقرة:١٠٢].

وأمَّا سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحراً فعلى سبيل المجاز، كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً، ولكنه يكون حراماً لمضرته، يعزز من فعله تعزيراً بليغاً))[1].

كذلك بيَّن الشيخ الوادعي -رحمه الله- حكم تعلُّم السحر؛ فقال: ((وتعلُّم السحر كفر، قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٠٢]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[2]. والحديث ليس

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: الحدود، باب: رمي المحصنات (١٧٥/٨) ح (٦٨٥٧)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (٩٢/١) ح (٨٩).

صريحاً في أن متعلم السحر كافر، وتكفي الآية، ويستأنس بالحديث معها، والله أعلم))[١].

وهناك مسائل متفرعة عن هذه المسألة مثل حد الساحر وتوبة الساحر والساحرة وحكم الساحر الذمي ونحوها وهي مسائل معروفة والخلاف فيها كبير وليس هذا موضع بسطها[٢].

---

(١) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر(ص١٤١).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٤/٤٥٦-٤٦٢)، وغيره من كتب التفسير والفقه والحديث.

المطلب السادس: شرك الرقى.

الرقى: جمع رقية، يقال: رَقَى الراقي رَقْيةً وَرَقْياً: إذا عَوَّذ ونَفَثَ في عُوذتِه، وصاحبُها رقَّاءٌ، والرقية هي: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة، كالحمى والصرع، وغير ذلك من الآفات[1].

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((والرُّقية بالضم: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة ؛ كالحمى، والصرع، وغير ذلك من الآفات))[2].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله-: ((والرُّقية: كلام يستشفى به من كل عارض؛ قال في "القاموس"[3]: والرقية بالضم: العُوذَة، الجمع رُقًى، ورقاه رُقياً ورُقيًّاً ورُقْيةً: نفثَ في عُوذَته))[4].

وقد جاءت أحاديث كثيرة في الرقية؛ منها ما تدل على الجواز، ومنها ما تدل على النهي:

فمن الأحاديث الواردة في جوازها: قوله ﷺ: «استرقوا لها فإن بها النظرة»[5]، ....

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٥٤)، والقاموس المحيط (ص١٢٨٩)، وتهذيب اللغة (٩/٢٢٤)، والصحاح (٦/٢٣٦١).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/٢٩١).

(٣) القاموس المحيط (ص١٢٨٩).

(٤) نيل الأوطار (٥/٣٤٦-٣٤٧).

(٥) أخرجه البخاري؛ كتاب: الطب، باب: رقية العين (٧/١٣٢) ح (٥٧٣٩)، ومسلم؛ كتاب: السلام، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة (٤/١٧٢٥) ح (٢١٩٧). من حديث أم سلمة -رضي الله عنها-.

وقوله ﷺ: «اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[(١)]، وحديث عائشة -رضي الله عنها-: «أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه -بالمعوذات- فلما ثقُل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيد نفسه لبركتها»[(٢)]، وغيرها من الأحاديث.

ومن الأحاديث التي ظاهرها النهي: قوله ﷺ: «إن الرقى، والتمائم، والتولة[(٣)]؛ شرك»[(٤)]، وقوله ﷺ: «لم يتوكل من استرقى واكتوى»[(٥)]، وقوله ﷺ في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون...»[(٦)]، وغيرها من الأحاديث.

---

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: السلام، باب: لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (١٧٢٧/٤) ح (٢٢٠٠). من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري؛ كتاب: الطب، باب: الرقى بالقرآن والمعوذات (١٣١/٧) ح (٥٧٣٥).

(٣) التِّوَلة: ((بكسر التاء وفتح الواو: ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر وغيره، جعله من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى)). ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٠/١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١١٠/٦) ح (٣٦١٥)، وابن ماجه؛ كتاب: الطب، باب: تعليق التمائم (١١٦٦/٢) ح (٣٥٣٠)، وأبو داود؛ كتاب: الطب، باب: تعليق التمائم (٩/٤) ح (٣٨٨٣)؛ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٣٣٦/١).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٤٠/٣٠) ح (١٨٢٠٠)، والترمذي؛ كتاب: الطب، باب: ما جاء في كراهية الرقية (٤٦١/٣) ح (٢٠٥٥) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: الطب، باب: الكي (٩٧/٧) ح (٧٥٦١)؛ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٠٤٩/٢).

(٦) أخرجه البخاري؛ كتاب: الطب، باب: من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو (١٢٦/٧) ح (٥٧٠٥)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من

ولهذا اختلف العلماء -رحمهم الله- في الرقية؛ هل هي مكروهة، أم غير مكروهة؟.

وقد بيَّن العلامة الصنعاني -رحمه الله- جواز الرقية؛ حيث قال في شرحه لحديث: «أرقي ما لم يكن شرك بالله»[1]: ((والحديث دل على جواز الرقية))[2]، **واستدل على جوازها -كذلك- بجملة من الأحاديث السابق ذكرها**[3]**، ثم أشار إلى معارضتها بالأحاديث الواردة في النهي؛ ثم قال -رحمه الله- في بيان وجه الجمع بين أحاديث الجواز والمنع، ودفع التعارض، نقلاً عن ابن الأثير**[4] **-رحمه الله- على وجه التقرير:** ((وجه الجمع: أن الرقى تُكره منها؛ ما كان بغير اللسان العربي، وغير أسماء الله وصفاته، وكلامه في كتبه المنزلة، وأن يعتقد أن الرُّقى نافعة لا محالة؛ فيتكل عليها، وإياها أراد؛ لقوله: «ما توكل من استرقى»))[5].

المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/١٩٩) ح (٢٢٠)؛ من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٦٣) ح (٦٨٨٩)؛ من حديث الشفاء بنت عبد الله -رضي الله عنها-. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٢١٨).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/٢٩١).

(٣) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير (٢/٥٩٤،٢٩١)، (٤/٣٦٩-٣٧٠)، (٨/٤٤٨، ٥٢٤، ٦٣٦)، (١١/١٤٨).

(٤) هو: أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجَزَري، المعروف بابن الأثير، القاضي العلامة، له عدة مصنفات؛ منها: النهاية في غريب الحديث والأثر، وجامع الأصول، توفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٦/٤٥-٤٧)، وطبقات الشافعية الكبرى؛ للسبكي (٨/٣٦٦-٣٦٧).

(٥) تقدم تخريجه قبل قليل.

ولا يُكره منها ما كان بخلاف ذلك؛ كالتعوذ بالقرآن، وبأسماء الله تعالى، والرقى المروية...، وما كان بغير اللسان العربي؛ مما لا يعرف له ترجمة، ولا يمكن الوقوف عليه؛ فلا يجوز استعماله))[١].

ثم أوضح –رحمه الله–: ((أن الاستشفاء بهذه الرقى والتعوذات...، تحتاج إلى قلب صادق، ويقين خالص، وما هي إلا كالسيف الباتر في يد الضارب؛ فإن وجد ضارباً قوياً خبيراً بموقع الضرب؛ ظهر أثره، وإلا لم يفده، فالخلل إذا لم يفد ليس من السيف، بل من الضارب ؛كذلك هذه الرقى النبوية الإلهية، تنفع من طلب الشفاء بها، فالخلل في اعتقاده لا فيها نفسها))[٢].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: ((باب ما جاء في الرقى والتمائم والتولة والحروز والتحذير منها))[٣]، ثم أورد –رحمه الله– في التحذير من الرقى الشركية حديث ابن مسعود السابق ذكره[٤]، والذي فيه: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[٥].

قال العلامة الشوكاني –رحمه الله–: ((فانظر كيف جعل الرقى والتمائم والتولة شركاً؛ وما ذلك إلا لكونها مظنة لأن يصحبها اعتقاد أن لغير الله تأثيراً في الشفاء من الداء، وفي المحبة والبغضاء))[٦].

كما أورد –رحمه الله– جملة من الأحاديث الواردة في الرقية؛ سواء ما كان منها دالاً على الجواز، أو المنع[٧] –كما تقدم بيان جملة منها–؛ ثم قرر –رحمه

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/٢٩٢)، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٥٥).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٢/٣٢١).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٥٨).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص١٦٠).

(٥) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٦) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٢٠)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٧) ينظر: نيل الأوطار (٨/٢٤٢-٢٤٦).

الله-: ((جواز الرُّقية بكتاب الله تعالى، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور...))[1].

ثم نقل -رحمه الله- ما ذكره ابن التين، والقرطبي -رحمهما الله-؛ حيث قال: ((قال ابن التين[2]: "الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله، فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني، وتلك الرقى المنهي عنها؛ التي يستعملها المعزِّم، وغيره ممن يدعي تسخير الجن له، فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يَشُوبُه من ذكر الشياطين، والاستعانة بهم، والتعوُّذ بمَرَدَتِهِم، ويقال: إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم، فإذا عزَّم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللَّديغ إذا رُقِي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان، ولذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة، وباللسان العربي الذي يعرف معناه؛ ليكون بريئاً من الشرك، وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماء الأمة"[3].

وقال القرطبي: "الرقى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه؛ لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلى الشرك.

الثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه؛ فيجوز، فإن كان مأثوراً؛ فيُستحب.

---

(١) المصدر السابق (٥/٣٤٧).

(٢) هو: أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي المغربي المالكي، فقيه محدث مفسر، من مصنفاته: المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح، توفي سنة ٦١١هـ. ينظر ترجمته: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية؛ لعبد المجيد خيالي (١/٢٤٢)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين؛ لإسماعيل البغدادي (١/٦٣٥).

(٣) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (١٠/١٩٦-١٩٧).

الثالث: ما كان بأسماء غير الله؛ من مَلَك، أو صالح، أو معظم من المخلوقات؛ كالعرش، قال: فهذا فليس من الواجب اجتنابه، ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء إلى الله والتبرك بأسمائه؛ فيكون تركه أولى، إلا أن يتضمن تعظيم المرقيِّ به؛ فينبغي أن يُجتَنب؛ كالحلف بغير الله"[1]))[2].

كذلك أورد العلامة المعلمي –رحمه الله–: جملة من الأحاديث المسندة الواردة في الرقية[3]؛ وما سبق ذكره يغني عن إعادته هنا.

ثم أوضح –رحمه الله– أن هذه الأحاديث؛ منها ما يدل على أن من الرقى ما هو شرك، ومنها ما ليس بشرك[4]؛ ثم نقل قول ابن التين والقرطبي[5] –السابق ذكرهما–.

فتبين مما سبق: أن الأصل في الرقى الجواز إذا كانت شرعية؛ ((حيث أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى))[6]؛ وهذا ما بينه وقرره علماء اليمن –رحمهم الله– كما تقدم بيانهم لذلك.

أما إذا تخلف أحد هذه الشروط فتكون منهياً عنها، بل قد تصل إلى حد الشرك بحسب ما فيها من الأدعية والأذكار؛ كما سبق بيان علماء اليمن لذلك، والله أعلم.

---

(١) المفهم (٤٦٦/١-٤٦٧).

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٩٦٠/٢-٩٦١).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٩٥٥/٢-٩٥٩).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٩٥٩/٢).

(٥) المصدر السابق (٩٦٠/٢-٩٦١).

(٦) فتح الباري (١٩٥/١٠).

المطلب السابع: شرك التمائم.

لقد جاءت النصوص الشرعية بالتحذير من التمائم والنهي عنها على وجه العموم؛ وذلك لما فيها من الغفلة عن الله سبحانه وتعالى، واشتمالها على أمور شركية؛ كالتوكل على غيره سبحانه، والاستعانة بالجن ودعائهم.

ولا يُعلم نصاً يُجيز شيئاً من التمائم، ولكن وردت بعض الآثار عن السلف؛ تمسك بها من قال بجواز نوع من التمائم؛ كما سيأتي بيان ذلك.

وقد تناول علماء اليمن -رحمهم الله- مسألة التمائم؛ من خلال ما يلي:

أولاً:تعريف التمائم:

((**التمائم**: جمع تميمة؛ وهي: خرزات كانت العرب تُعلقها على أولادهم؛ يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام))[١].

ويرى صاحب تيسير العزيز الحميد: ((أن ما عُلق لدفع العين وغيرها؛ فهو تميمة من أي شيء كان))[٢].

وقد أوضح ذلك علماء اليمن -رحمهم الله-؛ ومن أقوالهم في بيان ذلك:

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((وفي القاموس[٣]: التميمة: خرزة رقطاء[٤]، تُنْظم في السَّيْر، ثم تُعقد في العنق))[٥].

وقال في موضع آخر: ((التمائم: جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٩٥)، وينظر: شرح السنة؛ للبغوي (١٢/١٥٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص١٣٣).

(٣) ينظر: القاموس المحيط (ص١٠٨٣).

(٤) الرقطة: سواد يشوبه نقطة بياض. ينظر: الصحاح (٣/١١٢٨).

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير (٩/٣٢٥).

تعلقها على أولادها؛ يتقون بها العين في زعمهم؛ فأبطله الإسلام))[1].

وأوضح في موضع آخر: أنها: ((ما تُعلق من القلائد؛ لدفع العين؛ من حجارة، أو ورق مكتوب، أو غير ذلك))[2].

وقال العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: ((التميمة: يُقال أنها خرزة؛ كانوا يعلقونها، يرون أنها تدفع عنهم الآفات))[3].

وبنحو ما ذكر العلامة الصنعاني -رحمه الله- في تعريف التمائم؛ قال **العلامة الشوكاني -رحمه الله-**[4].

وقال العلامة المعلمي-رحمه الله-: ((قد اختلف في تفسير التمائم: فقيل: إن التميمية خرزة مخصوصة، وقيل: بل كل ما يُعلَّق رجاءً النفع))[5].

ثم رجَّح -رحمه الله- القول الثاني؛ مستدلاً له بجملة من الآثار[6]؛

منها: أثر عن إبراهيم النخعي -رحمه الله- قال: ((كانوا يكرهون التمائم كُلَّها؛ من القرآن، وغير القرآن))[7].

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/٤٦٩).

(٢) المصدر السابق (١٠/٣١٤).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٥٩).

(٤) نيل الأوطار (٨/٢٤٣).

(٥) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٩٦٣).

(٦) ينظر: المصدر السابق (٢/٩٦٣-٩٦٤).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٣٦) رقم (٢٣٤٦٧).

وعنه -أيضاً-: ((أنه كان يكره المعاذة[1] للصبيان، ويقول: إنهم يدخلون به الخلاء))[2].

ثم أوضح -رحمه الله-: أنه ((مما يدل على أن التمائم يتناول ما كان من القرآن ونحوه: ما أخرجه الحاكم[3] في المستدرك[4] وغيره عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «ليست التميمة ما تُعُلِّق به بعد البلاء، إنما التميمة ما تُعُلِّق به قبل البلاء»... .

ودلالته على العموم من وجهين:

الأول: ظاهر قولها: إنما التميمة ما تُعُلِّق به.

وكلمة "ما" من قولها: "ما تُعُلِّق به" اسم موصول، فيعم كل ما يُتَعلَّق به.

الثاني: ... لو جعلنا التميمة في كلامها خاصًّا بالخرزة؛ لدل كلامها أن تعلُّق الخرزة بعد البلاء غير منهي عنه؛ وهذا باطل لعموم الأحاديث في النهي... .

فالصواب -والله أعلم- حمل التميمة في كلامها على كل ما يُتعلَّق؛ رجاء النفع، ثم يُستثنى من ذلك الخرز، ونحوها؛ فإنها منهي عنها مطلقاً، ويبقى ما يُعلَّق مما فيه ذكر الله تعالى، فهذا هو الذي يجيء فيه التفصيل، فإن عُلِّق قبل البلاء فهو

---

(١) المعاذة: ما يُكتب من القرآن والدعاء ويُعلَّق. ينظر: حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني (٢/٤٩٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٣٦) رقم (٢٣٤٧٦).

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، المعروف بالحاكم النيسابوري، الحافظ، إمام أهل الحديث في عصره، له مصنفات؛ منها: المستدرك على الصحيحين، والمدخل إلى علم الصحيح، توفي سنة ٤٠٥هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: تاريخ بغداد (٣/٥٠٩)، ووفيات الأعيان (٤/٤٨٠-٤٨١).

(٤) (٤/٢٤٢) ح (٧٥٠٦)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٥٨٩) ح (١٩٦٠٦).

تميمة منهي عنها، وإن عُلِّق بعد البلاء فلا حرج فيه[١]))[٢].

ثانياً: حكم التمائم:

أورد العلامة الصنعاني –رحمه الله– جملة من النصوص الدالة على تحريم التمائم بعمومها، وعلى تحريم ما كان معروفاً عند الجاهليين من التمائم باسمه؛ كالتِّوَلة والوَدَعة[٣]؛ وما ذلك إلا لما في هذه الأشياء من الشرك المنافي للتوحيد؛[٤]ومنها: قوله ﷺ: «إن الرقى، والتولة، والتمائم؛ شرك»[٥].

قال –رحمه الله–: ((وأما التمائم فتسميتها شركًا؛ لاعتقادهم أنها ترد القدر من دون الله؛ فسماها شركًا، والتِّولة شرك؛ لأنها من السحر؛ وهو شرك))[٦].

ومنها: قوله ﷺ: «من تعلَّق شيئاً؛ وُكِل إليه»[٧].

قال –رحمه الله–: ((«من تعلَّق شيئًا»؛ تمسك بشيء من الأدوية، واعتقد أنه يكون فيه الشفاء ودفع الداء؛ «وُكِل إليه»؛ وكل الله شفاءه إلى ذلك الشيء، فلا يحصل شفاءه؛ والمراد: من علق تميمة من تمائم الجاهلية؛ يظن أنها تدفع، أو تنفع؛ فإن ذلك حرام، والحرام لا دواء فيه، وإنما قيدناه بتمائم الجاهلية؛ لأنه قد ورد الإذن

---

(١) سيأتي بيان الصواب في ذلك في نهاية المطلب.

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٩٦٤-٩٦٥).

(٣) الوَدَعة: ((شيء أبيض يُجلب من البحر؛ يُعلق في حلوق الصبيان وغيرهم)). ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/١٦٨).

(٤) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير (٣/٤٦٨)، (٥/٢٠٩)، (١٠/١٨١، ٣١٤).

(٥) تقدم تخريجه (ص٦٢٧).

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير (٣/٤٦٩).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٣١/٧٧-٧٨) ح (١٨٧٨١)، والترمذي؛ كتاب: الطب، باب: ما جاء في كراهية التعليق (٣/٤٧١) ح (٢٠٧٢)؛ من حديث عبد الله بن عُكيم ﷺ. وحسنه الألباني في غاية المرام (١/١٨١).

في غيرها، فكان تخصيصاً لهذا العموم))[1].

ومنها: قوله ﷺ: «من علَّق تميمة؛ فقد أشرك»[2].

قال –رحمه الله–: ((أي فَعَل فِعْل أهل الشرك، قال ابن عبد البر: "إذا اعتقد الذي قلدها أنها ترد العين؛ فقد ظن أنها ترد القدر، واعتقاد ذلك شرك"[3]...))[4].

ومنها: قوله ﷺ: «من تعلَّق تميمة؛ فلا أتم الله له، ومن تعلَّق ودَعَة؛ فلا ودع الله له»[5].

ونقل –رحمه الله– عن ابن حجر قوله: ((يُحمل ما في الخبر وغيره على ما ليس فيه قرآن، ونحوه، أما ما فيه ذكر الله؛ فلا نهي عنه، فإنه إنما يُجعل للتبرك، والتعوذ بأسمائه))[6].

فتبين من النقول السابقة عنه –رحمه الله–: أنه يرى أن التمائم المنهي عنها هي ما كان فيها شرك، بخلاف ما إذا كان المعلَّق شيئاً من القرآن ونحوه؛ فإنه لا بأس به؛ وسيأتي تحرير هذه المسألة لاحقاً.

كذلك أوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله–: أن

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/١٨١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/٦٣٦-٦٣٧) ح (١٧٤٢٢)؛ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/١٠٩٢).

(٣) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (٦/١٤٢).

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٣١٤).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨/٦٢٣) ح (١٧٤٠٤)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/٤٢٧).

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٣١٥)، وينظر: فتح الباري (٦/١٤٢).

التميمة: ((خرزة كانوا يعلقونها؛ يرون أنها تدفع عنهم الآفات))[١]؛ **ثم قرر: أن** ((اعتقاد هذا الرأي جهل وضلال؛ إذ لا مانع ولا دافع إلا الله...))[٢].

وقال -رحمه الله-: ((باب ما جاء في الرقى، والتمائم، والتولة، والحروز؛ والتحذير منها))[٣].

ثم أورد جملة من النصوص الواردة في النهي عن ذلك[٤]؛ كما تقدم بيان بيان جملة منها.

كما قرر العلامة الشوكاني -رحمه الله- أن تعليق التمائم من الشرك[٥]، وأورد أحاديث كثير في بيان حكم التمائم وما أشبهها[٦]؛ منها ما سبق ذكره، ومنها: حديث أبي بشير الأنصاري[٧] ﵁ أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً: «ألا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتَر؛ إلا قُطعت»[٨].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٥٩).

(٢) المصدر السابق (ص١٥٩).

(٣) المصدر السابق (ص١٥٨).

(٤) ينظر: المصدر السابق (ص١٥٨-١٦٠).

(٥) ينظر: العذب النمير (١٧٩/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٦) ينظر: المصدر السابق (١٧٩/١-١٨٠)، ونيل الأوطار (٢٤٢/٨)، والدر النضيد في إخلاص التوحيد (٣١٨/١-٣٢٠)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٧) هو: أبو بشير الأنصاري الساعدي، صحابي جليل، شهد أحداً وهو غلام، وله رواية عن عن النبي ﷺ، توفي بعد الحرة، وقيل: سنة ٤٠هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٦١٠/٤-١٦١١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٣٥/٧-٣٦).

(٨) أخرجه البخاي؛ كتاب: الجهاد والسِّير، باب: ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل (٥٦/٤) ح (٣٠٠٥)، ومسلم؛ كتاب: اللباس والزينة، باب: كراهة قلادة الوتر في رقبة البعير (١٦٧٢/٣) ح (٢١١٥).

ومنها: حديث رويفع[(١)] ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رويفع لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة، أو عظم؛ فإن محمداً بريء منه»[(٢)].

وقال في شرحه لحديث: «من تعلَّق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلَّق ودَعَة؛ فلا ودع الله له»[(٣)]: ((«فلا أتم الله له»؛ فيه الدعاء على من اعتقد في التمائم، وعلقها على نفسه بضد قصده؛ وهو عدم التمام لما قصده من التعليق، وكذلك قوله: «فلا ودع الله له »؛ فإنه دعاء على من فعل ذلك))[(٤)].

وقال -أيضاً- في شرحه لحديث: «إن الرقى، والتولة، والتمائم؛ شرك»[(٥)]: ((فانظر كيف جعل الرقى، والتمائم، والتولة؛ شركاً، وما ذلك إلا لكونها مظنة لأن يصحبها اعتقاد أن لغير الله تأثيراً في الشفاء من الداء، وفي المحبة، والبغضاء، فكيف بمن نادى غير الله، وطلب منه ما لا يطلب إلا من الله، واعتقد استقلاله بالتأثير أو اشتراكه مع الله ﷻ))[(٦)].

---

(١) هو: رويفع بن ثابت بن سكن بن عدي بن حارثة الأنصاري، من بني مالك بن النجار، صحابي جليل، روى عن النبي ﷺ، ولاه معاوية على طرابلس، وغزا إفريقية، توفي سنة ٥٦هـ. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٥٠٤/٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤١٦/٢-٤١٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٠٤/٢٨-٢٠٥) ح (١٦٩٩٥)، وأبو داود؛ كتاب: الطهارة، باب: ما يُنهى عنه أن يُستنجى به (٥/١) ح (٣٦)، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: الزينة، باب: عقد اللحية (٣٢٣/٨) ح (٩٢٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٣١٠/٢).

(٣) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٤) نيل الأوطار (٢٤٤/٨).

(٥) تقدم تخريجه (ص٦٢٧).

(٦) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٣٢٠/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

كذلك أورد العلامة المعلمي –رحمه الله– جملة من النصوص والآثار الواردة في النهي عن التمائم[1]**؛ وما سبق ذكره من الأحاديث يغني عن إعادته هنا، ومن الآثار التي ذكرها في ذلك:** ما جاء عن حذيفة ﵁ أنه: "دخل على رجل يعوده، فوجد في عضده خيطاً، فقال: ما هذا؟ قال: خيط رُقِيَ لي فيه، فقطعه، ثم قال: لو مُتَّ ما صليّتُ عليك"[2].

ومنها: ما جاء عن إبراهيم النخعي–رحمه الله– قال: "كانوا يكرهون التمائم، والرقى، والنَّشر"[3].

ومنها: عن سعيد بن جبير–رحمه الله– قال: "من قطع تميمة من إنسان؛ كان كعدل رقبة"[4].

ثم قال –رحمه الله–: ((وكل هذا يدل ... أن من تعلَّق خرزة، أو نحوها؛ مجوِّزاً أن تكون سبباً لنفع غيبي؛ كان ذلك شركاً، وإن لم يكن يجوِّز ذلك؛ ولكنه يرجو أن تكون لها خاصيَّة طبيعية؛ في سرور النفس، أو طرد الجنِّ، أو دفع العين، أو نحو ذلك؛ فهذا أيضاً ممنوع سداً للذريعة.

وعموم الأحاديث يتناول الخيط الذي يُرقى فيه، ويُصرِّح بذلك حديث ابن مسعود[5] وأثر حذيفة[6]؛ فإنهما لم يلتفتا إلى أن ذلك الخيط رقي فيه، ولم يسألا عن عن تلك الرقية بماذا كانت؟ أبذكر الله تعالى أم بغيره؟ وكأن ذلك –والله أعلم–

---

(١) ينظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٩٦٢-٩٧٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٣٥) رقم (٢٣٤٦٣)، وأبو بكر بن الخلال في السنة (٥/٦٤) رقم (١٦٢٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٧٤٣) رقم (١٠٣١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٣٦) رقم (٢٣٤٧١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٣٦) رقم (٢٣٤٧٣).

(٥) السابق ذكره؛ والذي فيه: «إن الرقى، والتمائم، والتولة؛ شرك».

(٦) تقدم ذكره قبل قليل.

لشبهه بالخرزة، فمنع سداً للذريعة... .

فأما إذا اختار الراقي شيئاً مخصوصاً؛ كجلد أرنب، أو نحو ذلك؛ مما لم يأت به سلطان، أو عقد في الخيط؛ فلا شبهة أنه في معنى الخرزة قطعاً، والله أعلم... .

وأما المعاذات: وهي ما يُكتب من القرآن، والدعاء، ويُعلَّق؛ فقد تقدمت آثار بكراهتها، وجاءت آثار بالرخصة فيها، والظاهر الجواز بعد البلاء؛ بشرط ألا يُكتب إلا ما ثبت من الشرع التبرك به؛ من القرآن، والدعاء الخالص عما لم يأذن الله تعالى به، وبشرط ألا يتحرَّى شيئاً لا سلطان من الله تعالى على تحرِّيه؛ وذلك كأن يكون القلم من حديد، أو يكون الرقُّ جلد غزال، أو يكون المداد فيه زعفران... .

فإذا تحرى في المعاذة شيئاً من هذه الأشياء التي لم يجئ بها سلطان من كتاب الله ﷻ، ولا من سنة نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم- كانت المعاذة في معنى الخرزة، وعامة كتب العزائم والتعاويذ على خلاف الشريعة، وفي كثير منها الكفر البواح، والشرك الصراح، فإنا لله وإنا إليه راجعون))[1].

فتبين من كلامه -رحمه الله-: أنه يرى أن تعليق التميمة لا يخلو من حالين:

١- أن تُعلق قبل نزول البلاء خشية نزوله، فهذا لا يجوز؛ سواء كان المعلق من كلام الله وأسمائه وصفاته، أو غير ذلك؛ كالجلود، والودع، والحديد، وأسماء الجن، والملائكة، ونحوها.

٢- أن تُعلق بعد نزول البلاء؛ رجاء رفعه، فهذه لا تخلو من حالتين: أن يكون المعلق من كلام الله وأسمائه وصفاته؛ فهذا جائز[2]، أو أن يكون المعلق من

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٣/٩٧٢-٩٧٣).

(٢) يرى بعض أهل العلم أن النهي عن تعليق التمائم إنما هو ما كان قبل حصول البلاء، أما بعد حصول البلاء فليس منهياً عنه؛ لأنه صار في معنى الرقية، والرقية لا يُنهى عنها ما لم تكن بشرك أو حرام؛ قال ابن عبد البر -رحمه الله- في التمهيد (١٧/١٦١) - بعد أن ذكر أن نصوص النهي محمولة على التعليق قبل نزول البلاء- قال: ((وكل ما يعلق بعد نزول البلاء من

غير كلام الله وأسمائه وصفاته؛ فهذا لا يجوز.

كما أن المعلق من غير القرآن، وأسمائه وصفاته، والأذكار المشروعة -سواء قبل نزول البلاء أو بعده- قد يكون شركاً أكبر؛ إذا اعتقد أن هذا المعلّق ينفعه، أو يدفع عنه الضرر، وإن اعتقد أنه مجرد سبب، وأن النافع الضار هو الله وحده، فهذا شرك أصغر وذريعة إلى الشرك الأكبر؛ لأنه اعتقد ما ليس بسبب سبباً.

أما مسألة ما إذا كان المعلّق شيئاً من القرآن، أو من أسماء الله وصفاته، أو الأذكار النبوية؛ فهذه قد اختلف فيها السلف؛ كما سيأتي بيان ذلك.

كذلك أوضح الشيخ الوادعي -رحمه الله- العقيدة في الحروز والعزائم؛ فقال: ((وهكذا العقيدة في الحروز والعزائم؛ أنها تنفع مع الله، أومن دون الله؛ شرك، وحملها مع غير عقيدة؛ خرافة))[1].

وقال -رحمه الله- أيضاً: ((ولم يثبت تعليق القرآن على المرضى، وهكذا التعاويذ ما ثبت تعليقها على المريض، ولكن يقرأ على المريض المعوذات للرقية، وكذا يعوذ بتعاويذ مشروعة، وأدعية لا تخالف الشرع، أمَّا التعليق فلم يرد، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وأمَّا تعليق الطلاسم، والتعاويذ؛ التي لا تفهم؛ فضلال مبين، وربما كان شركاً))[2].

وقد ذكر الشيخ -رحمه الله- في كتابه "الجامع الصحيح مما ليس في

أسماء الله وكتابه؛ رجاء الفرج والبرء من الله ﷻ، فهو كالرقى المباحة التي وردت السنة بإباحتها من العين وغيرها))، وقال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره (٣١٩/١٠): ((قال مالك: لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله ﷻ على أعناق المرضى على وجه التبرك بها إذا لم يُرد معلقها بتعليقها مدافعة العين؛ وهذا معناه قبل أن ينزل به شي من العين، وعلى هذا القول جماعة أهل العلم)).

(١) هذه دعوتنا وعقيدتنا (ص٨).

(٢) المخرج من الفتنة (ص١٩٧)، وينظر: صعقة الزلزال (٤١٣/٢).

الصحيحين"[1] حديثين بسندهما في الرُّقَى، والتَّمَائم، والتِّوِلَة؛ وهما حديث ابن مسعود وحديث عقبة بن عامر -رضي الله عنهما- السابق ذكرهما.

فتبين مما سبق بيانه: أن الأصل في التمائم أنها محرمة ممنوعة؛ بخلاف مسألة ما إذا كان المعلق شيئاً من القرآن أو أسماء الله وصفاته أو الأذكار النبوية؛ حيث اختلف فيه السلف على ثلاثة أقوال[2]:

الأول: كراهة التعليق مطلقاً قبل نزول البلاء أو بعده.

الثاني: جواز التعليق مطلقاً قبل نزول البلاء أو بعده.

الثالث: جواز التعليق بعد نزول البلاء، وكراهته قبل ذلك.

والصواب -والله أعلم- هو عدم جواز ذلك مطلقاً؛ لظاهر الأحاديث الواردة في النهي عن تعليق التمائم؛ كما تقدم بيانها، فهذه الأحاديث لم تفرق بين ما إذا كان المعلق شيئاً من القرآن أو غيره؛ بل أطلقت المنع والتحذير[3].

وقد ذكر المانعون لذلك عدة علل[4]؛ ومنها:

١- عموم النهي ولا مخصص للعموم.

٢- أنه إذا علق فكثيراً ما يمتهنه المعلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة وغيرها من الحالات القذرة.

٣- سد الذريعة؛ حيث إنه يفضي إلى تعليق التمائم الشركية.

٤- أنه ﷺ كان يرقي ورُقى، فلو كان تعليق التمائم من القرآن جائزاً لأمر به،

---

(١) (٦/٢٨٠-٢٨١).

(٢) ينظر: التمهيد (١٧/١٦١-١٦٥)، والاستذكار (٨/٣٩٧)، وتفسير القرطبي (١٠/٣١٩)، والمجموع (٩/٦٦)، والآداب الشرعية؛ لابن مفلح (٢/٤٥٩-٤٦٠).

(٣) ينظر تفصيل ذلك: تيسير العزيز الحميد (ص١٣٤).

(٤) ينظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (ص٨٦)، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/٩٦-٩٧).

أو أرشد إليه، ولم تأت النصوص الشرعية بما يدل على إجازة تعليق شيئ من القرآن.

ولا شك أن هذه أسباب قوية للمنع من تعليق التمائم من القرآن وأسماء الله وصفاته والأذكار الشرعية؛ وهو القول الأولى بالصواب؛ والله أعلم.

المطلب الثامن: شرك الاستغاثة بغير الله ﷻ.

تقدم بيان أن الاستغاثة بالله ﷻ عبادة من أجل العبادات، فهو سبحانه المدعو عند الشدائد، وهو الذي يكشف السوء.

وأما الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه، فجائزة؛ قال الله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص:١٥].

ومن استغاث بغير الله ﷻ فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد وقع في الشرك الأكبر(١).

وقد تقدم بيان العلامة الصنعاني –رحمه الله– أن ((الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد، وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الإسرائيلي والقبطي: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص:١٥]))(٢).

((وإنما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم؛ بأوليائهم، وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى؛ من عافية المريض، وغيرها... .

الكلام في طلب القبوريين من الأموات، أو من الأحياء؛ الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً؛ أن يشفوا مرضاهم، ويردوا غائبهم، وينفسوا عن حبلاهم، وأن يسقوا زرعهم، ويدروا ضروع مواشيهم، ويحفظوها من العين، ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها أحد إلا الله تعالى.

هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴾[الأعراف:١٩٧]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ ﴾[الأعراف:١٩٤]، فكيف يطلب الإنسان من الجماد أو من حي –الجماد خير منه–؛ لأنه لا تكليف عليه، وهذا يبين ما فعله المشركون

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/١٠٢-١٠٤)، ومدارج السالكين (١/٣٥٣).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٦٧).

الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ الآية [الأنعام:١٣٦]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:٥٦].

فهؤلاء القبوريون، والمعتقدون في جهال الأحياء، وضلالهم؛ سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة، فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يُعتقد إلا في الله، وجعلوا لهم جزءاً من المال، وقصدوا قبورهم من ديارهم البعيدة للزيارة، وطافوا حول قبورهم، وقاموا خاضعين عند قبورهم، وهتفوا بهم عند الشدائد، ونحروا تقرباً إليهم...))[(١)].

ومن هذا النوع من الشرك: الاستغاثة بالرُّسل والأنبياء على وجه العموم، أو بالرسول ﷺ على وجه الخصوص، والاستشفاع به بعد وفاته، كما جرى على ألسنة كثير من الناس عند نزول النوازل؛ وقد أوضح العلامة الصنعاني–رحمه الله–: أنه ((لم يُعلم أنه –صلى الله عليه وآله وسلم– استغاث برسول من أولي العزم، ولا غيرهم عند الشدائد التي لاقاها؛ بل كان أعظم ما لاقاه منها يوم الطائف، فكان دعاؤه الدعاء المعروف، واللجأ إلى الله تعالى، وكذلك أصحابه من بعده؛ لا يُعلم عن أحد منهم أنه استغاث به –صلى الله عليه وآله وسلم– بعد موته، ولا يمكن أحد يأتي بحرف واحد عن أصحابه أنه قال: يا رسول الله، ويا محمد؛ مستغيثاً به عند شدة نزلت به؛ بل كل يرجع عند الشدائد إلى الله تعالى، حتى عُبَّاد الأصنام إذا مسهم الضر في البحر ضل من يدعون إلا إياه، وهذا خليل الله إبراهيم لما أرمي به إلى النار؛ لاقاه جبريل في الهواء؛ فقال له: هل من حاجة؟ قال: أما إليك فلا.

وهذه الأدعية النبوية المأثورة قد ملأت كتب الحديث؛ ليس منها حرف واحد فيه استغاثة بمخلوق وسؤال بحقه...))[(٢)].

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٦٧–٦٩).

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف (ص٩٠–٩١).

كذلك قرر العلامة الشوكاني –رحمه الله–: أنه ((لا خلاف أنه يجوز أن يُستغاث بالمخلوق، فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلال، فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد فيه خلاف؛ ومنه: ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾[القصص:١٥]، وكما قال: ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾[الأنفال:٧٢]، وكما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ [المائدة:٢].

وأما ما لا يقدر عليه إلا الله؛ فلا يُستغاث فيه إلا به؛ كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر، والرزق، ونحو ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[آل عمران:١٣٥]، وقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[القصص:٥٦]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[فاطر:٣]...))[1].

وفي نفي الاستغاثة برسول الله ﷺ في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ؛ قال الشوكاني –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا ﴾[يونس:٤٩]: ((أي: لا أقدر على جلب نفع لها، ولا دفع ضر عنها، فكيف أقدر على أن أملك ذلك لغيري...، وفي هذه أعظم واعظ، وأبلغ زاجر لمن صار ديدنه وهجيراه المناداة لرسول الله ﷺ، والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه، وكذلك من صار يطلب من الرسول ﷺ ما لا يقدر على تحصيله إلا الله سبحانه، فإن هذا مقام رب العالمين الذي خلق الأنبياء، والصالحين، وجميع المخلوقين، ورزقهم، وأحياهم، ويميتهم، فكيف يطلب من نبي من الأنبياء، أو ملك من الملائكة، أو صالح من الصالحين ما هو عاجز عنه، غير قادر عليه، ويترك الطلب لرب الأرباب؛ القادر على كل شيء، الخالق، الرزاق، المعطي، المانع؟ وحسبك بما في هذه الآية موعظة، فإن هذا سيد ولد آدم، وخاتم الرسل، يأمره الله بأن يقول لعباده: لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً، فكيف يملكه لغيره، وكيف يملكه غيره–من رتبته دون رتبته، ومنزلته لا تبلغ إلى منزلته– لنفسه فضلا عن

---

(١) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٠٦-٣٠٨)؛ ضمن الفتح الرباني.

أن يملكه لغيره، فيا عجباً لقوم يعكفون على قبور الأموات الذين قد صاروا تحت أطباق الثرى، ويطلبون منهم من الحوائج ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل؟ كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك، ولا يتنبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى: "لا إله إلا الله"، ومدلول: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الصمد:١]؟))[1].

وقال العلامة العبادي -رحمه الله- في سياق بيانه لجملة من الشركيات[2]:

ومـــن ينـــاد ميتـــاً أو غائبـــاً	ويرتجيـــــه راغبـــــاً وراهبـــــاً
في دفـع ضـرٍّ أو حصـول نفـعِ	فـذاك شـرك عنـد أهـل الشـرعِ
كمـن ينـادي مسـتغيثاً بأحـدْ	أو مسـتعيناً أو رجـى منـه الولـدْ
إذ ذاك في العـادة لـيس يقـدرُ	عليـــه إلا الواحـــد المقتـــدرُ

حيث أوضح -رحمه الله-: أن من الشرك دعاءَ الأموات، والغائبين، ورجاءَهم؛ رغبة في نوالهم، أو رهبة من منعهم وسخطهم، ومن كل شيء مرهوب، فيدعوهم ويلتجأ إليهم أهلُ الشرك؛ ليدفعوا عنهم الضر؛ من المرض، أو الفقر، ونحو ذلك، وطالبين منهم جلب المنافع، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وحصول الرزق والأولاد، وصرف السوء عن المال والعيال، وسائر المطالب التي لا يقدر على تحقيقها إلا الله ﷻ، وذلك منكر في الشرع وزور، وهو الشرك الأكبر.

فالاستغاثة بالله ﷻ في الأمور التي لا يقدر عليها إلا هو سبحانه؛ هي من جملة العبادات التي لا تُصرف إلا لله ﷻ، وصرفها لغيره سبحانه شرك أكبر.

كذلك قرر الشيخ البيحاني -رحمه الله-: أن ((الاستغاثة، والاستعانة لا تكون إلا بالله تعالى وحده، ولا يُخاف ولا يُخشى إلا منه، ولا يُطمع إلا في فضله، ولا يُرجى إلا ما عنده، ومن قال بخلاف هذا فكافر بالإجماع، ومشركٌ بلا نزاع... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدَ

---

(١) فتح القدير (٢/٥١١-٥١٢).

(٢) ينظر: هداية المريد (ص٢٤).

ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾[النساء:١١٦]، ولما لا يكون كذلك وقد عبد غير الله، واستعان بمخلوق عاجزٍ، وعصى ربه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢١-٢٢]، واتصف بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾[البقرة:١٦٥]، وبقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[الزمر:٤٥-٤٦]، وكيف يجوز لمسلم يؤمن بوحدانية الله ﷻ، وأنه المالك المتصرف في جميع الموجودات؛ أن يطلب النفع من غيره، أو يتقِ الضر من سواه، وهو يقول في كل صلاة، بين يدي ربه متوجهاً إليه بقلبه وقالبه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة:٥]، فيكذب على الله، أم يُكذِّبُهْ! أم يخاطبه بما لا يفهم، ويعبده بما لا يعلم، قال ابن عباس - رضي الله عنهما-: كنت خلف النبي ﷺ يوماً؛ فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1]...، ومصداق هذا الحديث في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزمر:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٢٣).

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[فاطر:٢-٣]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾[سبأ:٢٢]، ونظائر هذه الآيات من كتاب الله كثيرة جداً.

فمن تدبر القرآن، وفهم معانيه، علم أنه ما جاء إلا لتوجيه الناس جميعاً إلى ربهم تعالى، حتى يخلصوا له التوحيد والعبادة))[(١)].

وأوضح في موضع آخر: ((أن الاستغاثة بالمخلوق؛ سواءً كان ملكاً، أو نبياً، أو رسولاً، حياً، أو ميتاً، فيما لا يقدر عليه إلا الله لا يجوز، ولا يحل؛ لأن ذلك تسوية برب العالمين؛ بل ذلك شركٌ أكبر))[(٢)].

وقال -رحمه الله- في سياق رده على المخالف: ((كتب السنة بين أيدينا، ومعنا دواوين الإسلام وتواريخه المعول عليها، وليس فيها إلا الحثُّ على عبادة الله وحده، ودعائه في الشدائد، والاستغاثة به في جميع الأمور، والاعتماد عليه في كل صغير وكبير، وعظيم وحقير، مما كان أو سيكون، في العاجل والآجل، والأول والآخر، وقولك هذا يخالف قول الله تعالى في محمد وأصحابه، الذين كانوا يستغيثون به وحده عند كل شدة، ويطلبون منه النصر على أعدائهم، كما يقول تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال:٩]، ولم يستغيثوا بموسى، ولا عيسى، ولم يتوسلوا إليه تعالى بأي مخلوق من أحبابه المقربين إليه قط، وهل عندك أن أبا بكرٍ استغاث برسول الله ﷺ على قتال أهل الردة؟، أو أن علياً بن أبي طالب استغاث به على قتال البغاة، أو أن الحسين رضي الله عنه استغاث، أو توسل بجده الأعظم ﷺ في محنته، وحين أحاط به الأعداء، وما لعثمان بن عفان رضي الله عنه أيام حصاره لم يهتد إلى شيء من تلك الاستغاثات، التي جعلتموها سبباً للنجاة، ونيل المقاصد، ورد غائلة الأعداء، وكفِّ أكف الظالمين،

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٤٣٣-٤٣٥).

(٢) المصدر السابق (ص٥٧٨).

وهل تستطيع أن تثبت لنا شيئاً من استغاثة الصحابة والتابعين ﵃ أجمعين؟ على شرط أن يكون ذلك بسند صحيح، ومتن لا يعارضه كتاب الله، ولا ما هو أصح منه عن رسول الله ﷺ...))[1].

---

(١) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (ص٣١٦-٣١٨).

المطلب التاسع: شرك الكهانة والعرافة.

ذكر علماء اليمن -رحمهم الله- أنواعاً كثيرة من السِّحر التي هي شرك بالله ﷻ؛ ومنها: الكهانة، والعرافة.

وقد أُلحقت الكهانة والعرافة بالسِّحر لكونهما مشابهين له من حيث اشتمالهما على الإخبار بما يخفى على الآخرين، مع دعوى عِلم الغيب، أو سلوك الطرق المحرمة في الحصول على ذلك.

ففي بيان معناها؛ قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((الكاهن: المخبر بالمغيبات؛ منجمًا، أو غيره))[١].

وقال في موضع آخر: ((والكاهن: الذي يدعي علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن، وهو شامل لكل من يدعي ذلك؛ من منجِّم، وضرَّاب بالحصباء...))[٢].

وأوضح في موضع آخر الفرق بينهما؛ حيث بيَّن أن العرَّاف: ((هو من يخبر بالأمور الآتية، أو بما أخفى، وليس هو الكاهن كما قيل؛ للجمع بينهما في الحديث الآتي[٣]، بل بينهما فرق.

قال النووي: "الفرق بين الكاهن والعراف؛ أن الكاهن: إنما يتعاطى الإخبار عن الكوائن المستقبلة، ويزعم معرفة الأسرار، والعرّاف: يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك"[٤].

وقال ابن حجر: "الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الأمور المغيبة، وكانوا في الجاهلية كثيراً؛ فمعظمهم كان يعتمد على تابعه من الجن، وبعضهم كان يدَّعي معرفة ذلك بمقدمات وأسباب يستدل بها على مواقيتها؛ من كلام من سأله، وهذا

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٥٨٠).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٢/٧).

(٣) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه كما سيأتي ذكره.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٥/٢٢).

الأخير يُسمى عرّافاً"[1]))[2].

كما أورد –رحمه الله– جملة من النصوص الواردة في النهي عن إتيان الكهَّان وتصديقهم[3]؛ **ومنها:** قوله ﷺ: «من أتى عرافاً، أو كاهناً؛ فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمَّد»[4]، وقوله ﷺ: «من أتى عرافاً؛ فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[5]، وقوله ﷺ: «ليس منا من تطيَّر ولا من تُطيِّر له، أو تكهن أو تُكهِّن له، أو سحَر أو سُحر له»[6].

قال العلامة الصنعاني –رحمه الله–: ((«فصدَّقه بما يقول» له ويأمره به؛ «فقد كفر بما أنزل على محمَّد»؛ من كتاب الله؛ وذلك أنه تعالى يقول: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن:٢٦-٢٧]، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النمل:٦٥]، ويقول: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[لقمان:٣٤]؛ فهذه نصوص تنفي ما يقوله الكُهان، والعُراف، فمن صدقهم؛ فقد كذَّب بالقرآن، وهو الذي أُنزل على محمَّد ﷺ، وهذا داء قد دب في غالب العباد ودرج...، وهذا حكم من صدَّقه، وأما حكمه هو؛ فمسكوت عنه، والقياس يقتضي أنه أشد جرماً، فمن

---

(١) فتح الباري (١٧٩/٧-١٨٠).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (١٨/١٠-١٩).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١٨/١٠-٢٠)، (٢٨١/٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣٣١/١٥) ح (٩٥٣٦)؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٠٣١/٢).

(٥) أخرجه مسلم؛ كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان (١٧٥١/٤) برقم (٢٢٣٠)؛ من حديث صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي ﷺ.

(٦) أخرجه البزار في مسنده (٥٢/٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٢/١٨)؛ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢٢٨/٥).

صدَّقه، ثم المراد: تصديقه فالإثم فيه ولو لم يأته ولا سأله، بل أخبره عنه غيره، أو أخبره هو من غير سؤال....))[1].

وقال: ((«فسأله عن شيء»؛ من المغيبات؛ «لم تُقبل له»؛ أي: للسائل، «صلاة أربعين ليلة»...، وتجب عليه الصلاة وإن لم تقبل؛ إذ معنى عدم القبول: عدم الثواب، لا استحقاق العذاب، فالصلاة مع القبول لفاعلها الثواب بلا عقاب، ومع نفيه لا ثواب ولا عقاب، قاله النووي[2]...))[3].

فظاهر الكفر المراد في الحديث هو الكفر الحقيقي؛ وهو كفر من أتاه، واعتقد صدقه، وأنه يعلم الغيب، دون من أتاه ولم يعتقد ذلك، أو شك في خبره، فلا يحكم عليه بالكفر، بل إنه ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، ورتب عليه الوعيد الشديد؛ كما جاء في الحديث السابق: «...لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة»؛ فهذا حكم من سأله مطلقاً، والأول حكم من سأله وصدقه.

كذلك عرَّف العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله– الكاهن؛ بأنه: ((الذي يخبر عن المغيبات؛ فيصيب بعضها، ويخطئ أكثرها، ويزعم أن الجن تخبره بذلك، والعرَّاف هو الكاهن، وقيل: هو الساحر، وقال البغوي: "هو الذي يدعي معرفة الأمور بأسباب يستدل بها على وقوعها؛ كالمسروق من الذي سرقه، ومعرفة الضالة، ونحو ذلك"[4]))[5].

وساق –أيضاً– بعضاً من الآيات والأحاديث الدالة على التحذير من

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٢١).

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٢٢٧).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/١٩).

(٤) ينظر: شرح السنة؛ للبغوي (١٢/١٨٢).

(٥) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٢-١٦٣).

الكهانة، وأنها من الشرك بالله؛ فقد حذر النبي ﷺ من الذهاب إلى الكهنة والعرافين لسؤالهم، وبين أن هذا الفعل من أعظم المحرمات، وأنه قد يفضي بصاحبه إلى الكفر(١)؛ **فمن ذلك:** قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣]، والأحاديث كما تقدم بيانها.

ونقل العلامة الشوكاني -رحمه الله- عن الخطابي -رحمه الله- قوله: ((العرَّاف: هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة، ونحوهما))(٢).

وقال -أيضاً-: ((قال في النهاية(٣): "الكاهن: يشمل العراف، والمنجم"))(٤).

ونقل -رحمه الله- عن القاضي عياض -رحمه الله- قوله: ((كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب:

أحدها: يكون للإنسان ولي من الجن؛ يخبره بما يسترقه من السمع من السماء؛ وهذا القسم بطل من حين بعث الله تعالى نبينا ﷺ.

الثاني: أن يخبره بما يطرأ، أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه؛ مما قرب، أو بعد؛ وهذا لا يبعد وجوده، ونفت المعتزلة، وبعض المتكلمين؛ هذين الضربين، وأحالوهما، ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجوده، لكنهم يصدقون، ويكذبون، والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام.

الثالث: المنجمون...، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة، وقد أكذبهم كلهم الشرع، ونهى عن تصديقهم، وإتيانهم))(٥).

كما أورد -رحمه الله- جملة من النصوص الواردة في النهي عن إتيان

---

(١) ينظر: المصدر السابق (ص١٦٢).

(٢) نيل الأوطار (٧/٢١٤)، وينظر: معالم السنن (٣/١٠٥).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٢١٥).

(٤) نيل الأوطار (٧/٢١٤).

(٥) نيل الأوطار (٧/٢١٣-٢١٤)، وينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/١٥٣).

الكهان وتصديقهم[(١)]**، وما تقدم ذِكره يغني عن إعادته هنا.**

وقال –رحمه الله– في شرحه لقوله ﷺ: «... فقد كفر بما أنزل على محمد»: ((والعلة الموجبة للحكم بالكفر ليست إلا اعتقاد أنه مشارك لله ﷻ في علم الغيب، مع أنه في الغالب يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد، ولكن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه))[(٢)].

وقال في موضع آخر: ((ولا يخفى على عارف أن العلة في الحكم بالكفر هي ما في ذلك من إيهام المشاركة))[(٣)].

وأوضح ذلك في موضع آخر؛ فقال: ((ظاهره أنه الكفر الحقيقي، وقيل: هو الكفر المجازي، وقيل: من اعتقد أن الكاهن والعراف يعرفان الغيب، ويطلعان على الأسرار الإلهية؛ كان كافراً كفراً حقيقياً؛ كمن اعتقد تأثير الكواكب، وإلا فلا))[(٤)].

وقال في قوله ﷺ: «لم يقبل الله منه صلاة أربعين ليلة»: ((قال النووي: "معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة، ونظير هذه الصلاة في الأرض المغصوبة؛ فإنها مجزئة مسقطة للقضاء، ولكن لا ثواب فيها، كذا قاله جمهور أصحابنا، قالوا: فصلاة الفرض وغيرها من الواجبات، إذا أتى بها على وجهها الكامل؛ ترتب عليها شيئان: سقوط الفرض عنه، وحصول الثواب، فإذا أداها في أرض مغصوبة؛ حصل الأول، دون الثاني، ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث؛ فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف؛ إعادة صلاة أربعين ليلة، فوجب تأويله، والله أعلم"[(٥)]))[(١)].

---

(١) ينظر: فتح القدير(١/١٤٤)، ونيل الأوطار (٧/٢١٣-٢١٦)، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٢٩-٣٣١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٣٠)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) المصدر السابق (١/٣٣١).

(٤) نيل الأوطار (٧/٢١٤).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/٢٢٧).

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩]: ((وفي الآية دليل واضح نيِّر بأن الله تعالى لم يجعل للخلق دليلاً يتوصلون بسلوكه إلى حقائق المغيبات، بل استأثر بذلك؛ لحكمته، وتفرد بعلمه سبحانه وتعالى، وفي ذلك إبطال ما يدعيه المنجمون، ونحوهم من طرائق توصل إلى المطلوب، وكذلك الكهنة))[٢].

---

(١) نيل الأوطار (٧/٢١٥).

(٢) فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (١/١٩٣).

المطلب العاشر: شرك التنجيم.

التنجيم في اللغة: مصدر (نَجَّمَ) المشتق من النجم، وهو الكوكب.

والتنجيم صِنعة المنجم، وهو الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها[1].

وفي الاصطلاح: ((هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية))[2].

وعلم التنجيم المحرم هو ما يزعمه أهله من أنهم يعرفون ما يكون في المستقبل من أمور عامة، وأحداث لم تقع أنه ستقع في زمن معين، وخاصة عن طريق النجوم، والنظر فيها؛ كإخبارهم عن أوقات مجيء المطر، وهبوب الرياح، وتغير الأسعار، وما كان يماثلها من الأمور، حيث إنهم يدعون أن الكواكب في مجاريها، واجتماعها، وافتراقها، لها تأثير في الأمور السفلية، والتنجيم بهذا يكون من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ[3]؛ كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[النمل:٦٥]؛ فصناعة التنجيم التي هذا مضمونها ((محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين في جميع الملل))[4].

((وأما علم النجوم الذي يُدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يُعرف به الزوال، وتعلم به من جهة القبلة، فإنه غير داخل فيما نهي عنه))[5]، بل هذا جائز عند الجمهور؛ كما ذكر ذلك ابن رجب –رحمه الله– بقوله: ((وأما علم التيسير؛ فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء، ومعرفة القبلة، والطرق، كان جائزاً عند الجمهور، وما زاد عليه فلا حاجة فيه، وهو يُشغل عما هو أهم منه))[6].

---

(١) ينظر: الصحاح (٢٠٣٩/٥)، ولسان العرب (٥٧٠/١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥).

(٣) ينظر: معالم السنن (٢٢٩/٤-٢٣٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥).

(٥) معالم السنن (٢٣٠/٤).

(٦) فضل علم السلف على علم الخلف؛ لابن رجب (ص٢١).

وهذا ما قرره وأوضحه علماء اليمن -رحمهم الله-:

فأما العلامة الصنعاني -رحمه الله- فقد قال في شرحه لحديث: «تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر؛ ثم انتهوا»[1]: ((«تعلموا من النجوم ما تهتدون به»؛ أي: تستدلون به على الطرق والساعات، «في ظلمات البر والبحر»؛ فإن بمعرفة النجوم، ومطالعها، ومغاربها؛ نهتدي إلى السبل، ونحوها، «ثم انتهوا»؛ أي: عن تعلم ما يجاوز ذلك... .

وبهذا يُعرف أنه أريد بحديث: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر»[2]، سيأتي أن المراد به: ما زاد على ما ذُكر، الذي يجر إلى القول بتأثير النجوم؛ بحاسة، وسعادة))[3].

فهذا بيان منه من أن علم النجوم الذي يُعلم منه ما يُحتاج إليه؛ للاهتداء، ومعرفة القبلة، والطرق، ونحوها؛ جائز، بخلاف ما زاد على ذلك، وهذا ما أوضحه وقرره في موضع آخر؛ من أن علم النجوم المنهي عنه؛ من العلوم الغير نافعة في نفسها[4]؛ وقرر -أيضاً- تحريم تعلمه، والعمل بمقتضاه؛ بمقتضاه؛ واستثنى من ذلك ما لم يُنهى عنه؛ حيث قال في شرحه لحديث: «من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[5]: ((«من اقتبس اقتبس علمًا من النجوم»؛ أي: أخذ وتعلم؛ من علم تأثيرها، وتحينها، وسعادتها، فلا

---

(١) أخرجه ابن مردويه؛ من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٣٦١/١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤١/٥) ح (٢٨٤٠)، وابن ماجه؛ كتاب: الأدب، باب: تعلم النجوم (١٢٢٨/٢) ح (٣٧٢٦)، وأبو داود؛ كتاب: الطب، باب: في النجوم (١٥/٤) ح (٣٩٠٥)؛ من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٠٤٩/٢).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٦٧/٥-٦٨).

(٤) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير (١٧٨/٣).

(٥) تقدم تخريجه قبل قليل.

ينافيه حديث: «تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر»، «اقتبس شعبة من السحر»؛ أي: قطعة منه، «زاد ما زاد»؛: أي زاد اقتباسه للسحر ما زاد؛ من أخذه من علم النجوم، وفيه دلالة: على تحريم تعلم علم النجوم، والعمل بمقتضاه))[1].

وفي شرحه لحديث: «**من أتى عرافاً، أو كاهناً، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمَّد**»[2]؛ **بيَّن -رحمه الله- حال المنجم وحكم من أتاه؛ حيث قال:** ((«**من أتى عرافاً، أو كاهناً**»؛ ومنه المنجم: الذي يزعم للنجوم أحكاماً دالة على كذا، وكذا، ومنه ما لا ينحصر؛ من الذين يدعون المغيبات؛ كمن يطلب من المنجم أن يعلمه ساعة فيها سعادة، أو نحس، «فصدَّقه بما يقول»؛ له ويأمره به، «فقد كفر بما أنزل على محمَّد»؛ من كتاب الله، وذلك أنه تعالى يقول: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾[الجن:٢٦-٢٧]، ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾[النمل:٦٥]، ويقول: ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾[لقمان:٣٤]؛ فهذه نصوص تنفي ما يقوله الكُهان والعُراف، فمن صدقهم؛ فقد كذب بالقرآن، وهو الذي أنزل على محمَّد ﷺ، وهذا داء قد دب في غالب العباد ودرج، لا تراهم إلا يسألون المنجم، أو الرحيلة، أو الحاسب؛ ثم يقولون: قال فلان، وإذا رأوا أمراً غريباً؛ قالوا: قد قال فلان، وأعظم من ذلك ملوك الدنيا؛ يجعل كل ملك له منجمان، يخبره عن الحوادث، فاتسع الخرق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وهذا حكم من صدَّقه، وأما حكمه هو فمسكوت عنه، والقياس يقتضي أنه أشد جرماً؛ فمن صدقه -ثم المراد تصديقه- فالإثم فيه ولو لم يأته ولا سأله، بل أخبره عنه غيره، أو أخبره هو من غير سؤال))[3].

كذلك أورد العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: باباً في

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١٣٢/١٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص٦٥٤).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (١٩/١٠-٢٠).

((التحذير من اقتباس علم النجوم لغير ما ذكر الله))[1]، قال فيه: ((قال بعض السلف: من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث؛ فقد أخطأ، وكذب على الله؛ إن الله جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر))[2].

واستدل بالأثر الوارد عن قتادة[3] -رحمه الله-؛ حيث قال: ((...عن قتادة قال: "إن الله إنما جعل النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، ويهتدي بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك؛ فقد قال وأخطأ خطأً، وأضاع نصيباً، وتكلف ما لا علم له به، وأن أناساً جهلوا أمر الله؛ قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا أو كذا؛ كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا؛ كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والطويل والقصير،

والحسن والذميم، وما عَلِم النجم، وهذه الدابة، وهذه الطير شيء من الغيب، وقضى الله أنه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[النمل:٦٥]"[4]))[5].

---

(١) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٤).

(٢) المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٣) هو: أبو الخطاب قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو السدوسي البصري الضرير الأكمه، المحدث المفسر، له كلام في القدر، توفي سنة ١١٧هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى (١٧١/٧-١٧٣)، ووفيات الأعيان (٨٥/٤-٨٦).

(٤) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (١٠٧/٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩١٣/٩)، والطبري في تفسيره (١٨٥/١٧).

(٥) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٤).

كذلك استدل -رحمه الله-[1] بقوله ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم؛ اقتبس شعبة من السحر؛ زاد ما زاد»[2].

ونقل العلامة الشوكاني -رحمه الله- عن القاضي عياض قوله: ((كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب: ... .

الثالث: المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله فيه لبعض الناس قوة ما، لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف؛ وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك؛ كالزجر،، والطرق والنجوم، وأسباب معتادة، وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة، وقد أكذبهم كلهم الشرع، ونهى عن تصديقهم، وإتيانهم...))[3].

وقال -رحمه الله- في تفسير لقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[الجن:٢٦]: ((وليس المنجم، ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى، وينظر في الكتب، ويزجر بالطير، ممن ارتضاه من رسول؛ فيطلعه على ما يشاء من غيبه، فهو كافر بالله، مفتر عليه بحدسه، وتخمينه، وكذبه))[4].

وقال في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾[الأنعام:٥٩]: ((إنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها...، وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان، والمنجمين، والرمليين، وغيرهم من المدَّعين ما ليس من شأنهم، ولا يدخل تحت قدرتهم، ولا يحيط به علمهم، ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة، والأنواع المخذولة، ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء...))[5].

---

(١) ينظر: المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٢) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٣) نيل الأوطار (٧/٢١٣-٢١٤). وينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/١٥٣).

(٤) فتح القدير (٥/٣٧٣).

(٥) فتح القدير (٢/١٤٠).

ثم أورد –رحمه الله– جملة من الأحاديث الواردة في النهي والتحذير عن التنجيم[1]**؛ كما تقدم ذكرها.**

وقال في شرحه الحديث: «من اقتبس علماً من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد»[2]: ((«اقتبس شعبة من السحر»؛ أي قطعة، فكما أن تعلم السحر، والعمل به حرام، فكذا تعلم علم النجوم، والكلام فيه حرام، قال ابن رسلان في "شرح السنن"[3]: "والمنهي عنه: ما يدعيه أهل التنجيم من علم الحوادث، والكوائن؛ التي لم تقع، وستقع في مستقبل الزمان، ويزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها، وافتراقها، وهذا تعاط لعلم استأثر الله بعلمه".

قال: "وأما علم النجوم الذي يعرف به الزوال، وجهة القبلة، وكم مضى، وكم بقي؛ فغير داخل فيما نهي عنه"[4]... .

قوله: «زاد ما زاد»؛ أي زاد من علم النجوم؛ كمثل ما زاد من السحر، والمراد أنه إذا ازداد من علم النجوم، فكأنه ازداد من علم السحر، وقد عُلم أن أصل علم السحر حرام ،والازدياد منه أشد تحريماً، فكذا الازدياد من علم التنجيم))[5].

وقال –رحمه الله–: ((فهذه الأحاديث محمولة على النظر فيها لما عدا الاهتداء، والتفكر، والاعتبار، وما ورد في جواز النظر في النجوم فهو مقيد بالاهتداء، والتفكر، والاعتبار؛ كما يدل عليه حديث ابن عمر[6]))[1].

---

(١) ينظر: نيل الأوطار (٢١٥/٧)، وفتح القدير (١٦٦/٢)، والدر النضيد (٣٢٨/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٣) معالم السنن (٢٢٩/٤-٢٣٠).

(٤) ينظر: المصدر السابق، والموضع نفسه.

(٥) نيل الأوطار (٢١٦/٧).

(٦) يشير إلى حديث: «تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر؛ ثم انتهوا»، وقد تقدم تخريجه قبل قليل.

وقال العلامة الحسن عاكش-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩]: ((وفي الآية دليل واضح نيِّر بأن الله تعالى لم يجعل للخلق دليلاً يتوصلون بسلوكه إلى حقائق المغيبات، بل استأثر بذلك؛ لحكمته، وتفرد بعلمه سبحانه وتعالى، وفي ذلك إبطال ما يدعيه المنجمون، ونحوهم من طرائق توصل إلى المطلوب، وكذلك الكهنة))[2].

كذلك نقل -رحمه الله- قول قتادة السابق؛ واستدل ببعض الأحاديث السابقة في النهي عن التنجيم المحرم[3].

---

(١) فتح القدير (٢/١٦٦).

(٢) فتح المنان؛ تحقيق: السحيباني (١/١٩٣).

(٣) ينظر: المصدر السابق؛ تحقيق: الدريبي (١/٣٥٧).

المبحث الثالث: الأعمال الشركية المنافية لكمال التوحيد والرد على المخالفين في ذلك.

المطلب الأول: الحلف بغير الله.

تقدم بيان أن الإسلام حرم جميع مظاهر الشرك بنوعيه؛ الأكبر، والأصغر، فنهى عن كل قول أو فعل يوقع فيهما، حتى لو لم يقصد به صاحبه ذلك.

ومن هذا الباب النهي عن الحلف بغير الله ﷻ مطلقاً، سواء كان بالآباء، أو بالأبناء، أو بالملائكة، أو بالأمانة، أو بغيرهم من المخلوقات؛ لأن في ذلك تعظيماً للمخلوق، ورفعاً له فوق منزلته، وهو من الشرك الأصغر، كما هو من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر.

ومن النصوص الدالة على حرمة الحلف بغير الله ﷻ؛ قوله ﷺ: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله، أو ليصمت»[(١)]، ولقوله ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»[(٢)].

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله- في شرحه لهذين الحديثين مقرراً

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بآبائكم (١٣٢/٨) ح (٦٦٤٦)، ومسلم؛ كتاب: الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله تعالى (١٢٦٧/٣) ح (١٦٤٦)؛ من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-..

(٢) أخرجه أبو داود؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: في كراهية الحلف بالآباء (٢٢٢/٣) ح (٣٢٤٨)، والنسائي في الصغرى؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحلف بالأمهات (٥/٧) ح (٣٧٦٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٢١٤/٢)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ.

حرمة الحلف بغير الله تعالى: ((النِّد: بكسر أوله؛ المِثِل ،والمراد هنا: أصنامهم، وأوثانهم التي جعلوها لله تعالى أمثالاً، لعبادتهم إياها، وحلفهم بها؛ نحو قولهم: واللاتي والعزى، «ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون»، الحديثان: دليل على النهي عن الحلف بغير الله تعالى، وهو للتحريم؛ كما هو أصله...، قال ابن عبد البر: "لا يجوز الحلف بغير الله تعالى بالإجماع"[1]))[2].

وذكر –رحمه الله– الخلاف في ذلك[3]، ثم قال: ((لا يخفى أن الأحاديث واضحة في التحريم؛ لما سمعتَ، ولما أخرج أبو داود[4] والحاكم[5] واللفظ له من حديث ابن عمر أنه قال ﷺ: «من حلف بغير الله كفر»، وفي رواية للحاكم[6]: «كل يمين يحلف بها دون الله تعالى شرك».

ورواه أحمد[7] بلفظ: «من حلف بغير الله؛ فقد أشرك»، وأخرج مسلم[1]:

---

(١) ينظر: التمهيد (٣٦٦/١٤).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٥٤٥/٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٥٤٥/٢-٥٤٦).

(٤) في سننه؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: في كراهية الحلف بالآباء (٢٢٣/٣) ح (٣٢٥١)؛ بلفظ: «من حلف بغير الله فقد أشرك».

(٥) في المستدرك (٦٥/١) ح (٤٥)، وأخرجه الترمذي؛ كتاب: النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله (١٦٢/٣) ح (١٥٣٥)؛ وقال: هدا حديث حسن. وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١٨٩/٨).

(٦) في المستدرك (٦٦/١) ح (٤٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٨٣٨/٢).

(٧) في مسنده (٢٧٥/٩) ح (٥٣٧٥)، وأبو داود؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: في كراهية الحلف بالآباء (٢٢٣/٣) ح (٣٢٥١)، والترمذي؛ كتاب: النذور والأيمان، باب: ما جاء في

«من حلف منكم؛ فقال في حلفه: واللاتي والعزى، فليقل: لا إله إلا الله»...، فهذه الأحاديث الأخيرة تقوي القول: بأنه محرم؛ لتصريحها بأنه شرك من غير تأويل، ولذا أمر بتجديد الإسلام والإتيان بكلمة التوحيد))[٢].

وقال في موضع آخر: ((وقد ثبتت الأحاديث وصحَّت أنه لا يجوز الحلف إلا بالله، وأن من حلف بغيره فقد أشرك؛ وذلك لما فيه من تعظيم المخلوق به))[٣].

وقال في بيان حال بعض عُبَّاد القبور: ((أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي؛ الذي يقصده تعظيماً له، وعبادة، ويقسمون بأسمائهم، بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى؛ لم يقبلوا منه، فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم؛ قبلوه، وصدقوه، وهكذا كان عباد الأصنام ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[الزمر:٤٥]، وفي الحديث الصحيح: «من كان حالفاً؛ فليحلف بالله، أو ليصمت»[٤]، وسمع رسول الله ﷺ رجلاً يحلف باللات؛ فأمره أن يقول: "لا إله إلا الله"[٥]، وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم، فأمره أن يجدد إسلامه، فإنه قد

كراهية الحلف بغير الله (١٦٢/٣) ح (١٥٣٥)؛ وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٠٦٧/٢).

(١) في صحيحه؛ كتاب: الأيمان، باب: من حلف باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله (١٢٦٧/٣) ح (١٦٤٧)، وأخرجه البخاري؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾[النجم:١٩] (١٤١/٦) ح (٤٨٦٠).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٥٤٥/٢-٥٤٦).

(٣) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما له من الكرامات والألطاف (ص٩٧).

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٥) تقدم تخريجه قبل قليل.

كفر بذلك))[1].

ويلاحظ على كلام العلامة الصنعاني -رحمه الله-: أنه يرى أن من حلف بغير الله تعالى فقد وقع في الشرك الأكبر، وكفر كفراً مخرجاً من الملة، وهذا خلاف ما عليه الجمهور من أهل العلم؛ الذين يقولون: إن من حلف بغير الله تعالى لا يكفر كفراً مخرجاً من الملة، بل هو من الكفر دون كفر، ومن الشرك الأصغر.

وأما ما جاء في الحديث؛ من أمره ﷺ لمن حلف باللات والعزى أن يقول: لا إله إلا الله؛ فلأن هذا كفارة له؛ كما قال: «ومن حلف؛ فقال في حلف باللات والعزى؛ فليقل: لا إله إلا الله»، فهذا كفارة له في كونه حلف بغير الله، لا أنه لتجديد إسلامه، ولو قُدِّر ذلك فهو لتجديد إسلامه لنقصه بذلك، لا لارتداده وكفره[2].

والصواب في هذه المسألة: أن المراد بالكفر والشرك الوارد في ذلك: هو الكفر دون كفر، والشرك الأصغر؛ وذلك إذا كان الحالف بغير الله لا يعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله[3]،أمَّا إذا اعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله أو أعظم منها فهذا شرك أكبر بلا ريب.

وذكر العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله-: ((أن الله أمر رسوله إذا أراد أن يعقد اليمين أن يحلف به؛ كما في الثلاث آيات، وهي قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي ﴾[يونس:٥٣]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾[سبأ:٣]، ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾[التغابن:٧]، فلا يجوز أن يحلف إلا بالله، أو بأسمائه وصفاته؛ لأن في الحلف من التعظيم بالمقسم به ما لا يخفى، ولهذا جاء النهي عن الحلف بغير الله))[4].

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٧٠).

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص٥١٤).

(٣) ينظر: فتح الباري (١١/٥٤٠).

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص٦٨).

كما عقد –رحمه الله– فصلاً فيما جاء في النهي عن الحلف بغير الله؛ حيث قال: ((باب ما جاء في النهي عن الحلف بغير الله؛ من الآباء، والأمهات، والطواغيت، والكعبة، وغير ذلك))[1]، ثم أورد جملة من النصوص الواردة في ذلك، منها ما سبق ذكره[2]، ومنها: قوله ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم، ولا بالطواغيت»[3].

ومنها[4]: ما جاء في التحذير والتغليظ من الحلف بالأمانة؛ كقوله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»[5].

كما أوضح العلامة الشوكاني –رحمه الله– السر في النهي عن الحلف بغير الله تعالى؛ حيث قال: ((قال العلماء: السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده، فلا يحلف إلا بالله وذاته وصفاته، وعلى ذلك اتفق الفقهاء))[6]؛ ثم ذكر الخلاف في ذلك[7].

ذلك[7].

وذكر –رحمه الله– جملة من الأحاديث الواردة في النهي عن الحلف

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٥).

(٢) ينظر: المصدر السابق (ص١٥٥-١٥٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤/٢٢٨) ح (٢٠٦٢٤)، والنسائي في الكبرى؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحلف بالطواغيت (٤/٤٣٦) ح (٤٦٩٧)؛ من حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ. وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي (٨/٣٤٦).

(٤) ينظر: قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٥٧).

(٥) أخرجه أبو داود؛ كتاب: الأيمان والنذور، باب: كراهية الحلف بالأمانة (٣/٢٢٣) ح (٣٢٥٣)؛ من حديث بريدة ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/١٠٦٦).

(٦) نيل الأوطار (٨/٢٦٢).

(٧) ينظر: المصدر السابق (٨/٢٦٢-٢٦٣).

بغير الله تعالى[1]**؛ كما تقدم بيانها**، ثم قال: ((وهذه الأحاديث في دواوين الإسلام، وفيها أن الحلف بغير الله يخرج به الحالف عن الإسلام، وذلك لكون الحلف بشيء مظنة تعظيمه...))[2].

وهذا بيان منه على كفر الحالف بغير الله تعالى؛ إذا اعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله ﷻ أو أعظم منها؛ وهذا شرك أكبر.

كذلك قرر العلامة محمد بن ناصر الحازمي –رحمه الله– تحريم الحلف بغير الله تعالى وأنه من الشرك الأصغر، وقد يكون شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده؛ حيث قال نقلاً عن ابن القيم –رحمه الله– على وجه التقرير: ((وأما الشرك الأصغر؛ فكيسير الرياء، والحلف بغير الله، وقوله: هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده))[3].

وبين –رحمه الله– في موضع آخر: أنه ((مما نشأ من تعظيم المخلوق بما لا يستحقه؛ أنه إذا قيل لأحدهم: احلف بالله؛ حلف كاذباً، ولا يخاف من غضبه، ولا اليمين الغموس، فإذا قيل له: يحلف باسم من يعتقده؛ قهقر وخاف... .

وأصل هذا مخالفة شرع رسول الله ﷺ، وارتكاب المناهي، وعدم التناهي، وهؤلاء يستخفون من الناس، ولا يستخفون من الله، والخوف من غير الله ﷻ خصوصاً على هذه الكيفية؛ شرك جلي؛ لأنه خوف من شر هذا المعتقد أن يتصرف فيه، ولا يخاف من الله أن ينتقم منه))[4].

---

(١) ينظر: المصدر السابق (٢٦٢/٨–، والدر النضيد في إخلاص التوحيد (٣٢٣/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) المصدر السابق (٣٢٣/١).

(٣) إيقاظ الوسنان (ص٣٧)، وينظر: مدارج السالكين (٣٥٢/١).

(٤) إيقاظ الوسنان (ص٨٩–٩٠).

وهو ما بينه عبد الله بن مسعود ﷺ؛ بقوله: ((لأن أحلف بالله كاذباً، أحب إلي من أحلف بغيره صادقاً)) [1][2]؛ لأن سيئة الشرك أعظم من سيئة الكذب؛ قال ابن تيمية -رحمه الله-: ((لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسبب الكذب أسهل من سبب الشرك)) [3].

كذلك أورد العلامة المعلمي -رحمه الله- جملة من النصوص في النهي عن الحلف بغير الله ﷻ[4]، وما سبق ذكره يغني عن إعادته هنا.

وقال الشيخ البيحاني -رحمه الله- مقرراً حرمة الحلف بغير الله؛ وذلك في سياق رده على صاحب "درر المعاني": ((وهل تبيح أيها الخصم الحلف بغير الله، والقسم بأحدٍ سواه، حتى نقلت مستنكرا عليَّ ما قلته عند قول أستاذي[5]:

فكم ترى من حالفٍ كذابِ ... بالله لا يخشى من العقاب

وإن دعي يحلف بالمزار ... يخاف منه فوق خوف الباري

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٦٩/٨) رقم (١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧٩/٣) رقم (١٢٢٨١)، والطبراني في الكبير (١٨٣/٩) رقم (٨٩٠٢) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٦/٣).

(٢) في تيسير العزيز الحميد (ص٥٠٠): ((ومعناه ظاهر؛ وإنما رجح ابن مسعود ﷺ الحلف بالله كاذباً على الحلف بغيره صادقاً، لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك، وإن قدر الصدق في الحلف بغير الله فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك...، وفيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقاً أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر)).

(٣) الفتاوى الكبرى (٥٥٢/٥).

(٤) ينظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٩٨٩/٢-١٠٠٠).

(٥) هو العلامة العبادي -رحمه الله-.

وهذا هو الوقع اليوم من أكثر الناس، فإنهم لا يعرفون ما هو التوحيد، وما هو الشرك، وأصبح أكثر أيمانهم بل عامتها بغير الله، من نبيٍ، أو وليٍ، أو غيرهما"[1].

أو لم يكن الحلف بغير الله شركاً على لسان محمد ﷺ، وإن كان المحلوف به نبياً، أو ملكاً، أو بيت الله))[2]؛ **ثم ساق –رحمه الله– الأدلة الواردة في ذلك**[3].

ثم قال: ((وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٢]، قال: "الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كلبه هذا لأتانا اللصوص، ولولا القط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل ما شاء الله وشئت، وقول الرجل لولا الله وفلان، هذا كله شرك"؛ رواه ابن أبي حاتم[4][5].

هذا وإنَّ من الناس لمن تحلف له بالله فلا يرضى، ولا يصدق إلا إذا حلفتَ له بشيخه فلان، وسيده الآخر، وقد يحكم بعض أهل الطاغوت لفلان على فلان بخمسة أيمان، أو أكثر، أو أقل، في محل كذا، أو على قبر ولي الله فلان، اعتقاداً منهم بسرعة الانتقام، وأن الولي يروح ليلاً على الحالف إذا كان كاذباً فيخنقه، ويفعل به الأفاعيل.

---

(١) هداية المريد (ص٤٥).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (٢٨٥-٢٨٦).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٢٨٥-٢٨٨).

(٤) هو: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، العلامة الحافظ، وكتابه الجرح والتعديل من أعظم الكتب في بابه، توفي سنة ٣٢٧هـ. ينظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٣-٢٦٩).

(٥) في تفسيره (٦٢/١).

ويتسلط الوهم على كثير من الجهال والعامة، فلا يصيبه شيء، ولا تنزل به حادثة؛ إلا ونسبها إلى ذلك الولي، فربما ذهب إلى ضريحه معتذراً، ومستغفراً، وقد يسوق إلى هناك نحيرة، أو ذبيحة، ويرسل في الجو طلقتين، أو ثلاث طلقات نارية، كتحيةٍ لصاحب الضريح، وقربة يتزلف بها إليه، ولست أدري إذا قيل لصاحب درر المعاني: ما حكم الله في هذا الفعل؟ ماذا يحكم عليه، وبأي شيء يفتي فيه، ومرحباً بحكمه وفتواه إذا جعله من كبائر الذنوب التي يجب النهي عنها وإنكارها[(١)]، واستتابة من تصدر عنه من أدعياء الإسلام، وعليه إثم المضلين، إذا حكم بجواز ذلك، وأنه لا بأس به، وسينادي عليه كتاب الله في أتباعه المساكين بهذه الآية: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوٓءِ وَالْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٦٩]))[(٢)].

كما سُئل الشيخ الوادعي -رحمه الله-: ما قول الشرع فيمن يحلف بالشرف العسكري، أو بالعيش والملح، وبالأمانة، وبالأولاد، والنبي، أفتونا جزآكم الله خيراً؟.

فأجاب -رحمه الله-: ((شرك أصغر، والنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول...: «من كان حالفاً؛ فليحلف بالله، أو ليسكت»[(٣)]، ويقول -أيضاً-...: «من حلف بالأمانة فليس منا»[(٤)]))[(١)].

---

(١) الشرك -كما تقدم بيانه-: هو أعظم الذنوب، وأعظم الظلم، وأكبر الكبائر، والأفعال التي ذكرها الشيخ -رحمه الله- ؛كالذهاب لصاحب القبر معتذراً ومستغفراً، وسوق ذبيحة أو نحيرة مع إرسال بعض الطلقات في الجو تعظيماً لصاحب القبر وتقرباً إليه بذلك، هذا كله من الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإذا كان الشرك الأصغر أعظم من كبائر الذنوب-كما سبق نقل أقوال أهل العلم في ذلك- فإنَّ ما ذكره الشيخ -رحمه الله- من باب أولى. ينظر: الكبائر؛ للذهبي (ص٥).

(٢) الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني (٢٨٥-٢٨٨).

(٣) تقدَّم تخريجه قبل قليل.

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل.

وسُئل -رحمه الله- أيضاً، في موضع آخر: هل الحلف برأس المصحف يُعد شركاً، وماذا ينبغي على من حلف بهذه الأيمان؟.

فأجاب -رحمه الله-: ((إذا قصد ما فيه من كلام الله؛ فلا يعد شركاً، وإذا قصد الورق والجلد والحبر؛ فيعد شركاً؛ لأنها مخلوقة، لكن يكون شركاً أصغر: «من حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك»[2].

وعلى كل؛ فالحلف بالمصحف لم يثبت عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ولا عن الصحابة-رضي الله عنهم-))[3].

كذلك بوَّب الشيخ -رحمه الله- في كتابه "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" بقوله: ((الحلف بغير الله؛ شرك أصغر))، ثم ذكر ما سبق من الأحاديث في ذلك[4].

وبيَّن -رحمه الله- في موضع آخر: أن الحالف بغير الله إذا اعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقده في الله؛ فيعتبر شركاً أكبر؛ فقال: ((إن الحلف بغير الله يعتبر شركاً أصغر؛ إلا أن يبلغ به التعظيم، إلى أن يعظمه مثل الله، أو أعظم من الله؛ فيعتبر شركاً أكبر...))[5].

وخلاصة الأمر: فإن الحلف بغير الله ﷻ يتضمن مضاهاة غير الله بالله، فإن العلماء متفقون على أن الحكمة من النهي عن الحلف بغير الله؛ أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، وأن العظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده[6].

---

(١) قمع المعاند (١/١٧٠).

(٢) تقدَّم تخريجه قبل قليل.

(٣) قمع المعاند (١/٢٤).

(٤) ينظر: الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/٣١١-٣١٢).

(٥) الأجوبة السديدة في فتاوى العقيدة؛ للوادعي (ص٤٣-٤٤).

(٦) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١/١٦٨)، (١١/١٠٥)، وفتح الباري

والصواب في هذه المسألة: أنه إذا كان الحالف بغير الله لا يعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله؛ لم يكن الشرك شركاً أكبر يخرج صاحبه عن الملة، بل كان شركاً أصغر[1]، أمَّا إذا اعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله أو أعظم منها فهذا شرك أكبر بلا ريب؛ وهو ما سبق بيانه من تقريرات علماء اليمن -رحمهم الله-؛ والله أعلم.

(٥٣١/١١).

(١) ينظر: المصدر السابق (٥٤٠/١١).

المطلب الثاني: التعبيد لغير الله.

تقدم في التعريف بالشرك أنه: اتخاذ شريك مع الله ﷻ في عبادته، ومن صور الشرك المنهي عنه -أيضاً- الشرك في التَّسمية، وهي الأسماء التي عُبِّدت لغير الله ﷻ.

وقد غيَّر ﷺ أسماء رجال عُبِّدوا لغير الله تعالى[1]، **وقد بيَّن علماء اليمن -رحمهم الله- أن التعبيد لغير الله تعالى نوع من الشرك، وأكدوا على فساده والنهي عنه؛ وذلك عند قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الأعراف:١٨٩-١٩٠].

ويحمل كثير من أهل التأويل[2] الشرك الوارد في قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ﴾؛ على ما ذُكر في القصة من تسمية آدم وحواء لولدهما بعبد الحارث؛

(١) منهم: عبد الرحمن بن عوف ﷺ؛ قال ابن عبد البر -رحمه الله- في الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣٣٣/٤): ((كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن))، وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤١٦/٢).

ومنهم: أبو هريرة ﷺ؛ فقد روى الحاكم في المستدرك (٥٧٩/٣)؛ عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: ((كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فسميت في الإسلام عبد الرحمن))؛ ثم قال -رحمه الله- في المستدرك (٥٨١/٣)؛ بعد أن ساق الأقوال في اسم أبي هريرة ﷺ: ((أصحها عندي: في الجاهلية عبد شمس، وفي الإسلام عبد الرحمن)).

(٢) وهو اختيار ابن جرير -رحمه الله-؛ حيث قال في تفسيره (٣١٥/١٣): ((وأولى القولين بالصواب قول من قال: عنى بقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾[الأعراف:١٩٠]؛ في الاسم لا في العبادة، وأن المعني بذلك آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك)).

ومجمل هذه القصة: أن آدم وحواء كان لا يعيش لهما ولد،فقال لها إبليس: سميه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسمته؛ فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره؛ وسيأتي بيانها.

ولم يرتض آخرون هذا التأويل؛ لما فيه من الشرك الذي يُنزه عنه أنبياء الله ﷻ، وحملوا الشرك المذكور في الآية على فعل المشركين من ذرية آدم –عليه السلام[(١)].

والذي يعنينا في هذا المقام هو بيان ما يتعلق بموضوع البحث وهو التعبيد لغير الله في كلام علماء اليمن، أثبتوا القصة أو نفوها.

فأما العلامة الصنعاني –رحمه الله– فقد قرر صحَّة هذه القصة؛ وأن التعبيد لغير الله ﷻ من شرك التَّسمية المنهي عنه؛ حيث قال: ((سمى الله التسمية بعبد الحارث شركاً؛ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الأعراف:١٩٠]، فإنه أخرج الإمام أحمد[(٢)].....

---

(١) جزم ابن القيم –رحمه الله– في روضة المحبين (ص٢٨٩): بأن المراد باللذين جعلا له شركاء فيما آتاهما: المشركون من أولاد آدم وحواء، قال: ((ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل أن آدم وحواء كان لا يعيش لهما ولد، فأتاهما إبليس؛ فقال: إن أحببتما أن يعيش لكما ولد؛ فسمياه عبد الحارث، ففعلا، فإن الله سبحانه اجتباه وهداه؛ فلم يكن ليشرك به بعد ذلك)).

وقد سلك هذا المسلك الحافظ ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره (٣/٥٢٥–٥٢٨)، وأطال الكلام في تعليل الروايات الواردة في أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٠]؛ آدم وحواء.

(٢) في مسنده (٣٣/٣٠٥) ح (٢٠١١٧).

والترمذي[١] من حديث سمرة[٢]: أن النبي ﷺ قال: «لما حملت حواء -وكان لا يعيش لها ولد-؛ طاف بها إبليس، وقال: لا يعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحارث، فسمته؛ فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره، فأنزل الله الآيات، وسمى هذه التسمية شركاً، وكان إبليس تسمى بالحارث»[٣].

وقال في موضع آخر في سياق بيانه جملة من أنواع الشرك الأصغر:

((... وفي قوله تعالى في قصة آدم وحواء: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ﴾[الأعراف:١٩٠]؛ فإنه تعالى سمى معصية تسمية ولدهما عبد الحارث، كما ورد به الحديث في تفسير الآية شركاء، وتكلف الزمخشري[٤] ومن تبعه في الآية؛ بجعل الضمير في ﴿جَعَلَا﴾؛ لأولاد آدم...))[٥].

وهذا بيان منه أن الشرك الذي وقعا فيه هو شرك التسمية لا شرك العبادة؛ حيث عدَّ ما وقعا فيه معصية ومن الشرك الأصغر.

كذلك أورد العلامة الشوكاني -رحمه الله- القصة من روايات مختلفة؛ وذكر الخلاف في ذلك[٦].

---

(١) في سننه؛ كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف (١١٨/٥) ح (٣٠٧٧). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٦٨٧/١).

(٢) هو: أبو سليمان -وقيل غير ذلك- سمرة بن جندب بن هلال بن جريح الفزاري، صحابي جليل، وُلي على البصرة والكوفة، وكان شديداً على الخوارج، توفي سنة ٥٨هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٦٥٣/٢-٦٥٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٥٠/٣).

(٣) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٩).

(٤) ينظر: الكشاف (١٨٧/٢).

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير (٥٦٩/٣).

(٦) ينظر: فتح القدير (٣١٤/٢-٣١٥).

وقال في موضع آخر: ((فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح، وأجاب دعاءهما؛ جعلا له شركاء فيما آتاهما، قال كثير من المفسرين: إنه جاء إبليس إلى حواء؛ وقال لها: إن ولدت ولداً فسميه باسمي؛ فقالت: وما اسمك؟ قال: الحارث، ولو سمى لها نفسه لعرفته، فسمته عبد الحارث، فكان هذا شركاً في التسمية، ولم يكن شركاً في العبادة... .

وقال جماعة من المفسرين: إنَّ الجاعل شركاً فيما آتاهما: هم جنس بني آدم؛ كما وقع من المشركين منهم، ولم يكن ذلك من آدم وحواء، ويدل على هذا: جمع الضمير في قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾...))[1].

ورجح –رحمه الله– القول الأول؛ وهو أن المراد بذلك آدم وحواء؛ وأن الشرك الواقع منهما هو شرك في التسمية، لا شرك العبادة؛ لأمور[2]:

منها: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾؛ بأن هذا إنما هو لحواء.

ومنها: ﴿دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾؛ فإن كل مولود يولد بين الجنسين؛ لا يكون منهما عند مقاربة وضعه هذا الدعاء.

وهنا مسألة لا بد من التنبيه عليها: وهي أن من عبَّد لغير الله ﷻ؛ إن أراد التعبيد على حقيقته، وأن من عُبِّد له مستحق للعبادة؛ فإن ذلك عند علماء اليمن وغيرهم شرك أكبر، وإنما يكون التعبيد لغير الله ﷻ شركاً أصغر؛ إذا خلا من هذا الاعتقاد الباطل.

المطلب الثالث: الطِّيَرة.

لقد حرم الإسلام الطيرة؛ لأن فيها إغفالاً للخالق تعالى، وثلماً لعقيدة الإيمان

---

(١) فتح القدير (٣١٣/٢)، وينظر الخلاف بين المفسرين في ذلك: تفسير الطبري (٣٠٨/١٣-٣٠٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٣٤/٥)، وتفسير السمعاني (٢٤٠/٢)، وتفسير البغوي (٢٥٨/٢)، وتفسير القرطبي (٣٣٧/٧-٣٣٨).

(٢) ينظر: فتح القدير (٣١٣/٢).

بالقضاء والقدر، لذلك جاءت النصوص الشرعية بالنهي عنها والتحذير منها، ووصفها بأنها شرك؛ فإن اعتقد تأثيرها بنفسها؛ فهذا شرك أكبر، أما إن اعتقد أنها سبب؛ فهو شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس بسبب سبباً.

وقد تناول علماء اليمن -رحمهم الله- هذه المسألة من خلال ما يلي:

أولا: تعريف الطِّيَرة:

الطِّيَرة: ((بكسر الطاء، وفتح الياء، وقد تُسكَّن: هي التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطيَّر))[1].

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله-: ((الطِّيَرة: بكسر الطاء، بفتح ما بعدها، قال الحكيم: هي سوء الظن بالله، والهرب من قضائه...، قال البيهقي في "شعب الإيمان"[2]: "التطير زجر الطائر وإزعاجها عن أوكارها عند إرادة الخروج للحاجة؛ فإذا مرت على اليمين تفاءل به ومضى على وجهه، وإن مرت على الشمال تفاءل به وقعد"))[3].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله-: ((التطير: فهو من الطيرة؛ بكسر الطاء المهملة، وفتح المثناة التحتية، وقد تسكن، وهي التشاؤم بالشيء، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع، وأبطله، ونهى عنه))[4].

وقال في موضع آخر: ((التطير: التشاؤم، وأصله الشيء المكروه من قول، أو فعل، أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح[5]، فينفرون الظباء والطيور؛ فإن

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٥٢/٣)، وينظر: الصحاح (٧٢٨/٢).

(٢) (٣٩٦/٢).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (١٨٦/٧).

(٤) نيل الأوطار (٢٣١/٨).

(٥) السانح: ما أتاك عن يمينك من طائر أو ظبي أو غير ذلك، يتيمن به، تقول: سنح لنا سنوحاً، والبارح من الظباء والطير خلاف السانح. ينظر: تهذيب اللغة (١٨٦/٤)، (٢٠/٥).

أخذت ذات اليمين؛ تبركوا به، ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال؛ رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم، فنفى الشرع ذلك، وأبطله، ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير ينفع ولا يضر))[١].

ثانياً: حكم الطيرة:

جاءت النصوص المتوافرة في النهي عن الطِّيَرة والتحذير منها وبيان أنها من الشرك؛ وقد أورد علماء اليمن جملة منها:

فأما العلامة الصنعاني -رحمه الله- فقد قرر أن ((الطيرة نوع من الشرك))[٢]؛ ((لأنها كانت تعتقد العرب أن ما يتشاءمون به شيئاً مؤثرًا في حصول المكروه))[٣].

وقال في شرحه لقوله ﷺ: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»[٤]: ((«فقد أشرك» بالله؛ لاعتقاده أن لله شريكاً في تقدير الخير والشر...))[٥].

وأما العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- فقد قرر أن العيافة والطيرة من الجِبت، وأورد نصوصاً في الدلالة على ذلك؛ فقال: ((باب ما جاء في العيافة، والطيرة، والطرق من الجبت؛ قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [النساء:٥١]، الجبت: كل ما عُبد من دون الله، وقال الجوهري: "الجبت كلمة تقع على الصنم، والكاهن، والساحر، ونحو ذلك"[٦]، وفي الحديث: «الطيرة، والعيافة، والطرق؛ من

---

(١) نيل الأوطار (٧/٢١٦).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٦/٣٤١).

(٣) المصدر السابق (٧/١٨٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١١/٦٢٣) ح (٧٠٤٥)؛ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/١٠٧٥).

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/٢٣٤).

(٦) الصحاح (١/٢٤٥).

الجبت»[١]...، قال عوف أحد رواته: "العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط بالأرض"[٢]، وقال أبو داود: "الطرق: الزجر، والعيافة: الخط"[٣]...))[٤]

كما أورد العلامة الشوكاني -رحمه الله- جملة من الأحاديث في النهي عنها[٥]**؛ منها ما سبق ذكره؛ ومنها:** قوله ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، والفأل الصالح:

الكلمة الحسنة»[٦].

ومنها: قوله ﷺ: «الطيرة شرك -ثلاثاً-، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[٧].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٦/٢٥) ح (١٥٩١٥)، وأبو داود؛ كتاب: الطب، باب: في الخط وزجر الطير (١٦/٤) ح (٣٩٠٧)؛ من حديث قبيصة ﷺ. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٥٦٨/١).

(٢) ينظر: سنن أبي داود (١٦/٤).

(٣) المصدر السابق (١٦/٤).

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٥٨).

(٥) ينظر: إتحاف المهرة بالكلام على حديث لا عدوى ولا طيرة؛ للشوكاني (ص٢٥-٦٢)، ونيل الأوطار (٢١٨/٧).

(٦) أخرجه البخاري؛ كتاب: الطب، باب: الفأل (٢٢٥/١٠) ح (٥٧٥٦)، ومسلم؛ كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (١٧٤٦/٤) ح (٢٢٢٤)؛ من حديث أنس رضي الله عنه.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٣/٦) ح (٣٦٨٧)، وابن ماجه؛ كتاب: الطب، باب: من كان يُعجبه الفأل ويكره الطيرة (١١٧٠/٢) ح (٣٥٣٨)، وأبو داود؛ كتاب: الطب، باب: في الطيرة (١٧/٤) ح (٣٩١٠)، والترمذي؛ كتاب: السير، باب: ما جاء في الطيرة

قال الشوكاني -رحمه الله-: ((وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً، أو يدفع عنهم ضرراً؛ إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى، ومعنى إذهابه بالتوكل: أن ابن آدم إذا تطير، وعرض له خاطر من التطير؛ أذهبه الله بالتوكل، والتفويض إليه، وعدم العمل بما خطر من ذلك، فمن توكل؛ سلم، ولم يؤاخذه الله بما عرض له من التطير))(١).

وقال -رحمه الله- في شرحه لحديث: «إن العيافة، والطرق، والطير؛ من الجبت»(٢): ((وهذه الأمور إنما كانت من الجبت والشرك، لأنها مظنة للتعظيم الجالب للاعتقاد الفاسد))(٣).

وذلك باعتقاد أنها جالبة للنفع، أو دافعة للضر؛ وهذا مناقض للتوحيد.

كما أورد -رحمه الله-(٤) حديث ابن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا عدوى، ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة»(٥)، وفي رواية لمسلم(٦): «إن كان الشؤم في شيء؛ ففي الفرس، والمسكن، والمرأة».

(٢١٢/٣) ح (١٦١٤)؛ وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٩٢/١).

(١) نيل الأوطار (٢١٧/٧)، وينظر: إتحاف المهرة بالكلام على حديث لا عدوى ولا طيرة (ص٥٧-٥٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص٦٨٣).

(٣) الدر النضيد في إخلاص التوحيد (٣٢٩/١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٤) ينظر: إتحاف المهرة بالكلام على حديث لا عدوى ولا طيرة (ص٦٩-٧٠)، ونيل الأوطار (٢١٨/٧).

(٥) أخرجه البخاري؛ كتاب: الطب، باب: الطيرة (٢٢٣/١٠) ح (٥٧٥٣)، ومسلم؛ كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (١٧٤٧/٤) ح (٢٢٢٥).

(٦) في صحيحه؛ كتاب: السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (١٧٤٨/٤)

وهذا الحديث قد يوهم على بعض الناس، فيظن أنه يدل على التطير؛ وقد أجاب عنه أهل العلم بأجوبة عديدة.

وقد ذكر الشوكاني –رحمه الله– بعض أقوالهم؛ وأطال في بيانها[1]**؛ ومن ذلك قوله**: ((قال النووي: "اختلف العلماء في حديث: «الشؤم في ثلاث»، فقال مالك –رحمه الله–: "هو على ظاهره، وإن الدار قد يجعل الله تبارك وتعالى سكناها سبباً للضرر، أو الهلاك، وكذا اتخاذ المرأة المعينة، أو الفرس، أو الخادم؛ قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى"[2].

وقال الخطابي: "قال كثيرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة: أي الطيرة منهي عنها؛ إلا أن يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس، أو خادم؛ فليفارق الجميع؛ بالبيع ونحوه، وطلاق المرأة"[3].

وقال آخرون: شؤم الدار: ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة: عدم ولادتها، وسلاطة لسانها، وتعرضها للريب، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها، وقيل: حرانها، وغلاء ثمنها، وشؤم الخادم سوء خلقه، وقلة تعهده لما فوض إليه، وقيل: المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة"[4]...))[5].

ثم قال –رحمه الله–: ((**والراجح ما قاله مالك**، وهو الذي يدل عليه حديث أنس الذي ذكرنا، فيكون حديث الشؤم مخصصاً لعموم حديث: «لا

ح (٢٢٢٥).

(١) ينظر: إتحاف المهرة (ص٧٢-٨١).

(٢) ينظر: الفواكه الدواني؛ للنفراوي (٣٤٢/٢).

(٣) ينظر: معالم السنن (٢٣٦/٤).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٠/١٤-٢٢٢).

(٥) إتحاف المهرة (ص٧٢)، وينظر: نيل الأوطار (٢١٨/٧-٢١٩).

طيرة»، فهو في قوة: لا طيرة إلا في هذه الثلاث...))[1].

كذلك أوضح العلامة المعلمي -رحمه الله- أن الطِّيرة من الشرك، فلا يلتفت إليها العبد، وأن العمل بالطيرة: أن تصدَّك عن أمر قد عزمت عليه، أو كنت متردداً فيه، أو تُمضيك في أمر لم تكن عازماً عليه؛ حيث افتتح كلامه -رحمه الله- عن الطيرة؛ بحديث عبد الله بن مسعود ﷺ؛ وفيه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطِّيَرَة من الشرك وما مِنَّا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل»[2][3].

ثم قال -رحمه الله-: ((أقول: لا يخلو المتطِّير أن يظن أن الطائر سبب أو علامة، وعلى الحالين فهذا الظن من قسم التديُّن؛ لأنه لا يُعرف له توجيه من الأصول العادية المبنيَّة على الحسِّ والمشاهدة، وهو تديُّنٌ بما لم يشرعه الله ﷻ؛ فيكون شركاً.

وإنما الشأن في حصول الظنِّ، وقد جعل الشارع ضابط حصول الظن هو العمل به، ففي صحيح مسلم[4] من حديث معاوية بن الحكم[5]: ...قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإنَّ مِنَّا رجالاً يأتون الكهَّان، قال: «فلا تأتوهم»، قال: ومنَّا رجال يتطيرون، قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدَّنَّهم»... .

فالذي يعرض للمؤمنين إنما هو من قبيل الوسوسة التي لا تقدح في الإيمان أصلاً،... وفي صحيح مسلم[6] عن عبد الله بن مسعود قال: سُئل النبي -صلى الله

---

(١) المصدر السابق (٢١٩/٧).

(٢) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٣) ينظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٩٤٩/٢).

(٤) كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة (٣٨١/١) ح (٥٣٧).

(٥) هو: معاوية بن الحكم السلمي، صحابي جليل، سكن المدينة. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٤١٥/٣-١٤١٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (١١٨/٦).

(٦) كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها (١١٩/١) ح

الله عليه وآله وسلم- عن الوسوسة، قال: «تلك محض الإيمان»، وعن أبي هريرة قال: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه؟»، قالوا: نعم، قال: «ذاك صريح الإيمان»[1].

فالعمل بالطيرة أن تصدَّك عن أمر قد عزمت عليه، أو كنت متردداً فيه، أو تُمضيك في أمر لم تكن عازماً عليه))[2].

ثم أوضح -رحمه الله-: أنه لو ((لو عزم رجل على معصية، أو همَّ بها؛ فعرض عارض؛ ففهِم منه إشارة إلى موعظة؛ فصدَّه عن المعصية، لم يكن هذا من الطيرة المنهي عنه؛ لأن الذي صدَّه في الحقيقة إنما هو عِلمه بأن ذلك الفعل معصية، متوعَّدٌ عليها بالعذاب.

وكذا من كان متردداً في فعل يعلم أنه طاعة لله ﷻ، فعرض له عارضٌ؛ ففهم منه إشارة ترغِّبه في الفعل؛ ففعل))[3].

وفي بيان مسألة الفأل؛ وهل هو من الطيرة أو لا؛ قال -رحمه الله-: ((ليس من الطيرة ما يُنقل عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- من حُبِّ الفأل[4]، فإنه لم يكن الفأل يحمله -صلى الله عليه وآله وسلم- على فعل ما لم يكن يريد أن يفعله، ولا يصدُّه عن فعل ما كان يريد أن يفعله، وإنما يُروى عنه -صلى الله عليه وآله وسلم-: «أنه كان إذا أراد أن يرسل رسولاً؛ تحرَّى أن يكون اسمه حسناً»[5]،

.(١٣٣)

(١) أخرجه مسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجده (١١٩/١) ح (١٣٢).

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٩٤٩/٢-٩٥١).

(٣) المصدر السابق (٩٥١/٢).

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤/٣٨) ح (٢٢٩٤٦)، وأبو داود؛ كتاب: الطب، باب: في الطيرة (١٩/٤) ح (٣٩٢٠)؛ من حديث بريدة ﷺ: «أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء،

ونحو ذلك.

قال العلماء: إنما هذا من باب سد الذريعة؛ لئلا يقع أمر مكروه قد قُضِيَ، فيُلقي الشيطان في نفوس بعض الناس ؛أن ذلك لأجل قبح اسم الرسول، أو نحوه))[1].

ثم بيَّن -رحمه الله-: ((أن التفاؤل محمودٌ في الجملة؛ فاختيار الاسم الحسن؛ ليتفائل به المرسَلُ إليه؛ فيكون ذلك أدعى إلى امتثال ما أرسل إليه به النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، ولا يكون ذلك إلا خيراً، ولو كان الاسم قبيحاً لتطير به المرسَل إليه إن كان كافراً، أو قريب عهد بالإسلام، وهم الغالب يومئذٍ...))[2].

وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه...». وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٣٨٩).

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (٢/٩٥١-٩٥٢).

(٢) المصدر السابق (٢/٩٥٢-٩٥٣).

المطلب الرابع: الرياء.

تقدم بيان أن الإخلاص لله ﷻ أساس الدِّين، وروح التوحيد والعبادة، وهو: أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله، لا يريد بذلك رياء، ولا سمعة، ولا رياسة، ولا شيئاً من حطام الدنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده؛ وقد تقدم بيان تقرير علماء اليمن -رحمهم الله- لأهمية الإخلاص وكونه شرطاً في قبول الأعمال[1].

ومن أعظم ما ينافي الإخلاص مراءاة الناس؛ والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم، أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد.

وقد جاءت النصوص الشرعية ببيان حرمة الرياء والتحذير منه -كما سيأتي بيانها-؛ لأنه إشراك بالله تعالى، وقد سماه النبي ﷺ شركاً أصغر، ولذلك فإنه يتنافى مع كمال التوحيد إن كان يسيراً، وإن كان كثيراً فإنه ينافي التوحيد بالكلية.

وقد أوضح علماء اليمن -رحمهم الله- حقيقة الرياء، وبينوا خطورته؛ وبيان ذلك كما يلي:

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله- في تعريف الرياء وبيان حقيقته: ((الرياء: مصدر رَاءَى فاعل، ومصدره يأتي على بناء مُفاعَلة وفِعَال، وهو مهموز العين؛ لأنه من الرؤية، ويجوز تخفيفها بقلبها ياء.

وحقيقته لغة: أن يرى غيره خلاف ما هو عليه.

وشرعاً: أن يفعل الطاعة، ويترك المعصية؛ مع ملاحظة غير الله، أو يخبر بها، أو يحب أن يُطَّلع عليها؛ لمقصد دنيوي؛ من مال، أو نحوه))[2].

وقرر -رحمه الله-: ((أن الرياء محرم اتفاقاً))[3].

وقال في بيان خطورته والتحذير منه: ((وقد ذمه الله في كتابه وجعله من

---

(١) ينظر: (ص١٧٩).

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٢/٦٦٠).

(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام (٢/٥٤٩).

صفات المنافقين في قوله: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠]...، وورد فيه من الأحاديث الكثيرة الطيبة الدالة على عظمة عقاب المرائي، فإنه في الحقيقة عابد لغير الله...))[١]، ثم أورد -رحمه الله-: جملة من مظاهر الرياء[٢].

ومن الأحاديث التي ذكرها -رحمه الله- في ذم الرياء[٣]: قوله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه»[٤].

قال -رحمه الله-: ((الحديث تحذير من الرياء، وإخبار بأنه شرك))[٥].

وقال في موضع آخر: ((سمى الله الرياء في الطاعات شركاً، مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى، وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس، فالمرائي عبد الله لا غيره، لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة في قلوب الناس، فلم يقبل له عبادة، وسماها شركاً، كما أخرج مسلم[٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه»))[٧].

كذلك أوضح العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- خطر

---

(١) المصدر السابق (٢/٦٦٠).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٢/٦٦٠-٦٦١).

(٣) ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير (٨/٥).

(٤) تقدم تخريجه (ص١٥٥).

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير (٨/٥).

(٦) تقدم تخريجه (ص١٥٥).

(٧) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٩).

الشرك الأصغر؛ الرياء، وأورد جملة من النصوص الواردة في التحذير منه؛ حيث قال في سياق بيانه لخطورة الشرك بنوعيه؛ الأكبر والأصغر: ((قد صحَّ أن أول من تُسعر بهم جهنم ثلاثة من أهل الشرك الأصغر؛ ففي صحيح مسلم[1] عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة ثلاثة؛ رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: فلان جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم؛ وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه؛ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت القرآن فيك، قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه؛ حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به؛ فعرفه نعمه؛ فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن تنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار»))[2].

---

(١) كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (١٥١٣/٣) ح (١٩٠٥).

(٢) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٣-١٢٤).

ومن الأحاديث التي أوردها -أيضاً-[1]: قوله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه؛ نادى مناد، من كان أشرك في عمله لله أحد فليطلب ثوابه من عنده؛ فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»[2].

ثم قال -رحمه الله-: ((فهذه العقوبات الأخروية لبعض أهل الشرك الأصغر؛ وهو الرياء، وذلك هو السَّحب على وجوههم وإلقاؤهم في النار، نعوذ بالله من ذلك، وليس في الرياء إلا فساد العبد، يكون الباعث له على ذلك العمل لغير الله وهوى إرادته؛ أن ينسب إليه عمل أهل الإخلاص، وهو وطر من أوطار النفس، وحظ من حظوظها الدنيوية، ولم يكن فيه شيء من الخضوع لله، والتعظيم له؛ الذي هو معنى العبادة، وإنما الباعث له على العمل غير الله، وأما العمل نفسه فهو لله؛ فلهذا كان شركاً أصغر، وكان مردوداً على عامله؛ لأنه غير مخلص لله، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة:٥]، فغير الخالص غير مأمور به، وما لم يؤمر به فليس بعبادة لله، وقد سمعت ما صح عن رسول الله ﷺ فيما أعده الله لصاحبه من الخزي في الآخرة، فكيف ترى عقوبة من تعبد لغير الله بغاية الخضوع مع غاية الذل والحب، نسأل الله الإخلاص في العمل))[3].

وقال العلامة الشوكاني -رحمه الله- في بيان معنى الرياء: ((الرياء: إظهار الجميل ليراه الناس، لا لاتباع أمر الله))[4].

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾[محمد:٣٣]: ((المراد بذلك: النهي

---

(١) ينظر: قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٤-١٢٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/١٦١) ح (١٥٨٣٨)، وابن ماجه في سننه؛ كتاب: الزهد، باب: الرياء والسمعة (٢/١٤٠٦) ح (٤٢٠٣)، والترمذي في سننه؛ كتاب: تفسير القرآ،، باب: ومن سورة الكهف (٥/١٦٥) ح (٣١٥٤)؛ وقال: هذا حديث غريب؛ من حديث سعيد بن أبي فضالة ﷺ. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/١٤٥).

(٣) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢٦-١٢٧).

(٤) فتح القدير (١/٦١٠).

عن الرياء، كأنه قال: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء بل أخلصوها لله))[1].

كما عدَّه –رحمه الله– من الشرك الأصغر؛ حيث قال: ((الرياء هو الشركُ المشارُ إليه بقوله –صلي الله عليه وآله وسلم-: «الشرك أخْفى في أمتي من دبيب النمل»[2]...))[3]، **وأورد**[4] **قوله ﷺ:** «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشركُ الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله يومَ القيامة إذا جُزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتُم ترآؤن في الدنيا؛ فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟»[5].

وأورد جملة من الأحاديث الواردة في التحذير من الرياء، منها ما سبق ذكره[6]**، ومنها:** قوله ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال؟»، قالوا: بلى، قال: «الشرك الخفي، يقوم الرجل فيزين صلاته؛ لما يرى من نظر رجل»[7].

---

(١) نيل الأوطار (٣٠٦/٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨٣/٣٢-٣٨٤) ح (١٩٦٠٦)؛ من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٩٣/١).

(٣) فائق الكسا في جواب عالم الحسا (٦٢٢٦/١٢-٦٢٢٧)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٤) ينظر: المصدر السابق (٦٢٢٧/١٢).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/٣٩) ح (٢٣٦٣٠)؛ من حديث محمود بن لبيد ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٣٢٣/١).

(٦) ينظر: الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٣٣١/١-٣٣٢). وفتح القدير (٣٧٦/٣)، وقطر الولي على حديث الولي (ص٤٣٨-٤٤١).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥٤/١٧-٣٥٥) ح(١١٢٥٢)، وابن ماجه في سننه؛ كتاب: الزهد، باب: الرياء والسمعة (١٤٠٦/٢) ح (٤٢٠٤)؛ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٥٠٩/١).

ثم وقال: ((وفي الباب أحاديث كثيرة في التحذير من الرياء، وأنه الشرك الأصغر، وأن الله لا يقبله))(١).

وقال -أيضاً- مبيناً عظيم خطره: ((والأحاديث الواردة في كون الرياء مبطلاً للعمل، موجباً للإثم؛ كثيرة جداً، واردة في أنواع من الرياء؛ الرياء في العلم، والرياء في الجهاد، والرياء في الصدقة، والرياء في أعمال الخير على العموم، ومجموعها لا يفي به أي مصنف مستقل.

والرياء هو أضر المعاصي الباطنة وأشرها، مع كونه لا فائدة فيه؛ إلا ذهاب أجر العمل، والعقوبة على وقوعه في الطاعة، فلم يذهب به مجرد العمل، بل لزم صاحبه مع ذهاب عمله الإثم البالغ.

ومن كان ثمرة ريائه هذه الثمرة، وعجز عن صرف نفسه عنه؛ فهو من ضعف العقل، وحمق الطبع بمكان فوق مكان المشهورين بالحماقة))(٢).

وقال -أيضاً-: ((فإذا كان مجرد الرياء الذي هو فعل الطاعة لله ﷻ مع محبة أن يطلع عليها غيره، أو يثني بها، أو يستحسنها فيه؛ شركاً، فكيف بما هو محض الشرك؟))(٣).

وقال في موضع آخر: ((اعلم أن عمدة الأعمال التي تترتب عليها صحتها أو فسادها؛ هي النية والإخلاص، ولا شك أنهما من الأمور الباطنة، فمن لم تكن نيته صحيحة؛ لم يصح عمله الذي عمله، ولا أجره المترتب عليه، ومن لم يخلص عمله لله سبحانه؛ فهو مردود عليه مضروب به في وجهه، وذلك كالعامل الذي

---

(١) فتح القدير (٣/٣٧٧).

(٢) قطر الولي على حديث الولي (ص٤٤١).

(٣) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٣٢)؛ ضمن الفتح الرباني.

يشوب نيته بالرياء))[1].

وقال العلامة الحسن عاكش -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:١١٠]: ((إشراكاً جلياً؛ كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، ولا إشراكاً خفياً؛ كما كما يفعله أهل الرياء...))[2].

وقال -أيضاً- عند قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزمر:٢-٣]: ((... أي: فاعبده تعالى مخلصاً له الدِّين من شوائب الشرك والرياء...، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾، أي: العبادة المحضه لا لغيره، فإنه مطلع على السرائر، وغيره مكتف بالظواهر))[3].

وقال القاضي عبد الرحمن البهكلي -رحمه الله- : ((وفي ذِكر نفي الشرك بعد العبادة؛ تنبيه على الإخلاص؛ لأن العبادة لا يصح وجودها مع الشرك، ولا ينتفي التشريك عنها إلا بالإخلاص، وهو مناط القبول))[4].

كذلك أوضح الشيخ البيحاني -رحمه الله-: أن في كتب ((الترغيب والترهيب من ذم الرياء وأهله، ما فيه موعظة للمتقين، وذكرى للذاكرين؛ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[هود:١٥-١٦]، وأخوف ما كان النبي ﷺ يخاف على أمته الرياء؛ وهو الشرك الأصغر[5]، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:١١٠]))[6].

---

(١) قطر الولي على حديث الولي (ص٤٣٨).

(٢) فتح المنان؛ تحقيق المرشود (ص٣٢٦).

(٣) المصدر السابق؛ تحقيق: عبد الكريم الشملان (ص٩١٩).

(٤) تيسير اليسرى؛ تحقيق: محمد محمد حفظ الله (ص٢٠٩).

(٥) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٦) إصلاح المجتمع (ص٢٦).

وقال في موضع آخر: ((والشرك خفي وجلي؛ ومن الخفي أن تعمل رياء...))[1].

وجماع القول: أن الرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها، لعل الله يخلص إيمان العبد، ويحقق توحيده.

---

(١) المصدر السابق (ص٦٨)، وينظر: المصدر نفسه (ص١١٠).

المطلب الخامس: التسوية في المشيئة.

من أنواع الشرك الأصغر؛ التسوية في المشيئة، وقد كان ﷺ يكره هذه الكلمة، غير أن الحياء منعه من نهي أصحابه عنها[1]؛ ففي حديث الطفيل بن سخبرة[2] رضي الله عنه: أنه رأى في المنام كأنه مر برهط من اليهود والنصارى، وكلهم يقولون: أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، وأنه قصَّ رؤياه على النبي ﷺ؛ فخطب؛ فقال: «إنكم كنتم تقولون كلمة؛ كان يمنعني الحياء منكم أن أنهاكم عنها؛ قال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد»[3].

وقال النبي ﷺ؛ حين قال له رجل: ما شاء الله وشئت؛ قال: «أجعلتني لله نداً، ما شاء الله وحده»[4].

وهذا فيه دلالة على المنع الشديد من هذه الكلمة؛ فإن النبي ﷺ أعلم الناس بمراده تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقر:٢٢]، وفي إنكاره على قائل هذه الكلمة جعْله إياه نداً؛ تفسير منه ﷺ للآية الكريمة بلا ريب[5].

---

(١) سيأتي بيان العلامة الصنعاني، والشوكاني -رحمهما الله- للسبب الذي حمل النبي ﷺ على تغليب جانب الحياء من نهيهم عن هذه الكلمة.

(٢) هو: الطفيل بن عبد الله بن الحارث بن سخبرة الأزدي، وقيل: القرشي، وهو أخو عائشة لأمها، أسلم في مكة قبل الهجرة. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٧٥٦/٢-٧٥٧)، والإصابة في تمييز الصحابة (٤٢١/٣-٤٢٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٩٦/٣٤-٢٩٧) ح (٢٠٦٩٤). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٦٥/١).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٧٤) ح (٧٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤٤/١٢) ح (١٣٠٠٥)؛ من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص٢٩٢).

(٥) سيأتي بحول الله تعالى بيان أن من علماء اليمن من أورد أحاديث النهي عن التسوية في المشيئة عند هذه الآية؛ وذلك لما تضمنته الأحاديث من بيان لمعناها.

والنصوص الواردة في النهي عن هذه الكلمة كثيرة، وتدل على أنها نوع من الشرك الذي يجب تطهير اللسان منه، فإن جعْل أحد مع الله في مشيئته من أعظم الباطل، وأكبر البهتان، والله ﷻ يقول في المشيئة التي جعلها لعباده: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان:٣٠].

وفيما يلي بيان لأقوال علماء اليمن في المسألة؛ حيث يرون المنع من إطلاق هذه الكلمة؛ محتجين بالنصوص الواردة في النهي عنها، وعدها من الشرك.

فقد بين العلامة الصنعاني -رحمه الله- سبب عدم نهي النبي ﷺ عن هذه الكلمة في بداية الأمر؛ وقرر حرمتها، وأوضح الفرق بين اللفظة الممنوعة واللفظة الجائزة؛ حيث قال -رحمه الله- في شرحه لحديث: «قد كنت أكره لكم أن تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد»[1]؛ قال: ((كأنه ﷺ قد سمعهم يقولون ذلك؛ فكرهه، ولما ينه عنه؛ لجواز أنه جائز عند الله تعالى، ولا ينهى إلا عن قبيح[2]، «ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد»؛ ظاهره أنه قد نهى عن العبارة الأولى تحريماً، وقيل: إنما هو نهي تنزيه؛ رعاية للأدب.

وإنما فرق بين العبارتين؛ لأن الواو للجمع بين المتعاطفات، وثم للدلالة على أن رتبة المعطوف دون المعطوف عليه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦٤/٣٨) ح (٢٣٣٣٩)، وابن ماجه؛ كتاب: الكفارات، باب: النهي أن يُقال ما شاء الله وشئت (٦٨٥/١) ح (٢١١٨)؛ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٨٠٨/٢).

(٢) قال محمد بن نصر المروزي -رحمه الله- في "تعظيم قدر الصلاة" (٨٦٣/٢) -بعد أن روى حديث الطفيل-: ((كان يكره أن يُقال ذلك، ويستحي أن ينهاهم؛ لأنه لم يكن جاءه عن الله تعالى نهي عن ذلك، فلما رأى طفيل الرؤيا؛ استدل بذلك على أن الله تعالى قد كره ذلك؛ فنهاه عنه)).

قال الخطابي: "أرشدهم إلى رعاية الأدب في التقديم، وإخبار لهم من بين طرق التقديم ثم المفيدة للترتيب والمهملة والفاصلة الزمانية لتفيد أن مشيئة غير الله مؤخرة بمراتب وأزمنة"[1].

قال ابن القيم: "وفي معناه الشرك المنهي عنه؛ كقول من لا يتوقى الشرك: أنا بالله وبك، وفي حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متكل على الله وعليك، ووالله وحياتك، ونحوه من الألفاظ الشنيعة"[2]))[3].

كما عد العلامة الحسن بن خالد الحازمي –رحمه الله– التسوية في المشيئة من الشرك الأصغر؛ حيث قال في سياق بيانه لأنواعه: ((ورد إطلاق الشرك على الرياء...، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوقات في المشيئة؛ مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، ومثله: مالي إلا الله وأنت، ولولا أنت لم يكن كذا...))[4].

ثم توسَّع –رحمه الله– عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]**، في ذكر ما ورد في السنة تبياناً لمعناها، وركَّز على أحاديث النهي عن التسوية في المشيئة،** ومن ذلك قوله: ((الند: هو المثِل، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]؛ قال: أنداداً: أشباهاً[5]، وفي رواية عنه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: لا تشركون بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول إلى توحيد؛ وهو الحق لا

---

(١) ينظر: معالم السنن (١٣١/٤-١٣٢).

(٢) ينظر: زاد المعاد (٣٢٢/٢)، ومدارج السالكين (٣٥٢/١).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير (٥٤/٨).

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٢١).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٣٦٩/١).

شك فيه[1]... .

وعن الطفيل بن شجرة أخي عائشة أم المؤمنين لأمها؛ قال: رأيت فيما يرى النائم، كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، قالوا: وأنتم القوم؛ لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد، ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: ولإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ، فأخبرته به، فقال: «أخبرت بها أحداً؟»، قلت: نعم، فقام، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «فإن طفيلاً رأى رؤيا؛ أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد؛ ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»[2]... .

وعن ابن عباس قال: قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت؛ قال: «أجعلتني لله نداً؛ قل: ما شاء الله وحده»[3]...))[4].

وهذا منه حمل للتنديد في الآية على معان؛ ومنها تسوية غير الله بالله في المشيئة.

ثم قال -رحمه الله-: ((وهذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩]، وقال الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[التكوير:٢٨]...))[5].

ولا ريب أن اتخاذ النِّد منهي عنه؛ كما في الآية، وجعله -رحمه الله- تسوية

---

(١) ينظر: المصدر السابق (١/٣٧٠).

(٢) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٣) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٥٢-١٥٤).

(٥) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٥٤).

غير الله بالله في المشيئة من معاني التنديد المنهي عنه؛ هو صنيع جمع من المفسرين من أهل العلم[1]؛ فإذا حمل المفسر الآية على معنى من المعاني؛ فإن هذا المعنى يكون منهياً عنه عنده بالنص نفسه.

كذلك قرر العلامة الشوكاني -رحمه الله- أن التسوية في المشيئة من الشرك الأصغر؛ وصنع صنيع العلامة الحازمي -رحمه الله- في إيراد أحاديث النهي عن التسوية في المشيئة عند الآية المذكورة[2]، والقول في صنيعه كالقول في صنيع الحازمي -رحمهما الله-.

وقال في موضع آخر: ((والوارد في هذا الباب كثير، وفيه أن التشريك في المشيئة بين الله ورسوله، أو غيره من عبيده؛ فيه نوع من الشرك... .

وأخرج ابن أبي حاتم[3] عن ابن عباس في تفسيره قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]؛ أنه قال: "الأنداد أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كلبه هذا؛ لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار؛ لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. هذا كله شرك"))[4].

ونقل عن ابن القيم -رحمه الله- قوله: ((وأما الشرك الأصغر؛ فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله...، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، هذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على

---

(١) منهم ابن كثير -رحمه الله-؛ حيث ذكر ما ورد في الأحاديث النبوية في بيان معنى الآية، وركز على ما جاء منها في النهي عن التسوية في المشيئة. ينظر: تفسر ابن كثير (١/٥٧-٥٨).

(٢) ينظر: فتح القدير (١/٦١-٦٢)، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٣٢-٣٣٤)؛ ضمن الفتح الرباني، ونيل الأوطار (٦/٢٨٨-٢٩٠).

(٣) في تفسيره (١/٦٢).

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٣٤)؛ ضمن الفتح الرباني.

الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا شركاً أكبر؛ بحسب حال قائله ومقصده))[1].

كما نقل عن الشافعي -رحمه الله- بيانه لسبب منعه ﷺ لهذه الكلمة؛ فقال: ((ولهذا قال الشافعي في سبب نهيه ﷺ عن قول الرجل: ما شاء الله وشئت، وإذنه له بأن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان -: "إن المشيئة إرادة الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان:٣٠]، قال: فأَعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله، فيقال لرسوله: ما شاء الله ثم شئت، ولا يقال: ما شاء الله وشئت"[2]))[3].

كذلك قرر الشيخ البيحاني -رحمه الله- أن التسوية في المشيئة من الشرك الأصغر؛ واستدل على ذلك بقول النبي ﷺ؛ حين قال له رجل: ما شاء الله وشئت؛ قال: «أجعلتني لله نداً، ما شاء الله وحده»[4][5].

وقرر الشيخ الوادعي -رحمه الله- حرمة التسوية في المشيئة؛ وأن ((هذا يعتبر شركاً في اللفظ، أما النية؛ فإذا قصد أن النبي ﷺ شريكاً لله؛ يعتبر كافراً، وإذا قصد مجرد اللفظ؛ فهو شرك في اللفظ.

فالنبي ﷺ يقول: «قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد»[6]، فلا يُشارَك النبي ﷺ مع الله ﷻ، ويُنزل كل منزلته، فالله سبحانه وتعالى ينزل منزلته الرفيعة اللائقة به،

---

(١) المصدر السابق (١/٣٧١)، وينظر: مدارج السالكين (١/٣٥٢).

(٢) ينظر: الأم (١/٢٣٢-٢٣٣)، ومعرفة السنن؛ للبيهقي (٤/٣٧١).

(٣) نيل الأوطار (٦/٢٩٠).

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل.

(٥) ينظر: إصلاح المجتمع (ص٢١٢).

(٦) تقدم تخريجه قبل قليل.

والنبي ﷺ ينزل منزلته الرفيعة اللائقة بنبوته ﷺ))[1].

فتبين مما سبق: حرمة التسوية بين الله وبين غيره في المشيئة، وتقرير علماء اليمن لذلك؛ فكيف بمن أسند الحوادث لغيره سبحانه، ولم يذكر اسم الله ﷻ معه أصلاً؟ فلا ريب أن حاله أسوأ وأجدر بالمنع، والله أعلم.

(١) مجموع فتاوى الوادعي (ص١٥٥).

المطلب السادس: الاستسقاء بالأنواء[1].

تقدم بيان أن الإسلام نهى عن كل ما يوقع في الشرك، أو يوهمه؛ من الأقوال والأفعال.

ومن ذلك: الاستسقاء بالأنواء؛ والمراد به: نسبة السقيا، ومجيء المطر إلى الأنواء، وهي منازل القمر؛ كقول: مطرنا بنوء كذا؛ لأن ظاهر هذا القول نسبة الفعل إلى غير الله تعالى، وهذا شرك في الربوبية، كما أنه قد يحتمل ما هو أقل من ذلك؛ كالشرك الأصغر[2].

والأصل في النهي عن ذلك؛ ما جاء في السنة النبوية بالنهي عن هذا القول والتحذير منه؛ فعن زيد بن خالد الجهني[3] ﵁ قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي

---

(١) قال ابن الأثير -رحمه الله- في "النهاية في غريب الحديث والأثر" (٥/١٢٢): ((الأنواء: هي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾[يس:٣٩]، ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها: يكون مطر، وينسبونه إليها، فيقولون: مطرنا بنوء كذا، وإنما سمي نوءا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب؛ ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءا: أي نهض وطلع)). وسيأتي بيان العلامة الصنعاني -رحمه الله- لها.

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٨٧).

(٣) هو: أبو طلحة، وقيل: أبو عبد الرحمن، وقيل: أبو زرعة زيد بن خالد الجهني؛ شهد الحديبية، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح، توفي سنة ٦٨هـ، وقيل غير ذلك. ينظر ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/٥٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٤٩٩).

وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[1].

ففي هذا الحديث أخبر الله ﷻ أن من عباده مؤمناً به وكافراً، فالمؤمن هو من نسب نزول المطر إلى فضل الله ورحمته، ولم يعتقد في الكوكب والنجم تأثيراً ولا سبباً.

وأما الكافر: فهو من اعتقد أن للكوكب أو النجم تأثيراً أو سبباً في نزول المطر، وأغفل رحمة الله تعالى وفضله.

وظاهر الحديث يقتضي أن هذا القول مخرج من الملة؛ وأن قائل ذلك كافر كفراً أكبر، لكن هذا الظاهر يُحمل على من اعتقد أن الكوكب أو النجم هو الفاعل لذلك من دون الله تعالى.

أما من اعتقد أن الكوكب أو النجم إنما هو سبب، وأن الفاعل حقيقة هو الله ﷻ؛ فهذا لا يكون كافراً كفراً مخرجاً من الملة، بل يكون كفراً دون كفر، أو شركاً أصغر.

وهذا التفصيل هو ما نص عليه أهل العلم[2] ومنهم علماء اليمن –رحمهم الله–:

قال العلامة الصنعاني –رحمه الله– في بيان معنى الأنواء: ((في القاموس[3]: "النوء النجم مال للغروب، جمعه: أنواء، ونوآن، أو سقوط النجم في الغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من ساعته"انتهى.

قال الزمخشري: "هي ثمانية وعشرون نجماً، معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها،

---

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب: الجمعة، باب: قول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾[الواقعة:٨٢] (٣٣/٢) ح (١٠٣٨)، ومسلم؛ كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء (٨٣/١) ح (٧١).

(٢) ينظر مثلاً: الأم (٢٨٨/١)، والتمهيد (٢٨٦/١٦)، وتيسير العزيز الحميد (ص٣٩٠-٣٩٥).

(٣) ينظر: القاموس المحيط (ص٥٤).

يسقط منها في كل ثلاثة عشر ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وانقضاء هذه النجوم مع انقضاء السنة، فكانوا إذا سقط منها نجم، وطلع آخر؛ قالوا: لا بد من رياح ومطر؛ فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى النجم الساقط، فيقولون: مطرنا بنوء الثريا، والدبران، والسماك"[(١)]))[(٢)].

وقال -رحمه الله- في شرحه لحديث: «ثلاث من فعل أهل الجاهلية لا يدعهن أهل الإسلام: استسقاء بالكواكب، وطعن في النسب، والنياحة على الميت»[(٣)]؛ قال: ((قال ابن تيمية: "ذُم في الحديث؛ من ادعى بدعوى الجاهلية، وأخبر أن بعض الأمور الجاهلية لا يتركه أهل الإسلام؛ ذماً لمن لا يتركه، وهذا يقتضي أن ما كان من أمر أهل الجاهلية وفعلهم، فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لهم، ومعلوم أن إضافتها إليها خرج مخرج الذم"[(٤)].

«استسقاء بالكواكب»؛ قال في "مسند الفردوس"[(٥)] عن الزهري[(٦)]: "إنما غلظ القول فيه؛ لأن العرب كانت تزعم أن المطر فِعل النجم، لا سقي من الله

---

(١) الفائق في غريب الحديث؛ للزمخشري (٤/٢٩).

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير (٥/١٧٦-١٧٧).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/٢٨٢) ح (٢١٧٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/٥٨٣).

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٣٥).

(٥) (٢/٣٨٦).

(٦) هو: أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري القرشي، أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة، توفي سنة ١٢٤هـ. ينظر ترجمته: الطبقات الكبرى (٥/٣٤٨-٣٥٦)، ومشاهير علماء الأمصار (١/١٠٩).

سبحانه، أما من لم يُرد هذا؛ وقال: مطرنا في وقت كذا؛ بنجم طالع، أو غارب؛ فجائز"))[1].

فبين -رحمه الله- أن اعتقاد نزول المطر من فعل النجم؛ هو الذي جاء في الحديث التغليظ فيه، بخلاف ما لو لم يعتقد ذلك، وإنما أراد باللفظ: أن المطر نزل علينا بوقت كذا؛ فهذا جائز، وسيأتي تحقيق القول في ذلك.

كما أورد العلامة الحسن بن خالد الحازمي -رحمه الله- باباً في الاستسقاء بالنجوم[2]؛ حيث قال: ((باب الاستسقاء بالنجوم؛ وما جاء في كفر من قال: مطرنا بنوء كذا؛ قال الله تعالى: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾[الواقعة:٨٢]؛ بدل الشكر، وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قراها: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون[3]...))[4].

ثم أورد -رحمه الله- حديث زيد بن خالد الجهني السابق ذكره[5].

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير (١٥١/٥).

(٢) ينظر: قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٥٤/٢٣، ١٥٥).

(٤) قوت القلوب في منفعة توحيد علام الغيوب (ص١٦٣).

(٥) ينظر: المصدر السابق، والموضع نفسه.

وقال الشوكاني –رحمه الله–: ((والاستسقاء بالنجوم: هو قول القائل: مطرنا بنوء كذا، أو سؤال المطر من الأنواء؛ فإن كان ذلك على جهة اعتقاد أنها المؤثرة في نزول المطر؛ فهو كفر...))[1]، **ثم استدل –رحمه الله– بحديث زيد بن خالد السابق الذكر**[2].

وقال في موضع آخر في بيان معنى الحديث: ((ولا يخفى على عارف أن العلة في الحكم بالكفر: هي ما في ذلك من إيهام المشاركة، وأين هذا ممن يصرح في دعائه عند أن يمسه الضر؛ بقوله: يا الله، ويا فلان، وعلى الله وعلى فلان؛ فإن هذا يعبد ربَّين، ويدعو اثنين، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا؛ فهو لم يقل أمطره ذلك النوء، بل قال: أُمطر به، وبين الأمرين فرق ظاهر))[3].

وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾ [الفرقان:٥٠]: ((قال عكرمة: إن المراد بقوله: ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴾؛ هو قولهم: في الأنواء، مطرنا بنوء كذا.

قال النحاس[4]: "ولا نعلم بين أهل التفسير اختلافاً أن الكفر هنا قولهم: مطرنا بنوء كذا"[5]))[6]، **وعدَّ –رحمه الله– هذا القول في موضع آخر: من**

---

(١) نيل الأوطار (٤/١٢٩).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٤/١٢٩)، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (١/٣٣٠-٣٣١)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٣) المصدر السابق (١/٣٣١).

(٤) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المرادي المصري، النحوي المعروف، له مصنفات؛ منها: إعراب القرآن، والناسخ والمنسوخ، توفي سنة ٣٣٨هـ. ينظر ترجمته: وفيات الأعيان (١/٩٩-١٠٠)، والوافي بالوفيات (٧/٢٣٧-٢٣٨).

(٥) ينظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (٣/١١٤).

(٦) فتح القدير (٤/٩٤).

الشرك الخفي[1].

فتبين من كلامه -رحمه الله- التفريق بين من قال ذلك عن اعتقاد أن النوء فاعل حقيقة؛ وهذا كفر أكبر، وبين من قال ذلك عن اعتقاد أن الله ﷻ هو الفاعل حقيقة والنوء إنما هو سبب، وهذا شرك أصغر؛ كما تقدم بيان ذلك.

وخلاصة القول: أن القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا، لا يخلوا من أحوال ثلاث:

الأولى: أن يعتقد أن النوء هو الفاعل والمنزل للمطر حقيقة، وهذا كفر بإجماع أهل العلم.

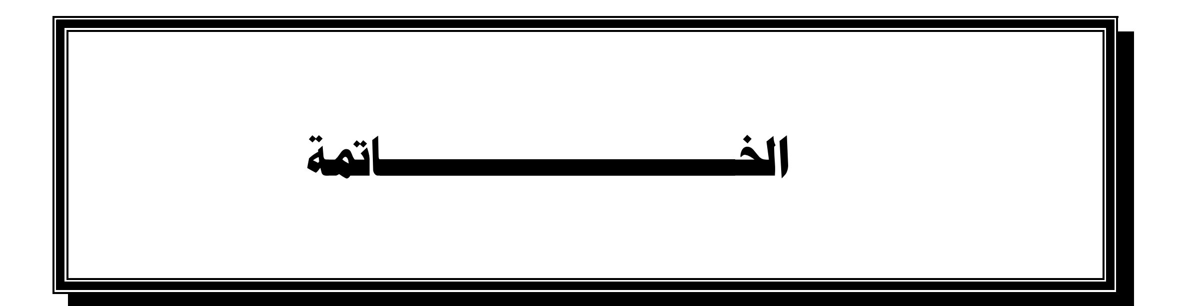
الثاني: أن يعتقد أن النوء إنما هو سبب، وأن الفاعل ومنزل المطر هو الله بإرادته وأمره، فهذا يكون كفره كفراً دون كفر، أو هو شرك أصغر.

الثالث: أن يكون مراده باللفظ: مطرنا بنوء كذا؛ أي: بمعنى في وقت كذا؛ بمعنى: أن الله تعالى أنزل المطر علينا في هذا الوقت، فهذا -وإن كان جائزاً عند بعض أهل العلم- فالأولى تركه؛ ابتعاداً عن الإيهام، واجتناباً لمشابهة الكفار في أقوالهم، وحماية لجناب التوحيد[2]، والله أعلم.

---

(١) ينظر: العذاب النمير (١/١٨٣)؛ ضمن الفتح الرباني.

(٢) ينظر: التمهيد (١٦/٢٨٥-٢٨٦)، والمنتقى؛ للباجي (١/٣٣٤-٣٣٥)، وفتح الباري (٢/٥٢٣-٥٢٤)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢/٦٠-٦١)، وتيسير العزيز الحميد (ص٣٩٤-٣٩٥)، وفتح المجيد (ص٣٢٣-٣٢٤).



الخـــــــــــــاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

فقد تم إنجاز هذا البحث بحول منه سبحانه وعونه، وإني لا أدعي فيه الكمال والإحاطة، وحسبي أني بذلت فيه قصارى جهدي، فإن أصبت فهو من فضل ربي وتوفيقه، فله الحمد والفضل، وإن أخطأت فهو مني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وأستغفر الله وأتوب إليه.

وفي هذه الخاتمة أحب أن أجمل أهم النتائج والفوائد التي توصلتُ إليها في النقاط التالية:

- عاش علماء اليمن -رحمهم الله- من القرن الحادي عشر الهجري إلى القرن الخامس عشر الهجري في فترة كانت اليمن تعاني فيها من تفكك وضعف شديد، حيث أدت الصراعات السياسية إلى تعاقب دول كثيرة على حكمه، كما كانت الصراعات المذهبية والقبلية تسود فيه.

- كما عاصروا -رحمهم الله- الفرق والطوائف المختلفة؛ كالرافضة، والزيدية، والصوفية، والمعتزلة، وغيرهم، ورأوا ما فيهم من التعصب المقيت، والانحراف العقدي المخالف لتعاليم الدِّين الإسلامي، والتي كان لها الأثر المباشر في تردي الأوضاع الاجتماعية في عموم البلاد اليمنية.

- كما رأوا ما وقع فيه عامة الناس؛ من تفشي الجهل بالدِّين في أوساطهم، وترك التوحيد والسنن، وانتشار الفساد والبدع والخرافات والشركيات.

- وعلى الرغم من تردي الأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية في اليمن؛ إلا أن علماء اليمن قد برزوا في الدعوة والتدريس، والكتابة والتأليف، وبرز علماء منهم عُرِفوا بحرصهم على السنة وغيرتهم على العقيدة السليمة، ولهم من الجهود العلمية والعملية ما يثلج الصدر ويبهج النفس في تقرير ذلك، وما هذا البحث الذي هو في تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك والرد على المخالفين، إلا إبراز لبعض من جهودهم في ذلك؛ حيث تتبين عنايتهم الكبيرة بتوحيد العبادة

والتحذير من الشرك، وهم كغيرهم من علماء الأمة الذين خلفوا الرسل في تقرير ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وبناء على ما تقدم من النقول السابقة فإن بالإمكان القول: إن هذه النقول قد أثبتت الحقائق التالية:

١- أن التوحيد في الشرع هو إفراد الله ﷻ وحده بالعبادة، وأن هذا التوحيد هو الذي بعث الله تعالى من أجله الرسل، وأنزل الكتب، وشُرعت الشرائع، بل ومن أجله خلق الله الخلق.

٢- أن معنى "الإله" في قولنا "لا إله إلا الله": المعبود؛ كما دل على ذلك الاستعمال اللغوي والشرعي، فعليه فإن معنى "لا إله إلا الله"؛ أي: أن الله ﷻ هو وحده المستحق للعبادة، فقولنا "لا إله" نفي لجميع المعبودات، وقولنا "إلا الله"؛ حصر استحقاق العبادة له وحده سبحانه وتعالى.

٣- أن لكلمة التوحيد شروطاً؛ من التزمها نفعته هذه الكلمة، ومن لم يلتزمها لم تنفعه.

٤- أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام؛ توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، ولا يكتمل لأحد توحيده إلا باجتماع هذه الأنواع الثلاثة، فلا ينفع أحد منها بدون الآخر.

٥- أن توحيد الربوبية قد أقر به عامة الخلق؛ لذلك لم تأت الرسل بالدعوة إليه، وإنما جاءت بالدعوة إلى لازمه الذي هو توحيد الألوهية.

٦- أن العبادة تشمل سائر أنواع الطاعات؛ الظاهرة والباطنة، سواء كانت قولية أو فعلية أو تركية؛ فلا تُصرف إلا لله ﷻ وحده.

٧- أن هذه العبادة يتوقف قبولها على شرطين: الإخلاص والمتابعة، فمن فرط في واحد منها رُد عليه عمله.

٨- أن للعبادة أنواعاً؛ منها ما هو باطن، ومنها ما هو ظاهر، وبها يتضح معنى العبادة؛ كالمحبة، والخوف والرجاء، والتوكل، وكالذكر، والدعاء، والذبح، والنذر،

والطواف، والاستغاثة، والاستعانة، والتوسل، وغيرها من أنواع العبادة، وكلها لا تُصرف إلا لله ﷻ وحده دون سواه.

٩- أن الأمر بالتوحيد نهي عن ضده من الشرك، ورُسل الله إنما دعوا إلى عبادة الله وحده، ونهوا عن الشرك؛ الذي حقيقته هو: الشرك في العبادة.

١٠- أن الشرك بالله تعالى من أعظم الذنوب التي عُصي الله بها، لذلك رتب الله تعالى عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه؛ من إباحة دماء أهله وأموالهم، وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم قبول أعمال أهله، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة.

١١- أن شرك عبَّاد المقابر أعظم من شرك أهل الجاهلية الأولى؛ حيث إن عبَّاد المقابر أشركوا في الرخاء والشدة، بخلاف أهل الجاهلية الأولى الذين كان شركهم في الرخاء دون الشدة.

١٢- أن السبب في الوقوع في الشرك هو الغلو في الصالحين، والذي حدث أول ما حدث في قوم نوح -عليه السلام-.

١٣- أن اتخاذ القبور مساجد أو الصلاة عندها، وكذلك الزيارة الغير شرعية للمقابر من أعظم أسباب الوقوع في الشرك.

١٤- أن الشفاعة لا تكون إلا برضاه سبحانه وتعالى وإذنه، وتكون لأهل التوحيد، ولا تكون لأهل الشرك والخرافة.

١٥- أن الشرك ينقسم إلى قسمين؛ شرك أكبر؛ ينافي أصل التوحيد، وهو مخرج من الملة، وشرك أصغر؛ ينافي كمال التوحيد، وهو غير مخرج من الملة، إلا أنه قد يُوصل إلى الشرك الأكبر بحسب ما يُضاف إليه من الاعتقاد السيء.

١٦- أن للشرك أنواعاً كثيرة؛ منها ما يُنافي التوحيد، ومنها ما يُنافي كماله؛ كشرك الدعاء، وشرك الطواف، وشرك الذبح، وشرك النذر، وشرك السحر والرقى والتمائم والكهانة والعرافة والتنجيم المتضمن لصرف العبادة إلى الشياطين أو الكواكب، وكذلك الحلف بغير الله، والتعبيد لغير الله، والطيرة، والرياء، والتسوية في

المشيئة، والاستسقاء بالأنواء، وغيرها.

١٧- أن للمخالفين في هذا الباب العظيم -باب توحيد العبادة والتحذير من الشرك- شبهات وحجج واهية يستدلون بها على باطلهم، وقد كان لعلماء اليمن جهد في دحضها وإبطالها؛ كما سبق ذكر جملة منها.

وختاماً؛ فرحم الله أولئك الأعلام من علماء اليمن؛ الذين كان لهم أبرز الأثر في تقرير توحيد العبادة والتحذير من الشرك وشبهه، وهم بذلك مقتفون للنبي ﷺ وسلف هذه الأمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهـــــارس:

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾	٤١	١٤١،١٥٤،٢٤٠
﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	٤٣	٢٢٤
﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾	٨٠	٢٥٤
﴿ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	٨٩	٣٥٨
﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ﴾	١٠٢	٦٢٤
﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ ﴾	١٠٢	٦١١،٦١٣،٦٢١،٦٢٢
﴿ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ ﴾	١١١	٢٥٤
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾	١٢٣	٥٣١،٥٣٣،٥٤٧،٥٤٨،٥٥٥
﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا ﴾	١٢٥	٤٩٧
﴿ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾	١٢٥	٥٨٦،٣١٣
﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾	١٢٨	١٦٨
﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾	١٥٢	٢٦٤،٢٦٩
﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٦٣	٩٩
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ ﴾	١٦٥	٦٥٠،٢٢٧،٣٣٠
﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	١٦٩	٦٧٥
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ	١٧٠	٤٦٣،٥٠٨

الآية	رقمها	الصفحة
أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾		
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ﴾	١٧٣	٥٩٣
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾	١٨٦	٢٧٣،٢٧٦،٢٨٢،٢٨٨
﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ﴾	١٨٧	٤٥٨
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	١٨٨	٥٩٧
﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾	١٩٣	١٦٨
﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ ﴾	١٩٦	٢٩٢
﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾	١٩٦	٥٨٩،٢٩٤
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾	٢١٣	٤٤٢،٩٨
﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾	٢١٧	٣٩٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢١٨	٢٥٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	٢٢٢	٣٧١،٣٧٥
﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٢٥٤	٥٣١،٥٤٨،٥٥٥
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	٢٥٥	١٢٨،١٤٦،١٢١
﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾	٢٥٥	١١٥، ٥٣١،٥٣٣،٥٣٥،٥٣٦،٥٣٧،٥٥٥

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

﴿ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ ﴾		
﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾	٤٤	٢٤٠
﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	٤٤	٤٢٢

سورة الأنعام

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾	١	٤٠٠
﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾	١٧	٢٠٨
﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾	١٩	٤٤٠
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	٤٠	٤١٦
﴿ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾	٥١	،٢٢٧ ٥٣١،٥٤٨،٥٥٥،٥٥٨
﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾	٥٩	٦٥٨،٦٦٤،٦٦٥
﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾	٦٧	٦١٨
﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾	٧٢	٣٧٩،٣٩٦،٣٩٩
﴿ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	٧٦	٢١٩
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾	٨٢	٤٠٠

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾	١٥	٤٤٠
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	٢٣	١٤١،١٧٢،٢٩٣،٢ ٥٨٩،٥٩١،٩٤،٢٩٦
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ ﴾	٣٢	٢٢٤
﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾	٤٧	٦١٧
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾	٥٧	٢٤٩،٣٣٤،٣٣٦
﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾	٥٧	٢٣٩
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ ﴾	٦٧	٤١٣،٤١٥،٤١٦،٤٩٢
﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾	٧٠	٣٥٧
﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾	٧٩	٥٤٠
﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ ﴾	١٠٢	٢٠٩
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾	١١٠	٣٥١

سورة الكهف

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ ﴾	١٥	٥٠١
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ﴾	٢١	٥٠١،٥٠٢

سورة الأنبياء

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٩٧-٩٨	٢١١

سورة الحج

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ ﴾	١٣	٣٨٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢٥	٣١٣
﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾	٢٦	٣١١
﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾	٢٩	٣٠٤،٣٠٦،٣٠٨،٣ ٥٨٦،٠٩،٣١١،٣١٣
﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ ﴾	٣٠	٢٢٤
﴿ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾	٣٦	٢٩٣
﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ ﴾	٣٧	٥٩٠،٢٩٢،٢٩٤
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾	٦٢	٣٨٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ ﴾	٧٣	٥٧٦
﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ ﴾	٧٧	٢٢٤

سورة المؤمنون

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾	٥٠	١٨٩

سورة القصص

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾	١٥	٢١٧،٣١٨،٣١٩،٣٢١،٦٤٨،٦٤٦
﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾	٢١	٢٥٢
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾	٥٦	٦٤٨

سورة العنكبوت

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَإِيَّٰىَ فَاعْبُدُونِ ﴾	٥٦	١٤١، ١٥٤،٢٩٦،٣٢٠
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾	٦١	٢١٤
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾	٦٣	٢١٤
﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾	٦٥	٤١٣،٤١٥،٤١٧،٤١٩

سورة الروم

طرف الآية	رقم	الصفحة

	الآية	
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٢١	٢٣٤
﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾	٣٣	٤١٤
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	٣٦٥

سورة الأحزاب

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾	٣	٢٦١
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	٢١	١٨٩
﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾	٢٢	٢٤٤
﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾	٣٩	٢٤٤،٢٤٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾	٤١	٢٦٤،٢٦٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠	٢

سورة لقمان

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ﴾	١٢	٤٠٠
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	١٢٦، ٣٩٣،٤٠٠،٤٠١
﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ	٣٢	٤١٣،٤١٦

		٦٤٨
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾	١٠	١٥٦
﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾	١٣	٥٣٥،٥٧٠،٥٧٥
﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾	١٣-١٤	٥٧٧،٢٨١
﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ﴾	١٨	٤٩٤
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾	١٨	٢٤٥
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	٢٨	٢٤٣،٢٤٤

سورة يس

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾	٣٩	٧٠٥

سورة الصافات

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾	٣٥	١٤٥
﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾	١٢٥	٥٥٨
﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾	١٤٣	٣٥٢
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	١٧١	١٨٥

سورة غافر

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
		٥٦٨،٥٧٤،
﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾	٦٢	١٤٧
﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ﴾	٦٥	١١٨

سورة فصلت

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ ﴾	١٤	١٢٠،١٤٠

سورة الشورى

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾	٤	٣٧١
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	١١	٢١٢
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾	١٧	١١٨

سورة الزخرف

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٩	،١٢١ ،٢٠٩،٢١٠،٢١١،٢١٢ ٤٢٥

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	١٩	٢٢٤،١٦٠،٥٨٢
﴿ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾	٣٣	٦٩٤
﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ﴾	٣٧	٥٩٦

سورة الذاريات

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٣،١٢٠،١٢٥،١٣٠، ١٧٠،١٧٥،٢٨٤

سورة النجم

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾	١٩	٦٦٨
﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾	٢٦	٥٣١، ٥٣٣،٥٣٤،٥٣٦
﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	٣٨	٤٩٤
﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾	٣٩	٣٤٨

سورة الرحمن

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾	٤٦	٢٤١

سورة الجمعة		
طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾	١٠	٢٥٦

سورة التغابن		
طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾	٧	٦٧٠
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٣	١٤٦

سورة الطلاق		
طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾	٣	٢٥٧
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾	١٢	١١٨،٢٢٤
﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾	١٢	٢٢٤

سورة الملك		
طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾	١٥	٢٦٢

سورة المعارج		
طرف الآية	رقم	الصفحة

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾	١-٣	٢٢١

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

طرف الأثر	رقم الصفحة

فهرس الأعلام

العلم **رقم الصفحة**

فهرس الفرق والطوائف

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الرسائل العلمية:

١. تيسير اليسرى شرح المجتبى من السنن الكبرى؛ تأليف: عبد الرحمن البهكلي، تحقيق: صالح عبد الكريم، ومسلم عبد الستار، ومحمد حفظ الله، وعبد الله الحمد، وخالد الردادي، ومعاذ خوجه، وحافظ عبد المقيت، وعمر بادقيل، وعبد الحميد العزابي، وخالد السهلي، وماهر مهرات، رسالة ماجستير، قسم السنة بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٩هـ/١٤٣٠هـ.

٢. الصارم القرآني على مؤلف درر المعاني؛ تأليف: محمد بن سالم البيحاني، تحقيق: عبد الفتاح بن قائد السماوي، رسالة ماجستير، قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، ١٤٣٠هـ/١٤٣١هـ.

٣. فتح المنان بتفسير القرآن؛ تأليف: الحسن عاكش، تحقيق: وفاء الزعقاني، وعبد العزيز السحيباني، ومحمد المرشود، وعيسى الدريبي، وعبد الكريم الشملان، رسالة دكتوراة، قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٤هـ.

ثانياً: المصادر والمراجع:

٤. القرآن الكريم.

٥. الإبانة الكبرى لابن بطة؛ تأليف: عبيد الله بن محمد العكبري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٦. أبجد العلوم؛ تأليف: محمد بن صديق خان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

٧. إتحاف المهرة بالكلام على حديث «لا عدوى ولا طيرة»؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: راشد بن عامر الغفيلي، دار أطلس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٨. إجابة السائل على أهم المسائل؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٩. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان؛ تأليف: محمد بن حبان الدارمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٠. الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان؛ تأليف: عبد الصمد بن إسماعيل الموزعي، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
١١. أحكام القرآن؛ تأليف: أحمد بن علي الجصاص، تحقيق: محمد بن صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.
١٢. أحكام القرآن؛ تأليف: محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٣. الآداب الشرعية والمنح المرعية؛ تأليف: محمد بن مفلح الحنبلي، عالم الكتب.
١٤. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت؛ تأليف: عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
١٥. أدب الطلب ومنتهى الأرب؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الله يحي السريحي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٦. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد؛ تأليف: عبد الملك بن يوسف الجويني، تحقيق: محمد بن يوسف موسى، وعلي بن عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، طبعة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.
١٧. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل؛ تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٨. الاستذكار؛ تأليف: يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق: سالم بن محمد عطا، ومحمد بن علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٩. الاستغاثة في الرد على البكري؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، دار الوطن للنشر، الرياض، طبعة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ تأليف: يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢١. أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ تأليف: علي بن محمد ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢٢. الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد؛ تأليف: سليمان بن سحمان، مطابع الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٧٦هـ.

٢٣. الإصابة في تمييز الصحابة؛ تأليف: أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٤. إصلاح المجتمع؛ تأليف: محمد بن سالم البيحاني، تحقيق: يحي بن علي الحجوري، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

٢٥. أصول الدِّين؛ تأليف: تأليف: أحمد بن محمد الغزنوي، تحقيق: عمر بن وفيق الدعاوي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٦. أصول الفقه على منهج أهل الحديث؛ تأليف: زكريا بن غلام، دار الخراز، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؛ تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، طبعة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٨. أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان؛ تأليف: محمد بن أحمد العقيلي، نادي مكة الثقافي، إشراف دار مكة.

٢٩. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين؛ تأليف: محمد بن عمر الرازي، تحقيق: علي بن سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠. إعراب القرآن؛ تأليف: أحمد بن محمد النحاس، تعليق: عبد المنعم خليل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣١. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة؛ تأليف: حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

٣٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين؛ تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣٣. أعلام النبوة؛ تأليف: علي بن محمد الماوردي، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٤. الأعلام؛ تأليف: خير الدِّين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

٣٥. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان؛ تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

٣٦. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣٧. إكمال المعلم بفوائد مسلم؛ تأليف: عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: يحي إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٨. الأم؛ تأليف: محمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٩. الإمام الشوكاني حياته وفكره؛ تأليف: عبد الغني بن قاسم الشرجي، مؤسسة الرسالة، طبعة ١٤٠٨هـ.

٤٠. الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٤١. الأنفاس الرحمانية اليمنية في أبحاث الإفاضة المدنية؛ تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، عناية الوليد الربيعي.

٤٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف: عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٣. أوراق من حياة فضيلة الشيخ محمد بن سالم البيحاني؛ تأليف: أمين بن سعيد باوزير، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٤٤. الإيضاح في المناسك؛ تأليف: يحي بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤٥. إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة؛ تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد بن صبحي حلاق، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م.

٤٦. إيقاظ الوسنان على بيان الخلل الذي في صلح الإخوان؛ تأليف: محمد بن ناصر الحازمي، تحقيق: عبد الله بن علي الحازمي،

٤٧. الإيمان؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤٨. البحر المحيط في أصول الفقه؛ تأليف: محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٤٩. البحر المحيط في التفسير؛ تأليف: محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

٥٠. البداية والنهاية؛ تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥١. بدائع الفوائد؛ تأليف: محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٢. البدر التمام شرح بلوغ المرام؛ تأليف: الحسين بن محمد المغربي، تحقيق: علي بن عبد الله الزين، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٥٣. براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة؛ تأليف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

٥٥. بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام؛ تأليف: حسين بن أحمد العرشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥٦. البناء على القبور؛ تأليف: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، تحقيق: حاكم بن عبيسان المطيري، دار أطلس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٥٧. بهجة الزمن في تاريخ اليمن؛ تأليف: عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، ومحمد أحمد السنباني، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، طبعة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٨. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٥٩. تاج العروس من جواهر القاموس؛ تأليف: محمد بن محمد الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦٠. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان؛ تأليف: محمد العقيلي، نادي جازان الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٦١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام؛ تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار بن عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٦٢. تاريخ الطبري؛ تأليف: محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ.

٦٣. التاريخ العام لليمن؛ تأليف: محمد بن يحيى الحداد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٦٤. التاريخ الكبير؛ تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن.

٦٥. تاريخ المملكة العربية السعودية؛ تأليف: عبد الله الصالح العثيمين، طبعته الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، طبعة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٦٦. تاريخ اليمن الثقافي؛ تأليف: أحمد بن حسين شرف الدِّين، مطبعة الكيلاني الصغير، طبعة ١٣٨٧هـ.

٦٧. تاريخ اليمن الحديث (فترة خروج العثمانيين الأخير)؛ تأليف: عبد الله بن محسن العَزب، تحقيق: عبد الله الحبشي، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٦٨. تاريخ بغداد؛ تأليف: أحمد بن علي البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٦٩. تاريخ دمشق؛ تأليف: علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٧٠. تأويل مختلف الحديث؛ تأليف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المكتب الإسلامي، مؤسسة الإشراق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٧١. التبصرة في أصول الفقه؛ تأليف: إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٧٢. تجريد التوحيد المفيد؛ تأليف: أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: طه بن محمد الزيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٧٣. التحف في مذاهب السف؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: سيد عاصم علي، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٧٤. تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام؛ تأليف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

٧٥. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٧٦. التحفة العراقية في الأعمال القلبية؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

٧٧. تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٧٨. تحقيق الكلام في المسائل الثلاث "الاجتهاد والتقليد، السنة والبدعة، العقيدة"؛ تأليف: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، تحقيق: علي بن محمد عمران، ومحمد بن عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ

٧٩. تذكرة الحفاظ؛ تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٨٠. تراجم علماء جدة من الحضارمة؛ تأليف: علي بن سالم العميري، تحقيق: خضر بن صالح الغامدي، دار المحمدي، جدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٨١. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور بتحريم رفع القبور؛ تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد، مطبعة السفير، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٨٢. التعرف لمذهب أهل التصوف؛ تأليف: محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٣. التعريفات؛ تأليف: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٨٤. تفسير أسماء الله الحسنى؛ تأليف: إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: أحمد بن يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.

٨٥. تفسير السلمي وهو حقائق التفسير؛ تأليف: محمد بن الحسين السلمي، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٨٦. تفسير القرآن العزيز؛ تأليف: محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين، تحقيق: حسين عكاشة، ومحمد مصطفى، الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٨٧. تفسير القرآن العظيم؛ تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٨٨. تفسير القرآن العظيم؛ تأليف: عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٨٩. تفسير القرآن العظيم؛ تأليف: محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٩٠م.

٩٠. تفسير القرآن؛ تأليف: منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٩١. تفسير مجاهد؛ تأليف: مجاهد بن جبر المخزومي، تحقيق: محمد بن عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٩٢. التفسير والمفسرون؛ تأليف: محمد السيد الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.

٩٣. تكوين اليمن الحديث؛ تأليف: سيد مصطفى سالم، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٩٤. تلبيس إبليس؛ تأليف: عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٩٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ تأليف: يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

٩٦. التنوير شرح الجامع الصغير؛ تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد إسحاق محمد، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٩٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال؛ تأليف: يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: بشار بن عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٩٨. تهذيب اللغة؛ تأليف: محمد بن أحمد بن أزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٩٩. التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد؛ تأليف: محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: علي ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٠٠. التوسل أنواعه وأحكامه؛ تأليف: محمد ناصر الدِّين الألباني، تحقيق: محمد بن عيد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٠١. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد؛ تأليف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاوش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٠٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٠٣. ثمرات النظر في علم الأثر؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: رائد صبري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٠٤. جامع البيان في تأويل القرآن؛ تأليف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٠٥. الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٠٦. الجامع الصحيح؛ تأليف: الربيع بن حبيب الفراهيدي، دار الفتح للطباعة والنشر، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.

١٠٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم؛ تأليف: عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٠٨. جامع المسائل؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠٩. الجامع لأحكام القرآن؛ تأليف: محمد بن احمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١١٠. الجرح والتعديل؛ تأليف: عبد الرحمن بن محمد الرازي، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ/١٩٥٢م.

١١١. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي؛ تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١١٢. حاشية كتاب التوحيد؛ تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

١١٣. شرح مختصر خليل؛ تأليف: محمد بن عبد الله الخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت.

١١٤. حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني؛ تأليف: علي بن أحمد العدوي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١١٥. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي؛ تأليف: علي بن محمد الماوردي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١١٦. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة؛ تأليف: إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١١٧. حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدهر؛ تأليف: الحسن عاكش، تحقيق: إسماعيل بن محمد البشري، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١١٨. الحركة الوطنية اليمنية من الثورة إلى الوحدة؛ تأليف: أحمد بن سعيد الجناحي، مركز الأمل للدراسات والنشر، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١١٩. الحكم العثماني في اليمن؛ تأليف: فاورق بن عثمان أباضة، الهئية العامة المصرية للكتاب، مصر، طبعة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢٠. حلقات القرآن الكريم ومجالس العلم في مساجد عدن؛ تأليف: أمين سعيد باوزير، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٢١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء؛ تأليف: أحمد بن عبد الله الأصبهاني، السعادة، بجوار محافظة مصر، طبعة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

١٢٢. حوليات النُّعمي التهامية (من تاريخ اليمن الحديث)؛ تأليف: أحمد بن أحمد النعمي، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧هـ.

١٢٣. حياة عالم وأمير؛ تأليف: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٢٤. خطبة الحاجة التي كان رسو الله ﷺ يعلمها أصحابه؛ تأليف: محمد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٤٠٠م.

١٢٥. خلاصة العسجد في دولة الشريف محمد بن أحمد؛ تأليف: عبد الرحمن بن حسن البهكلي، تحقيق: ميسل توشيرير، وعدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ، دمشق، طبعة ٢٠٠٠م.

١٢٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت.

١٢٧. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تخريج: أبو عبد الله الحلبي، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ

١٢٨. الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت؛ تأليف: سالم بن أحمد العلوي، تحقيق: عمر بن محمد باحاذق، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٢٩. الدراري المضية شرح الدرر البهية؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٣٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة؛ تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مراقبة: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٣١. درر المعاني في التحذير من منظومة العبادي وتعليق البيحاني؛ علي بن محمد باحميش، مطبعة فتاة الجزيرة، عدن.

١٣٢. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بـ"شرح منتهى الإرادات" ؛ تأليف: منصور بن يونس البهوتي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٣٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة؛ تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

١٣٤. الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني؛ تأليف: الحسن بن أحمد عاكش، تحقيق: إسماعيل بن محمد البشري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، طبعة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٣٥. ديوان الأمير الصنعاني؛ تأليف: محمد بن الأمير الصنعاني، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٣٦. ذيل طبقات الحنابلة؛ تأليف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٣٧. رحلة في العربية السعيدة؛ تأليف: نَزيه مُؤيَّد العظم، منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٣٨. رد المحتار على الدر المختار؛ تأليف: محمد أمين عابدين، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٣٩. الرد على الأخنائي قاضي المالكية؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٤٠. ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٤١. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرقة؛ تأليف: محمد بن أبي الفيض الكتاني، تحقيق: محمد المنتصر الزمزمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٤٢. رسالة في وجوب توحيد الله ﷻ؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٤٣. رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله؛ تأليف: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، تحقيق: الشبراوي بن أبي المعاطي المصري، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٤٤. رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله؛ تأليف: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، تحقيق: عثمان بن معلم محمود، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ.

١٤٥. رفع الخمار عن مثالب المزار؛ تأليف: عبد الله بن عوض بكير، تحقيق: فايز بن سالم سعيدان.

١٤٦. روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح؛ تأليف: عيسى بن لطف الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٤٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف: محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٤٨. روضة الطالبين وعمدة المفتين؛ تأليف: يحي بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/١٩٩١م.

١٤٩. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٥٠. رياح التغيير في اليمن؛ تأليف: أحمد بن محمد الشامي، دار الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٥١. رياض الجنة في الرد على أعداء السنة، ومعه الطليعة في الرد على غلاة الشيعة، وحكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة صنعاء الأثرية، الطبعة الرابعة.

١٥٢. زاد المعاد في هدي خير العباد؛ تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٥٣. زوبعة في قارورة؛ تأليف: محمد بن سالم البيحاني، دار الشعغدن.

١٥٤. سبل السلام شرح بلوغ المرام؛ تأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الحديث.

١٥٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها؛ تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض؛ طبعات.

١٥٦. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر؛ تأليف: محمد خليل الحسيني، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٥٧. السنة؛ تأليف: أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٥٨. سنن ابن ماجه؛ تأليف: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٥٩. سنن أبي داود؛ تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

١٦٠. سنن الترمذي (الجامع الكبير)؛ تأليف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٦١. السنن الكبرى؛ تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٦٢. السنن الكبرى؛ تأليف: أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

١٦٣. سنن سعيد بن منصور؛ تأليف: سعيد بن منصور الجوزجاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

١٦٤. سير أعلام النبلاء؛ تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، دار الحديث، القاهرة، طبعة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٦٥. السيرة النبوية؛ تأليف: عبد الملك بن هشام، تحقيقك مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاد، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

١٦٦. سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس عن أصحابه؛ تأليف: عبد الله بن عبد الحكم المصري، تحقيق: أحمد بن عبيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٦٧. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، دار ابن حزم، الطبعة الأولى.

١٦٨. الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها؛ تأليف: علوي بن طاهر الحداد، سنغافورة، طبعة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

١٦٩. شأن الدعاء؛ تأليف: حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، طبعات.

١٧٠. شخصية الإمام أحمد حميد الدين ورجالات عصره؛ تأليف: محمد بن علي الأكوع، النسر الذهبي للطباعة، صنعاء، طبعة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٧١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ تأليف: عبد الحي بن أحمد ابن العماد العكري، تحقيق وتخريج:محمود الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٧٢. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ تأليف: أبو القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٧٣. شرح الأصول الخمسة؛ تأليف: عبد الجبار بن أحمد، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م.

١٧٤. شرح السنة؛ تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٧٥. شرح الصدور بتحريم رفع القبور؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، الجامعة افسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.

١٧٦. شرح العقيدة الطحاوية؛ تأليف: محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٧٧. شرح العقيدة الواسطية؛ تأليف: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.

١٧٨. تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد؛ تأليف: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٧٩. الشريعة؛ تأليف: محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٨٠. شعب الإيمان؛ تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٨١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى؛ تأليف: عياض بن موسى بن عياض، دار الفيحاء، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

١٨٢. الشفاعة؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار، صنعاء، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٨٣. الشيخ العلامة البيحاني حياته وفكره التربوي؛ تأليف: شرف بن أحمد الشهاري، دار جامعة عدن، عدن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، (ضمن مجموع البحوث المقدمة في ندوة إحياء الذكرى المئوية لميلاد الشيخ البيحاني).

١٨٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية؛ تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٨٥. صحيح ابن حبان؛ تأليف: محمد بن حبان الدارمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٨٦. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري؛ تأليف: محمد بن غسماعيل البخاري، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٨٧. صحيح البخاري؛ تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨٨. الصحيح المسند من دلائل النبوة؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٨٩. صحيح مسلم؛ تأليف: أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩٠. صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة صنعاء الأثرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٩١. صفحات من التاريخ الحضرمي؛ تأليف: سعيد بن عوض باوزير، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

١٩٢. الصفدية؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٩٣. صلح الإخوان من أهل الإيمان وبيان الدِّين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم؛ تأليف: داوود بن سليمان النقشبندي، مطبعة نخبة الأخبار، بمبي، الهند، طبعة ١٣٠٦هـ.

١٩٤. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة؛ تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٩٥. ضعيف الجامع الصغير وزيادته؛ تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٩٦. ضعيف سنن الترمذي؛ تأليف: محمد ناصر الدِّين الألباني، أشرف على طباعته: زهير الشاويش، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول

الخليج، الرياض، توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
١٩٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع؛ تأليف: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
١٩٨. طبقات الحفاظ؛ تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
١٩٩. طبقات الحنابلة؛ تأليف: محمد بن محمد بن أبي يعلى، تحقيق: محمد بن حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
٢٠٠. طبقات الزيدية الكبرى؛ تأليف: إبراهيم بن القاسم الشهاري، تحقيق: عبد السلام الوجيه،مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، الأردن، وصنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٢٠١. طبقات الشافعية الكبرى؛ تأليف: عبد الوهابن بن تقي الدِّين السبكي، تحقيق: محمود بن محمد الطناحي، وعبد الفتاح بن محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
٢٠٢. طبقات الصوفية؛ تأليف: محمد بن الحسين السلمي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢٠٣. طبقات الفقهاء الشافعية؛ تأليف: عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، تحقيق: محي الدِّين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
٢٠٤. طبقات الفقهاء؛ تأليف: إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.
٢٠٥. الطبقات الكبرى؛ تأليف: محمد بن سعد البغدادي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٠٦. طبقات المفسرين العشرين؛ تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي بن محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.
٢٠٧. طبقات المفسرين؛ تأليف: محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٠٨. طبقات فقهاء اليمن؛ تأليف: عمر بن علي الجعدي، تحقيق: فؤاد سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
٢٠٩. طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب، الملك الأشرف؛ تأليف: عمر بن يوسف رسول، تحقيق: سترستين، دار صادر بيروت، طبعة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٢١٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين؛ تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.
٢١١. العبودية؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢١٢. العدة في أصول الفقه؛ تأليف: محمد بن الحسين ابن الفراء، تحقيق: أحمد بن علي المباركي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٢١٣. عدن في التاريخ بين الازدهار والانهيار من عهد الزريعين إلى عهد الاشتراكيين؛ تأليف: علوي بن عبد الله طاهر، طبعة ١٩٩٧م.
٢١٤. عدن من الريادة الزمنية إلى الريادة الإبداعية؛ تأليف: أحمد بن علي الهمداني، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٢١٥. العطر اليماني من أشعار البيحاني؛ تأليف: محمد بن سالم البيحاني، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٢١٦. عمارة القبور في الإسلام؛ تأليف: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ.

٢١٧. العين؛ تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢١٨. غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٨٩م.

٢١٩. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني؛ تأليف: يحيى بن الحسين القاسم، تحقيق: سعيد بن عبد الفتاح عاشور، دار الكاتب العربي للطباعه والنشر، القاهرة، طبعة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٢٢٠. غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام؛ تأليف: محمد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروتالطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٢٢١. الفائق في غريب الحديث والأثر؛ تأليف: محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

٢٢٢. الفتاوى الكبرى؛ تأليف: ابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م.

٢٢٣. فتاوى سلطان العلماء العز بن عبد السلام، مكتبة القرآن الكريم للطباعة والنشر والتصدير، طبعة ١٩٨٨م.

٢٢٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ تأليف: احمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٧٩هـ.

٢٢٥. الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد بن صبحي حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.

٢٢٦. الفتح العثماني الأول لليمن؛ تأليف: سيد مصطفى سالم، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢٢٧. فتح القدير؛ تأليف: محمد بن عبد الواحد المعروف بابن همام، دار الفكر.

٢٢٨. فتح القدير؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٢٩. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد؛ تأليف: عبد الرحمن بن حسن التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

٢٣٠. فتوى في حكم أكل القات؛ تأليف: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

٢٣١. فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن؛ تأليف: عبد الواسع بن يحيى الواسعي، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٣٢. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية؛ تأليف: عبد القادر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٢٣٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل؛ تأليف: علي بن أحمد ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٣٤. فضل علم السلف على علم الخلف؛ تأليف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: محمد خير رمضان، دار النور المبين، طبعة ١٤٣٥هـ.

٢٣٥. شرح الفقه الأكبر؛ تأليف: الملا علي قاري، تحقيق: علي بن محمد دندل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.

٢٣٦. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي؛ تأليف: سعيد عوض با وزير، طبعة ١٩٦١هـ.

٢٣٧. الفنون؛ تأليف: علي بن عقيل البغدادي، تحقيق: جورج المقدسي، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، دمنهور، طبعة ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢٣٨. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشايخ والمسلسلات؛ تأليف: محمد بن عبد الحي الإدريسي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

٢٣٩. فوات الوفيات؛ تأليف: محمد بن شاكر، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

٢٤٠. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ؛ تأليف: أحمد بن غانم النفراوي، دار الفكر، طبعة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٤١. في ظلال القرآن؛ تأليف: سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

٢٤٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير؛ تأليف: محمد بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

٢٤٣. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٤٤. القاموس المحيط؛ تأليف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٤٥. القائد إلى تصحيح العقائد؛ تأليف: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٤٦. قبسات من حياة البيحاني؛ تأليف: خليل سلام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

٢٤٧. قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة؛ تأليف: عبد العزيز المقالح، دار العودة، بيروت، طبعة ١٩٨٢م.

٢٤٨. قطر الولي على حديث الولي؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة.

٢٤٩. قمع المعاند وزجر الحاقد الحاسد؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، دار الحديث، دماج، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢٥٠. القواعد الحسان لتفسير القرآن؛ تأليف: عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٥١. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى؛ تأليف: محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٢٥٢. قوت القلوب في توحيد علام الغيوب؛ تأليف: الحسين بن خالد الحازمي، دار الشريف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٥٣. القول السديد شرح كتاب التوحيد؛ تأليف: عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة الثالثة.

٢٥٤. القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد؛ تأليف: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن القيم، الدمام، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٥٥. القول المفيد على كتاب التوحيد؛ تأليف: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

٢٥٦. الكاشف عن حقائق السنن؛ تأليف: الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٥٧. الكافي في فقه الإمام أحمد؛ تأليف: عبد الله بن أحمد ابن قدامة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٥٨. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ؛ تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٥٩. كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين؛ تأليف: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢٦٠. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار؛ تأليف: عبد الله بن محمد العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٢٦١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ تأليف: محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ

٢٦٢. كشف الشبهات؛ تأليف: محمد بن عبد الوهاب التميمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٦٣. كلمة الإخلاص وتحقيق معناها؛ تأليف: عبد الرحمن بن احمد بن رجب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٢٦٤. الكواشف الجلية عن معاني الواسطية؛ تأليف: عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٦٥. كيف نفهم التوحيد؛ تأليف: محمد أحمد باشميل، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٢٦٦. لا تعبثوا بعقول الناس؛ تأليف: محمد بن سالم البيحاني، تحقيق: نجيب بن علي الكدادي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٦٧. لباب النقول في أسباب النزول؛ تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦٨. لسان العرب؛ تأليف: أبو الفضل محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٦٩. اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية؛ تأليف: محمد بن إسماعيل الكبسي، تحقيق: خالد أبا زيد الأذرعي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٧٠. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية؛ تأليف: محمد أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٧١. لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات؛ تأليف: محمد بن عمر الرازي، الدار الشرقية للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة ١٩٠٤م.

٢٧٢. متن الطحاوية؛ تأليف: أحمد بن محمد الطحاوي، شرح وتعليق: محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٢٧٣. المجتبى من السنن (السنن الصغرى)؛ تأليف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢٧٤. مجمع الأمثال؛ تأليف: أحمد بن محمد النيسابوري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

٢٧٥. مجموع الفتاوى؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، دار النشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، طبعة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٧٦. مجموع بلدان اليمن وقبائلها؛ تأليف: محمد بن أحمد الحجري، تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٢٧٧. مجموع رسائل العقيدة؛ تأليف: عبد الرحمن بن يحي المعلمي، تحقيق: عدنان بن صفاخان البخاري، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ.

٢٧٨. المجموع شرح المهذب؛ تأليف: يحي بن شرف النووي، دار الفكر.

٢٧٩. مجموع فتاوى الوادعي؛ جمعها ورتبها وخرج نصوصها: صادق بن محمد البيضاني.

٢٨٠. المحيط في اللغة؛ تأليف: إسماعيل بن عباد الطالقاني، تحقيق: محمد بن حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢٨١. مختار الصحاح؛ تأليف: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٨٢. المخرج من الفتنة؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٢٨٣. المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة؛ تأليف: أميرة بن علي مداح، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة، قسم التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٢٨٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين؛ تأليف: شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٢٨٥. مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر؛ تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، دار عالم الفوائد، طبعة ١٤٢٦هـ.

٢٨٦. مسألة في الذبائح على القبور وغيرها؛ تنأليف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: عقيل بن محمد المقطري، مكتبة دار القدس، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٨٧. المستدرك على الصحيحين؛ تأليف: محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢٨٨. المستصفى؛ تأليف: محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد بن عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢٨٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل ، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٩٠. مسند البزار؛ تأليف: أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، تحقيق: مجموعة من المحققين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٢٩١. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار؛ تأليف: محمد بن حبان الدارمي، تحقيق: مرزوق بن علي إبراهيم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢٩٢. مشكاة المصابيح؛ تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب، تحقيق: محمد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٢٩٣. مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن؛ تأليف: عبد الله الحبيشي، المجمع القافي، أبو ظبي، طبعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٩٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير؛ تأليف: أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٩٥. معارج الألباب في مناهج الحق والصواب؛ تأليف: حسين بن مهدي النعمي، تحقيق: محمد بن عبد الله مختار، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢٩٦. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الصول؛ تأليف: حافظ بن احمد الحكمي، تحقيق:عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٩٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن؛ تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٩٨. معالم تاريخ اليمن المعاصر؛ تأليف: عبد العزيز بن قائد المسعودي، مكتبة السنحاني، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٩٩. معاني القرآن؛ تأليف: أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٠٠. معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره؛ تأليف: علي بن محمد زيد، دار الكلمة، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

٣٠١. معجم البلدان والقبائل اليمنية؛ تأليف: إبراهيم بن أحمد المقحفي، دار الكلمة، صنعاء، طبعة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٣٠٢. المعجم الكبير؛ تأليف: سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٣٠٣. معجم المؤلفين المعاصرين؛ تأليف: محمد خير يوسف، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، طبعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٠٤. معجم المولفين؛ تأليف: عمر بن رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠٥. المعجم الوسيط؛ تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

٣٠٦. معجم مقاييس اللغة؛ تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٠٧. معرفة السنن والآثار؛ تأليف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، دار قتيبة، دمشق، بيروت، دار الوعي، حلب، دمشق، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٣٠٨. المعلم بفوائد مسلم؛ تأليف: محمد بن علي المازري، تحقيق: محمد الشاذلي، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

٣٠٩. المغازي؛ تأليف: محمد بن عمر الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣١٠. المغني؛ تأليف: عبد الله بن أحمد ابن قدامة، مكتبة القاهرة، طبعة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٣١١. المفردات في غريب القرآن؛ تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣١٢. المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم؛ تأليف: أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣١٣. مقال بعنوان "دور العبادي في مناهضة الإستعمار"؛ لمحمد سعيد جرادة، مجلة الحكمة (العدد ٣٧، ١٥/إبريل/١٩٧١م).

٣١٤. مقال من مجلة الداعي؛ مجلة عربية إسلامية شهرية تصدر عن الجامعة الإسلامية، دار العلوم، ديوبند/يوبي، الهند.

٣١٥. مقال؛ لمحمد سعيد جرادة (صحيفة ١٤ أكتوبر بتاريخ ٢١/يونيو/١٩٩٠م).

٣١٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين؛ تأليف: علي بن إسماعيل الأشعري، دار فرانز شتايز، ألمانيا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٣١٧. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد؛ تأليف: إبراهيم بن محمد بن مفلح، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣١٨. الملل والنحل؛ تأليف: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، طبعة مؤسسة الحلبي.

٣١٩. المنتقى شرح الموطأ؛ تأليف: سليمان بن خلف الباجي، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٢هـ.

٣٢٠. منهاج السنة النبوية؛ تأليف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة أفمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/

٣٢١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج؛ تأليف: محيي الدين يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٢٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج؛ تأليف: يحي بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٣٢٣. المهذب في فقه الإمام الشافعي؛ تأليف: إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الكتب العلمية.

٣٢٤. المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية؛ تأليف: علي بن أحمد باصبرين، عناية: أكرم بن مبارك عصبان.

٣٢٥. المواقف في علم الكلام؛ تأليف: عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٣٢٦. الموسوعة اليمنية؛ إعداد وإشراف وتحرير: أحمد جابر عفيف وآخرون، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٣٢٧. الموطأ؛ تأليف: مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد بن مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣٢٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال؛ تأليف: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
٣٢٩. النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة؛ تأليف: المطهر بن محمد الجرموزي مصورة، مكتبة اليمن الكبرى.
٣٣٠. نبذة مختصرة من نصائح والدي العلامة مقبل بن هادي الوادعي وسيرته العطرة؛ تأليف: أم عبد الله بنت الشيخ مقبل، دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٣٣١. نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر؛ تأليف: محمد بن محمد زبارة، تحقيق: عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، طبعة١٤٣١،١هـ/٢٠١٠م.
٣٣٢. نشرف العرف لنبلاء اليمن بعد الألف؛ تأليف: محمد بن محمد زبارة، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، طبعة ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م.
٣٣٣. نظم المتناثر من الحديث المتواتر؛ تأليف: محمد بن أبي الفيض الكتاني، تحقيق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، الطبعة الثانية.
٣٣٤. نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود؛ تأليف: عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٣٥. النهاية في غريب الحديث والأثر؛ تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣٣٦. النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات؛ تأليف: عبد الله بن أبي زيد القيرواني، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٣٣٧. النور السافر عن أخبار القرن العاشر؛ تأليف: عبد القادر بن شيخ العيدروس، تحقيق: أحمد حالو وآخرين، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣٣٨. نيل الأوطار؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٣٣٩. نيل الوطر من تراجم رجال اليمن قي القرن الثالث عشر؛ تأليف: محمد بن محمد زبارة، تحقيق: عادل بن أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٤٠. هجر العلم ومعاقله في اليمن؛ تأليف: إسماعيل بن علي الأكوع، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، طبعة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٤١. هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد؛ تأليف: أحمد بن محمد العبادي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.

٣٤٢. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين؛ تأليف: إسماعيل بن محمد البغدادي، وكالة المعارف الجليلة، استانبول، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٤٣. هذه دعوتنا وعقيدتنا؛ تأليف: مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار للنشر والتوزيع، صنعاء، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ.

٣٤٤. الوافي بالوفيات؛ تأليف: خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣٤٥. الورقات؛ تأليف: عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد العبد.
٣٤٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ تأليف: أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق:إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
٣٤٧. ولاية الله والطريق إليها؛ تأليف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: إبراهيم بن إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
٣٤٨. اليمن الإنسان والحضارة؛ تأليف: عبدالله بن عبد الوهاب المجاهد ، طبعة وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، طبعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣٤٩. اليمن عبر التاريخ؛ تأليف: أحمد بن حسين شرف الدِّين، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ.

فهرس الموضوعات